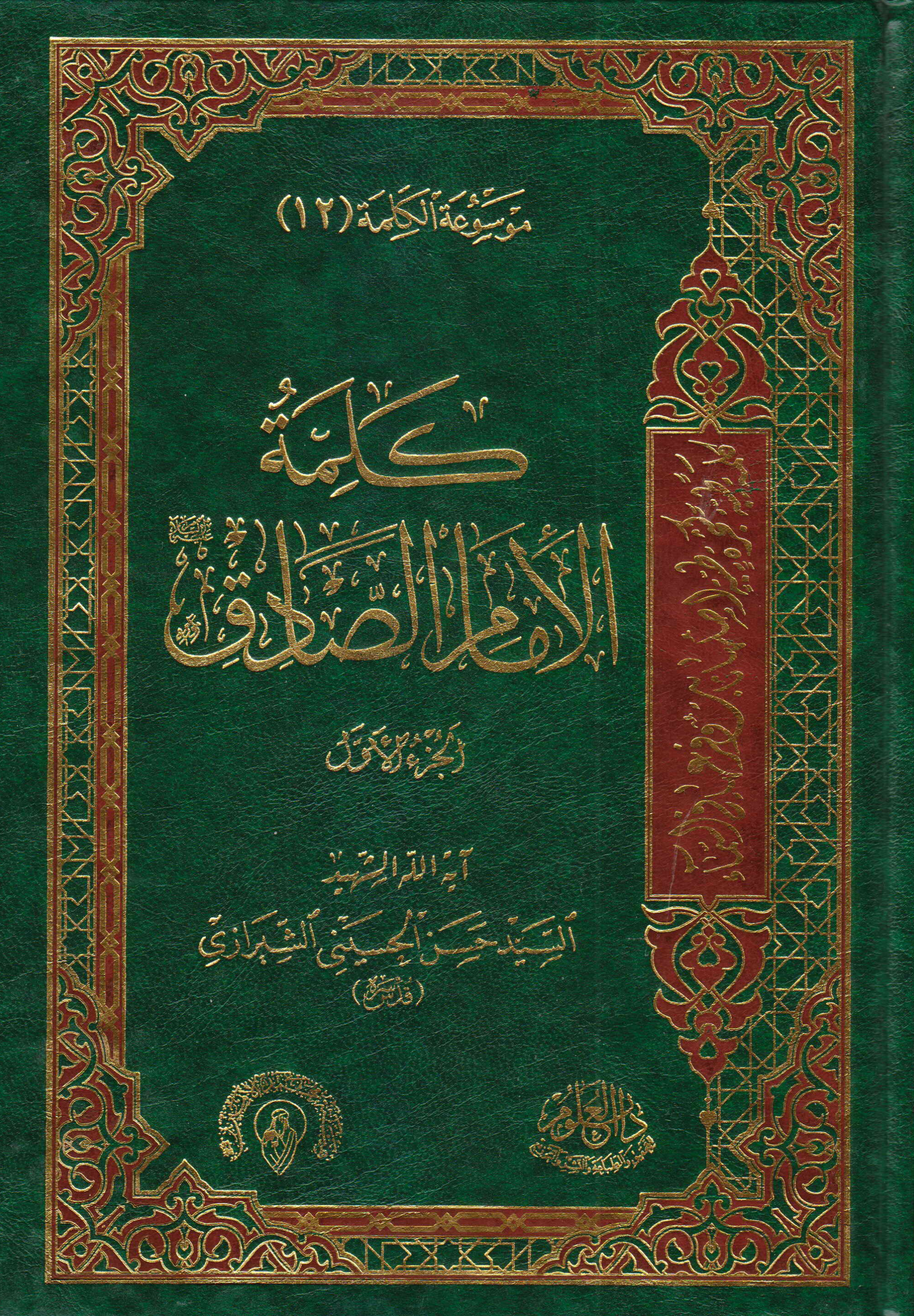

موسوعة الكلمة (١٢)
كلمة
الإمام الصادق
الجزء الأول
آية الله الشهيد
السيد حسن الحسيني الشيرازي
(قدس سره)
دار العلوم


كلمة
الإمام الصادق عليه السلام

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م



الكويت ـ تلفن: ٠٠٩٦٥٢٤٥٥٦٩٦ ـ فاكس: ٠٠٩٦٥٢٤٥٧١١٧
لبنان: ٠٠٩٦١٣٦٠٣٩٧٢ ـ Email: ali-abdo42@hotmail.com



المكتب : حارة حريك - شارع السيد عباس الموسوي - تلفاكس : 01/545182 - 03/473919
ص . ب : 13/6080 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

موسوعة الكلمة (١٢)



آية الله الشهيد

السيد حسن الحسيني الشيرازي

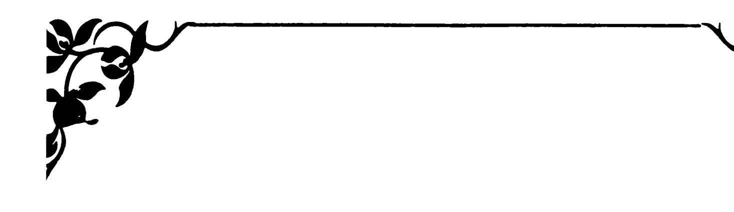
(قدس سره)

الجزء الأول









﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾



كلمة الناشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١

الكلمة

الصدق . . هذه أجمل صفة للكلام.

لأن الكلام الصادق هو الكلام المطابق للواقع على حسب اصطلاح علماء المنطق، فالصدق هو الذي يبيّن الواقع ويتطابق مع الحق والحقيقة . .

وكلمة الصّدق ملازمة للأنبياء والرّسل والأوصياء والأولياء والصالحين الكرام دائماً وأبداً . .

وكلمة الإمام السادس من أئمة أهل البيت النبوي الخاتم: جعفر بن محمد عليه السلام الذي لقّبه جدّه عن ربّه بأنه الصّادق، فصارت اسماً وعلماً له على مرّ الأيام والليالي، ولم يعرف بهذه الصفة الرائعة «**الصّادق**» إلاّ الإمام جعفر بن محمد عليه السلام، كما أن جدّه أمير المؤمنين علي عليه السلام هو الصدّيق الأكبر وجدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله هو الصادق الأمين . .

فكلمة الصدق صفة رائعة، و«**كلمة الإمام الصّادق** عليه السلام» أروع، فإنها

بلغت ـ على ما جمعه الشهيد الشيرازي رحمه الله ـ أربع مجلّدات من الصّدق والمعرفة، والعلم والحكمة، والفقه وتفسير القرآن. . .

وهذه الكلمة التي تشكّل ركناً أساسياً من «**موسوعة الكلمة**» الشيرازية، جاءت ضخمة ضخامة الدور الذي قام به الإمام السادس عليه السلام في ذلك الزمن السحيق في القدم. . .

فكلمة الإمام الصادق عليه السلام بهذا الشكل الجميل وهذا التنسيق البديع وهذا الترتيب الجديد هو ضرورة حضارية وعلمية وحياتية في وقتنا الحاضر. . لأن هذا العصر هو عصر كشف الحقائق، عصر العلم والتكنولوجيا والفلك والفضائيات، وعصر الذرّة والإلكترونيات، والذي أصبحت الدنيا بسببها ما يشبه قرية إلكترونية صغيرة، فالذي يتحدّث في الشمال يراه ويسمعه ويفهمه مَن في الجنوب والشرق والغرب وهكذا هي بقية الحالات. . .

فالعصر الحالي هو عصر الاستثناءات وعصر الحقائق الصادقة. . . أي المُتطابقة مع الواقع. . وكل ما هو غير صادق، فقد أصبح في ثرابل التاريخ وزوايا الكتاب المتروكة ورفوف المخازن المندرسة، وربما نقول إنها أكل عليها الزمان وشرب. . .

أما الكلمة الصادقة، فقد تبنّاها العلماء والحكماء، وراحوا يدرسونها ويقلّبونها رأساً على عقب، ليكتشفوا أدقّ الدقائق بها ويعطوا للدنيا من علمها ونورها، ومثل هذا العلم يحفظ في الحواسب العملاقة وتتناقله شبكات الإنترنت والبريد الإلكتروني في كل أنحاء العالم، هذا أقلّ مايجب تجاه تلك الكلمات الصادقة.

وكلمات الإمام الصادق عليه السلام العظيمة والدقيقة وحياته الشريفة، بكل معانيها ومبانيها كانت مصدر فخر واعتزاز للأمة الإسلامية، وكانت محط أنظار يصحبه الكثير من الإعجاب والإكبار والانبهار بتلك الشخصية التي عاشت في الجزيرة العربية قبل ١٣٠٠ سنة، وهي بهذا المستوى من العلم والحلم. . .

وهذا ما دعا علماء الغرب ومنظّري البلاد الصناعية الكبرى الذين جاوزوا القمر إلى عمق الفضاء حتى المرّيخ، وربما الأنظار تتطلّع إلى الأعمق والأبعد. . كما أنها غاصت إلى أعماق النفس البشرية حتى وصلوا إلى دراسات الاستنساخ الحديثة، وتعمّقوا في المادّة حتى وصلوا إلى الذرّات، وتجاوزوها إلى أجزائها من النواة والإلكترونيات والبروتونات والفوتونات. . وغيرها. . .

هؤلاء جميعاً وقفوا أمام الإمام الصّادق عليه السلام خاشعين خاضعين. . أمام ذاك العملاق العظيم الذي يقال له: جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام الذي عاش قبل ١٣ قرناً من عمر الزمن، وفي صحراء قاحلة ليس فيها لا طير يطير ولا وحش يسير، وليس عنده من مُعلّم ولا أستاذ إلاّ والده الإمام الباقر عليه السلام.

ولكن من تعلّم في مدرسة النبوّة والإمامة لا يستغرب منه مثل هذا العلم الغزير، وهذه الأقوال السديدة، وقد كان جدّه أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي سبقه بقرن من الزمن، يقول وهو يشير إلى صدره: (هٰهنا علماً جمّاً ولكن طلاّبه يسيرة وعن قليل يندمون)[1].

(١) علل الشرائع: ص ٤٠.

وكان عليه السلام يقول: (سلوني قبل أن تفقدوني.. هذا سفط العلم.. هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله.. هذا ما زقّني رسول الله زقّاً.. سلوني فإن عندي علم الأولّين والآخرين)[1].

ويقول: (سلوني عن طُرق السماوات فإني أعلم بها من طرق الأرض)[2].

فلم يسأله القوم وللأسف الشديد إلاّ بعض الأسئلة، فلمّا لم يجد عليه السلام حملة لعلومه فراح يفرغها في حبّ مهجور، ككتاب الله المهجور في هذه الأمّة المنكوبة، حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[3].

وقال الإمام الصّادق عليه السلام كما قال جدّه الأمير عليه السلام إلا أنه استطاع أن يشكّل جامعة يربّي بها الأجيال ويرسلهم إلى البلاد، لينقذ العباد من المهالك والمفاسد والهلاك، فكان يحضره أربعة آلاف شخص، وقيل عشرون ألفاً.

فكلمات وأحاديث الإمام الصّادق عليه السلام كلمات هادفة ومسؤولة عن إنقاذ الأمّة الإسلامية من كبوتها، أينما كانت وكيفما كتبتْ؟ فهي تحتاج إلى دراسة وتطبيق على أرض الواقع أكثر من مجرّد مطالعة وقراءة سريعة، تأدّباً أو تبرّكاً أو غير ذلك..

فوفّقنا الله جميعاً لدراستها والعمل بمضمونها إنه وليّ التوفيق.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٤١، المجلس ٥٥ ح ١.

(٢) كشف الغمّة: ج ١ ص ١٣٠.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

٢

جامع الكلمة

هذه الكلمات النورانية هي جمع وتنسيق واختيار سماحة آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي رحمه الله والتي تشكّل مجتمعة موسوعة «الكلمة» الطيّبة.

وهذه الكلمة هي (**كلمة الإمام الصادق عليه السلام**) وهو الإمام السادس من أئمّة أهل البيت عليهم السلام أي كأنه واسطة العقد، كما يُقال في الأمثال، وواسطة العقد هي الدرَّة أو الجوهرة الأكبر والأغلى والأثمن في العقد كله وعليها المعوّل وإليها تشدّ الأنظار ويُشار نحوها بالبنان..

وكلمته عليه السلام هذه هي كذلك بالنسبة للموسوعة الشيرازية الضخمة الفخمة، فهي الأكبر بينها جميعاً لأنها تبلغ أربع مجلّدات، وهي تأخذ حيّزاً كبيراً لا بأس به ضمن الموسوعة الجميلة تلك...

وتتبُّع كلمات وأحاديث الإمام جعفر بن محمد الصّادق البار الأمين عليه السلام ليس بالأمر اليسير وهذا بيّن وجلي لكل مَن درس التاريخ الإسلامي أو تطلّع باهتمام إلى المكتبة الإسلامية بتنوّعاتها وتفرّعاتها المختلفة، إلا أنها عند الإمام الصادق عليه السلام مؤتلفة.. فكان الكل يأخذ منه

ويروي عنه حتى قالوا إنّه كان في المسجد الشريف تسعمائة شيخ كل يحدث ويقول: قال جعفر بن محمد عليه السلام أو حدّثني جعفر بن محمد عليه السلام . .

فكان الإمام عليه السلام مفسّر القرآن الكريم ومبيّن السيرة النبوية العطرة وذلك بسند صحيح: عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله . .

وكان عليه السلام معلّم الفقه لأئمة الدين وللفقهاء المشهورين عند الأمّة الإسلامية . .

وكان عليه السلام أستاذ الأدب ومعلّم الآداب العربية كلها . .

كما أنه عليه السلام مُلهم الكيمياء وأستاذ الكيميائي العالمي الشهير جابر بن حيّان الذي كتب عنه ألف رسالة في هذا الباب . . . وهو الذي حاور وناقش ودحض حجج المحتجّين من كفّار ومُنافقين وملحدين وأسّس الأُسس القوية والمنيعة لعلم الكلام الإسلامي الذي يعتبر الصورة الأنصع والأجمل والأكمل للفلسفة العربية الإسلامية مؤخراً . .

وهو عليه السلام . . . وهو . . . ، ولا أحد يعلم من هو إلاّ الله وأجداده وأبناؤه الأطهار الأبرار عليهم السلام .

وهو بالحق والحقيقة مالىء الدنيا بالصدق، وشاغل الناس بالعلم، ومزيّنهم بالحلم. فحقّ له لقبه «الإمام الصّادق عليه السلام» . .

وتتبّع أخبار مثل هذا العملاق صعب ومستصعب إلا أن أصحاب الهمم العالية، والنفوس الشريفة، والعقول الجبّارة، لا يهمهم الصعب ولا يفتّ من عزائمهم شيء في سبيل الله، والهدف السامي الذي يتطلّعون إلى التوصّل إليه خلال مسيرة حياتهم القصيرة . .

وسماحة السيد الشهيد ـ رحمه الله ـ كان من أولئك الأفذاذ الذين قلّ مثلهم في هذا الزمان الصعب، فإنه قد خطب عشرات الخطب الرنّانة، وألّف عدداً من الدواوين، وكتب العديد من الكتب والدراسات وهناك العديد من مؤلّفاته القيّمة التي لم تكتمل للأسف فبقيت تندب الشهيد وتلعن الظالم العنيد. .

وقد جمع رحمه الله في هذه الكلمات درر أهل البيت عليهم السلام وبعض أصداف ولآلىء بحور علومهم، ولقد كان السيد الشهيد ـ رحمه الله ـ مثالاً صالحاً لقول الإمام الصّادق عليه السلام :

لا تجزعنّ من المداد فإنه ... عطر الرجال وحلية الآداب

وسماحة الشهيد كان لا يخشى من المداد حتى أنه أودى بحياته الشريفة وهو في قمّة العطاء، ولذلك سُمّي السيد بـ «شهيد الكلمة» فرحمة الله تعالى عليه ولعنته على كل جبّار عنيد.

. . وأنت سيدي أيها الشهيد السعيد ـ حسن الشيرازي ـ سامحني لجرأتي عليك، فحبّي لأهل البيت الأطهار عليهم السلام شجّعني، وحبك في قلبي ساعدني، وفكرك أرّقني، وعقلك الجبّار حيّرني، وقلمك الجميل سحرني، فرحت أقفو خطاك، وأتتبع أثارك، لعلّي أكون مثلك شهيداً في مدرسة وجيش إمامي وإمام الكون صاحب العصر والزمان الحجّة بن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف وجعلنا من جُنده والمستشهدين بين يديه بالله الحق آمين. .

٣

صاحب الكلمة

بعد رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ ورسالته الإسلامية، وأمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب وبطولته وفضائله وحكومته العادلة وتأثيره الواضح على مسيرة الأمّة الإسلامية وشخصيته المتميّزة، والإمامين الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، والإمام زين العابدين والإمام الباقر «صلوات الله عليهم أجمعين». .

لم يكن لأحد من رجال المسلمين، حكّاماً ومحكومين، علماء وفقهاء ومثقّفين، ذِكرٌ كذِكر الإمام جعفر بن محمد عليه السلام الملقّب من الله ورسوله بـ «الصّادق» أبداً على مرّ العصور والدهور.

فالإمام جعفر الصّادق عليه السلام ذاع سيطه وسمع به كل من يسمع أو حتى من لم يكن يسمع. . إذ إنه أستاذ الأمة الإسلامية ومربّي فقهائها وعلمائها من كل فرقة وكل ملّة ممّن يدّعون الإمامة والفصاحة، حتى أصحاب المذاهب المعروفة في دنيا الإسلام حالياً.

فمالك قال: (ما رأت عين ولا سمعت أُذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد عليه السلام فضلاً، وعلماً، وعبادة، وورعاً، وكان

كثير الحديث طيِّب المجالسة، كثير الفوائد، فكان والله إذا قال صدق)[١].

وأبو حنيفة النعمان قال: (لولا السنتان لهلك النعمان) أي السنتان اللّتان درسهما عند الإمام الصّادق عليه السلام.

وسُئل مرة عن أفقه من رأيت؟ فقال: جعفر بن محمد عليه السلام.

وابن أبي ليلى قال: ما كنت تاركاً قولاً قلته، أو قضاء قضيته لقول أحد، إلاّ رجلاً واحداً.. هو جعفر بن محمد عليه السلام.

وعمر بن المقدام كان يقول: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبييّن[٢].

والإمام النووي يقول: اتّفقوا على إمامته وجلالته وسيادته...

والإمام الذهبي يقول: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام الهاشمي أبو عبد الله أحد الأئمّة الأعلام برّ صادق كبير الشأن...[٣].

وابن حجر في صواعقه يقول عنه: ونقل الناس منه من العلوم ما سار به الركبان وانتشر سيطه في جميع البلدان..

ومحمد بن طلحة في كتابه مطالب السؤول يقول: وهو الإمام جعفر عليه السلام من عظماء أهل البيت عليهم السلام وساداتهم، ذو علوم جمَّة، وعبادة موفرة، وأوراد متواصلة، وزهادة بيّنة، وتلاوة للقرآن كثيرة، يتبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسِّم

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج ٤ ص ٢٧٥.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ج ١ ص ١٤٩.

(٣) ميزان الاعتدال: ج ١ ص ١٩٢.

أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكّر بالآخرة، وباستماع حديثه يترصّد في الدنيا، والاقتداء بهديه يورِّث الجنة. . نور قسماته شاهد أنه من سلالة النبوّة، وطهارة أفعاله تصدع بأنه من ذريَّة الرسالة. . وأما مناقبه وصفاته فتكاد تفوق عدد الحاصر، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتى أنه من كثرة علومه المناضةُ على قلبه من سجال التقوى، صارت الأحكام التي لا تدرك علمها، والعلوم التي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها، تضاف إليه، وتروى عنه[١].

والشيخ عبد الرحمن السالمي في طبقات المشايخ الصوفية قال: جعفر الصّادق عليه السلام فاق جميع أقرانه من أهل البيت عليهم السلام وهو ذو علم غزير، وزُهد بالغ في الدنيا، وورع تامّ في الشهوات، وأدب كامل في الحكمة.

والحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء يقول: ومنهم الإمام الناطق، والزمام السابق، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أقبل على العبادة والخضوع، وآثر العزلة والخشوع، ونهى عن الرياسة والجموع[٢].

والعزلة المقصودة كما هو واضح ليس عن الناس بل عن السياسة والساسة.

وابن صباغ المالكي في فصوله المهمّة يقول عنه عليه السلام: كان من بين إخوته خليفة أبيه ووصيّه، والقائم بالإمامة من بعده. برز على جماعته بالفضل، وكان أنبههم ذكراً، وأجلّهم قدراً، إلى أن يقول: مناقب أبي

---

(١) مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ص ٨١.

(٢) حلية الأولياء: ج ٣ ص ١٩٢.

عبد الله جعفر الصادق عليه السلام فاضلة، وصفاته في الشرف كاملة، وشرفه على جهات الأيام سائلة، وأندية المجد والعزّ بمفاخره ومآثره آهلة...».

وقالوا... وقالوا... وما كثرة ما قالوا عن هذا الإمام العظيم وما أقلّه.

ما أكثره: لكثرة المدح والإطراء، فمنذ ذلك الزمن وإلى اليوم لم يمرّ جيل على هذه الأمّة، ولم يكتب كتاب عن علم أو دين أو تاريخ إلاّ ويمرّ بهذا العملاق عليه السلام ويثني عليه... وحسب التتبع لم يقدح به أحد حتى من الأعداء والمخالفين.

وما أقلّه: هذا بالنسبة لمقامه الشريف ومكانته العالية ومقامه السامي، فهو قبل كل شيء إمام الأمّة وقائدها إلى كل خير، وربان سفينتها إلى النور والهداية، وهو سبب وجودها وضمان بقاء الكون كلّه.

فقالوا ومهما قالوا، فلن يبلغوا إلاّ جزءاً بسيطاً من الحقيقة الجعفرية التي تختزن الرسالة بكل معانيها وتجسدها بكل تفاصيلها بشخصية آدمية بشرية يقال لها: جعفر الصادق عليه السلام.

تلك الشخصية التي كانت بالحقيقة نادرة الدنيا، ويتمية الدهر، ومفخرة الأمّة العربية والإسلامية في كل عصر، وما أنجبت النساء مثله في أي عصر، لا قديماً ولا حديثاً، ولا في أي عصر، إلاّ أصوله الطاهرين وفروعه المنتجبين من آل طه وياسين (عليهم سلام الله أجمعين).

فمن أصله الشريف؟

ومتى كانت ولادته المباركة؟

الولادة والنسب الشريف

هو الإمام السادس من أئمة المسلمين عليهم السلام.

هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم صلوات ربي ما سمر سمير وما أمَّ نجم في السماء نجما).

فهو الصادق ابن الباقر ابن السجّاد ابن الشهيد ابن الأمير عليه السلام.. صفات نورانية ما اجتمعت لغيرهم.

أنعم بهم وأكرم من آباء كرام ما أنجبت الدنيا بمثلهم ـ بل كانت الدنيا لأجلهم عليهم السلام ـ وبوركت لهم تلك الصفات التي وصفوا بها من الرحمن جلّت قدرته باللوح المنزَّل من رب العباد على سيّد الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فأبوه هو باقر علوم الدين والدنيا: الإمام محمد بن علي عليه السلام الذي شقَّ بطن العلم شقّاً وأظهر كنوزه الثمينة وأبان جواهره الدفينة، وهو أعظم وأشهر من أن يُذكر بكلمات قليلة أو جمل بسيطة، فهو مالىء الدنيا بالنور، وشاغل الناس بالعلوم.

أما أمّه المكرّمة فهي: «أم فروة» فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، التلميذ البار الأمين لأمير المؤمنين عليه السلام الذي قتله معاوية بالسم، وجنوده العسلية، حين ولاّه الأمير عليه السلام على مصر، وأحرقوه في جيفة حمار حقداً وظلماً وعدواناً.

وقد ذهب معظم المؤرّخين إلى أن ولادته عليه السلام كانت في ذكرى مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول من عام ٨٣ للهجرة، ٧٠١ للميلاد.

وذلك يعني أن ولادة الإمام الصّادق عليه السلام في أواخر الحكم الأموي الظالم، وفي عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان بالذات أو في عهد أخيه هشام وأيّامه الأخيرة.

وقيل إن ولادته المباركة كانت عام ٨٠ من الهجرة النبوية الشريفة.

ومهما يكن فإن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام هو شيخ الأئمّة الكرام عليهم السلام من أهل بيت النبوّة والرسالة الخاتمة، كنوح شيخ الأنبياء عليهم السلام، لأنه عليه السلام عاش أطول مدّة منهم جميعاً، أي أنه كان من المعمّرين من أهل البيت عليهم السلام حيث بلغ عمره الشريف ٦٥ أو ٦٨ سنة، حسب الروايتين.

وفي كلا الحالتين يبقى هو الأكبر سناً بين الأئمة الأطهار جميعاً.

وهذه البركة وهذا العمر الطويل ـ نسبياً ـ أتاح للإمام الصادق عليه السلام استغلال كل لحظة من عمره الشريف في سبيل نشر عبق الإسلام الحنيف وعلم الإمامة المُنيف، وتفسير كتاب الله الشريف، فكان دور الإمام جعفر الصادق عليه السلام مكمّلاً ومتمِّماً لدور والده العظيم الإمام باقر علوم الدين عليه السلام.

فالإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام أبان الحق من الباطل على أرض كربلاء... والإمام زين العابدين هيّأ الأرضية الروحيّة وأيقظ الأمّة من سباتها، وجاء الإمام الباقر عليه السلام ليبقر العلم وينشره في الأمّة وبذلك أسّس أساس البنيان الصحيح لها، وأكمل الصادق عليه السلام مسيرة آبائه الأطهار، فبنى وعلاّ البنيان ورفعه حتى طال على الزمان والمكان.

فولادة الإمام الصادق عليه السلام في تلك الحقبة كان لطفاً إلٰهياً أُهدي لهذه

الأمّة بالذات وللدنيا كلّها بالعموم لا بالخصوص لأنه عليه السلام احتوى الكون ولم يحتوهِ، وأفاض من العلوم ما لم يسمع به البشر يوم ذاك وبقي إلى اليوم مدار بحث وجدل بين العلماء على وجه الأرض.

صفاته الخَلْقية

روى المؤرّخون عن صفة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام على أنه «ربع القامة، أزهر الوجه، حالك الشعر جعد، أشمّ الأنف، أنزع، رقيق البشرة، على خدّه خال أسود، وعلى جسده خيلان حمرة»[(١)] ومنهم من أضاف أنه «دقيق المسربة» و«ذو عينين زرقاوين».

ومن هذه الكلمات يتبيّن بعض صفات الإمام جعفر الصّادق عليه السلام والتي توصي إلى الجمال والبهاء، فإن جمال الإمام الصّادق عليه السلام اختلط به الجمال العربي الهاشمي مع جمال ملوك فارس الساسانيين، وذلك لأن الإمام الصّادق عليه السلام ينتسب إلى يزدجرد ملك الفرس العادل من طريقين.

فإن ابنتَيّ ملك الفرس حينما قدمتا إلى بلاد المسلمين تزوّجتا الإمام الحسين عليه السلام ومحمد بن أبي بكر وهما:

شهربانويه، التي أسماها أمير المؤمنين عليه السلام شاه زنان أي سيدة النساء، تزوّجها الإمام الحسين عليه السلام فأنجبت له الإمام زين العابدين عليه السلام وتُوفّيت في نفاسها كما هو مشهور في التاريخ ومنها كان الإمام الباقر عليه السلام.

وكيهان بانويه، التي تزوّجها محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج ٤ ص ٢٨١.

محمد والد فاطمة «أم فروة» بنت القاسم والتي تكون والدة الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

و«أم فروة» هذه قد أحاطته عليه السلام بكل ما عندها من الحب والعطف والحنان، فكانت نادرة الزمان والمكان.

ومن المسلَّم أنه عليه السلام وُلد مختوناً، طاهراً، نظيفاً، ناطقاً بالشهادة، عالماً بالكتب المنزَّلة علماً لدنياً من الله الذي ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(١) فتبارك الخلاّق العظيم.

النشأة الطيّبة

ابن الإمام محمد الباقر عليه السلام وحفيد الإمام علي زين العابدين عليه السلام ما عساه أن يكون؟

وكيف له أن ينشأ؟

ولماذا وكيف لا يتعلّم ويبدع؟

هذا وقد عاش الإمام الصّادق عليه السلام مع جدّه السجّاد من ١٢ ـ ١٥ سنة، ومع أبيه باقر علوم الدين والدنيا عليه السلام بعد جدّه ١٩ سنة، وطالت مدّة إمامته وقيادته للأمّة بعد أبيه عليه السلام ٣٤ سنة.

فالذي يولد في بيت العظمة والنور، ومهبط الوحي السماوي، ومنزل البركات والخيرات، ومهبط الملائكة الكرام، ومهوى القلوب السليمة، ومحل النفوس الشريفة، وبهم تعرف النطف الخبيثة من النظيفة، فلا بد من أن يكون عملاقاً عظيماً في كل ناحية ومن كل الاتجاهات.

---

(١) سورة العلق، الآية: ٥.

والذي يرعاه الإمام السجّاد عليه السلام أكثر من عشر سنوات لا بد من أن يكون في قمة الروحانية، وفي غاية الصفاء، وفي منتهى الزهد والانقطاع إلى الله سبحانه، وليس مستغرباً إذن أن نقرأ: أن الإمام الصّادق عليه السلام كان مُستجاب الدعوة فإذا سأل الله شيئاً لا يُتِمّ قوله إلاّ وهو بين يديه[١].

أو إذا احتاج إلى شيء قال: يا رباه أنا أحتاج إلى كذا... فما يستتمّ دعاءه إلاّ وذلك الشيء بجنبه موضوع.

فالإمام السجّاد عليه السلام هو صاحب المدرسة الدعائية الفريدة من نوعها عبر العصور، بل ولم يتحدّث التاريخ لا القديم ولا الحديث عن مثل تلك المدرسة الرائعة ولا عن مثل ذاك البرنامج الروحاني من الأدعية المشهورة المذكورة في كتب الدعاء المنتشرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي وأهمّها جمعت في صحيفة سمّيت بـ «زبور آل محمد صلى الله عليه وآله» وهي (الصحيفة السجّادية) النورانية.

والذي يتتلمذ على يد والد بقر العلوم للكون وشق بطونها ونشرها بين بني البشر وعلَّم الأمّة كيف تعيش وكيف تتعلم مدة ٣٤ سنة، أفلا يكون هو الأجدر والأصلح لاستقبال تلك العلوم النورانية واختزانها وعكسها على الأمّة لترى دربها إلى الله، وعلى العالم بأجمعه ليدرك طريق الحقّ ونهجه، وعلى المسلمين ليترك بصمة طاهرة تقية تكون لهم عزّاً وفخراً في كل مجالات الحياة وتشعّباتها.

نعم في تلك المدرسة الرائعة مدرسة أهل البيت عليهم السلام نبت ونما وعاش الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي ينقل عنه مختلف الرواة أحاديث عن

---

(١) إسعاف الراغبين، ص ٢٠٨.

رسول الله صلى الله عليه وآله تمجّد وتصف هذا الإمام العظيم عليه السلام بالصّادق.

فقد روى أبو هريرة أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سيُولد من وُلدي من اسمه جعفر ولقبه الصّادق، ينطق لسانه بالحديث من يوم ولادته.

ومن هنا نعرف بأن تسميته بـ«الصادق» لم تكن وليدة فكر أو أُناس من أب وجد أو تلاميذ وأصحاب، بل هي تسمية من رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله سبحانه في عليائه حيث اللوح والقلم، ونتذكّر حديث اللوح الأخضر الذي أعطاه جبرائيل عليه السلام للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وهداه بدوره إلى فلذة كبده سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، ورآه سلمان وعمّار وغيرهما، وفيه أسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام وصفاتهم جميعاً واحداً إثر واحد ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾[1].

فبعد عامي الرضاعة بدأ الإمام زين العابدين عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام بتعليم الفتى النادرة جعفر عليه السلام العلوم الضرورية كتاباً وسُنّة وآداباً، والعلم النفسي الحديث يؤكّد على دور العلم والتعلّم في السنّ المُبكرة، «العلم في الصغر كالنقش في الحجر، والعلم في الكبر كالنخز بالإبر»، و«قلب الطفل كالصفحة البيضاء..»، و«قلب الطفل كالأرض البكر الخالية تقبل ما يزرع فيها» وغيرها كثير من الأمثال والأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أو الأئمة الأطهار عليهم السلام.

فاجتماع العوامل الخارجية من الأرضية الثقافية العالية لدى أسرة الإمام جعفر عليه السلام مع العوامل الداخلية من نبوغ وذكاء الطفل ذاته عليه السلام أدّى

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

إلى ولادة عبقرية ندر أمثالها في الزمن، وعمّ في الآفاق ريحها الطيّب وشذاها العطر وأريجها العبق منذ سنواته الأولى تلك، هذا مضافاً إلى علمه اللدني من الله عزّ وجلّ.

فتتلمذ الإمام جعفر عليه السلام على أبيه وجدّه وكان منذ الثانية يحضر في حلقات درس والده عليه السلام. . وفي العاشرة من عمره كان من البيّن أنه الألمع والأنبه بين جميع التلاميذ الذين كانوا يحضرون دروس الإمام الباقر عليه السلام على كثرتهم، فوجوده عليه السلام كان فاعلاً ومحورياً بالدرس والبحث ومخاصماته ومحاوراته في تلك الأيام ومنها ما هو منقول في مطاوي هذا الكتاب «الكلمة».

فالإمام جعفر عليه السلام كان ركيزة أساسية في المدرسة الباقرية، وأستاذاً تتوجّه إليه الأنظار إذا ما غاب أو تأخر الأستاذ الكبير لسبب من الأسباب أو لعارض من العوارض الحياتيّة، فوجود الإمام الصّادق عليه السلام كان منذ صغره يسدّ ويقوم بمكان والده المعظّم باقر العلوم عليه السلام.

هكذا ولد الإمام عليه السلام وتغذّى ونما على الحب والإخلاص واليقين، وتعلّم جميع العلوم من باقرها، فكان عليه السلام جامعة متكاملة في أيام ندرت فيها المدارس أو حتّى الكتاتيب (جمع كتاب). . وإنك لتحتار إذا ما وقفت أمام اسم الإمام الصّادق عليه السلام من أين تبدأ، لست أنت فقط فكل الناس يحتارون حينذاك.

فنحن أمام بحر طامٍ عمَّ جوده ونثر لآليه ودرره. . وبدر سام أشرق نوره وكلّل الليل بهاءه. .

نحن أمام شمس المعارف الكبرى. . وموسوعة الكون البشرية

العظمى. . وأستاذ الأئمة. . وقائد جميع الأمّة، والذي لم يُرَ إلاّ صائماً أو قائماً أو قارئاً للقرآن، إذ القرآن نور من الله صامت ساكن والإمام نور من الله ناطق باسق. . فتبارك الخلاّق العليم.

الإمام والعصر والحكّام

كلمات ثلاث بسيطة المبنى عظيمة المعنى، لأن كل واحدة منها تختزن رسالة وتحتوي زماناً وتمثّل منهجاً وقانوناً.

فالإمام: هو ضمير الكون وعلّته الغائية، وبيده تسير مقاليد الزمان والمكان وذلك بولايته التكوينية.. وهي جلباب مقدّس خاص من الله عزَّ وجلَّ لمن شاء أن يكونوا أوعية مشيئته، وهي إطار بحدٍّ ذاتها تعطي من يرتديها وتلفّه بكل شعاع ينبعث منها، إنها ضلع من ضلوع الرسالة، أو هي عمودها الفقري والتي طرحتها عبقرية الإسلام الخالد، والإمامة هي المظلّة المريحة تتظلل بها الأمّة وتتطلع إليها بدهشة وإعجاب، لأنها تنشر فيأها من ضلوع ستائرها الجميلة، فهي المظلّة، وهي الشمس المشعّة في آن معاً..

ولقد حبكت خيوطها حبكاً متيناً، لتكون فيها كل الوقاية والحماية للرسالة العظيمة المنطلقة من مطاوي الغيب الأقدس، وجعلت خيوطها الناعمة من الضمير والحب المقدسة.

فالإمامة العامّة هي تحضير خطير لاحتواء الرسالة وتعهّد كامل بإبرازها على أرض الحقيقة والواقع، وهي لم تأت من غفلة الأيام، حاشاها بل جاءت من مصدر الإلهام والوحي، وما ولدت لتنظيم ساعة واحدة من عمر الزمان، بل تنظير وتنظيم رائع يدغم عمر الزمان بعمر المكان. .

هذه هي الإمامة كما نفهمها، أما حقيقتها فلا يعلمها إلاّ خالقها جلَّت عظمته.

وأما العصر: فهو ـ هنا ـ مقترن بالزمان الخاص الذي عاشه الإمام جعفر الصّادق عليه السلام ويحتلّ مساحة (٦٥ ـ ٦٨) سنة من عمر الزمن الكُلّي، امتدّت من ٨٠ أو ٨٣ حتى ١٤٨هـ، وكان في تلك الحقبة ما كان من التغيّرات السطحية والعميقة والجذرية، وذلك بالنسبة للأمّة الإسلامية عامة..

فقد عاش الإمام الصّادق عليه السلام في فترة هامّة جداً من فترات الحياة الإسلامية التي كانت تشهد تطوّرات أساسية في تاريخها ذاك.. حيث عاصر عليه السلام الحقبة الأخيرة من أيام حكومة بني أميّة البغيضة، بكل ما تميّزت به تلك المرحلة من تنقّل سريع للسلطة بين الأشخاص المروانيين الذين أعطوا أبشع صورة للتهالك على الكرسي والمنصب ولو كان لدولة متداعية تميل إلى السقوط لحظة بعد لحظة.. وتهافت الجميع كالخنافس الصغيرة والحشرات الطائرة حول ضوء شمعة تصدر بصيص نور إلى أن داس عليها آخرهم بظلفه الغليظة لأنهم كانوا يسمّونه «مروان الحمار» فذهبت حكومة بني أميّة وأخوتهم المروانيين إلى غير رجعة وغير مأسوف عليهم البتّة.

وأعقبهم مباشرة دولة بني العباس التي تتصل بالنسب إلى عم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم العباس بن عبد المطلب عليه السلام..

فعاصر الإمام الصّادق عليه السلام إرهاصات الولادة وبدايات التأسيس لتلك الدولة الفتية، علماً بأنها انطلقت من أرضية بدت للناس بالظاهر

أنها متينة ومحكمة، لأنها كانت منطلقة من شعار يدعو إلى «الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله» ولم تكن في يوم من الأيام منطلقة باسم العباس أو حتى العباسيين أبداً، والرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله كان في ذاك العصر هو الإمام جعفر الصّادق دون غيره، حتى أن في بداية الثورة أرسل قادتها «أبو مسلم الخراساني» و«أبو سلمة الخلال» رسائل يدعوان الإمام جعفر الصادق عليه السلام للبيعة له.. فأجاب أحدهم بحرق رسالته والآخر بقوله: إن الزمان ليس بزماني والأوان ليس أواني..

ولسنا هنا في تحديد دوافع كليهما هل كانت مكيدة أو حقيقة، والذي يثبته التاريخ من إرسال الرسالتين للإمام الصادق عليه السلام حيث رفضهما..

ونبتت الدولة العباسية على دماء الأمّة الإسلامية وتغذّت من لحومها، وفتكت بالأمويين والمؤيّدين لهم، ومن ثم أكلت أصحابها وكان معظم قادتها ـ من غير العباسيين ـ ضحيتها أو ضحية ثباتها ووقوفها على قدميها، لأن منطق الطُغاة والجبارين أن يكرهوا بطبعهم الأقوياء ولو كانوا من أقرب المقرّبين كالأخوة والأبناء.

وبعد أن أُبيد الأمويون تماماً واعتقل رجال الثورة من أمثال «أبو مسلم وأبو سلمة» واشتدّ ساعدها وقوي عودها في عهد المنصور العباسي حتى تفرَّغ ليس للبناء والحضارة والعدل ورفاهية الشعب والأمّة، لا بل من أجل ملاحقة أصحاب الحقّ الحقيقيين من هذه الأمّة، وهم أعلم الناس بهم وبحقهم وبمكانتهم في الأمة وعند الله عزَّ وجلَّ، ألا وهم آل علي بن أبي طالب عليهم السلام سواء الحسنيين أو الحسينيين.

فراح يصب كل غضبه وسخطه عليهم وراح يتفنن بقتلهم حتى أنه

وضعهم في أسطوانات وبنى عليهم أحياء غير أموات، وحبسهم في أماكن منتنة حتى الموت والتفسّخ. . وبهدم المكان فوق من بقوا من الأحياء.

ومنهم من سمّره بالجدران، ومنهم من قتلهم صبراً شباباً وشُيّاباً وحتى الأطفال حتى أنّه ورَّث لخلفه خزانة من الحديد ملأها بالرؤوس العلوية وعلى كل رأس اسم صاحبه.

فكانت تلك الفترة من أعصب وأصعب الفترات التي مرَّت على الأمّة الإسلامية كلها وعلى الإمام الصّادق عليه السلام وأهل البيت خاصة. .

فالمنصور العباسي الطاغية كم هدَّد وتوعَّد وأربد وأزبد على الإمام الصّادق عليه السلام.

وكم عضَّ عليه النواجذ وكم قضم عليه الأصابع. .

إلا أن يد الغيب الراعية ويد الله الحامية للإمام والأمة هي التي كانت إلى جانب الإمام الصادق عليه السلام. . فكان كل ذلك يرتدّ إلى الطاغية ذاته.

وهذا هو المنصور يعترف بما اقترفت يداه الظالمة، فيقول مأثوماً بمقولته وفعلته: «قتلت من ذرية فاطمة ألفاً أو يزيدون، وتركت سيّدهم ومولاهم وإمامهم جعفر بن محمد»[1] لا بوركت أيها الخبيث.

ويقول مهدداً الإمام الصّادق عليه السلام: «لأقتلنّك ولأقتلنّ أهلك حتى لا أُبقي على الأرض منك قامة سيف، ولأضربنَّ المدينة حتى لا أترك فيها جداراً قائماً» خسئت وأثمت أيها المكسور.

وسُمع وهو يقول: «والله لا تركت لهم ـ آل علي عليهم السلام ـ نخلاً إلاّ

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج ٣ ص٣٥٧، بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ١٧٨.

عقرته، ولا مالاً إلاّ نهبته، ولا ذرّية إلاّ سبيتها . .»[١].

وتلاحظ الحقد يطير كالشرر من هذه الكلمات الخبيثة والملعون قائلها حتى أنه حاول قتل الإمام الصّادق عليه السلام أكثر من سبع مرّات وفي كل مرة يخزيه المولى سبحانه وتعالى. . وما من مرة يدعوه بها إلاّ وينوي إيقاع الشرّ به ـ والعياذ بالله ـ ولكن يد العناية الإلٰهية هي الحافظة ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٢].

ويروي المؤرخون في التواريخ أن المنصور العباسي هذا عندما أعيته الحيلة للإيقاع بالإمام أرسل إليه قائلاً :

لِمَ لا تغشانا كما يغشانا الناس؟

فأجابه الإمام الصّادق عليه السلام بعزم يفل الحديد قائلاً : ليست لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا تراها نقمة فنعزّيك. . فما نصنع عندك؟

فكتب إليه ـ وقد كان خبيثاً ـ: تصحبنا لتنصحنا.

فأجابه الإمام عليه السلام جواب الواثق من الله ربّه ومن نفسه بقوله: (من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك)[٣].

الله. . الله. . هذا هو الحق المبين، والقول الفصل، والحكم العدل، هذا قول سادس قوم زقّوا العلم زقّاً، وأُوتوا العلم وفصل الخطاب. . هذا ابن سيف الله وداحي الباب، واسمه يعلو فوق القباب. .

---

(١) بحار الأنوار: ج ٨٧ ص ٢٠٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٦٤.

(٣) علل الشرائع: ص ٤٩٦.

كما أن كتب التاريخ تسجّل صفعة قوية يوجهها الإمام الصّادق عليه السلام لهذا الطاغية وهو في مجلسه وبين شرطته وجلاوزته.. حيث إن ذبابة أعيته وهو يحار في أمره بها وكلّما أفزعها عن وجهه أعادت إليه فقال متغطرساً مغروراً متأفّفاً للإمام عليه السلام: يا أبا عبد الله لِمَ خلق الله الذباب؟

ولم ينتظر الإمام الصّادق عليه السلام عليه، بل صفعه مباشرة صفعة جعلت أنفه في التُراب حيث قال له عليه السلام: «ليذلَّ به الجبارين»[1].

فكأنما أتته كالصاعقة، أو كأنه صُبَّ عليه ماءٌ باردٌ، فانحطَّ غروره وبانت خيبته بين الجميع.

ولم يزل يكايده ويطارده عليه السلام حتى قضى وطره، حيث دسَّ إليه السُم فقتله بعد عشر سنوات من حكومته البغيضة.

فعصر الإمام الصّادق عليه السلام هو عصر التحوّل الحكومي من بني أميّة إلى بني العباس، إلا أن العباسيين كانوا أشد وأقسى ممّن سبقهم، وقد أجاد الشاعر حيث قال:

ألا ليت ظلم بني مروان دام لنا ... وعدل بني العباس في النار

وآخر قال:

والله ما فعلت علوج أميّة ... معشار ما فعلت بنو العباس

فثورة الإمام الصّادق عليه السلام كانت لا تقل عن ثورة جدّه السبط الشهيد الإمام الحسين عليه السلام على تراب كربلاء المقدّسة مطلقاً..

فالإمام الحسين عليه السلام فدى الإسلام وسقى نبتته بدمه الطاهر الزكي،

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ج ٢ ص ٣٠٢.

فاخضرَّ عوده ونمت فروعه وارتفعت رايته فوق الروابي إلى اليوم، وإلى آخر يوم من عمر الزمن بإذن الله.

والإمام الصّادق عليه السلام قاد ثورة فكرية ثقافية وقفت في وجه الغزو الفكري والثقافي والهجمة الإلحادية التي تعاون فيها الحكّام مع الزنادقة والملحدين من أجل اقتلاع الرسالة الإسلامية من الضمائر والقلوب لمعتنقيها.

فلو عمل الإمام الصّادق عليه السلام لنيل القيادة السياسية السقيفية فسوف يهمل الجامعة الإسلامية التي ورثها عن والده وجده عليهما السلام وبذلك يكون أضاع الرسالة والأمّة معاً.

ولكن عندما تفرَّغ للجامعة تمام التفرّغ فإنه بذلك أرسى قواعد العقيدة ورسّخها في القلوب ونشر بين صفوف الأمة الرجال الذين يقومون بتوعيتها إلى أصول دينها ويردّون عنها كيد الأعداء الحقيقيين، لأن الحرب في تلك الفترة بين الثقافات هي الأشرس والأخطر على الأمّة من الحرب بين الساسة على كرسي الحكم.

هذا مضافاً إلى أن الإمام عليه السلام بيّن أسس السياسة الإسلامية الصحيحة التي طبّقها جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ولكن كيف عمل الإمام الصّادق عليه السلام حيال ذلك؟

الإمام عليه السلام والأمّة

الإمام قائد ورائد على مستوى الرسالة، والرسالة بحجم الكون، والأمّة مسؤولة ومُقادة إلى أمر الإمام إذا ما أرادت لنفسها ولأبنائها الحياة

السعيدة والعيش الرغيد لكل من كانوا تحت مظلّتها.

والكلام لا يدور حول الإمام... لأن الإمام الحق المعيّن من الله عن طريق الرسول ﷺ وهو قادر ويستطيع بإذن الله على إنقاذ الأمة من مهاوي الفتن وزلاّت المحن في كل عصر وأوان، فهو كالطبيب الحاذق الذي درس حالة مرضية معيّنة وعلم بعلاجها، فهو عالم بما يجول ويجري في الجسم أكثر من صاحب المرض نفسه وقادر على تشخيص الداء ووصف الدواء الناجع في آن معاً.

والمريض يشفى إذا ما أخذ الدواء الملائم في الوقت المناسب وبالكمية الكافية وإلاّ فسيموت المريض أو يسوء حاله إذا لم يتقيّد بأوامر الطبيب المعالج.

وكذلك المجتمعات البشرية، والإسلامية منها بالخصوص، فالإمام هو صمّام أمان، وعامل نشاط وحيوية، وعلامة صحّة وعافية في جسم وروح الأمّة جمعاء... وتمسّكها به وابتعادها عنه بحسب الحالة المرضية فيها، فإذا أحسَّت بالمرض يسري في أوصالها سعت إليه تدبُّ دبيباً وتزحف إلى نعليه لاثمة ترجو الدواء والعافية.

أما إذا خدّرت الأمة تارة، وسكّرت تارة أخرى، وغيّبت آناً، وسجنت وعذّبت وقهرت وربما قتلت وشردت، راحت تستجير وتدعو بحق «المخلِّص» أن يخلصها من عذاباتها تلك، ومن حكّامها وطغاتها أولئك الجبارين والمفسدين في الأرض.

والأمّة في عهد الإمام الصّادق عليه السلام ابتليت بعدّة أمراض فتّاكة بجسدها وروحها فراحت تزحف إلى الإمام عليه السلام لاهثة خلف الدواء.

١ ـ عقائدياً..

فذاك العهد شهد بزوغ نجم المذاهب الفقهية والمدارس العقائدية الإسلامية، فتكوّنت المدارس الكلامية وتبلورت المذاهب الفقهية وكثر الأئمة واختلفت الأمّة بين القياس والإجماع والاستحسان، وتركوا الكتاب والسُّنة وأجَّروا عقولهم الناقصة أو ربما أعطوها إجازة طويلة نسبياً.

فكانت المدارس يومذاك بين هاجر للكتاب والسُّنة وآخذ بالقياس والاستحسان، وبين آخذ بحرفية النصوص والجمود عند الألفاظ غير تارك أي مجال للعقل السليم والاجتهاد العلمي الصحيح المبني على كتاب الله وسُنّة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان دور الإمام الصّادق عليه السلام في ذاك الخضم هو دور الفقيه الخبير والحكيم المربّي، والعالم العامل في نشر علمه وحكمته وخبرته بين صفوف الأمّة، فرفض حالات الرأي المفرطة (كالقياس) مستدلاً بأروع استدلال على بطلانها ولم يرضَ للفكر الفقهي أن يتجمّد ضمن حدود ضيّقة أو أُطر ضعيفة لا تقاوم الظروف ولا تُساير تغيّرات الزمن.

وبذلك أعطى للقرآن بهاءه، وللسُّنة طهارتها، وللعقل نقاءه، وراح يعلِّم الناس العلوم ويختار الأذكياء والنبهاء منهم ويعلمهم في جامعته الكبرى كلٌّ باختصاص وباتجاه معيّن يهواه أو يحب البحث فيه، اعتباراً من التفسير والرجال والحديث والفقه وحتى الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والطب والتشريح والجغرافيا... وغيرها من العلوم التي بهرت العقول في هذا العصر الذي وصلوا فيه إلى المريخ وربما أعمق.. في الفضاء وفي الزمن.

كما إننا نشير إلى ظاهرة كانت منتشرة في عهد الإمام الصّادق عليه السلام وكان له موقف جبّار ورأي عظيم تجاهها، ألا وهي ظاهرة الدجل والكذب ووضع الأحاديث المكذوبة على لسان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام عليهم السلام، وهي ظاهرة لم تكن جديدة على المجتمع الإسلامي في الأصل بل الذي وضع أسسها وأرسى أركانها معاوية بن أبي سفيان ومن سبقه حيث كان أمثال أبي هريرة الدوسي جاهزاً في أي لحظة للإتيان بحديث يؤيّد معاوية أو من يشير إليه معاوية بالتأييد، أو الشتم والتشهير حتى لو كانت لأول الأوّلين وأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

وهكذا دواليك لكل حاكم كذاب يكذب كما يريد الحاكم ويأخذ هو الثمن..

فوجود فئة من الضالّين الكذابين الوضّاعين الذين يدجّلون للحاكم ويدجل الحاكم عليهم، وما ذلك إلاّ إرضاءً للأهواء والأنفس الخبيثة..

وفي عهد الإمام الصّادق عليه السلام لم يقتصر الأمر على كذّابين معروفين، بل شمل حتى علمائهم وفقهائهم وممّن يطلق عليهم أئمة وحفّاظ السنن..

«فكنت ترى كثيراً من الوضاعين المذكورين في كتب الرجال بين إمام مقتدى به، وحافظ شهير، وفقيه حجّة، وشيخ في الرواية، وخطيب بارع، وكان فريق منهم يتعمّدون الكذب خدمة لمبدأ أو تعظيماً لإمام أو تأييداً لمذهب، ولذلك كثر الافتعال ووقع التضارب في المثالب والمناقب بين رجال المذاهب»[1].

---

(١) راجع الغدير: ج ٥ ص ٢١٦ وما بعدها.

وافتضاح كل أولئك وتبيان الحق من الباطل، كان من همّ الإمام الصّادق عليه السلام فعلَّم تلاميذه الأحاديث الصحيحة والروايات الرصينة وكان يقول لهم دائماً: (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدي حديث جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وحديثه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديثه عن جبرائيل، عن الله جلَّت عظمته).

٢ ـ سياسياً..

سياسة الأجساد لم يعتن بها ـ حسب الظاهر ـ الإمام الصّادق عليه السلام في تلك الظروف الخاصة، وذلك لعظمة دوره الرسالي التبليغي والتعليمي للأمة، نعم إنه كان يبارك الثورات الحسنية أو الحسينية إلاّ أنه لم يشترك في أي منها أبداً بصورة مباشرة..

فساس جسد الأمة بتربيتها وعلَّمها القواعد الحقيقية للتربية الصحيحة والصحّة السليمة وللأدب العالي والأخلاق الرفيعة فكانت كلماته في كل هذه الأبواب مثار جدل ونقاش بين صفوف الأمّة كل الأمّة منذ ذلك الحين وإلى اليوم..

وستطالع الكثير الكثير منها في هذا الكتاب القيّم بإذن الله، فإيّاك أن تمرّ عليها مرور الكرام، بل قف عندها وحاول تطبيقها على نفسك أولاً وأهلك ثانياً ومجتمعك ثالثاً.. لترى أن الدنيا لو سارت وفق ما خطّط لها الإمام الصّادق عليه السلام لسارت إلى النور وما لبثت في ظلام الديجور..

فسياسة الأجساد البالية إذا كانت عن ظلم واستبداد فهي للحكّام.. وأما سياسة الأرواح فهي للأئمة عليهم السلام فهم سلاطين ذاك العالم النوراني مضافاً إلى كونهم سلاطين عالم الأجساد أيضاً، لذلك ترى أن جميع

الحكّام والطغاة مهما بلغوا من العظمة والجبروت فهم يخافون من إمام زمانهم ولو ألقوه في السجن أو ضيّقوا عليه في كل شيء، وحاشاه أن يخافهم أو يرتهب منهم.

فسلطانه عليه السلام هو المسيطر.. وهيبته عليه السلام تأخذ بأرواح وأنفس الجبارين، ويعترف الكثير منهم أنهم يمتلئون فزعاً وخوفاً عندما يرون الإمام عليه السلام.. وخاصة المنصور العباسي عندما كان يرى الإمام الصّادق عليه السلام.. فحاجة الأمة لقادة الأرواح ألزم من حاجتها إلى قادة الأجساد بالكفر والفساد.

٣ ـ ثقافياً:

هنا بيت القصيد، ومربط الفرس كما يقال في الأمثال العربية.. فزمن الإمام الصادق عليه السلام هو زمن حرب وتطاحن بين الثقافات والحضارات، فالتي تثبت أحقيّتها بالدليل والبرهان هي التي تكتسح الساحة الواقعية بين صفوف الجماهير بمختلف تشعّباته وتطلّعاته وانتماءاته.

ففي عهد الإمام الصّادق عليه السلام بلغت الدولة الإسلامية اتّساعاً كبيراً، واختلطت الأوراق الحضارية والثقافية، بعد أن نشطت الترجمات ووفد أصحاب العمل والمقالات إلى حاضرة الدنيا العلمية في ذاك اليوم عاصمة الدولة العباسية، أو حتى إلى عاصمة الدولة الإسلامية والمدينة المنوّرة التي كانت تحتضن لفترة طويلة من الزمن جامعة الإمام الصّادق عليه السلام.

انتشرت الزندقة والتشكيك في العقائد الإسلامية، وما إليها من

واجبات ومحرّمات وحدود وقيود يوضحها الشارع المقدّس لصيانة المجتمع الإسلامي . .

انتشار الإلحاد السافر وتوسّع المذاهب الكافرة أو المشركة بين صفوف الأمّة من كفار ومشركين وملحدين وزنادقة ودهريين من أمثال ابن أبي العوجاء، والديصاني، وابن المقفّع وغيرهم بكثرة . .

انتشار المذاهب الفقهية المختلفة واختلاف الأمة باختلاف الأئمة ـ للمذاهب ـ وهذه لم تكن علامة عافية في الأمة أبداً .

انتشار المذاهب الكلامية وانقسام الأمّة بين أشاعرة ومعتزلة وغيرهم ممّن له بضاعة من هذا القبيل لاسيما حول مسائل الجبر والتفويض، والقضاء والقدر، والبداء والتقية، وغيرها من المسائل التي طرحت يومذاك .

وكذلك التحلل من الواجبات وعدم الانزجار عن المحرّمات بحجج واهية كالتوصّل إلى المعرفة وما أشبه مما يقوله بعض الفلاسفة والصوفية ومن سمّوا أنفسهم بالعرفاء .

ففي هذا الخِضَمّ الواسع من هذه التيارات الثقافية التي اعترضت طريق الأمة الإسلامية، وكل واحد منها لولا لطف الله سبحانه لكان كاف للقضاء على الأمّة والمبادىء الإسلامية تماماً وخاصة إذا ما تعهّده أحد الحكّام اللئام .

فكيف وقد وجد كل هؤلاء مع مساندة ومعاضدة من الحكام الأمويين ومن بعدهم العباسيين . .

فلولا الإمام الصّادق عليه السلام وجامعته أين كانت الأمّة؟

فافتتاح تلك الجامعة العملاقة وتربية تلك الكوادر النادرة في الدنيا لم يكن ليقوم بهما أحد إلاّ الإمام الصّادق عليه السلام وقد تجمّعت لديه التلاميذ من كل حدب وصوب، فأرسلت الكوفة والبصرة وأواسط الحجاز إلى جعفر بن محمد أفلاذ أكبادها.. ومن كل قبيلة من بني أسد ومن مخارق وطيّ وسليم وغطفان وغفار والأزد وخزاعة وخثعم ومخزوم ومن قريش وغيرهم، ورحل جمهور من الأحرار وأبناء الموالي من أعيان هذه الأمّة من العرب وفارس.

فقد ذكر أصحاب الرجال والمحدثين أن تلاميذ الإمام الصّادق عليه السلام بلغوا أربعة آلاف تلميذ ومنهم من زاد على ذلك وقال إنهم كانوا عشرين ألفاً بل أكثر، وأحدهم كان يجلس ويحدث في مسجد الكوفة قائلاً: إنني شهدت تسعمائة شيخ كل يقول: حدّثني جعفر بن محمد عليه السلام..

فتعليم كل هؤلاء النخبة وتشجيعهم على تسجيل وكتابة العلم الصحيح، والسُّنة النبويّة الشريفة وتفسير القرآن الكريم، وبثّهم في الأمة، كان درعاً واقياً للأمة وحصناً حصيناً يقيها هجمات الزنادقة والملاحدة والكفار وأصحاب السياسات والأهواء الباطلة على مرِّ الأيام والليالي، وأنّى لقائد سياسي أن يتأتّى له ذلك مهما بلغ من الحنكة والحكمة والعلم، إلاّ لمثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام؟

فقد نهض الإمام الصّادق عليه السلام لمقارعة أهل الباطل، وباحث الفلاسفة والدهريين، وأهل الكلام والجدليين الذين تصدّوا لإفساد معتقدات الناس، فأبطل بنور حكمته مقالاتهم الفاسدة وسفسطتهم الفارغة[1].

---

(١) انظر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ج ١ ص ٣٦١.

٤ ـ اجتماعياً:

الاجتماع وليد الثقافة والسياسة. . . فإن كانتا أصيلتين ولد الاجتماع أصيلاً، وإن كانتا هجينتين ولد الاجتماع هجيناً. . والهجين في كل المجتمعات يعاني الأمرّين وربما يكون منبوذاً كذلك لأنه بلا هوية حقيقية. .

والمجتمع الإسلامي يومذاك كان في غاية التفكّك والفساد والانحلال لعوامل كثيرة. . أهمّها عوامل السياسة والظلم والطغيان الأموي ومن ثم العباسي، فانتشرت المفاسد وعمّت الجرائم وانتشرت الأوبئة الفتّاكة في روح وجسم الأمّة الإسلامية كلّها.

فقصور الحكام أصبحت لا يسمع منها إلاّ صوت العود وأصوات المغنين والمغنيات، ولا يُشتمّ منها إلاّ روائح العطور والبخور والخمور، ولا نرى فيها إلاّ الفسق والكفر والفجور ـ والعياذ بالله ـ.

فلحاكم واحد ـ كما تروي كتب التاريخ ـ أربعة آلاف جارية، وحاكم آخر يشرب ويشرب ويسبح في برك الخمر من الطرب على صوت غانية لعينة ومن حوله من الوصيفات الناعمات المخصّصات لتلك الليالي الحمراء اللعينة لاسيما بغداد.

والأمّة تئنّ من الجوع ويقتلها المرض أو الأوبئة الفتّاكة التي حصدت الآلاف المؤلّفة من البشر في جميع بقاع الدولة الإسلامية.

وكان من دور الإمام الصّادق عليه السلام بثّ ثقافة العدل برفض الظلم والطغاة والظالمين، وتثقيف الأمة الثقافة الإسلامية الحقيقية وتشجيعهم على التزاماتهم الدينية ومساعدة الفقراء وإغاثة المحتاجين أينما كانوا. . .

كما أنه بثّ في الأمة ثقافة الإصلاح على كافة المستويات وكل الصُعد الاجتماعية من أجل إنقاذ المجتمع من السقوط بل والنهوض به إلى السعادة والرفاه والخير..

وبعد هذا العرض الموجز السريع لحياة وعصر الإمام الصّادق عليه السلام وفداحة الخطر المحدق بالأمة الإسلامية، وعظمة الدور الذي قام به، فحمله على كاهله النحيل، فارتفعت الرسالة وسمت الأمة وما زال يدوي صوت جعفر بن محمد عليه السلام في كل محفل.. وفي كل كتاب.. وفي كل مجلس للعلماء والحكماء والفضلاء، وحتى لعلماء الفلك والهيئة والفيزياء والكيمياء والطب والرياضيات... وغيرها من العلوم، من الذرة إلى المجرّة.

فقد دوَّخ العقول، وحيَّر الألباب، وترك النبيه في هذا العصر، عصر التطوّر والذرّة والنور، وما عليك إلاّ مطالعة كتاب (الإمام الصادق بنظر علماء الغرب) لتعرف تلك الدراسات النفيسة التي قام بها علماء على مستوى العالم المعاصر وكل واحد منهم يستغرب من رجل عاش في الجزيرة العربية قبل ١٣ قرناً وهو يقول بهذه الأقوال التي أثبتها العلم حديثاً.

أي أن الإمام الصادق سبق الزمن منذ زمن ولم ولن يلحقه الزمن إلاّ بعهد حفيده صاحب الزمان الحجّة بن الحسن عليه السلام أرواحنا له الفداء.

فمنهم من قال: الوحيد بين المفكّرين في القديم الذي تنبّه إلى ثبات قواعد الكون ونظمه هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام.. فلا بد من التسليم بصحّة ما ذهب إليه الإمام جعفر الصادق عليه السلام من أن هذا العالم خاضع لنظام ثابت من لدن حكيم عليم.

وآخر يعجب من قول الإمام الصّادق عليه السلام بكروية الأرض قبل ١٣ قرناً . .

وآخر يعجب من جابر بن حيّان أبي الكيمياء، وأنه يعجب أكثر من أستاذه الإمام جعفر الصادق عليه السلام .

وطبيب يعجب من أقوال الإمام عليه السلام بالرضاعة.

وآخر من أقواله عليه السلام في علم النفس واللّغة والتعلّم. . . وغيرها كثير.

إذن، الإمام الصادق هو المعلم الكبير للأمة الإسلامية بل للعالم أجمع نحو السعادة والرفاه والخير. .

الشهادة المفجعة

الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام نسبٌ أزهر في التاريخ. . فحوَّل الصحاري والقفار إلى أزاهير ورياحين، وحسبٌ تجاوز في علِّوه المرّيخ فسطعت منه الأنوار اللامعة، وعزمٌ فَلّ به حراب الدهر، وحلمٌ ملأ به أهاب الفخر، وبحرٌ بعيد قعره، ذخّار شطّه، يفيض درراً وعطاء دون توقف أو تكلّف، حتى شهد بفضله القاصي والداني والعدو قبل الصديق.

مسحتْ شمس هداه دياجير الجهل المظلمة، وأضاءت تعاليمه كل حنايا الروح والعقل، منهله عذب لورّاده ومنتجع لقصَّاده، يزدحم أهل الفضل في رحابه، فيتشرّفون بتقبيل أعتابه، والكل يرجعون بطاناً مرويين يشهدون بقوة حجّته، وشدّة بيّنته، فيذعنون إليه تسليماً واطمئناناً، ويعترفون بمرجعيته تقديراً واحتراماً.

لقد مُني الإمام الصّادق عليه السلام بعصر قلّ ما فيه أنه عصر الاتجاهات

غير المتجانسة، فكان عليه السلام يجمع بين المتفرّقات ويفرّق بين المجتمعات، كان مدرسة سيَّارة ولكنها شاملة ومستوعبة لكل ما تحتاج إليه الأمّة في حاضرها ومستقبلها، ومعبّرة عن طموحها وتطلّعاتها.

والده بقر العلم بقراً، وأورثه ما عنده من أدب، كأحسن ما يُرام، حتى بَزَّ الأولين والآخرين عدا من استثني من آبائه الطاهرين عليهم السلام.. فإن الله تبارك وتعالى سخّره لإكمال السلسلة وقيادة المرحلة ليهدي التائهين من جانب، ويعلّم الجاهلين من جانب آخر، فيخاطب الناس على قدر عقولهم ويؤدّبهم بحسب استعدادهم، ويظهر على الزنادقة فيطبِّعهم، وعلى الفقهاء فيطوّعهم[1]، وعلى السياسيين فيلجمهم، فكم نصبوا له المكائد والكمائن ليوقعوه فيها إلاّ أنه كان حذراً كجدّه أمير المؤمنين علي عليه السلام في الحرب، وكان أجرأ من أسد الإسلام حمزة في الضرب.

ولم يرق للحاكم العباسي المنصور كل ذلك.. وفعل ما فعل مع الإمام الصّادق عليه السلام من أجل القضاء عليه، إلا أن الله سبحانه حماه وحفظه من كيد ذاك الطاغية إلى أن حان الأجل..

فدسَّ إليه السُّم عن طريق عنقود عنب مسموم أجبر الإمام الصّادق عليه السلام على أكلها فسرى السم في جسده النحيل الذي أغلته العبادة، واستهلكته الأيام، حيث بلغ من العمر عتياً تقدر بحوالي ٦٥ ـ ٦٨ سنة مباركة..

فاستشهد الإمام السادس من أئمة المسلمين جعفر بن محمد عليه السلام الملقّب بالصادق وذلك في يوم الاثنين ٢٥ شوال من عام ١٤٨ هجري ٧٦٥ ميلادي..

---

(١) كلمات للأديب اللبناني سليمان كتاني المسيحي.

ودفن عليه السلام في تربة البقيع الطاهرة التي حوت أجسام أهل البيت عليهم السلام . .

وذلك بعد أن سلَّم الراية إلى ولده الحبيب والإمام العظيم موسى بن جعفر الملقّب بالكاظم عليه السلام ، وسلّمه مواريث الإمامة ووصايا الرسالة وأعطاه كل ما تحتاجه الأمة إلى يوم القيامة.

فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد بالسم مظلوماً ويوم يبعث حياً ويشهد على أعمال أولئك الطغاة الجبّارين من أمويين وعباسيين وغيرهم من حكّام وقضاة وعلماء الجور والفساد والإفساد.

الخاتمة

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام نشأ في مهد العلم ومعدنه، في بيت النبوّة الذي توارث علمه كابراً من كابر، مضافاً إلى علومه اللدنية التي يعطيها الله عزَّ وجلَّ لمن شاء من بريته من الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام . .

وعاش عليه السلام في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله فتغذّى من ذلك الغرس الطاهر، وأشرق في قلبه نور الحكمة الزاهر، بما درَّس وما تلقّى وبما فحص ومحَّص، وكان قوَّة فكرية في عصره وما تلاه. . فلم يكتف بالدراسات الإسلامية وعلوم القرآن والسُّنة والعقيدة، بل اتجه إلى دراسة الكون وأسراره، ثم حلَّق بعقله الجبّار في سماء الأفلاك ومدار الشمس والقمر والنجوم، كما عُني عناية كبرى بدراسة النفس الإنسانية، وإذا كان البعض يرى أن سقراط قد أنزل الفلسفة من السماء إلى الإنسان!، فإن الإمام الصّادق عليه السلام قد درَّس السماء والأرض والإنسان والشرائع

والأديان وكل ما يرتبط بسعادة الإنسان وخيره في الدنيا والآخرة.

وكان في عالم الإسلام كله الإمام الذي يُرجع إليه، فهو أعلم الناس باختلاف الفقهاء، وقوله الفصل والعدل دائماً وأبداً.

وصفاته النفسية والعقلية.. فقد علا بها على أهل الأرض، وأنّى لأهل الأرض أن يسامتوا أهل السماء.. سمو في الغاية، وتجرّد في الحق، ورياضة في النفس، وانصراف إلى العلم والعبادة، وابتعاد عن الدنيا ومآربها، وبصيرة تبدّد الظلمات، وإخلاص لا يفوقه إخلاص، لأنه من معدنه.. من شجرة النبوّة، وإذا لم يكن الإخلاص في عترة النبي ﷺ وأحفاد أمير المؤمنين علي عليه السلام سيف الله المسلول وفارس الإسلام الأوحد ففيمن يكون؟

فلقد توارث أحفاد علي عليه السلام الإخلاص خلفاً عن سلف، وفرعاً عن أصل، فكانوا يحبون لله، ويبغضون لله، ويعتبرون ذلك من أصول الإيمان وظواهر اليقين.

سيدي ومولاي..

يا أبا عبد الله..

أيها الصادق البِرّ..

الوفي الأمين..

ماذا عساي أن أقول..

وقد قالوا عنك الكثير..

الكثير..

إلا أنني أراها أقلّ من القليل..

فإن مكانتك عالية..

ونجمك زاهر..

وبحرك ذاخر..

وهمّتك رفيعة..

وعلمك عمَّ الكون بنوره

ماذا أقول يا صادق الآل الكرام عليهم السلام؟

ماذا أقول يا واسطة العقد..

يا سادس الأئمة الأطهار عليهم السلام؟

ماذا أقول يا فيصلاً فصل بين الحق والباطل، بين الظلمات والنور..

فعفوك سيدي..

عفوك..

فقد تطاولت..

وتجاوزت..

إلا أنني أعطِّر قلمي وفمي ولساني بذكرك العظيم واسمك الشريف.

فاقبل مني هذا القليل..

وانظر إليَّ بعين العطف..

وأفض عليَّ شيئاً من اللطف.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

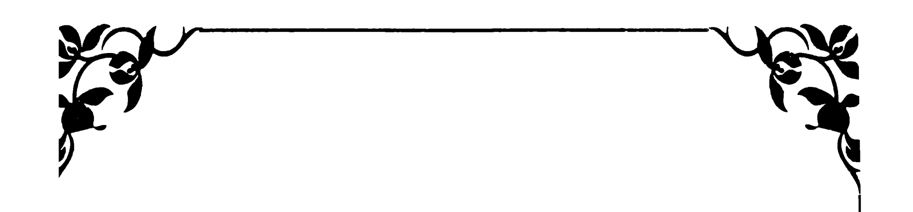


كلمة الإمام الصادق عليه السلام

الجزء الأوّل

الشهيد
آية الله السيد حسن الشيرازي
"قدّس سرّه"





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيّبين الطاهرين .

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين .



إلهيات

في جوار الله[١]

عن المفضّل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

إنّ الله تبارك وتعالى ضمن للمؤمن ضماناً.

قال: قلت: وما هو؟

قال: ضمن له إن هو أقرّ له بالربوبيّة، ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة، ولعليّ عليه السلام بالإمامة، وأدّى ما افترض عليه أن يُسكنه في جواره.

قال: قلت: فهذه والله هي الكرامة الّتي لا يشبهها كرامة الآدميّين.

قال: ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: اعملوا قليلاً تتنعَّموا كثيراً.

هو أهل التقوى[٢]

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾، قال:

---

(١) التوحيد: ص ١٩، ب ١، ح ٤: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمد بن جعفر الأسدي، قال: حدّثني موسى بن عمران النخعي، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي عن محمد بن سنان،...

(٢) التوحيد: ص ١٩ ـ ٢٠، ب ١، ح ٦: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفار، قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن أبي الخطاب، عن علي بن اسباط، عن علي بن أبي حمزة،...

قال الله تبارك وتعالى: أنا أهل أن أُتّقى ولا يُشرك بي عبدي شيئاً، وأنا أهلٌ إن لم يُشرك بي عبدي شيئاً أن أُدخله الجنّة.

وقال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أقسم بعزّته وجلاله أن لا يعذّب أهل توحيده بالنار أبداً.

الحصن الملموم[1]

عن هشام بن الحكم، قال: دخل أبو شاكر الديصاني على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال له: إنّك أحد النجوم الزواهر، وكان آباؤك بدوراً بواهر، وأمّهاتك عقيلات عباهر، وعنصرك من أكرم العناصر، وإذا ذكر العلماء فيك تثنّى الخناصر، فخبّرني أيّها البحر الخضمّ الزاخر، ما الدليل على حدث العالم؟ فقال الصادق عليه السلام:

يُستدلّ عليه بأقرب الأشياء.

قال: وما هو؟

فدعا الصادق عليه السلام ببيضة فوضعها على راحته، ثمّ قال: هذا حصن ملموم، داخله عرق رقيق، تطيف به فضّة سائلة وذهبة مايعة، ثمّ تنفلق عن مثل الطاوُس أدخلها شيء؟

قال: لا.

قال: فهذا الدليل على حدوث العالم.

قال: أخبرتَ فأوجزتَ، وقلتَ فأحسنتَ، وقد علمت أنّا لا نقبل إلاّ ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بآذاننا، أو لمسناه بأكفّنا، أو شممناه

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٨٨، ب ٥٦، ح ٥: حدّثنا أحمد بن علي بن إبراهيم رضي الله عنه قال: حدّثني أبي، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير،...

بمناخرنا، أو ذقناه بأفواهنا، أو تصوّر في القلوب بياناً واستنبطته الروايات إيقاناً.

فقال الصادق عليه السلام: ذكرت الحواسّ الخمس وهي لا تنفع شيئاً بغير دليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح.

أراك قدرته[(١)]

عن أحمد بن محسن الميثمي، قال: كنت عند أبي منصور المتطبّب فقال: أخبرني رجل من أصحابي، قال: كنت أنا وابن أبي العوجاء وعبد الله بن المقفّع في المسجد الحرام فقال ابن المقفّع: ترون هذا الخلق؟ ـ وأومأ بيده إلى موضع الطواف ـ ما منهم أحد أوجب له إسم الإنسانيّة إلاّ ذلك الشيخ الجالس ـ يعني جعفر بن محمد عليه السلام ـ فأمّا الباقون فرعاع وبهائم.

فقال له ابن أبي العوجاء: وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟

قال: لأنّي رأيت عنده ما لم أر عندهم.

فقال ابن أبي العوجاء: لا بدّ من اختبار ما قلت فيه منه.

فقال له ابن المقفّع: لا تفعل، فإنّي أخاف أن يفسد عليك ما في يدك.

---

(١) التوحيد ١٢٥ ـ ١٢٧، ب ٩، ح ٤: حدّثنا محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، عن عمه ـ محمد بن أبي القاسم ـ عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن علي الكوفي، عن عبد الرحمن بن محمد بن أبي هاشم،...

فقال: ليس ذا رأيك، ولكنّك تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إيّاه المحلّ الّذي وصفت.

فقال ابن المقفّع: أمّا إذا توهّمت عليّ هذا، فقم إليه وتحفّظ ما استطعت من الزلل، ولا تثن عنانك إلى استرسال يسلمك إلى عقال، وسمه ما لك أو عليك.

قال: فقام ابن أبي العوجاء وبقيت أنا وابن المقفّع، فرجع إلينا وقال: يابن المقفّع ما هذا ببشر، وإن كان في الدنيا روحانيّ يتجسّد إذا شاء ظاهراً ويتروّح إذا شاء باطناً فهو هذا.

فقال له: وكيف ذاك؟

فقال: جلست إليه فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأنِي، فقال:

إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون ـ يعني أهل الطواف ـ فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر على ما تقولون ـ وليس كما تقولون ـ فقد استويتم أنتم وهم.

فقلت له: يرحمك الله وأيّ شيء نقول؟ وأيّ شيء يقولون؟ ما قولي وقولهم إلاّ واحداً.

فقال: كيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون: إنّ لهم معاداً وثواباً وعقاباً، ويدينون بأنّ للسماء إلٰهاً، وأنّها عمران، وأنتم تزعمون أنّ السماء خراب ليس فيها أحد.

قال: فاغتنمتها منه، فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتّى لا يختلف منهم اثنان، ولِمَ احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به.

فقال لي: ويلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك؟

نشؤك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوّتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوّتك، وسقمك بعد صحّتك، وصحّتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد إبائك، وإباؤك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاؤك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده من ذهنك.

وما زال يعدّ عليّ قدرته الّتي هي في نفسي الّتي لا أدفعها حتّى ظننت أنّه سيظهر فيما بيني وبينه.

الفيل والجرجس[1]

ما خلق الله خلقاً أصغر من البعوض، والجرجس أصغر من البعوض، والّذي تسمّونه الولغ أصغر من الجرجس، وما في الفيل شيء إلاّ وفيه مثله، وفضّل على الفيل بالجناحين.

أمصنوع أنت؟[2]

إنّ ابن أبي العوجاء حين كلّمه أبو عبد الله عليه السلام عاد إليه في اليوم الثاني، فجلس وهو ساكت لا ينطق. فقال أبو عبد الله عليه السلام:

---

(١) التوحيد ٢٨٣، ب ٣٩، ح ١: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن سعيد بن جناح، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ...

(٢) التوحيد ٢٩٦ ـ ٢٩٨، ب ٤٢، ح ٦: حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدّثنا محمد بن يعقوب الكليني، بإسناده رفع الحديث:

كأنّك جئت تعيد بعض ما كنّا فيه؟

فقال: أردت ذلك يابن رسول الله.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أعجب هذا تنكر الله وتشهد أنّي ابن رسول الله؟!

فقال: العادة تحملني على ذلك.

فقال له العالم عليه السلام: فما يمنعك من الكلام؟

قال: إجلالاً لك ومهابة، ما ينطق لساني بين يديك، فإنّي شاهدت العلماء وناظرتُ المتكلّمين فما تداخلني هيبة قطّ مثل ما تداخلني من هيبتك.

قال: يكون ذلك ولكن أفتح عليك بسؤال، وأقبل عليه، فقال له: أمصنوع أنت أم غير مصنوع؟

فقال عبد الكريم بن أبي العوجاء: أنا غير مصنوع.

فقال له العالم عليه السلام: فصف لي لو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون؟

فبقي عبد الكريم مليّاً لا يحير جواباً، وولع بخشبة كانت بين يديه وهو يقول: طويل عريض عميق قصير متحرّك ساكن، كلّ ذلك صفة خلقه.

فقال له العالم عليه السلام: فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة غيرها فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك ممّا يحدث من هذه الأمور.

فقال له عبد الكريم: سألتني عن مسألة لم يسألني أحدٌ عنها قبلك ولا يسألني أحد بعدك عن مثلها.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: هبك علمت أنّك لم تسأل فيما مضى فما علمك أنّك لا تسأل فيما بعد؟ على أنّك يا عبد الكريم نقضت قولك، لأنّك تزعم أنّ الأشياء من الأوّل سواء، فكيف قدّمت وأخّرت.

ثم قال: يا عبد الكريم أزيدك وضوحاً، أرأيت لو كان معك كيس فيه جواهر، فقال لك قائل: هل في الكيس دينار؟ فنفيت كون الدينار في الكيس، فقال لك قائل: صف لي الدينار وكنت غير عالم بصفته هل كان لك أن تنفي كون الدينار في الكيس وأنت لا تعلم؟

قال: لا.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: فالعالَم أكبر وأطول وأعرض من الكيس فلعلّ في العالم صنعة لا تعلم صفة الصنعة من غير الصنعة.

فانقطع عبد الكريم وأجاب إلى الإسلام بعض أصحابه وبقي معه بعض.

فعاد في اليوم الثالث فقال: أَقلب السؤال؟

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: سل عمّا شئت.

فقال: ما الدليل على حدث الأجسام؟

فقال: إنّي ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلاّ إذا ضمّ إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولو كان قديماً ما زال ولا حال، لأنّ الّذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، وفي كونه في الأولى دخوله في العدم، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم، في شيء واحد.

فقال عبد الكريم: هبك علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت واستدللت على حدوثها فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدلّ على حدوثها؟

فقال العالم عليه السلام: إنّما نتكلّم على هذا العالَم الموضوع، فلو رفعناه ووضعنا عالَماً آخر كان لا شيء أدلّ على الحدث من رفعنا إيّاه ووضعنا غيره، ولكن أجيبك من حيث قدّرت أنّك تلزمنا ونقول: إنّ الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنّه متى ما ضمّ شيء منه إلى مثله كان أكبر، وفي جواز التغيّر عليه خروجه من القدم كما بان في تغيّره دخوله في الحديث ليس لك وراءه شيء يا عبد الكريم.

فانقطع وخزي.

فلمّا كان من العام القابل التقى معه في الحرم، فقال له بعض شيعته: إنّ ابن أبي العوجاء قد أسلم.

فقال العالم عليه السلام: هو أعمى من ذلك لا يسلم.

فلمّا بصر بالعالم عليه السلام قال: سيّدي ومولاي.

فقال له العالم عليه السلام: ما جاء بك إلى هذا الموضع؟

فقال: عادة الجسد، وسنّة البلد، ولنبصر ما الناس فيه من الجنون والحلق ورمي الحجارة.

فقال له العالم عليه السلام: أنت بعد على عتوّك وضلالك يا عبد الكريم، فذهب يتكلّم، فقال له: لا جدال في الحجّ، ونفض رداءه من يده وقال: إن يكن الأمر كما تقول ـ وليس كما تقول ـ نجونا ونجوت، وإن يكن الأمر كما نقول ـ وهو كما نقول ـ نجونا وهلكت.

فأقبل عبد الكريم على من معه فقال: وجدت في قلبي حزازة فردّوني فردّوه ومات، لا رحمه الله.

عرفت ربّي(١)

عن هشام بن سالم، قال: سُئل أبو عبد الله عليه السلام فقيل له: بما عرفتَ ربّك؟ قال: بفسخ العزم ونقض الهمّ، عزمتُ ففسخ عزمي، وهممتُ فنقض همّي.

الدليل على الصانع(٢)

عن هشام بن الحكم، قال: قال لي أبو شاكر الديصاني: إنّ لي مسألة تستأذن لي على صاحبك فإنّي قد سألت عنها جماعة من العلماء فما أجابوني بجواب مشبع.

فقلت: هل لك أن تخبرني بها فلعلّ عندي جواباً ترتضيه؟

فقال: إنّي أحبّ أن ألقى بها أبا عبد الله عليه السلام. فاستأذنت له، فدخل. فقال له: أتأذن لي في السؤال؟

فقال له: سل عمّا بدا لك.

فقال له: ما الدليل على أنّ لك صانعاً؟ فقال: وجدتُ نفسي لا تخلو من إحدى جهتين:

---

(١) التوحيد ٢٨٩، ب ٤١، ح ٨: حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رحمه الله، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير،...

(٢) التوحيد ٢٩٠، ب ٤١، ح ١٠: حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدّثنا محمد بن جعفر أبو الحسين الأسدي، قال: حدّثنا الحسين بن المأمون القرشي، عن عمر بن عبد العزيز:...

إمّا أن أكون صنعتها أنا أو صنعها غيري، فإن كنتُ صنعتها أنا فلا أخلو من أحد معنيين:

إمّا أن أكون صنعتها وكانت موجودة أو صنعتها وكانت معدومة، فإن كنت صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومة فإنّك تعلم أنّ المعدوم لا يحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث أنّ لي صانعاً وهو الله ربّ العالمين، فقام وما أجاب جواباً.

المغالطة في الخلقة(١)

عن مروان بن مسلم، قال: دخل ابن أبي العوجاء على أبي عبد الله عليه السلام فقال: أليس تزعم أنّ الله خالق كلّ شيء؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: بلى.

فقال: أنا أخلق.

فقال له: كيف تخلق؟

فقال: أحدث في الموضع ثمّ ألبث عنه فيصير دوابّ، فأكون أنا الّذي خلقتها.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أليس خالق الشيء يعرف كم خلقه؟

قال له: بلى.

قال: فتعرف الذكر منها من الأنثى، وتعرف كم عمرها؟، فسكت.

---

(١) التوحيد ٢٩٥ ـ ٢٩٦، ب ٤٢، ح ٥: حدّثنا أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمهما الله قالا: حدّثنا أحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسين، عن علي بن يعقوب الهاشمي،...

دلّ على وحدانيّته[١]

عن هشام بن الحكم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما الدليل على أنّ الله واحد؟ قال:

اتّصال التدبير وتمام الصنع، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٢].

لا ولد له ولا شريك[٣]

الحمد لله الّذي لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك.

لا تفكّروا في الله[٤]

إيّاكم والتفكّر في الله، فإنّ التفكّر في الله لا يزيد إلاّ تيهاً، إنّ الله عزَّ وجلَّ، لا تدركه الأبصار، ولا يُوصَف بمقدار.

لا تكلّموا فيما فوق العرش[٥]

إذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا، وتكلّموا فيما دون العرش ولا

---

(١) التوحيد ٢٥٠، ب ٢٦، ح ٢: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمّد بن أبي عمير،...

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٣) التوحيد ٤٨، ب ٢، ح ١٢: حدّثنا محمد بن علي بن ماجيلويه رحمه الله، عن عمه - محمد بن أبي القاسم - عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن محمد بن عيسى اليقطيني، عن سليمان بن راشد، عن أبيه، عن المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٤) أمالي الصدوق ٣٤٠، ب ٦٥، ح ٣: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفار، قال: حدّثني أحمد بن أبي عبد الله البرقي، قال: حدّثني أبي، عن صفوان بن يحيى، عن أبي اليسع، عن سليمان بن خالد، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٥) بحار الأنوار ٣/ ٢٥٩ - ٢٦٠، عن تفسير علي بن إبراهيم: قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

تكلّموا فيما فوق العرش، فإنّ قوماً تكلّموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم حتّى كان الرجل يُنادى من بين يديه فيجيب من خلفه، وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه.

دروس في التوحيد[1]

روى محمد بن سنان، قال: حدّثني المفضّل بن عمر قال: كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر، وأنا مفكّر فيما خصّ الله تعالى به سيّدنا محمّداً ﷺ، من الشرف والفضائل، وما منحه وأعطاه وشرّفه وحباه، ممّا لا يعرفه الجمهور من الأمّة وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته، وخطير مرتبته، فإنّي لَكذلك إذ أقبل «ابن أبي العوجاء» فجلس بحيث أسمع كلامه فلمّا استقرّ به المجلس إذ رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه، فتكلّم «اِبن أبي العوجاء» فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العزّ بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كل أحواله.

فقال له صاحبه: إنه كان فيلسوفاً ادّعى المرتبة العظمى، والمنزلة الكبرى، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول، وضلّت فيها الأحلام، وغاصت الألباب على طلب علمها في بحار الفكر، فرجعت خاسئات، وهي حسّر، فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء، دخل الناس في دينه أفواجاً، فقرن اسمه باسم ناموسه[2]، فصار يهتف به على رؤوس الصوامع، في جميع البلدان والمواضع، التي

---

(١) توحيد المفضّل.

(٢) الناموس: الشريعة.

انتهت إليها دعوته، وعلتها كلمته، وظهرت فيها حجّته برّاً وبحراً، سهلاً وجبلاً، في كلّ يوم وليلة خمس مرّات مردّداً في الآذان والإقامة، ليتجدّد في كل ساعة ذكره، ولئلا يخمل أمره. فقال «ابن أبي العوجاء»: دع ذكر محمد صلى الله عليه وآله فقد تحيَّر فيه عقلي، وضلّ في أمره فكري، وحدّثنا في ذكر الأصل الذي نمشي له ثم ذكر ابتداء الأشياء، وزعم أنّ ذلك بإهمال لا صنعة فيه ولا تقدير، ولا صانع ولا مدبّر، بل الأشياء تتكوّن من ذاتها بلا مدبّر، وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال!

قال المفضّل: فلَمْ أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً، فقلت: يا عدوّ الله ألحدْتَ في دين الله وأنكرتَ الباري جلّ قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم، وصوّرك في أتمّ صورة، ونقلك في أحوالك حتى بلغ إلى حيث انتهيت، فلو تفكّرتَ في نفسك، وصدقك لطيف حسّك، لوجدتَ دلائل الربوبية وآثار الصنعة فيك قائمة، وشواهده جلّ وتقدّس في خلقك واضحة، وبراهينه لك لائحة.

فقال: يا هذا إن كنتَ من أهل الكلام كلّمناك، فإن ثبتت لك حجّة تبعناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنتَ من أصحاب جعفر بن محمد الصّادق فما هكذا تخاطبنا، ولا بمثل دليلك تجادل فينا، ولقد سمع من كلامنا أكثر ممّا سمعت، فما أفحش في خطابنا، ولا تعدّى في جوابنا وأنه الحليم الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خرق[١]، ولا طيش ولا نزق[٢]، يسمع كلامنا، ويصغي إلينا ويتعرّف حجّتنا، حتّى إذا استفرغنا ما عندنا، وظننّا أنّا قطعناه، دحض حجّتنا بكلام يسير، وخطاب

(١) الخرق: ضعف الرأي وسوء التصرّف والحمق.
(٢) النزق: هو الطيش والخفّة عند الغضب.

قصير، يلزمنا به الحجّة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه ردّاً، فإن كنت من أصحابه فخاطِبنا بمثل خطابه.

قال المفضّل: فخرجت من المسجد محزوناً مفكّراً فيما بُلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها[1] فدخلتُ على مولاي عليه السلام فرآني منكسراً، فقال: ما لك؟

فأخبرته بما سمعتُ من الدهريّين[2] وبما رددت عليهما. فقال: يا مفضّل لألقينّ عليك من حكمة الباري جلّ وعلا وتقدّس اسمه في خلق العالم، والسباع، والبهائم، والطير، والهوام، وكل ذي روح من الأنعام والنبات، والشجرة المثمرة، وغير ذات الثمر، والحبوب، والبقول، المأكول من ذلك وغير المأكول، ما يعتبر به المعتبرون ويسكن إلى معرفته المؤمنون، ويتحيّر فيه الملحدون فبكّر عليَّ غداً.

«قال المفضّل»: فانصرفتُ من عنده فرحاً مسروراً، وطالت عليَّ تلك الليلة انتظاراً لما وعدني به، فلمّا أصبحتُ غدوتُ فاستُؤذن لي فدخلتُ، وقمتُ بين يديه، فأمرني بالجلوس، فجلست، ثم نهض إلى حجرة كان يخلو فيها، ونهضت بنهوضه، فقال: اتبعني، فتبعته، فدخل ودخلتُ خلفه، فجلس وجلستُ بين يديه.

فقال: يا مفضّل كأنّي بك وقد طالت عليك هذه الليلة انتظاراً لما وعدتك.

فقلت: أجل يا مولاي.

فقال: يا مفضّل إن الله تعالى كان ولا شيء قبله، وهو باقٍ ولا نهاية

---

(١) التعطيل هنا بمعنى: إنكار صفات الخالق تعالى.

(٢) الدهري: المُلحد الذي يزعم بأنّ العالم موجود أزلاً.

له، فله الحمد على ما ألهمنا، والشّكر على ما منحنا، فقد خصّنا من العلوم بأعلاها ومن المعالي بأسناها، واصطفانا على جميع الخلق بعلمه، وجعلنا مهيمنين[١] عليهم بحكمه.

فقلت: يا مولاي أتأذن لي أن أكتب ما تشرحه ـ وكنت أعددت معي ما أكتب فيه ـ.

فقال: اِفعل يا مفضّل.

الجهل منشأ الشكّ والترديد

إنّ الشكاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة، وقصرت أفهامهم عن تأمّل الصواب، والحكمة فيما ذرأ[٢] الباري جلّ قدسه، وبرأ[٣] من صنوف خلقه في البرّ، والبحر، والسهل، والوعر، فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود، وبضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود، حتّى أنكروا خلق الأشياء، وادعوا أن تكوّنها بالإهمال، لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبّر، ولا صانع، تعالى الله عمّا يصفون، وقاتلهم الله أنّى يؤفكون[٤] فهم في ضلالهم وغيّهم وتجبّرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بنيت أتقن بناء وأحسنه، وفُرشت بأحسن الفرش وأفخره، وأُعدّ فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب التي يُحتاج إليها ولا يُستغنىٰ عنها، ووضل كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير، وحكمة من التدبير، فجعلوا يتردّدون فيها يميناً وشمالاً، ويطوفون بيوتها إدباراً وإقبالاً، محجوبة أبصارهم عنها، لا يُبصرون بنية الدار، وما أعدّ

---

(١) جمع مهيمن، وهو الأمين والمؤتمن والشاهد.

(٢) ذرأ الله الخلق: خلقهم.

(٣) برأه: خلقه من العدم.

(٤) أي: ينصرفون عن الحق.

فيها وربما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه، وأُعدّ للحاجة إليه، وهو جاهِل للمعنى فيه ولما أعدّ ولماذا جعل كذلك؟ فتذمَّر وتسخَّط وذمّ الدار وبانيها.

فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقة وثبات الصنعة، فإنهم لما غربت[١] أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء، صاروا يجولون في هذا العالَم حيارىٰ، فلا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته، وحُسن صنعته، وصواب هيئته، وربما وقف بعضهم على الشيء يجهل سببه، والأرب[٢] فيه، فيسرع إلى ذمّه ووصفه بالإحالة والخطأ، كالذي أقدمت عليه المنانية[٣] الكفرة، وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة، وأشباههم من أهل الضلال المعلّلين أنفسهم بالمحال[٤] فيحقّ على من أنعم الله عليه بمعرفته، وهداه لدينه، ووفّقه لتأمّل التدبير في صنعة الخلائق، والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التقدير، بالدلالة القائمة الدالّة على صانعها، أن يكثر حمد الله مولاه على ذلك، ويرغب إليه في الثبات عليه والزيادة منه فإنه جلّ اسمه يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٥].

وحدة الكون دليل التوحيد

يا مفضّل أول العبر والدلالة على الباري جلّ قدسه، تهيئة هذا

---

(١) أي: غابت.

(٢) الأرب: بالفتح ـ المهارة أو الحاجة.

(٣) أو المانوية: هم أصحاب الحكيم الفارسي ماني ابن فاتك الذي ظهر في أيام سابور «ثاني ملوك الدولة الساسانية» ومذهبه مزيج من المجوسيّة والنصرانيّة.

(٤) أي الشاغلين أنفسهم عن طاعة ربّهم بأمور يحكم العقل السليم باستحالتها.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

العالم، وتأليف أجزائه ونظمها، على ما هي عليه، فإنك إذا تأمّلت العالم بفكرك وخبرته بعقلك، وجدته كالبيت المبني المُعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم مضيئة[١] كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكل شيء فيه لشأنه معدّ، والإنسان كالمالك ذلك البيت، والمخوّل[٢] جميع ما فيه، وضروب النبات مهيّأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه، ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملاءمة، وأن الخالق له واحد، وهو الذي ألّفه ونظّمه بعضاً إلى بعض، جلّ قدسه، وتعالى جده، وكرم وجهه، ولا إله غيره، تعالى عمّا يقول الجاحدون، وجلّ وعظم عمّا ينتحله الملحدون.

مراحل خلق الإنسان

نبدأ يا مفضّل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به.. فأوّل ذلك ما يدبّر به الجنين في الرحم، وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة[٣]، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء، ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة، ولا دفع مضرّة، فإنه يجري إليه من دم الحَيض ما يغذوه، الماء والنبات، فلا يزال ذلك غذاؤه، حتّى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي أديمه[٤] على مباشرة الهواء وبصره على ملاقاة الضياء هاج الطلق[٥] بأُمه فأزعجه أشد إزعاج وأعنفه حتى يولد،

---

(١) في نسخة: منضودة، أي جعل بعضها فوق بعض فهي منضودة.

(٢) من التخويل وهو الإعطاء والتمليك.

(٣) المشيمة: غشاء ولد الإنسان يخرج معه عند الولادة، جمعه مشيم ومشايم.

(٤) الأديم: الجلد المدبوغ.

(٥) الطلق «بسكون الثاني»: وجع الولادة.

فإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمه إلى ثديها وانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء وهو أشدّ موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه، فحين يُولد قد تلمظ[1] وحرّك شفتيه طلباً للرضاع، فهو يجد ثدي أمه كالإداوتين[2] المعلّقتين لحاجته فلا يزال يتغذّى باللبن، ما دام رطب البدن رقيق الأمعاء لين الأعضاء، حتّى إذا تحرّك، واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ ويقوى بدنه، طلعت له الطواحن من الأسنان والأضراس ليمضغ بها الطعام، فيلين عليه، ويسهل له إساغته، فلا يزال كذلك حتى يدرك، فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه، فكان ذلك علامة الذكر، وعزّ الرجل الذي يخرج به من جدة الصبا وشبه النساء، وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقياً من الشعر، لتبقى لها البهجة، والنضارة التي تحرّك الرجل لما فيه دوام النسل وبقاؤه.

الاعتبار بخلق الإنسان

اعتبر يا مفضّل فيما يدبّر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة، هل ترى مثله يمكن أن يكون بالإهمال؟ أفرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم، ألم يكن سيذوي ويجفّ كما يجفّ النبات إذا فقد الماء، ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤُد في الأرض؟ ولو لم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أو يغتذي بغذاء لا يلائمه، ولا يصلح عليه بدنه، ولو لم تطلع له الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساغته، أو يقيمه على الرضاع فلا يشتدّ بدنه ولا يصلح لعمل؟ ثم كان يشغل أمه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد.

---

(١) تلمظ: إذا أخرج لسانه فمسح به شفتيه.

(٢) الإداوة: بكسر ففتح، إناء صغير من جلد يتّخذ للماء، جمعه أداوي.

ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء، فلا ترى له جلالة ولا وقاراً؟

قال المفضّل فقلت له: يا مولاي فقد رأيت من يبقى على حالته ولا ينبت الشعر في وجهه وإن بلغ الكبر، فقال عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1] فمن هذا الذي يرصده[2] حتى يوافيه بكل شيء من هذه المآرب إلاّ الذي أنشأه خلقاً، بعد أن لم يكن، ثم توكّل له بمصلحته بعد أن كان، فإن كان الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير، فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتيان بالخطأ والمحال، لأنهما ضد الإهمال وهذا فظيع من القول وجهل من قائله، لأن الإهمال لا يأتي بالصواب، والتضاد لا يأتي بالنظام، تعالى الله عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيراً.

من أسرار الطفولة

ولو كان المولود يُولد فَهِماً عاقلاً، لأنكر العالم عند ولادته ولبقي حيران تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف، وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير، إلى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم.

واعتبر ذلك بأن من سبي من بلد وهو عاقل، يكون كالواله الحيران فلا يسرع إلى تعلّم الكلام، وقبول الأدب، كما يسرع الذي سبي صغيراً غير عاقل، ثم لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة[3] إذا رأى نفسه محمولاً

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢.

(٢) يرصده: أي يرقبه.

(٣) الغضاضة: هي الذلّة والمنقصة.

مرضعاً معصباً بالخرق مسجّى[١] في المهد لأنه لا يستغني عن هذا كله، لرقّة بدنه ورطوبته حين يولد، ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل، فصار يخرج إلى الدنيا غبياً غافلاً عمّا فيه أهله، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة، ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلاً قليلاً، وشيئاً بعد شيء، وحالاً بعد حال، حتى يألف الأشياء، ويتمرّن ويستمرّ عليها، فيخرج من حد التأمّل لها والحيرة فيها إلى التصرّف والاضطرار إلى المعاش بعقله وحيلته، وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية.

وفي هذا أيضاً وجوه أُخر، فإنه لو كان يولَد تام العقل مستقلاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد، وما قدر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافأة بالبِرّ، والعطف عليهم، عند حاجتهم إلى ذلك منهم، ثم كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم، لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم، فيتفرّقون عنهم حين يولدون، فلا يعرف الرجل أباه وأمه، ولا يمتنع عن نكاح أمه وأخته، وذوات المحارم منه، إذا كان لا يعرفهنّ، وأقلّ ما في ذلك من القباحة، بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع، لو خرج المولود من بطن أمه وهو يعقل، أن يرى[٢] منها ما لا يحل له، ولا يحسن به أن يراه، أفلا ترى كيف أُقيم كل شيء من الخلقة على غاية الصواب؟ وخلا من الخطأ دقيقه وجليله.

---

(١) التسجية: هي التغطية بثوب يمد على الجسم.

(٢) خبر لقوله: أقل في ذلك.

الأطفال والبكاء

اِعرف يا مفضّل ما للأطفال في البكاء من المنفعة واعلم أن في أدمغة الأطفال رطوبة، إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلة وعللاً عظيمة، من ذهاب البصر وغيره، والبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحّة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم، أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان[١] ليسكتانه ويتوخّيان[٢] في الأمور مرضاته لئلا يبكي، وهما لا يعلمان أن البكاء أصلح له وأجمل عاقبة.

فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنه لا منفعة فيه، من أجل أنهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه، فإن كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون وكثيراً ما يقصر عنه على المخلوقين محيط به علم الخالق جلّ قدسه وعلت كلمته.

الأطفال وسيلان الفم

فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق، ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة، كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة، فأخرجته إلى حدّ البله والجنون والتخليط إلى غير ذلك من الأمراض المتلفة كالفالج واللقوة وما أشبههما، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم، لما لهم في ذلك من الصحّة في

---

(١) الدؤب: الجد والتعب.

(٢) التوخّي: التحرّي والقصد.

كبرهم، فتفضَّل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه، ولو عرفوا نِعمه عليهم لشغلهم ذلك من التمادي في معصيته، فسبحانه، ما أجلّ نعمته وأسبغها على المستحقّين وغيرهم من خلقه، تعالى عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً.

الأعضاء التناسلية

أُنظر الآن يا مفضّل كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعاً على ما يشاكل ذلك عليه، فجعل للذكر آلة ناشرة تمتدّ حتى تصل النطفة إلى الرحم، إذ كان محتاجاً إلى أن يقذف ماءه في غيره، وخلق للأنثى وعاءً قعراً[١] ليشتمل على الماءين جميعاً، ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم، أليس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عمّا يشركون!؟

جوارح الإنسان وحكمتها

فكّر يا مفضّل في أعضاء البدن أجمع، وتدبير كلّ منها للأرب فاليدان للعلاج، والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، والفم للاغتذاء، والمعدة للهضم والكبد للتخليص، والمنافذ لتنفيذ الفضول، والأوعية لحملها، والفرج لإقامة النسل، وكذلك جميع الأعضاء، إذا ما تأمّلتها وأعملت فكرك فيها ونظرك، وجدت كل شيء منها قد قدّر لشيء على صواب وحكمة.

وقفة مع الطبيعيّين

قال المفضّل فقلت: يا مولاي إن قوماً يزعمون أن هذا من فعل

---

(١) القعر من كل شيء: عمقه ونهاية أسفله.

الطبيعة، فقال عليه السلام: سلهم عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال، أم ليست كذلك؟ فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق، فإن هذه صنعته! وإن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد، وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة، علم أن هذا الفعل للخالق الحكيم، فإن الذي سمّوه طبيعة هو سُنّته في خلقه، الجارية على ما أجراها عليه[١].

الدورة الدموية

فكّر يا مفضّل في وصول الغذاء إلى البدن، وما فيه من التدبير، فإن الطعام يصير إلى المَعِدَة فتطبخه، وتبعث بصفوه إلى الكبد، في عروق دقاق واشجة[٢] بينهما، وقد جعلت كالمصفى للغذاء، لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها[٣] وذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف، ثم إن الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً، وينفذه إلى البدن كله في المجاري مهيّئة لذلك، بمنزلة المجاري التي تُهيّأ للماء ليطرد في الأرض كلها، وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مفائض[٤] قد أُعدّت لذلك، فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى إلى المرارة وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البلّة والرطوبة جرى إلى المثانة.

فتأمّل حكمة التدبير في تركيب البدن، ووضع هذه الأعضاء منه

---

(١) أي أن الذي صار سبباً لذهولهم هو أن الله تعالى أجرى عادته بأن يخلق الأشياء بأسبابها، فذهبوا إلى استقلال تلك الأسباب في ذلك.

(٢) الواشجة: المشتبكة.

(٣) نكأ القرحة: قشّرها قبل أن تبرأ.

(٤) المفائض: المجاري.

مواضعها، وإعداد هذه الأوعية فيه، لتحمل تلك الفضول، لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه، فتبارك من أحسن التقدير، وأحكم التدبير، وله الحمد كما هو أهله ومستحقّه.

نشأة الإنسان

قال المفضّل فقلت: صف نشوء الأبدان ونموّها حالاً بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال، قال عليه السلام: أول ذلك تصوير الجنين في الرَّحِم حيث لا تراه عين ولا تناله يد، ويدبّره حتى يخرج سوياً مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل، إلى ما في تركيب أعضائه من العظام، واللحم، والشحم، والعصب، والمخ، والعروق، والغضاريف، فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمو بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقص إلى أن يبلغ أشدّه إن مدّ في عمره أو يستوفي مدّته قبل ذلك، هل هذا إلاّ من لطيف التدبير والحكمة.

من خصائص الإنسان

اُنظر يا مفضّل ما خصّ به الإنسان في خلقه تشرفاً، وتفضّلاً على البهائم، فإنه خلق ينتصب قائماً، ويستوي جالساً، ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه، ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان مكبوباً على وجهه كذوات الأربع، لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال.

حكمة البصر

اُنظر الآن يا مفضّل إلى هذه الحواس التي خُصّ بها الإنسان في خلقه، وشرّف بها على غيره، كيف جُعلت العينان في الرأس،

كالمصابيح فوق المنارة؟ ليتمكّن من مطالعة الأشياء، ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهن، كاليدين والرجلين، فتعترضها الآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة، ما يعلّلها ويؤثّر فيها وينقص منها، ولا في الأعضاء التي وسط البدن، كالبطن، والظهر، فيعسر تقلّبها، واطّلاعها نحو الأشياء.

فلمّا لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع، كان الرأس أسنى المواضع للحواس، وهو بمنزلة الصومعة لها.

بين الحواس والمحسوسات

فجعل الحواس خمساً تلقى خمساً لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات، فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها، لم تكن فيها منفعة. وخلق السمع ليدرك الأصوات، فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها، لم يكن فيها أرب. وكذلك سائر الحواس. ثم هذا يرجع متكافياً، فلو كان بصر ولم تكن الألوان، لما كان للبصر معنى، ولو كان سمع ولم تكن أصوات، لم يكن للسمع موضع.

فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضاً، فجعل لكل حاسّة محسوساً يعمل فيه، ولكل محسوس حاسّة تدركه، ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسّطة بين الحواس والمحسوسات، لا تتمّ الحواس إلاّ بها، كمثل الضياء والهواء، فإنه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر، لم يكن البصر يدرك اللون، ولو لم يكن هواء يؤدّي الصوت إلى السمع، لم يكن السمع يدرك الصوت.

فهل يخفى على من صحّ نظره وأعمل فكره، أن مثل هذا الذي

وصفت من تهيئه الحواس والمحسوسات بعضها يلقى بعضاً، وتهيئة أشياء أُخر بها تتمّ الحواس، لا يكون إلاّ بعمل وتقدير من لطيف خبير.

نعمة الحواس والعقل

فكّر يا مفضّل فيمن عدم البصر من الناس، وما يناله من الخلل في أموره، فإنه لا يعرف موضع قدميه، ولا يبصر ما بين يديه، فلا يفرّق بين الألوان، وبين المنظر الحسن والقبيح، ولا يرى حفرة إن هجم عليها ولا عدوّاً إن أهوى إليه بسيف، ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والصياغة، حتى أنه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر المُلقى.

وكذلك من عَدِم السمع، يختل في أمور كثيرة، فإنه يفقد روح المخاطبة والمحاورة، ويعدم لذّة الأصوات واللحون المشجية والمطربة، وتعظم المؤونة على الناس في محاورته، حتى يتبرّموا به، ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم، حتى يكون كالغائب وهو شاهد، أو كالميت وهو حيّ.

فأما من عدم العقل، فإنه يُلْحَق بمنزلة البهائم، بل يجهل كثيراً مما تهتدي إليه البهائم. أفلا ترىٰ كيف صارت الجوارح والعقل، وسائر الخلال[1] التي بها صلاح الإنسان، والتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك من الخلل، يوافي[2] خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئاً منها، فلم كان كذلك؟ إلاّ أنه خلق بعلم وتقدير.

---

(١) الخلال: جمع خلّة وهي الخصلة.

(٢) يوافي: خبر صارت الجوارح والعقل.

نكال وموعظة

قال المفضّل: فقلت: فلم صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله من ذلك مثل ما وصفته يا مولاي؟ قالعليه السلام: ذلك للتأديب والموعظة لمن يحلّ ذلك به ولغيره بسببه كما يؤدّب الملوك الناس للتنكيل والموعظة، فلا ينكر ذلك عليهم، بل يحمد من رأيهم، ويتصوّب من تدبيرهم، ثم إن للّذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت ـ إن شكروا وأنابوا ـ ما يستصغرون معه ما ينالهم منها، حتى أنهم لو خُيّروا بعد الموت لاختاروا أن يُردّوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب.

من أسرار الخلقة

فكّر يا مفضّل في الأعضاء التي خُلقت أفراداً وأزواجاً، وما في ذلك من الحكمة والتقدير، والصواب في التدبير.

فالرأس مما خلق فرداً، ولم يكن للإنسان صلاح في أن يكون له أكثر من واحد، ألا ترى أنه لو أُضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلاً عليه، من غير حاجة إليه، لأن الحواس التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد، ثم كان الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان، فإن تكلّم من أحدهما كان الآخر معطلاً لا أرب فيه ولا حاجة إليه، وإن تكلّم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج إليه، وإن تكلّم بأحدهما بغير الذي تكلّم به من الآخر، لم يدر السامع بأي ذلك يأخذه، وأشباه هذا من الأخلاط.

واليدان ممّا خلق أزواجاً، ولم يكن للإنسان خير في أن يكون له يد واحدة لأن ذلك كان يخلّ به فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء، ألا

ترى أن النجار والبنّاء لو شلّت إحدى يديه لا يستطيع أن يُعالج صناعته، وإن تكلّف ذلك لم يحكمه، ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت يداه تتعاونان على العمل.

الجهاز الصوتي في الإنسان

أطل الفكر يا مفضّل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت، واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم.

ألا ترى أن من سقطت أسنانه لم يقم السين، ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء، ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء، وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم، فالحنجرة تشبه قصبة المزمار، والرئة تشبه الزق[1] الذي ينفخ فيه لتدخل الريح، والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزامير، والشفتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع التي تختلف في فم المزمار فتصوغ ألحاناً غير أنه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالآلة والتعريف فإن المزمار ـ في الحقيقة ـ هو المشبّه بمخرج الصوت.

حكمة الأعضاء والجوارح

قد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام وإقامة الحروف، وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أخرى، فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرئة، فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المُتتابع الذي لو حبس شيئاً يسيراً لهلك الإنسان، وباللسان تذاق الطعوم، فيميّز بينها،

---

(١) المراد بالزق هنا الجلد الذي يستعمل في المزمار.

ويعرف كل واحد منها حلوها من مرّها، وحامضها من مرّها، ومالحها من عذبها، وطيبها من خبيثها، وفيه مع ذلك معونة على إساغة الطعام والشراب، والأسنان لمضغ الطعام حتى يلين وتسهل إساغته، وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعهما من داخل الفم واعتبر ذلك فإنك ترى من سقطت أسنانه مسترخي الشفة ومضطربها، وبالشفتين يترشّف[1] الشراب، حتى يكون الذي يصل إلى الجوف منه بقصد وقدر، لا يثج[2] ثجاً، فيغصّ به الشارب، أو ينكأ في الجوف، ثم همى[3] بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحها الإنسان إذا شاء ويُطبقها إذا شاء، وفيما وصفنا من هذا البيان أن كل واحد من هذه الأعضاء يتصرّف، وينقسم إلى وجوه من المنافع كما تتصرّف الأداة الواحدة في أعمال شتّى، وذلك كالفأس تستعمل في النجارة والحفر وغيرهما من الأعمال.

الجهاز العصبي

ولو رأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيته قد لفّ بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض، وتمسكه فلا يضطرب، ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة، كيما تقيه هدّ الصدمة والصكّة التي ربما وقعت في الرأس ثم قد جللت الجمجمة بالشعر، حتى صارت بمنزلة الفرو للرأس يستره من شدّة الحر والبرد، فمن حصّن الدماغ هذا التحصين، إلاّ الذي خلقه وجعله ينبوع الحسّ، والمستحقّ للحيطة والصيانة، بعلوّ منزلته من البدن، وارتفاع درجته، وخطير مرتبته.

---

(١) ترشف الشراب: أي بالغ في مصّه.

(٢) ثج يثجّ ثجاً: أساله.

(٣) همى الماء: سال لا يثنيه شيء.

الجفن وأشفاره

تأمّل يا مفضّل: الجفن على العين كيف جعل كالغشاء، والأشفار كالأشراح[١] وأولجها في هذا الغار، وأظلّها بالحجاب، وما عليه من الشعر.

الفؤاد ومدرعته

يا مفضّل: مَن غَيَّب الفؤاد في جوف الصدر، وكساه المدرعة التي [هي ـ خ] غشاؤه، وحصّنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب، لئلا يصل إليه ما ينكأه[٢].

الحلق والمريء

مَن جعَلَ في الحلق منفذين أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتّصل بالرئة، والآخر منفذاً للغذاء، وهو المريء المتّصل بالمعدة الموصل الغذاء إليها، وجعل على الحلقوم طبقاً يمنع الطعام أن يصل إلى الرئة فيقتل.

مروحة الفؤاد

مَن جعَل الرئة مروحة الفؤاد لا تفتر ولا تختل لكيلا تتحيّر الحرارة في الفؤاد، فتؤدّي إلى التلف؟

---

(١) الأشراح: العرى.
(٢) نكأه: جرحه وآذاه.

حكمة المنافذ في الإنسان

مَن جعَلَ لمنافذ البول والغائط أشراجاً[١] تضبطهما، لئلا يجريا جرياناً دائماً، فيفسد على الإنسان عيشه فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا، بل الذي لا يُحصىٰ منه ولا يعلمه الناس أكثر.

الجهاز الهضمي

مَن جَعَل المعدة عصبانية شديدة وقدرها لهضم الطعام الغليظ؟ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذاء، ولتهضم وتعمل ما هو ألطف من عمل المعدة إلاّ الله القادر؟ أترى الإهمال يأتي بشيء من ذلك؟ كلا! بل هو تدبير مدبِّر حكيم قادر، عليم بالأشياء قبل خلقه إيّاها، لا يعجزه شيء وهو اللّطيف الخبير.

الاتقان في الخلق

فكّر يا مفضّل: لِم صار المخ الرقيق محصّناً في أنابيب العظام؟ وهل ذلك إلاّ ليحفظه ويصونه؟ لمَ صار الدم السائل محصوراً في العروق بمنزلة الماء في الظروف، إلاّ لتضبطه فلا يفيض؟ لِمَ صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلاّ وقاية لها ومعونة على العمل؟ لِمَ صار داخل الأذن ملتوياً كهيئة اللولب[٢] إلاّ ليطرد فيه الصوت، حتى ينتهي إلى السمع، وليكسر حمة الريح، فلا ينكأ في السمع؟ لِمَ حمل الإنسان على فخذيه

---

(١) الأشراج: في الأصل الشقاق في القوس، وقد استعار الإمام عليه السلام منها معنى لمنافذ البول والغائط.

(٢) اللولب: آلة من خشب أو حديد ذات محور ذي دوائر ناتئة وهو الذكر أو داخله وهو الأنثى جمعه لوالب.

وإليتيه هذا اللحم، إلاّ ليقيه من الأرض، فلا يتألم من الجلوس عليها، كما يألم من نحل جسمه وقلّ لحمه، إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه صلابتها.

الخلق يدلّ على الخالق

مَن جعَل الإنسان ذكراً وأنثى إلاّ من خلقه متناسلاً؟ ومن خلقه متناسلاً إلاّ من خلقه مؤملاً؟ ومن أعطاه آلات العمل إلاّ من خلقه عاملاً؟ ومن خلقه عاملاً إلاّ من جعله محتاجاً؟ ومن جعله محتاجاً إلاّ من ضربه بالحاجة؟ ومن ضربه بالحاجة إلاّ من توكّل بتقويمه؟ ومن خصّه بالفهم إلاّ من أوجب الجزاء؟ ومن وهب له الحيلة إلاّ من ملّكه الحول؟ ومن ملّكه الحول إلاّ من ألزمه الحجّة؟ ومن يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلاّ من لم يبلغ مدى شكره.

فكّر وتدبّر ما وصفته، هل تجد الإهمال يأتي على مثل هذا النظام والترتيب، تبارك الله تعالى عمّا يصفون.

من أسرار القلب

أصف لك الآن يا مفضّل الفؤاد...

اِعلم أن فيه ثقباً موجهة نحو الثقب التي في الرئة تروّح عن الفؤاد، حتى لو اختلفت تلك الثقب وتزايل بعضها عن بعض، لما وصل الروح إلى الفؤاد، ولهلك الإنسان أفيستجيز ذو فكرة وروية أن يزعم أن مثل هذا يكون بالإهمال، ولا يجد شاهداً من نفسه يزعه[1] عن هذا القول؟ لو

---

(١) يزعه: يكفّه ويمنعه.

رأيت فرداً من مصراعين فيه كلّوب[١] أكنت تتوهّم أنه جعل كذلك بلا معنى؟ بل كنت تعلم ضرورة أنه مصنوع يلقى فرداً آخر، فيبرزه ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة، وهكذا تجد الذكر من الحيوان، كأنه فرد من زوج مهيأ من فرد أُنثى، فيلتقيان لما فيه من دوام النسل وبقائه، فتبًّا وخيبةً وتعساً لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتى أنكروا التدبير والعمد فيها؟

الجهاز التناسلي

لو كان فرج الرجل مسترخياً، كيف كان يصل إلى قعر الرحم، حتى يفرغ النطفة فيه؟ ولو كان منعضاً[٢] أبداً كيف كان الرجل يتقلّب في الفراش، أو يمشي بين الناس وشيء شاخص أمامه، ثم يكون في ذلك مع قبح المنظر، تحريك الشهوة في كل وقت من الرجال والنساء جميعاً، فقدّر الله جلّ اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت، ولا يكون على الرجال منه مؤونة، بل جعل فيه قوة الانتصاب وقت الحاجة إلى ذلك، لما قدر أن يكون فيه من دوام النسل وبقائه.

الدافعة في الإنسان

اعتبر الآن يا مفضّل بعظم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى، أليس من حُسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع منها، فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيأ للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه، فلم يجعله بارزاً من خلفه، ولا ناشزاً

---

(١) الكلوب: بفتح الأول وتشديد الثاني، مفرد كلاليب: خشبة أو حديدة معطوفة الرأس.
(٢) المنعض: كأنه مأخوذ من العض وهو القرن يريد أنه صلب شديد.

من بين يديه، بل هو مغيب في موضع غامض من البدن، مستور محجوب، يلتقي عليه الفخذان، وتحجبه الإليتان بما عليهما من اللحم فتواريانه، فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء، وجلس تلك الجلسة ألفى ذلك المنفذ منه منصباً، مهيّأ لانحدار الثقل، فتبارك من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعماؤه.

تركيبة الأسنان

فكّر يا مفضّل في هذه الطواحن، التي جعلت للإنسان، فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه، وبعضها عراض لمضغه ورضّه، فلم ينقص واحد من الصفتين، إذ كان محتاجاً إليهما جميعاً.

حكمة الشعر والأظفار

تأمّل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار، فإنهما لما كانا ممّا يطول ويكثر، حتى يحتاج إلى تخفيفه أولاً فأولاً جعلا عديما الحس، لئلا يؤلم الإنسان الأخذ منهما، ولو كان قصّ الشعر وتقليم الأظفار ممّا يوجد له ألم، وقع من ذلك بين مكروهين، إما أن يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه، وإمّا أن يخففه بوجع وألم يتألّم منه.

قال المفضّل: فقلت: فلم لم يجعل ذلك خلقة لا تزيد فيحتاج الإنسان إلى النقصان منه.

فقال عليه السلام: إن لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعماً لا يعرفها، فيحمده عليها... إعلم أن آلام البدن وأدواءه تخرج بخروج الشعر في مسامه، وبخروج الأظفار من أناملها، ولذلك أمر الإنسان بالنورة، وحلق

الرأس، وقصّ الأظفار، في كل أسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات، فتخرج الآلام والأدواء بخروجهما... وإذا طالا تحيّرا، وقلّ خروجهما، فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت عللاً وأوجاعاً، ومنع ـ مع ذلك ـ الشعر من المواضع التي تضرّ بالإنسان، وتحدث عليه الفساد والضرّ لو نبت الشعر في العين، ألم يكن سيعمي البصر؟ ولو نبت في الفم، ألم يكن سينغصّ على الإنسان طعامه وشرابه؟ ولو نبت في باطن الكفّ، ألم يكن سيعوقه عن صحّة اللمس وبعض الأعمال؟ ولو نبت في فرج المرأة وعلى ذكر الرجل، ألم يكن سيفسد عليهما لذّة الجماع؟... فانظر كيف تنكب الشعر عن هذه المواضع، لما في ذلك من المصلحة، ثم ليس هذا في الإنسان فقط، بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات، فإنك ترى أجسامها مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه، فتأمّل الخلقة كيف تتحرز وجوه الخطأ والمضرّة، وتأتي بالصواب والمنفعة.

شعر الركب والإبطين

إن المنانية وأشباههم، حين أجهدوا في عيب الخلقة والعمد[١] عابوا الشعر النابت على الركب والإبطين، ولم يعلموا أن ذلك من رطوبة تنصب إلى هذه المواضع، فينبت فيها الشعر كما ينبت العشب في مستنقع المياه أفلا ترى إلى هذه المواضع أستر وأهيأ لقبول تلك الفضلة من غيرها؟... ثم إن هذه تُعدّ ممّا يحمل الإنسان من مؤونة هذا البدن وتكاليفه، لما له في ذلك من المصلحة، فإن اهتمامه بتنظيف بدنه، وأخذ

---

(١) يقال: فعله عمداً وعن عمد أي قصداً لا عن طريق الصدفة.

ما يعلوه من الشعر، ممّا يكسر به شِرّته[١] ويكف عاديته[٢] ويشغله عن بعض ما يخرجه إليه الفراغ من الأشر[٣] والبطالة.

رطوبات الفم

تأمّل الريق وما فيه من المنفعة، فإنه جعل يجري جرياناً دائماً إلى الفم، ليبل الحلق واللهوات[٤] فلا يجفّ، فإن هذه المواضع لو جعلت كذلك، كان فيه هلاك الأسنان ثم كان لا يستطيع أن يسيغ طعاماً، إذا لم يكن في الفم بلة تنفذه، تشهد بذلك المشاهدة، واعلم أن الرطوبة مطية الغذاء وقد تجري من هذه البلّة إلى مواضع أخر من المرة فيكون في ذلك صلاح تام للإنسان، ولو يبست المرة لهلك الإنسان.

وقفة مع المتفلسفين

ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين، وضعفة المتفلسفين بقلّة التمييز وقصور العلم: لو كان بطن الإنسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب إذا شاء فيعاين ما فيه، ويدخل يده فيعالج ما أراد علاجه ألم يكن أصلح من أن يكون مصمتاً محجوباً عن البصر واليد، لا يعرف ما فيه إلاّ بدلالات غامضة، كمطل النظر إلى البول، وجسّ العرق، وما أشبه ذلك ممّا يكثر فيه الغلط والشبهة، حتى ربما كان ذلك سبباً للموت، فلو علم هؤلاء الجهلة أن هذا لو كان هكذا، كان أول ما فيه أن كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت وكان يستشعر البقاء ويغترّ بالسلامة فيخرجه

---

(١) الشرة ـ بكسر فتشديد ـ: الحدّة والنشاط أو الشر.

(٢) العادية: الحدّة والغضب أو الشغل أو الظلم والشر.

(٣) الأشر ـ بفتحتين ـ : البطر وشدّة الفرح والجمع أشرون وأشارى.

(٤) اللهوات: جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

ذلك إلى العتوّ والأشر، ثم كانت الرطوبات التي في البطن تترشّح وتتحلب فيفسد على الإنسان مقعده ومرقده وثياب بدلته وزينته، بل كان يفسد عليه عيشه، ثم إن المعدة والكبد والفؤاد إنما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها الله محتبسة في الجوف، فلو كان في البطن فرج ينفتح حتى يصل البصر إلى رؤيته واليد إلى علاجه، لوصل برد الهواء إلى الجوف، فمازج الحرارة الغريزية، وبطل عمل الأحشاء، فكان في ذلك هلاك الإنسان، أفلا ترى أن كل ما تذهب إليه الأوهام ـ سوى ما جاءت به الخلقة ـ خطأ وخطل.

الرغبات النفسية

فكّر يا مفضّل في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعم والنوم والجماع وما دبّر فيها... فإنه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرّك يقتضيه ويستحث به، فالجوع يقتضي الطعم الذي فيه راحة البدن وقوامه، والكرى[1] يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام[2] قواه، والشبق[3] يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه، ولو كان الإنسان إنما يصير إلى أكل الطعام، لمعرفته بحاجة بدنه إليه، ولم يجد من طباعه شيئاً يضطّره إلى ذلك، كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً بالثقل والكسل، حتى ينهار بدنه فيهلك، كما يحتاج الواحد إلى الدواء لشيء ممّا يصلح به بدنه فيدافع به حتى يؤدّيه ذلك إلى المرض والموت.

وكذلك لو كان إنما يصير إلى النوم بالفكر في حاجته إلى راحة البدن

---

(١) الكرى: النعاس.
(٢) الإجمام: من الجمام وهو الراحة.
(٣) الشبق: بفتحتين شدّة الشهوة.

وإجمام قواه كان عسى أن يتثاقل عن ذلك، فيدفعه حتى ينهك بدنه، ولو كان إنما يتحرّك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه، حتى يقلّ النسل أو ينقطع فإن من الناس من لا يرغب في الولد، ولا يحفل به.

فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال التي بها قوام الإنسان وصلاحه، محرّكاً من نفس الطبع يحرّكه لذلك، ويحدوه عليه.

القوى الأربع في الإنسان

واعلم أن في الإنسان قوى أربعاً: قوّة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة. وقوة ماسكة تحبس الطعام، حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها. وقوة هاضمة وهي التي تطبخه، وتستخرج صفوه، وتبثّه في البدن. وقوة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل بعد أخذ الهاضمة حاجتها. ففكّر في تقدير هذه القوى الأربع التي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها والأرب فيها، وما في ذلك من التدبير والحكمة، فلولا الجاذبة كيف كان يتحرّك الإنسان لطلب الغذاء الذي به قوام البدن؟ ولولا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة؟ ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسد خلله؟ ولولا الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلّفه الهاضمة يندفع ويخرج أولاً فأولاً؟ أفلا ترى كيف وكّل الله سبحانه ـ بلطف صنعه وحُسن تقديره ـ هذه القوى بالبدن، والقيام بما فيه صلاحه.

الإنسان كون كبير

وسأمثّل لك في ذلك مثالاً: إن البدن بمنزلة دار الملك، له فيها حشم وصبية وقوام موكّلون بالدار، فواحد لقضاء حوائج الحشم وإيرادها

عليهم، وآخر لقبض ما يرد وخزنه، إلى أن يُعالج ويُهيأ، وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه، وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقذار وإخراجه منها، فالملك في هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين، والدار هي البدن، والحشم هم الأعضاء، والقوم هم هذه القوى الأربع، ولعلّك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها ـ بعد الذي وصفت ـ فضلاً وتزداداً وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الأطباء ولا قولنا فيه كقولهم، لأنهم ذكروها على ما يحتاج إليه في صناعة الطب وتصحيح الأبدان، وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغيّ كالذي أوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها.

نعمة الجوانح

تأمّل يا مفضّل هذه القوى التي في النفس، وموقعها من الإنسان، أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك، أفرأيت لو نقص الإنسان [من ـ خ] هذه الخلال الحفظ وحده، كيف كانت تكون حاله، وكم من خلل كان يدخل عليه في أموره ومعاشه وتجاربه، إذا لم يحفظ ما له وما عليه وما أخذه وما أعطى وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من أحسن إليه ممّن أساء به، وما نفعه مما ضرّه، ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى، ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره، ولا يعتقد ديناً، ولا ينتفع بتجربة، ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الإنسانية.

فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال، وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع، وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في

النسيان، فإنه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة، ولا انقضت له حسرة، ولا مات له حقد، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكّر الآفات، ولا رجاء غفلة من سلطان، ولا فترة من حاسد، أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان ومتضادان، وجعل له في كلّ منهما ضرباً من المصلحة، وما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين في هذه الأشياء المتضادة المتباينة، وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة.

تكريم الإنسان بالحياء

اُنظر يا مفضّل إلى ما خصّ به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدره، العظيم غناؤه، أعني: الحياء، فلولاه لم يقر ضيف[١] ولم يوف بالعداة، ولم تقض الحوائج، ولم يتحرّ الجميل، ولم يتنكّب القبيح في شيء من الأشياء، حتى أن كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً إنما يفعل للحياء فإن من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم، ولم يؤدّ أمانة، ولم يعف عن فاحشة. . . أفلا ترى كيف وفي الإنسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام أمره.

تفضيل الإنسان بالقلم والبيان

تأمّل يا مفضّل ما أنعم الله ـ تقدّست أسماؤه ـ به على الإنسان، من هذا المنطق الذي يعبر به عمّا في ضميره، وما يخطر بقلبه، وينتجه فكره، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة، التي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبر شيئاً،

---

(١) قرى الضيف: أضافه.

وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للآتين، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب، ولولاه لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض، وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودرست العلوم وضاعت الآداب، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم، وما رُوي لهم، ممّا لا يسعهم جهله، ولعلّك تظن أنها ممّا يخلص إليه بالحيلة والفطنة، وليست ممّا أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه.

وكذلك الكلام، إنما هو شيء يصطلح عليه الناس، فيجري بينهم ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة، وكذلك الكتابة العربي والسرياني والعبراني والرومي، وغيرها من سائر الكتابة، التي هي متفرّقة في الأمم إنما اصطلحوا عليها، كما اصطلحوا على الكلام، فيقال لمن ادّعى ذلك:

إن الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة، فإن الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة، عطية وهبة من الله عزَّ وجلَّ له في خلقه، فإنه لو لم يكن له لسان مهيّأ للكلام، وذهن يهتدي به للأمور، لم يكن ليتكلم أبداً ولو لم تكن له كفّ مهيّأة وأصابع للكتابة، لم يكن ليكتب أبداً.

واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة، فأصل ذلك فطرة الباري جلّ وعزّ، وما تفضّل به على خلقه، فمن شكر أُثيب، ومن كفر فإن الله غنيّ عن العالمين.

من أسرار الفطرة

فكّر يا مفضّل فيما أُعطي الإنسان علمه وما منع، فإنه أُعطي جميع علم ما فيه صلاح دينه ودنياه، فممّا فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق، ومعرفة الواجب عليه، من العدل على الناس كافّة، وبِرّ الوالدين، وأداء الأمانة، ومواساة أهل الخلّة، وأشباه ذلك، ممّا قد توجد معرفته، والإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة، من كل أمة موافقة أو مخالفة، وكذلك أعطي علم ما فيه صلاح دنياه، كالزراعة والغراس، واستخراج الأرضين، واقتناء الأغنام والأنعام، واستنباط المياه، ومعرفة العقاقير التي يستشفي بها من ضروب الأسقام، والمعادن التي يستخرج منها أنواع الجواهر، وركوب السفن، والغوص في البحر، وضروب الحيل في صيد الوحوش والطير والحيتان، والتصرّف في الصناعات، ووجوه المتاجر والمكاسب، وغير ذلك ممّا يطول شرحه ويكثر تعداده، ممّا فيه صلاح أمره في هذه الدار، فأعطي ما يصلح به دينه ودنياه، ومنع ما سوى ذلك، ممّا ليس في شأنه ولا طاقته أن يعلم، كعلم الغيب وما هو كائن، وبعض ما قد كان أيضاً، كعلم ما فوق السماء وما تحت الأرض، وما في لجج البحار وأقطار العالم، وما في قلوب الناس وما في الأرحام وأشباه هذا ممّا حجب عن الناس علمه. . .

فانظر كيف أعطي الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه لدينه ودنياه، وحجب عنه ما سوى ذلك، ليعرف قدره ونقصه، وكلا الأمرين فيهما صلاحه.

علم الآجال

تأمّل الآن يا مفضّل ما ستر عن الإنسان علمه من مدّة حياته، فإنه لو

عرف مقدار عمره ـ وكان قصير العمر ـ لم يتهنأ بالعيش، مع ترقّب الموت وتوقّعه، لوقت قد عرفه، بل كان يكون بمنزلة من قد فنى ماله، أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر، والوجل من فناء ماله وخوف الفقر، على أن الذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال، لأن من يقلّ ماله يأمل أن يستخلف منه، فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس، وإن كان طويل العمر، ثم عرف ذلك، وثق بالبقاء، وانهمك في اللّذات والمعاصي، وعمل على أنه يبلغ من ذلك شهوته، ثم يتوب في آخر عمره، وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله، ألا ترى لو أن عبداً لك عمل على أنه يسخطك سنة ويرضيك يوماً أو شهراً، لم تقبل ذلك منه، ولم يحل عندك محل العبد الصالح دون أن يضمر طاعتك ونصحك في كل الأمور وفي كل الأوقات، على تصرف الحالات.

بين الخوف والرجاء

فإن قلت: أو ليس قد يقيم الإنسان على المعصية حيناً ثم يتوب فتقبل توبته؟

قلنا: إن ذلك شيء يكون من الإنسان لغلبة الشهوات له وتركه مخالفتها، من غير أن يقدّرها في نفسه، ويبني عليها أمره، فيصفح الله عنه، ويتفضّل عليه بالمغفرة، فأما من قدر أمره على أن يعصي ما بدا له، ثم يتوب آخر ذلك، فإنما يحاول خديعة من لا يخادع، بأن يتسلف التلذّذ في العاجل، ويعد ويُمني نفسه بالتوبة في الآجل، ولأنه لا يفي بما يعد من ذلك، فإن النزوع من الترفة والتلذّذ ومعاناة التوبة، ولاسيما عند الكبر

وضعف البدن، أمر صعب، ولا يؤمن على الإنسان، مع مدافعته بالتوبة أن يرهقه الموت، فيخرج من الدنيا غير تائب، كما قد يكون على الواحد دَين إلى أجل، وقد يقدر على قضائه، فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الأجل، وقد نفد المال، فيبقى الدَين قائماً عليه، فكان خير الأشياء للإنسان أن يُستَر عنه مبلغ عمره، فيكون طول عمره يترقّب الموت، فيترك المعاصي، ويؤثر العمل الصالح.

حكمة ترقّب الموت

فإن قلت: وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته، وصار يترقّب الموت في كل ساعة يقارف الفواحش وينتهك المحارم؟

قلنا: إن وجه التدبير في هذا الباب، هو الذي جرى عليه الأمر فيه فإن كان الإنسان مع ذلك لا يرعوي[١] ولا ينصرف عن المساوي، فإنما ذلك من مرحه ومن قساوة قلبه، لا من خطأ في التدبير، كما أن الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به، فإن كان المريض مخالفاً لقول الطبيب، لا يعمل بما يأمره ولا ينتهي عمّا ينهاه عنه، لم ينتفع بصفته، ولم تكن الإساءة في ذلك للطبيب بل للمريض، حيث لم يقبل منه، ولئن كان الإنسان مع ترقّبه للموت كل ساعة لا يمتنع عن المعاصي، فإنه لو وثق بطول البقاء كان أحرى بأن يخرج إلى الكبائر الفظيعة. . . فترقّب الموت على كل حال خير له من الثقة بالبقاء، ثم إن ترقّب الموت وإن كان صنف من الناس يلهون عنه، ولا يتّعظون به فقد يتّعظ به صنف آخر منهم وينزعون عن المعاصي ويؤثرون العمل الصالح، ويجودون بالأموال

---

(١) الارعواء: الكف عن الشيء.

والعقائل[١] النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع أولئك حظّهم منها.

من أسرار الرؤيا

فكّر يا مفضّل في الأحلام كيف دبّر الأمر فيها فمزج صادقها بكاذبها، فإنها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلّهم أنبياء، ولو كانت كلها تكذب، لم يكن فيها منفعة، بل كانت فضلاً لا معنى له، فصارت تصدق أحياناً، فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدى لها، أو مضرّة يتحذّر منها، وتكذب كثيراً لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد.

كل شيء من أجل الإنسان

فكّر يا مفضّل في هذه الأشياء التي تراها موجودة معدّة في العالم من مآربهم، فالتراب للبناء، والحديد للصناعات، والخشب للسفن وغيرها، والحجارة للأرحاء[٢] وغيرها، والنحاس للأواني، والذهب والفضة للمعاملة والذخيرة، والحبوب للغذاء، والثمار للتفكّه، واللّحم للمآكل، والطيب للتلذّذ، والأدوية للتصحّح[٣]، والدواب للحمولة، والحطب للتوقّد، والرماد للكلس[٤] والرمل للأرض، وكم عسى أن يحصي المحصي من هذا وشبهه... أرأيت لو أن داخلاً دخل داراً فنظر إلى خزائن مملوءة من كل ما يحتاج إليه الناس، ورأى كل ما فيها مجموعاً

---

(١) العقائل: جمع عقيلة، والعقيلة من كل شيء هي أكرمه.
(٢) الأرحاء: جمع رحى، وهي الطاحونة.
(٣) التصحح: من صحح المريض، أزال مرضه.
(٤) الكلس، بالكسر: ما يقوم به الحجر والرخام ونحوهما ويتّخذ منها بإحراقها.

معدّاً لأسباب معروفة أكان يتوهّم أن مثل هذا يكون بالإهمال ومن غير عمد؟ فكيف يستجيز قائل أن يقول هذا من صنع الطبيعة في العالم، وما أعدّ فيه من هذه الأشياء.

حكمة الاشتغال

اعتبر يا مفضّل بأشياء خلقت لمآرب الإنسان، وما فيها من التدبير فإنه خلق له الحب لطعامه، وكلف طحنه وعجنه وخبزه، وخلق له الوبر لكسوته، فكلف ندفه وغزله ونسجه، وخلق له الشجر، فكلّف غرسها وسقيها والقيام عليها، وخلقت له العقاقير لأدويته، فكلّف لقطعها وخطلها وصنعها، وكذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال.

فانظر كيف كفى الخلقة التي لم يكن عنده فيها حيلة، وترك عليه في كل شيء من الأشياء موضع عمل وحركة، لما له في ذلك من الصلاح لأنّه لو كفي هذا كلّه حتى لا يكون له في الأشياء موضع شغل وعمل، لما حملته الأرض أشِراً وبَطِراً، ولبلغ به ذلك إلى أن يتعاطى أموراً فيها تلف نفسه، ولو كفي الناس كل ما يحتاجون إليه لما تهنأوا بالعيش ولا وجدوا له لذّة. . . ألا ترى لو أن امرءاً نزل بقوم، فأقام حيناً بلغ جميع ما يحتاج إليه من مطعم ومشرب وخدمة، لتبرّم بالفراغ ونازعته نفسه إلى التشاغل بشيء، فكيف لو كان طول عمره مكفياً لا يحتاج إلى الشيء؟ فكان من صواب التدبير في هذه الأشياء التي خلقت للإنسان: أن جعل له فيها موضع شغل، لكيلا تبرمه البطالة، ولتكفه عن تعاطي ما لا يناله، ولا خير فيه إن ناله.

الخبز والماء

واعلم يا مفضّل أن رأس معاش الإنسان وحياته: الخبز والماء.

فانظر كيف دبّر الأمر فيهما، فإن حاجة الإنسان إلى الماء أشدّ من حاجته إلى الخبز، وذلك أن صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش، والذي يحتاج إليه من الماء أكثر مما يحتاج إليه من الخبز، لأنه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه، فجعل الماء مبذولاً لا يُشترى لتسقط عن الإنسان المؤونة في طلبه وتكلّفه، وجعل الخبز متعذّراً لا ينال إلاّ بالحيلة والحركة، ليكون للإنسان في ذلك شغل يكفه عمّا يخرجه إليه الفراغ من الأشر والعبث، ألا ترى أن الصبي يدفع إلى المؤدب، وهو طفل لم تكمل ذاته للتعليم، كل ذلك ليشتغل عن اللعب والعبث اللذين ربما جنيا عليه وعلى أهله المكروه العظيم، وهكذا الإنسان لو خلا من الشغل، لخرج من الأشر والعبث والبطر، إلى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه، واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة[١] ورفاهية العيش والترفّه والكفاية، وما يخرجه ذلك إليه.

حكمة الاختلاف

اعتبر لِمَ لا يتشابه الناس واحد بالآخر، كما تتشابه الوحوش والطير وغير ذلك، فإنك ترى السرب من الظباء والقطا تتشابه حتى لا يفرق بين واحد منها وبين الأخرى، وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم، حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة، والعلّة في ذلك أن الناس محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحلاهم، لما يجري بينهم من المعاملات، وليس يجري بين البهائم مثل ذلك، فيحتاج إلى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته، ألا ترى أن التشابه في الطير والوحش لا يضرّها شيئاً، وليس كذلك الإنسان، فإنه ربما تشابه التوأم تشابهاً شديداً فتعظم

---

(١) الجدة، بالتخفيف: الغنى.

المؤونة على الناس في معاملتهما، حتى يعطى أحدهما بالآخر، ويؤخذ أحدهما بذنبِ الآخر، وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأشياء، فضلاً عن تشابه الصور، فَمَن لَطُف بعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال، حتى وقف بها على الصواب، إلاّ من وسعت رحمته كل شيء.

لو رأيتِ تمثال الإنسان مصوراً على حائط، وقال لك قائل: إن هذا ظهر هنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع! أكنت تقبل ذلك؟ بل كنت تستهزىء به، فكيف تنكر هذا في تمثال مصور جماد، ولا تنكر في الإنسان الحي الناطق.

تكاملية الأجسام

لم صارت أبدان الحيوان ـ وهي تغتذي أبداً ـ لا تنمى، بل تنتهي إلى غاية من النمو، ثم تقف ولا تتجاوزها، لولا التدبير في ذلك، فإن تدبير الحكيم فيها أن تكون أبدان كل صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت في الكبير والصغير وصارت تنمى حتى تصل إلى غايتها، ثمّ تقف ثم لا تزيد، والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع، ولو تنمى نمواً دائماً لعظمت أبدانها، واشتبهت مقاديرها حتى لا يكون لشيء منها حدّ يُعرف.

الوجع والآلام

لم صارت أجسام الإنس خاصة تثقل عن الحركة والمشي، وتجفو عن الصناعات اللطيفة، إلاّ لتعظيم المؤونة فيما يحتاج إليه الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك، لو كان الإنسان لا يصيبه ألم ولا وجع، بم كان يرتدع عن الفواحش، ويتواضع لله، ويتعطّف على الناس، أما ترى الإنسان إذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب إلى ربّه في

العافية، وبسط يده بالصدقة، ولو كان لا يألم من الضرب بم كان السلطان يعاقب الدعار[١] ويذل العصاة المردة، وبم كان الصبيان يتعلّمون العلوم والصناعات، وبم كان العبيد يذلون لأربابهم، ويذعنون لطاعتهم، أفليس هذا توبيخ «ابن أبي العوجاء» وذويه الذين جحدوا التدبير.

و«المانوية» الذين أنكروا الوجع والألم.

الزوجية في كل شيء

ولو لم يولد من الحيوان إلاّ ذكر فقط أو أنثى فقط، ألم يكن النسل منقطعاً وباد مع أجناس الحيوان، فصار بعض الأولاد يأتي ذكوراً وبعضها يأتي إناثاً ليدوم التناسل ولا ينقطع.

من أسرار الزوجية

لم صار الرجل والمرأة إذا أدركا تنبت لهما العانة، ثم تنبت اللحية للرجل، وتتخلف عن المرأة، لولا التدبير في ذلك، فإنه لما جعل الله تبارك وتعالى الرجل قيماً ورقيباً على المرأة، وجعل المرأة عرساً وخولاً[٢] للرجل، أعطى الرجل اللحية، لما له من العزّ والجلالة والهيبة، ومنعها المرأة، لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة والمضاجعة، أفلا ترى الخلقة وكيف تأتي بالصواب في الأشياء، وتتخلّل مواضع الخطأ فتعطي وتمنع على قدر الأرب والمصلحة بتدبير الحكيم عزَّ وجلَّ.

---

(١) الدعار: جمع داعر، وهو: الخبيث.

(٢) الخول ـ بفتحتين ـ: حاشية الرجل.

نهاية وبداية

قال المفضّل: ثم حان وقت الزوال، فقام مولاي إلى الصلاة، وقال: بكّر إليّ غداً إن شاء الله تعالى، فانصرفت من عنده مسروراً بما عرفته، مبتهجاً بما أوتيته، حامداً الله تعالى عزَّ وجلَّ على ما أنعم به عليّ، شاكراً لأنعمه على ما منحني بما عرّفنيه مولاي، وتفضّل به عليّ، فبتّ في ليلتي مسروراً بما منحنيه، محبوراً بما علّمنيه.

قال المفضّل: فلما كان اليوم الثاني بكّرت إلى مولاي فاستؤذن لي فدخلت، فأمرني بالجلوس فجلست فقال:

الحمد لله مدبر الأدوار[١]، ومعيد الأكوار[٢]، طبقاً[٣] عن طبق، وعالماً بعد عالم، ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحُسنى عدلاً منه، تقدّست أسماؤه، وجلت آلاؤه، لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، يشهد بذلك قوله جلّ قدمه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ في نظائر لها في كتابه الذي فيه تبيان كل شيء و﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ولذلك قال سيدنا محمد صلوات الله عليه وعلى آله: «إنما هي أعمالكم ترد إليكم».

ثم أطرق الإمام هنيئة وقال: يا مفضّل الخلق حيارى عمهون[٤] سكارى في طغيانهم يتردّدون، وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون، بصراء

---

(١) الأدوار: جمع دور، مصدر بمعنى الحركة.

(٢) الأكوار: جمع كور بالفتح، مصدر بمعنى الجماعة الكثيرة.

(٣) الطبق: وجه الأرض.

(٤) عمهون: جمع عمه بفتح فكسر، وهو المتردّد في الضلال والمتحيّر في أمره أو طريقه.

عُمي لا يبصرون، نطقاء بُكم لا يعقلون، سمعاء صُم لا يسمعون، رضوا بالدون، وحسبوا أنهم مهتدون، حادوا عن مدرجة الأكياس[١] ورتعوا في مرعى الأرجاس الأنجاس، كأنهم من مفاجآت الموت آمنون، وعن المجازات مزحزحون، يا ويلهم ما أشقاهم، وأطول عناءهم واشدّ بلاءهم ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾.

قال المفضّل: فبكيت لما سمعت منه. فقال: لا تبك تخلّصت إذ قبلت، ونجوت إذ عرفت.

من أسرار الحيوان

ثم قال: أبتدىء لك بذكر الحيوان ليتّضح لك من أمره ما وضح لك من غيره، فكّر في أبنية أبدان الحيوان وتهيئتها على ما هي عليه فلا هي صلاب كالحجارة، ولو كانت كذلك لا تنثني ولا تتصرف في الأعمال، ولا هي على غاية اللين والرخاوة، فكانت لا تتحامل ولا تستقل بأنفسها، فجعلت من لحم رخو ينثني، تتداخله عظام صلاب يمسكه عصب وعروق تشدّه، وتضمّ بعضه إلى بعض، وغلّفت فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كلّه وأشباه ذلك، هذه التماثيل التي تعمل من العيدان، وتُلف بالخرق وتُشد بالخيوط، وتُطلى فوق ذلك بالصمغ فتكون العيدان بمنزلة العظام، والخرق بمنزلة اللحم، والخيوط بمنزلة العصب والعروق، والطلاء بمنزلة الجلد، فإن جاز أن يكون الحيوان المتحرّك حدث بالإهمال من غير صانع جاز أن يكون ذلك في هذه التماثيل الميتة، فإن كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحري أن لا يجوز في الحيوان.

---

(١) الأكياس: جمع كيّس بتشديد الياء، أي الفَطِن، الحسن الفهم والأدب.

الأنعام في خدمة الإنسان

وفكّر يا مفضّل ـ بعد هذا ـ في أجساد الأنعام فإنها حين خلقت على أبدان الإنس من اللحم والعظم والعصب، أُعطيت أيضاً السمع والبصر ليبلغ الإنسان حاجته، فإنها لو كانت عمياً صماً لما انتفع بها الإنسان ولا تصرّفت في شيء من مآربه، ثم منعت الذهن والعقل لتذلّ للإنسان، فلا تمتنع عليه، إذا كدّها الكدّ الشديد، وحملها الحمل الثقيل، فإن قال قائل إنه قد يكون للإنسان عبيد من الإنس، يذلّون ويذعنون بالكد الشديد، وهم مع ذلك غير عديمي العقل والذهن، فيقال في جواب ذلك إن هذا الصنف من الناس قليل، فأما أكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن به الدواب من الحمل والطحن وما أشبه ذلك، ولا يغرون بما يحتاج إليه منه، ثم لو كان الناس يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الأعمال، لأنه كان يحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الواحد إلى عدّة أناسي، فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتى لا يكون فيهم عنه فضل لشيء من الصناعات مع ما يلحقه من التعب الفادح في أبدانهم والضيق والكدّ في معاشهم.

حكمة الكفّين والأصابع

فكّر يا مفضّل في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها، على ما هي عليه ممّا فيه صلاح كل واحد منها، فالإنس لما قدروا أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة والصياغة والخياطة، وغير ذلك خلقت لهم أكفّ كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكّنوا من القبض على الأشياء، وأوكدها هذه الصناعات.

ذوات البراثن والمخالب

وآكلات اللحم لما قدر أن تكون معائشها من الصيد، خلقت لهم أكفّ لطاف مدمجة[١] وذوات براثن[٢] ومخالب[٣] تلح لأخذ الصيد ولا تصلح للصناعات، وآكلات النبات لما قدر أن يكونوا، لا ذوات صنعة ولا ذات صيد خلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونة الأرض إذا حاولت طلب المرعى، ولبعضها حوافر ململمة[٤] ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض عند تهيّئها للركوب والحمولة.

سباع الوحش والطير

تأمّل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان، حين خلقت ذوات أسنان حداد، وبراثن شداد، وأشداق وأفواه واسعة، فإنه لما قدر أن يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك وأعينت بسلاح، وأدوات تصلح للصيد، وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخالب مهيّئة لفعلها، ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد أعطيت ما لا تحتاج إليه، لأنها لا تصيد ولا تأكل اللحم، ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج إليه، أعني السلاح الذي تصيد به وتتعيش؛ أفلا ترى كيف أعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبقته، بل ما فيه بقاؤه وصلاحه.

---

(١) مدمجة: أي مستقيمة محكمة متداخلة.
(٢) البراثن: جمع برثن بالضم ـ من السباع والطير، بمنزلة الإصبع من الإنسان.
(٣) المخالب: جمع مخلب بالكسر، وهو الظفر خصوصاً من السباع.
(٤) ململمة: أي مجموعة بعضها إلى بعض.

صغار الحيوان

اُنظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أماتها[١] مستقلّة بأنفسها لا تحتاج إلى الحمل والتربية كما تحتاج أولاد الإنس، فمن أجل أنه ليس عند أمّاتها ما عند أمّهات البشر من الرفق والعلم بالتربية، والقوة عليها بالأكف والأصابع المهيّأة لذلك أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها وكذلك ترى كثيراً من الطير كمثل الدجاج والدراج والقبج، تدرج وتلقط حين تنقاب عنها البيضة.

فأما ما كان منها ضعيفاً لا نهوض فيه، كمثل فراخ الحمام واليمام[٢] والحُمّر[٣] فقد جعل في الأمهات فضل عطف عليها، فصارت تمجّ الطعام في أفواهها بعدما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل بأنفسها، ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيرة مثل ما ترزق الدجاج، لتقوى الأم على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكلاً أُعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير.

حكمة الأرجل والقوائم

انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجاً، لتتهيّأ للمشي، ولو كانت أفراداً لم تصلح لذلك، لأن الماشي ينقل قوائمه يعتمد على بعض فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة، وذو الأربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف، لأنّ ذا الأربع لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه، ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر، لم يثبت على الأرض،

---

(١) الأمات: جمع أم وقيل إنها تستعمل في البهائم، وأما في الناس فهي أمّهات.

(٢) اليمام: الحمام الوحشي.

(٣) الحُمّر: بضم فتشديد، طائر أحمر اللون والواحدة حمرة.

كما يثبت السرير وما أشبهه، فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره، وينقل الأخريين أيضاً من خلاف، فيثبت على الأرض، ولا يسقط إذا مشى.

حكمة تسخير الأنعام

أما ترى الحمار كيف يذلّ للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعاً منعماً، والبعير لا يطيقه عدّة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي؟ والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه، حتى يضع النير[١] على عنقه، ويحرث به؟ والفرس الكريم يركب[٢] السيوف والأسنّة بالمواتاة لفارسه، والقطيع من الغنم يرعاه واحد، ولو تفرّقت الغنم فأخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها، وكذلك جميع الأصناف المسخّرة للإنسان، كانت كذلك؟ إلا بأنها عدمت العقل والروية، فإنها لو كانت تعقل وتتروى في الأمور كانت خليقة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه، وتتفرّق الغنم عن راعيها وأشباه هذا من الأمور.

السباع لا عقل لها

وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل وروية فتوازرت[٣] على الناس، كانت خليقة أن تجتاحهم، فمن كان يقوم للأسد والذئاب والنمور والدببة، لو تعاونت وتظاهرت على الناس؟ أفلا ترى كيف حجر[٤] ذلك عليها وصارت مكان ما كان يخاف من إقدامها ونكايتها،

---

(١) النير، بالكسر: الخشبة المعترضة في عنقي الثورين بأدائها، والجمع أنيار ونيران.

(٢) يركب السيوف والأسنّة: أي يُلقي نفسه عليها.

(٣) توازرت: أي اجتمعت واتّحدت.

(٤) حجر عليه الأمر: حرمه ومنعه.

تهاب مساكن الناس وتحجم عنها، ثم لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها إلاّ بالليل، فهي مع صولتها كالخائف من الإنس بل مقموعة[١] ممنوعة منهم ولو كان ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيّقت عليهم.

حارس الماشية

ثم جعل الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه، وحافظ له، ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه وذبّ الذعار عنه، ويبلغ من محبّته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله ويألفه غاية الإلف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة، فلم طبع الكلب على هذه الأُلفة والمحبة؟ إلاّ ليكون حارساً للإنسان، له عين[٢] بأنياب ومخالب، ونباح هائل، ليذعر منه السارق، ويتجنّب المواضع التي يحميها ويخفرها.

الدابّة وحكمة تركيبها

يا مفضّل تأمّل وجه الدابة كيف هو؟ فإنك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها، لئلا تصدم حائطاً، أو تتردّى في حفرة، وترى الفم مشقوقاً شقاً في أسفل الخطم[٣] ولو شق كمكان الفم من الإنسان في مقدم الذقن، لما استطاع أن يتناول به شيئاً من الأرض، ألا ترى أن الإنسان لا يتناول الطعام بفيه ولكن بيده، تكرمة له على سائر الآكلات، فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جعل خرطومها مشقوقاً من أسفله،

(١) مقموعة: مقهورة ذليلة.

(٢) العين: بالفتح، الغلظة في الجسم والخشونة.

(٣) خطم الدابة: مقدم أنفها وفمها.

لتقبض على العلف ثم تقضمه، وأعينت بالجحفلة[١] لتتناول بها ما قرُب وما بعُد، اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه، فإنه بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعاً، يواريهما ويسترهما، ومن منافعها فيه أن ما يبين الدبر ومراقي البطن منها وضر[٢] يجتمع عليها الذباب والبعوض فجعل لها الذنب كالمذبة[٣] تذب بها عن تلك المواضع، ومنها أن الدابة تستريح إلى تحريكه وتصريفه يمنة ويسرة، فإنه لما كان قيامها على الأربع بأسرها، وشغلت المقدمتان بحمل البدن عن التصرف والتقلّب، كان لها في تحريك الذنب راحة، وفيه منافع أخرى يقصر عنها الوهم، فيعرف موقعها في وقت الحاجة إليها، فمن ذلك أن الدابّة ترتطم في الوحل، فلا يكون شيء أعون على نهوضها، من الأخذ بذنبها، وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم، ثمّ جعل ظهرها مسطّحاً مبطوحاً على قوائم أربع ليتمكّن من ركوبها، وجعل حياها بارزاً من ورائها ليتمكّن الفحل من ضربها، ولو كان أسفل البطن كما كان الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها، ألا ترى أنه لا يستطيع أن يأتيها كفاحاً[٤] كما يأتي الرجل المرأة.

الفيل وحكمة خلقته

تأمّل مشفر[٥] الفيل وما فيه من لطيف التدبير، فإنه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء، وازدرادهما إلى جوفه، ولولا ذلك لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، لأنه ليس له رقبة يمدّها كسائر الأنعام، فلما

---

(١) الجحفلة: هي لذات الحافر كالشفة للإنسان.

(٢) الوَضَر: بالفتحتين، مصدر الوسخ.

(٣) المذبة: بالكسر، ما يذب به الذباب.

(٤) الكفاح: بالكسر، الملاقاة وجهاً لوجه.

(٥) المشفر: بكسر فسكون ففتح، الشفة.

عدم العنق أعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليُسْدِلَه، فيتناول به حاجته، فمن ذا الذي عوَّضه مكان العضو الذي عُدم ما يقوم مقامه إلاّ الرؤوف بخلقه؟ وكيف يكون هذا بالإهمال ـ كما قالت الظلمة ـ؟

فإن قال قائل: فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الأنعام؟

قيل: إن رأس الفيل وأذنيه أمر عظيم، وثقل ثقيل، فلو كان ذلك على عنق عظيم، لهدّها وأوهنها، فجعل رأسه ملصقاً بجسمه لكيلا يناله منه ما وصفناه، وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول غذاءه، فصار مع عدم العنق مستوفياً ما فيه بلوغ حاجته.

أُنظر الآن كيف جعل حياء الأنثى من الفيلة في أسفل بطنها؟ فإذا هاجت للضراب ارتفع وبرز، حتى يتمكّن الفحل من ضربها، فاعتبر كيف جعل حياء الأنثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام ثم جعلت فيه هذه الخلّة ليتهيأ للأمر الذي فيه قوام النسل ودوامه.

الزّرافة من العجائب

فكّر في خلق الزّرافة، واختلاف أعضائها، وشبهها بأعضاء أصناف من الحيوان، فرأسها رأس فرس، وعنقها عنق جمل، وأظلافها أظلاف بقرة، وجلدها جلد نمر.

وزعم ناس من الجهّال بالله عزَّ وجلَّ: أن نتاجها من فحول شتّى، قالوا: وسبب ذلك أن أصنافاً من حيوان البر إذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة، وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من أصناف شتّى وهذا جهل من قائله، وقلّة معرفة بالباري جلّ قدسه، وليس كل صنف من الحيوان يلقّح كل صنف، فلا الفرس يلقح الجمل، ولا الجمل

يلقّح البقر، وإنما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه، كما يلقح الفرس الحمار، فيخرج بينهما البغل، ويلقّح الذئب الضبع، فيخرج من بينهما السمع[١]، على أنه ليس يكون في الذي يخرج من بينها عضو كل واحد منهما، كما في الزرافة، عضو من الفرس، وعضو من الجمل، وأظلاف من البقر، بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما، كالذي تراه في البغل، فإنك ترى رأسه وأذنيه وكفله[٢] وذنبه وحوافره وسطاً بين هذه الأعضاء من الفرس والحمار، وشحيجه[٣] كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار، فهذا دليل على أنه ليست الزرافة من لقاح أصناف شتى من الحيوان، كما زعم الجاهلون، بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء، وليعلم أنه خالق أصناف الحيوان كلّها، يجمع بين ما يشاء من أعضائها، في أيّها شاء، ويفرق ما شاء منها في أيّها شاء، ويزيد في الخلقة ما شاء، وينقص منها ما شاء، ودلالة على قدرته على الأشياء، وأنه لا يعجز شيء أراده جلّ وتعالى، فأما طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فإن منشأها ومرعاها في غياطل[٤] ذوات أشجار شاهقة، ذاهبة طولاً في الهواء، فهي تحتاج إلى طول العنق لتتناول بفيها أطراف تلك الأشجار فتقوت من ثمارها.

في القرد عبرة

تأمّل خلقة القرد وشبهه بالإنسان في كثير من أعضائه أعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر، وكذلك أحشاؤه شبيهة أيضاً بأحشاء الإنسان

---

(١) السمع: بكسر فسكون، ولد الذئب من الضبع والأنثى سمعة.

(٢) الكفل: بفتحتين، من الدابة، العجز أو الردف، والجمع أكفال.

(٣) الشحيج: من شحج البغل، صوّت وغلظ صوته.

(٤) الغياطل: جمع غيطل وهو الشجر الكثير الملتف.

وخصّ مع ذلك بالذهن والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يومي إليه ويحكي كثيراً مما يرى الإنسان يفعله، حتى أنه يقرب من خلق الإنسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه، أن يكون عبرة للإنسان في نفسه فيعلم أنه من طينة البهائم وسنخها[1] إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب، وأنه لولا فضيلة فضله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم على أن في جسم القرد فضولاً أخرى تفرّق بينه وبين الإنسان كالخطم والذنب المسدل والشعر المجلل للجسم كله، وهذا لم يكن مانعاً للقرد أن يلحق بالإنسان لو أُعطي مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه والفصل الفاصل بينه وبين الإنسان ـ في الحقيقة ـ هو النقص في العقل والذهن والنطق.

الاكتفاء الذاتي في الحيوان

أُنظر يا مفضّل إلى لطف الله جلّ اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامها هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف لتقيها من البرد وكثرة الآفات، أُلبِسَت الأظلاف والحافر والاخفاف لتقيها من الحفاء، إذ كانت لا أيدي لها ولا أكفّ ولا أصابع مهيأة للغزل والنسج فكفوا بأن جعل كسوتهم في خلقهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون إلى تجديدها واستبدال بها.

فأما الإنسان فإنه ذو حيلة وكف مهيأة للعمل، فهو ينسج ويغزل ويتّخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالاً بعد حال، وله في ذلك صلاح من جهات، من ذلك أنه يشتغل بصنعة اللباس عن العبث وما تخرجه إليها الكفاية، ومنها أنه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء ولبسها إذا شاء، ومنها

---

(١) السنخ، بالكسر: الأصل، والجمع أسناخ وسنوخ.

أن يتّخذ لنفسه من الكسوة ضروباً لها جمال وروعة فيتلذّذ بلبسها وتبديلها، وكذلك يتّخذ بالرفق من الصنعة ضروباً من الخفاف والنعال يقي بها قدميه، وفي ذلك معائش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معائشهم ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم، فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة والأظلاف والحوافر والأخفاف مقام الحذاء.

التواري عند الموت

فكّر يا مفضّل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم، فإنهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا، كما يواري الناس موتاهم، وإلاّ فأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها، لا يرى منها شيء، وليست قليلة فتخفى لقلّتها؟ بل لو قال قائل: إنها أكثر من الناس لصدق.

فاعتبر في ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من أسراب الظباء والمها[١] والحمير الوحش والوعول[٢] والأيائل[٣] وغير ذلك من الوحوش وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها، وضروب الهوام والحشرات ودواب الأرض، وكذلك أسراب الطير من الغربان والقطا والأوز والكراكي والحمام وسباع الطير جميعاً، وكلّها لا يرى منها إذا ماتت إلاّ الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع، فإذا أحسّوا بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها، ولولا ذلك لامتلأت

---

(١) المها: جمع مهاة وهي البقرة الوحشية.

(٢) الوعول: جمع وعل وهو تيس الجبل له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدبين.

(٣) الأيائل: جمع أيّل بفتح فتشديد، حيوان من ذوات الظلف للذكور منه قرون متشعّبة لا تجويف فيها، أما الإناث فلا قرون لها.

الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء وتحدث الأمراض والوباء.

فانظر إلى هذا بالذي يخلص إليه الناس، وعملوه بالتمثيل[١] الأول الذي مثل لهم كيف جعل طبعاً وأذكاراً في البهائم وغيرها، ليسلم الناس من معرّة[٢] ما يحدث عليهم من الأمراض والفساد.

ذكاء الأيل

فكّر يا مفضّل في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها، بالطبع والخلقة، لطفاً من الله عزَّ وجلَّ لهم، لئلا يخلو من نعمة جلّ وعزّ أحد من خلقه لا بعقل وروية، فإن الإبل يأكل الحيات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع عن شرب الماء، خوفاً من أن يدبّ السم في جسمه فيقتله، ويقف على الغدير وهو مجهود عطشاً، فيعجّ عجيجاً عالياً، ولا يشرب منه، ولو شرب لمات من ساعته.

فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة، من تحمّل الظمأ الغالب الشديد، خوفاً من المضرّة في الشرب، وذلك ممّا لا يكاد الإنسان العاقل المميز يضبطه من نفسه.

دهاء الثعلب

والثعلب إذا اعوزه الطعم، تماوت ونفخ بطنه، حتى يحسبه الطير ميتاً، فإذا وقعت عليه لتنهشه، وثب عليها فأخذها، فمن أعان الثعلب العديم النطق والروية بهذه الحيلة، إلاّ من توكّل بتوجيه الرزق له من هذه وشبهه، فإنه لما كان الثعلب يضعف عن كثير ممّا تقوى عليه السباع من مساورة الصيد، أعين بالدهاء والفطنة والاحتيال لمعاشه.

---

(١) المراد بالتمثيل ما ذكره الله تعالى في قصة قابيل.

(٢) المعرّة: الأمر القبيح والمساءة والإثم والأذى.

حيلة الدلفين

والدلفين يلتمس صيد الطير، فيكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله ويسرحه حتى يطفو على الماء ثم يكمن تحته ويثور الماء الذي عليه حتى لا يتبيّن شخصه، فإذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها.

فانظر إلى هذه الحيلة كيف جعلت طبعاً في هذه البهيمة لبعض المصلحة.

التنين والسحاب

قال المفضّل: فقلت: أخبرني يا مولاي عن التنين[1] والسحاب؟ فقال عليه السلام: إن السحاب كالموكل به، يختطفه حيثما ثقفه، كما يختطف حجر المغناطيس الحديد، فهو لا يطلع رأسه في الأرض خوفاً من السحاب، ولا يخرج إلاّ في القيظ مرّة إذا صحّت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة قلت: فلم وكل السحاب بالتنين يرصده ويختطفه إذا وجده؟ قال: ليدفع عن الناس مضرّته.

لا نقص في الذرة

قال المفضّل: فقلت: قد وصفت لي يا مولاي من أمر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر، فصف لي الذرة والنملة والطير، فقال عليه السلام: يا مفضّل تأمّل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصاً عمّا فيه صلاحها، فمن أين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة؟ إلاّ من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره.

---

(١) التنين: بالكسر، الحية العظيمة والجمع تنانين.

أُمّة النمل

اُنظر إلى النمل واحتشاده في جمع القوت وإعداده، فإنك ترى الجماعة منها إذا نقلت الحب إلى زُبْيتها[١] بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره، بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير ما ليس للناس مثله، أما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل، ثم يعمدون إلى الحب فيضمونه قطعاً، لكيلا ينبت فيفسد عليهم، فإن أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتى يجفّ، ثم لا يتّخذ النمل الزبية إلاّ في نشز من الأرض كيلا يفيض السيل فيغرقها، وكل هذا منه بلا عقل ولا روية، بل خلقة خلق عليها لمصلحة من الله جلّ وعزّ.

أسد الذباب

اُنظر إلى هذا الذي يُقال له الليث[٢] وتسميه العامة «أسد الذباب» وما أعطي من الحيلة والرفق في معاشه، فإنك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريباً منه، تركه ملياً حتى كأنه موات لا حراك به، فإذا رأى الذباب قد اطمأنّ وغفل عنه، دبّ دبيباً دقيقاً، حتى يكون منه بحيث تناله وثبته، ثم يثب عليه فيأخذه، فإذا أخذه اشتمل عليه بجسمه كله، مخافة أن ينجو منه، فلا يزال قبضاً عليه، حتى يحسّ بأنه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه، ويحيى بذلك منه.

العناكب وشراكها

فأما العنكبوت فإنه ينسج ذلك النسج، فيتّخذه شركاً ومصيدة

---

(١) الزُبْية: بضم فسكون، الرابية لا يعلوها ماء، جمعها زُبى.

(٢) الليث: ضرب من العناكب والجمع: ليوث ومليثة.

للذباب، ثم يكمن في جوفه، فإذا نشب فيه الذباب أحال[١] عليه يلدغه ساعة بعد ساعة، فيعيش بذلك منه.

فذلك[٢] يحكي صيد الكلاب والفهود، وهذا[٣] يحكي صيد الأشراك والحبائل، فانظر إلى هذه الدويبة الضعيفة، كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه الإنسان إلاّ بالحيلة واستعمال الآلات فيها، فلا تزدري بالشيء إذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة وما أشبه ذلك فإن المعنى النفيس قد يمثّل بالشيء الحقير، فلا يضع منه ذلك[٤] كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب أن يوزن بمثقال من حديد.

من أسرار الطير

تأمّل يا مفضّل جسم الطائر وخلقته، فإنه حين قدر أن يكون طائراً في الجو، خفف جسمه وأدمج خلقه، واقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين، ومن الأصابع الخمس على أربع، ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما، ثم خلق ذا جؤجؤ[٥] محدد، ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه، كما جعلت السفينة بهذه الهيئة، لتشقّ الماء وتنفذ فيه، وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان، لينهض بها للطيران، وكسا كله الريش، ليتداخله الهواء فيقله[٦] ولما قدر أن يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعاً بلا مضغ، نقص من خلقة الإنسان وخلق

---

(١) أحال: أقبل ووثب.
(٢) يعني به: أسد الذباب.
(٣) يعني به: العنكبوت.
(٤) أي لا ينقص من قدر المعنى النفيس تمثيله بالشيء الحقير.
(٥) الجؤجؤ: من الطائر والسفينة، الصدر والجمع جآجيء.
(٦) يقله: يحمله ويرفعه.

له منقار صلب جاسي يتناول به طعمه، فلا ينسحج[١] من لفظ الحب، ولا يتقصف[٢] من نهش اللحم، ولما عدم الأسنان، وصار يزدرد الحب صحيحاً واللحم غريضاً[٣] أعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحناً يستغني به عن المضغ، واعتبر ذلك بأن عجم العنب[٤] وغيره، يخرج من أجواف الإنس صحيحاً، ويطحن في أجواف الطير لا يرى له أثر، ثم جعل مما يبيض بيضاً، ولا يلد ولادةً، لكيلا يثقل عن الطيران، فإنه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم، لأثقلته وعاقته عن النهوض والطيران، فجعل كل شيء من خلقه مشاكلاً للأمر الذي قدر أن يكون عليه، ثم صار الطائر السائح في هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه أسبوعاً وبعضها أسبوعين وبعضها ثلاثة أسابيع، حتى يخرج الفرخ من البيضة، ثم يقبل عليه فيزقّه الريح لتتسح [لتتسع ـ خ] حوصلته للغذاء، ثم يربيه ويغذّيه بما يعيش به، فمَن كلفه أن يلقط الطعم والحب يستخرجه، بعد أن يستقرّ في حوصلته، ويغذو به فراخه؟ ولأي معنى يحتمل هذه المشقّة وليس بذي روية ولا تفكّر، ولا يأمل في فراخه ما يؤمل الإنسان في ولده من العزّ والرفد[٥] وبقاء الذكر؟ فهذا من فعله يشهد أنه معطوف على فراخه، لعله لا يعرفها ولا يفّر فيها، وهي دوام النسل وبقاؤه لطفاً من الله تعالى ذكره.

تفريخ الدواجن

اُنظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ، وليس لها

---

(١) ينسحج: أي ينتشر.

(٢) يتقصف: أي يتكسّر.

(٣) الغريض: كل أبيض طري.

(٤) عجم العنب: ما كان في جوف العنب من النوى الصغير.

(٥) الرفد: بالكسر، المعونة والعطاء، والجمع إرفاد ورفود.

بيض مجتمع ولا وكر موطى، بل تنبعث وتنتفخ وتقوى وتمتنع من الطعم، حتى يجمع لها البيض، فتحضنه وتفرخ، فلم كان ذلك منها إلاّ لإقامة النسل؟ ومَن أخذها بإقامة النسل ولا روية لها ولا تفكير، لولا أنها مجبولة على ذلك؟

من أسرار البيضة

إعتبر بخلق البيضة، وما فيها من المح[١] والأصفر الخاثر[٢] والماء الأبيض الرقيق، فبعضه ينشو منه الفرخ، وبعضه ليتغذّى به، إلى أن تنقاب عنه البيضة، وما في ذلك من التدبير، فإنه لو كان نشوء الفرخ في تلك القشرة المستحفظة التي لا مساغ لشيء إليها، جعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي به إلى وقت خروجه منها، كمن يُحبس في حبس حصين لا يوصل إلى من فيه، فيجعل معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه.

حوصلة الطائر

فكّر يا مفضّل في حوصلة الطائر، وما قدّر له، فإن مسلك الطعم إلى القانصة[٣] ضيق، لا ينفذ فيه الطعام إلاّ قليلاً قليلاً، فلو كان الطائر لا يلقط حبة ثانية، حتى تصل الأولى إلى القانصة، لطال عليه، ومتى كان يستوفي طعمه؟ فإنما يختلسه اختلاساً، لشدّة الحذر، فجعلت له الحوصلة كالمخلاة[٤] المعلّقة أمامه، ليوعى فيها ما أدرك من الطعم

---

(١) المح: بالضم، صفر البيض، وفي بعض النسخ الخاء المعجّمة أي مخّ.

(٢) خثر اللبن: ثخن واشتدّ فهو خاثر.

(٣) القانصة: للطير كالمعدة للإنسان، جمعها قوانص.

(٤) المخلاة: ما يجعل فيه العلف ويعلّق في عنق الدابّة، والجمع مَخال.

بسرعة، ثم تنفذه إلى القانصة على مهل، وفي الحوصلة أيضاً خلّة أخرى، فإن من الطائر ما يحتاج إلى أن يزق فراخه فيكون ردّه للطعم من قرب أسهل عليه.

ألوان الطواويس

قال المفضّل: فقلت: إن قوماً من المعطلة يزعمون أن اختلاف الألوان والأشكال في الطير إنما يكون من قبل امتزاج الأخلاط، واختلاف مقاديرها المرج [بالمرج ـ خ] والإهمال.

قال: يا مفضّل هذا الوشي الذي تراه في الطواويس والدراج والتدارج على استواء ومقابلة، كنحو ما يخطّ بالأقلام، كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف، ولو كان بالإهمال لعدم الاستواء ولكان مختلفاً.

جناح الطير وحكمته

تأمّل ريش الطير وكيف هو؟ فإنك تراه منسوجاً كنسج الثوب من سلوك[1] دقاق، قد ألّف بعضه إلى بعض، كتأليف الخيط إلى الخيط والشعرة إلى الشعرة، ثم ترى ذلك النسج إذا مددته ينفتح قليلاً ولا ينشقّ لتداخله الريح، فيقل الطائر إذا طار، وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته، وهو القصبة التي في وسط الريشة، وهو مع ذلك أجوف، ليخف على الطائر ولا يعوقه عن الطيران.

---

(١) السلوك: جمع سلك، وهو الخيط ينظم فيه الخرز ونحوه.

طيور الماء

هل رأيت يا مفضّل هذا الطائر الطويل الساقين وعرفت ما له من المنفعة في طول ساقيه، فإنه أكثر ذلك في ضحضاح[١] من الماء فتراه بساقين طولين، كأنه ربيئة[٢] فوق مرقب[٣] وهو يتأمّل ما يدبّ في الماء، فإذا رأى شيئاً ممّا يتقوّت به، خطا خطوات رقيقاً حتى يتناوله، ولو كان قصير الساقين وكان يخطو نحو الصيد ليأخذه، يصيب بطنه الماء، فيثور ويذعر منه، فيفرق عنه، فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه.

تأمّل ضروب التدبير في خلق الطائر، فإنك تجد كل طائر طويل الساقين طويل العنق، وذلك ليتمكّن من تناول طعمه من الأرض ولو كان طويل الساقين قصير العنق، لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض وربّما أعين مع العنق بطول المناقير، ليزداد الأمر عليه سهولة وإمكاناً، أفلا ترى أنك لا تفتش شيئاً من الخلقة إلاّ وجدته على غاية الصواب والحكمة.

العصافير وطلبها للرزق

اُنظر إلى العصافير، كيف تطلب أكلها بالنهار فهي لا تفقده ولا تجده مجموعاً معدّاً، بل تناله بالحركة والطلب، وكذلك الخلق كلّه فسبحان من قدّر الرزق كيف فرّقه، فلم يجعل ممّا لا يقدر عليه، إذ جعل بالخلق حاجة إليه، ولم يجعل مبذولاً يناله [ينال ـ خ] بالهوينا[٤] إذ كان لا

(١) الضحضاح: الماء اليسير، أو القريب القعر.
(٢) الربيئة: العين التي ترقب.
(٣) المرقب: الموضع المرتفع يعلوه، جمعه مراقب.
(٤) الهوينا: التؤدة والرفق، وهي تصغير الهونى، والهوني: تأنيث الأهون.

صلاح في ذلك فإنه لو كان يوجد مجموعاً معدّاً كانت البهائم تنقلب عليه، ولا تنقطع عنه حتى تبشم[1] فتهلك، وكان الناس أيضاً يصيرون بالفراغ إلى غاية الأشر والبطر، حتى يكثر الفساد وتظهر الفواحش.

سوارح الليل

أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التي لا تخرج إلاّ بالليل، كمثل البوم والهام[2] والخفاش؟

قلت: لا يا مولاي.

قال: إن معاشها من ضروب تنتشر في الجو من البعوض والفراش وأشباه الجراد واليعاسيب[3] وذلك أن هذه الضروب مبثوثة في الجوّ لا يخلو منها موضع، واعتبر ذلك بأنك إذا وضعت سراجاً بالليل في سطح أو عرصة دار، اجتمع عليه من هذه الضروب شيء كثير، فمن أين يأتي ذلك كلّه، إلاّ من القرب؟

فإن قال قائل: إنه يأتي من الصحاري والبراري.

قيل له: كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد، وكيف يبصر من ذلك البعد سراجاً في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه، مع أن هذه عياناً تتهافت على السراج من قرب، فيدلّ ذلك على أنها منتشرة في كل موضع من الجو، فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتتقوّت بها.

فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج إلاّ بالليل من هذه

---

(١) تبشم: أي تتخم من الطعام.
(٢) الهام: جمع هامة، نوع من البوم الصغير وتسمّى أيضاً الصدى.
(٣) اليعاسيب: جمع يعسوب، وهو نكر النحل وأميرها.

الضروب المنتشرة في الجو، واعرف ذلك Gلمعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة، التي عسى أن يظن ظانّ أنها فضل لا معنى له.

الطائر الولود

خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقه الطير وذوات الأربع، هو إلى ذوات الأربع أقرب، وذلك أنه ذو أذنين ناشزتين وأسنان ووبر وهو يلد ولاداً يرضع ويبوّل، ويمشي إذا مشى على أربع، وكل هذا خلاف صفة الطير، ثم هو أيضاً ممّا يخرج بالليل، ويتقوّت بما يسري[١] في الجو من الفراش وما أشبهه، وقد قال قائلون إنه لا طعم للخفّاش وإن غذاءه من النسيم وحده، وذلك يفسد ويبطل من جهتين: أحدهما خروج الثفل والبول منه، فإن هذا لا يكون من غير طعم، والأخرى أنه ذو أسنان، ولو كان لا يطعم شيئاً لم يكن للأسنان فيه معنى، وليس في الخلقة شيء لا معنى له، وأما المآرب فيه فمعروفة، حتى أن زبله يدخل في بعض الأعمال، ومن أعظم الارب فيه خلقته العجيبة الدالّة على قدرة الخالق جلّ ثناؤه، وتصرفها فيما شاء كيف شاء، لضرب من المصلحة.

الحسكة سلاح الطير

فأما الطائر الصغير الذي يُقال له (ابن نُمّرة)[٢] فقد عشش في بعض الأوقات في بعض الشجر، فنظر إلى حيّة عظيمة قد أقبلت نحو عشّه فاغرة فاها، تبغيه لتبتلعه، فبينما هو يتقلّب ويضطرب في طلب حيلة منها إذ وجد حسكة، فحملها فألقاها في فم الحية فلم تزل الحيّة تلتوي وتتقلّب

---

(١) يسري: يسير في الليل.
(٢) طائر أصغر من العصفور.

حتى ماتت، أفرأيت لو لم أخبرك بذلك، كان يخطر ببالك أو ببال غيرك أنه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة، أو يكون من طائر صغير أو كبير مثل هذه الحيلة، اعتبر بهذا وكثير من الأشياء يكون فيها منافع لا تعرف بحادث يحدث أو خبر يسمع به.

النحل: عسله وبيوته

أُنظر إلى النحل واحتشاده في صنعة العسل، وتهيئة البيوت المسدّسة وما ترى في ذلك من دقائق الفطنة، فإنك إذا تأمّلت العمل رأيته عجيباً لطيفاً، وإذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس، وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غبياً جاهلاً بنفسه فضلاً عمّا سوى ذلك، ففي هذا أوضح الدلالة على أن الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها، وسخّره فيها لمصلحة الناس.

الجراد وبلاؤه

أُنظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه! فإنك إذا تأمّلت خلقه رأيته كأضعف الأشياء، وإن دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه، ألا ترى أن ملكاً من ملوك الأرض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك، أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه، فلا يستطيع دفعه.

أُنظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل، فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر، حتى يستر نور الشمس بكثرته، فلو كان هذا ممّا يصنع بالأيدي، متى كان تجتمع منه هذه الكثرة؟ وفي كم سنة كان يرتفع؟ فاستدلّ بذلك على القُدرة التي لا يؤودها شيء، ولا يكثر عليها.

من أسرار السمك

تأمّل خلق السمك ومشاكلته للأمر الذي قدر أن يكون عليه، فإنه خلق غير ذي قوائم، لأنه لا يحتاج إلى المشي، إذ كان مسكنه الماء، وخلق غير ذي رية، لأنه لا يستطيع أن يتنفس وهو منغمس في اللجة، وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه، كما يضرب الملاح بالمجاذيف من جانبي السفينة، وكسا جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن[١] لتقيه من الآفات، فأعين بفضل حسّ في الشم، لأن بصره ضعيف، والماء يحجبه، فصار يشم الطعم من البعد البعيد، فينتجعه[٢] فيتبعه، وإلاّ فكيف يعلم به وبموضعه؟ واعلم أنّ من فِيه إلى صماخه منافذ، فهو يعب الماء بفيه، ويرسله من صماخيه فيتروح إلى ذلك، كما يتروح غيره من الحيوان إلى تنسّم هذا النسيم.

السمك غذاء الجميع

فكّر الآن في كثرة نسله وما خصّ به من ذلك، فإنك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة، والعلة في ذلك أن يتّسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان، فإن أكثرها يأكل السمك، حتى أن السباع أيضاً في حافات الآجام[٣] عاكفة على الماء أيضاً كي ترصد السمك، فإذا مرّ بها خطفته، فلما كانت السباع تأكل السمك، والطير يأكل السمك، والناس يأكلون السمك، والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة.

---

(١) الجواشن: جمع جوشن، وهو الدرع أو الصدر.

(٢) ينتجع: يطلب الكلأ في موضعه.

(٣) الآجام: جمع الجمع للأجمة، الشجر الكثير الملتف.

عجائب البحار

فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق، وقصر علم المخلوقين، فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك ودواب الماء والأصداف والأصناف التي لا تُحصى، ولا تعرف منافعها إلاّ الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث، مثل القرمز[١] فإنه لما [إنما ـ خ] عرف الناس صبغه، بأن كلبة تجول على شاطىء البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذي يُسمى الحلزون[٢] فأكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس إلى حسنه فاتّخذوه صبغاً، وأشباه هذا مما يقف الناس عليه حالاً بعد حال وزماناً بعد زمان.

توديع ولقاء

قال المفضل: وحان وقت الزوال، فقام مولاي عليه السلام إلى الصلاة، وقال: بكّر إليّ غداً إن شاء الله تعالى، فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرّفنيه، مبتهجاً بما منحنيه، حامداً لله على ما آتانيه، فبتّ ليلتي مسروراً مبتهجاً.

فلما كان اليوم الثالث بكّرت إلى مولاي فاستؤذن لي فدخلت فأُذن لي بالجلوس فجلست، فقال عليه السلام:

الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف علينا، اصطفانا بعلمه، وأيّدنا بحلمه، من شذّ عنّا فالنار مأواه، ومن تفيأ بظل دوحتنا فالجنّة مثواه، قد شرحتُ لك يا مفضل خلق الإنسان، وما دبّر به، وتنقّله في أحواله، وما

---

(١) القرمز: صبغ أحمر.

(٢) الحلزون: دويبة تكون في صدف، وهي المعروفة بالبزاق.

فيه من الاعتبار، وشرحت لك أمر الحيوان، وأنا أبتدىء الآن بذكر السماء والشمس والقمر والنجوم والفلك والليل والنهار، والحرّ والبرد، والرياح، والجواهر الأربعة: الأرض والماء والهواء والنار، والمطر والصخر والجبال والطين والحجارة والنخل والشجر وما في ذلك من الأدلة والعبر.

من أسرار السماء

فكّر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير، فإن هذا اللون أشدّ الألوان موافقة وتقوية للبصر، حتى أن من صفات الأطباء لمن أصابه شيء أضرّ ببصره إدمان النظر إلى الخضرة وما قرب منها إلى السواد، وقد وصف الحذاق منهم لمن كلَّ بصره الإطلاع في أجانة خضراء مملوءة ماءً، فانظر كيف جعل الله جلّ وتعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى السواد ليمسك الأبصار المتقلّبة عليه، فلا ينكأ فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذي أدركه الناس بالفكر والروية والتجارب، يوجد مفروغاً منه في الخلقة حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون، ويفكر فيها الملحدون، قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

اختلاف الليل والنهار

فكّر يا مفضّل في طلوع الشمس وغروبها، لإقامة دولتي النهار والليل، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله، فلم يكن الناس يسعون في معائشهم، ويتصرّفون في أمورهم، والدنيا مظلمة عليهم، ولم يكونوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذّة النور وروحه، والأرب في طلوعها ظاهر مستغني [مستغن ـ خ] بظهوره عن الإطناب في ذكره، والزيادة في شرحه، بل تأمّل المنفعة في غروبها، فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار

مع عظم حاجتهم إلى الهدوء والراحة لسكون أبدانهم، وجموم حواسّهم وانبعاث القوّة الهاضمة لهضم الطعام، وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء، ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم، فإن كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم، لم يكن لهم هدوء ولا قرار، حرصاً على الكسب والجمع والادّخار، ثم كانت الأرض تستحمي بدوام الشمس بضيائها، ويحمي كل ما عليها من حيوان ونبات، فقدرها الله بحكمته وتدبيره، تطلع وقتاً وتغرب وقتاً، بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدأوا ويقرّوا، فصار النور والظلمة، مع تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه.

الفصول الأربعة

ثم فكّر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما في ذلك من التدبير والمصلحة، ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات، فيتولّد فيهما مواد الثمار، ويتكثّف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر، وتشتدّ أبدان الحيوان وتقوى، وفي الربيع تتحرّك وتظهر المواد المتولّدة في الشتاء، فيطلع النبات، وتنور[١] الأشجار، ويهيج الحيوان للسفاد، وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار، وتتحلل فضول الأبدان، ويجفّ وجه الأرض، فتهيأ للبناء والأعمال، وفي الخريف يصفو الهواء، وترتفع الأمراض، وتصحّ الأبدان، ويمتدّ الليل، فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله، ويطيب الهواء فيه إلى مصالح أخرى لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام.

---

(١) تنور الأشجار: أي تخرج نَوْرها، بفتح فسكون، أي زهرها.

الدورة الشمسية

فكّر الآن في تنقّل الشمس في البروج الإثني عشر لإقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير، فهو الدور الذي تصحّ به الأزمنة الأربعة من السنة: الشتاء والربيع والصيف والخريف، تستوفيها على التمام، وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلاّت والثمار، وتنتهي إلى غاياتهم ثم تعود فيستأنف النشو والنمو، ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل، فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم، إلى كل وقت وعصر من غابر الأيام، وبها يحسب الناس الأعمار والأوقات المؤقّتة للديون والإجازات والمعاملات، وغير ذلك من أمورهم، وبمسير الشمس تكمل السنة، ويقوم حساب الزمان على الصحة.

انظر إلى شروقها على العالم كيف دبر أن يكون؟ فإنها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات، لأن الجبال والجدران كانت تحجبها عنها، فجعلت تطلع أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب، ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة، حتى تنتهي إلى المغرب، فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار، فلا يبقى موضع من المواضع إلاّ أخذ بقسطه من المنفعة منها، والأرب التي قدّرت له، ولو تخلّفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء؟ أفلا ترى كيف كان يكون للناس هذه الأمور الجليلة التي لم يكن عندهم فيها حيلة، فصارت تجري على مجاريها لا تفتل ولا تتخلّف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه.

القمر ومنافعه

استدلّ بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامّة في معرفة الشهور، ولا يقوم عليه حساب السنة، لأن دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة ونشو الثمار وتصرمها، ولذلك صارت شهور القمر وسنوّه تتخلف عن شهور الشمس وسنيها، وصار الشهر من شهور القمر ينتقل، فيكون مرّة بالشتاء ومرة بالصيف.

فكّر في إنارته في ظلمة الليل والأرب في ذلك فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهدوء الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها، فلا يمكن فيه شيء من العمل، لأنه ربّما احتاج الناس إلى العمل بالليل، لضيق الوقت عليهم في بعض الأعمال في النهار، ولشدّة الحر وإفراطه، فيعمل في ضوء القمر أعمالاً شتّى، كحرث الأرض، وضرب اللبن، وقطع الخشب، وما أشبه ذلك، فجعل ضوء القمر معونة للناس على معائشهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وإنساً للسائرين وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض، ونقص مع ذلك عن نور الشمس وضيائها، لكيلا ينبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار، ويمتنعوا من الهدوء والقرار، فيهلكهم ذلك، وفي تصرّف القمر خاصة في مهله[1] ومحاقه[2] وزيادته ونقصانه وكسوفه، من التنبيه على قدرة الله تعالى خالقه المصرِّف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون.

السيّارات والثوابت

فكّر يا مفضّل في النجوم واختلاف مسيرها، فبعضها لا تفارق

---

(١) مهله: أي ظهوره.

(٢) المحاق: آخر الشهر القمري وقيل ثلاث ليال من آخره.

مراكزها من الفلك، ولا تسير إلاّ مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها، فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين، أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرحى، فالرحى تدور ذات اليمين، والنملة تدور ذات الشمال، والنملة في ذلك تتحرّك حركتين مختلفتين:

إحداهما: بنفسها فتتوجه أمامها، والأخرى: مستكرهة مع الرحى تجذبها إلى خلفها، فاسأل الزاعمين أن النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال، من غير عمد ولا صانع لها ما منعها أن تكون كلّها راتبة أو تكون كلّها منتقلة، فإن الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير؟ ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير، وليس بإهمال كما يزعم المعطلة، فإن قال قائل: ولِمَ صار بعض النجوم راتباً وبعضها منتقلاً؟ قلنا: إنها لو كانت كلّها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدلّ بها من تنقل المنتقلة، ومسيرها في كل برج من البروج، كما يستدلّ بها على أشياء ممّا يحدث في العالم، بتنقل الشمس والنجوم في منازلها، ولو كانت كلّها منتقلة، لم يكن لمسيرها منازل تعرف، ولا رسم يوقف عليه، لأنه إنما يوقف عليه بمسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها أو لو كان تنقّلها بحال واحد لاختلاط نظامها، وبطلت المآرب فيها، ولساغ القائل أن يقول إن كينونتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا، ففي اختلاف سيرها وتصرّفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة، أبين دليل على العمد والتدبير فيها.

الاهتداء بالنجم

فكّر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل الثريا والجوزاء والشعريين وسهيل، فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس، ويهتدون بها لبعض أمورهم، كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت، واحتجابها إذا احتجبت، فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت غير الوقت الآخر، لينتفع الناس بما يدلّ عليه كل واحد منها على حدته، وما جعلت الثريا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب حيناً إلاّ لضرب من المصلحة، وكذلك جعلت بنات نعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة، فإنها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة، وكذلك أنها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاؤوا، وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الأرب والمصلحة، وفيهما مآرب أخرى علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال، كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر، وأشياء ممّا يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحرّ والبرد، وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل، لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة، مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر، فإنها تسير أسرع السير وأحثّه.

حكمة ابتعاد الأرض

أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منّا، حتى يتبيّن لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه، ألم تكن تستخطف الأبصار بوهجها وشعاعها كالذي يحدث أحياناً من البروق إذا توالت واضطرمت في

الجو؟ وكذلك أيضاً لو أن أناساً كانوا في قبّة مكللة بمصابيح تدور حولهم دوراناً حثيثاً لحارت أبصارهم حتى يخرّوا لوجوههم.

فانظر كيف قدّر أن يكون مسيرها في البعد البعيد، لكيلا تضرّ في الأبصار، وتنكأ فيها، وبأسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها، وجعل فيها جزءاً يسيراً من الضوء، ليسدّ مسد الأضواء إذا لم يكن قمر، ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة، كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى التجافي[١] في جوف الليل، فإن لم يكن شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع أن يبرح مكانه.

فتأمّل اللطف والحكمة في هذا التقدير، حين جعل للظلمة دولة ومدّة لحاجة إليها، وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا.

حركة الأفلاك

فكّر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم هذا الدوران الدائم، بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الأزمان الأربعة المتوالية من التنبيه على الأرض وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة، كالذي بيّنت وشخصت لك آنفاً وهل يخفى على ذي لبّ أن هذا تقدير مقدّر وصواب وحكمة من مقدر حكيم، فإن قال قائل: إن هذا شيء اتّفق أن يكون هكذا؟ فما منعه أن يقول مثل هذا في دولاب يراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات فيرى كل شيء من آلاته مقدّراً بعضه يلقي بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها، وبمَ كان يثبت هذا القول لو قاله، وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه؟ أفينكر أن يقول في دولاب خشب مصنوع بحيلة

---

(١) التجافي: من تجافى أي لم يلزم مكانه.

قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض، أنه كان بلا صانع ومقدر، ويقدر أن يقول في هذا الدولاب الأعظم، المخلوق بحكمة تقصر عنها أذهان البشر، لصلاح جميع الأرض وما عليها إنه شيء اتّفق أن يكون بلا صنعة ولا تقدير لو اعتلّ هذا الفلك كما تعتل الآلات التي تتّخذ للصناعات وغيرها، أي شيء كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه.

مقادير الليل والنهار

فكّر يا مفضل في مقادير النهار والليل، كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق، فصار منتهى كل واحد منهما ـ إذا امتدّ ـ إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة؟ ألم يكن في ذلك بوار كل ما في الأرض من حيوان ونبات؟ أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقرّ طول هذه المدّة، ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة، وكان ذلك ينهكها أجمع، ويؤدّيها إلى التلف، وأما النبات فكان يطول عليه حرّ النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق كذلك الليل لو امتدّ مقدار هذه المدّة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرّف في طلب المعاش، حتى تموت جوعاً، وتخمد الحرارة الطبيعية عن النبات، حتى يعفن ويفسد، كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس.

من أسرار الحر والقر

اعتبر بهذا الحر والبرد كيف يتعاوران[1] العالم، ويتصرّفان هذا التصرّف في الزيادة والنقصان والاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من

---

(١) يتعاوران: يتداولان.

السنة وما فيهما من المصالح، ثم هما بعد دباغ الأبدان التي عليها بقاؤها وفيهما صلاحها، فإنه لولا الحر والبرد وتداولهما الأبدان لفسدت واخوت وانتكثت.

فكّر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل، فإنك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء، والآخر يزيد مثل ذلك، حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان، ولو كان دخول أحدهما على الآخر مفاجأة، لأضرّ ذلك بالأبدان وأسقمها، كما أن أحدكم لو خرج من حمام حار إلى موضع البرودة، لضرّه ذلك وأسقم بدنه فلم يجعل الله عزَّ وجلَّ هذا الترسل في الحرّ والبرد، إلاّ للسلامة من ضرر المفاجأة ولم جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرر المفاجأة لولا التدبير في ذلك؟ فإن زعم زاعم: إن هذا الترسّل في دخول الحرّ والبرد إنما يكون لإبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها، سئل عن العلّة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها، فإن اعتلّ في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين سُئل عن العلّة في ذلك، فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقي من هذا القول، حتى استقر عن العمد والتدبير، لولا الحرّ لما كانت الثمار الجاسية[1] المرة تنضج فتلين وتعذب، حتى يتفكّه بها رطبة ويابسة ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ[2] هكذا، ويريع الريع[3] الكثير الذي يتّسع للقوت، وما يرد في الأرض للبذر، أفلا ترى ما في الحر والبرد، من عظيم الغناء والمنفعة، وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يؤلم

---

(١) الجاسية: أي الصلبة.

(٢) يفرخ الزرع: أي تنبت أفراخه وهي ما يخرج في أصوله من صغاره.

(٣) يريع الريع: أي تنمو الغلّة وتزداد.

الأبدان ويمضّها وفي ذلك عِبرة لمن فكّر، ودلالة على أنه من تدبير الحكيم، في مصلحة العالم وما فيه.

حكمة تصريف الرياح

وأنبّهك يا مفضّل على الريح وما فيها، ألست ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب، الذي يكاد أن يأتي على النفوس، ويمرض الأصحّاء، وينهك المرضى، ويفسد الثمار، ويعفن البقول، ويعقب الوباء في الأبدان، والآفة في الغلاّت، ففي هذا بيان أن هبوب الريح من تدبير الحكيم في صَلاح الخلق.

لولا الهواء؟

وأنبئك عن الهواء بخلة أخرى، فإن الصوت أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء، والهواء يؤدّيه إلى المسامع، والناس يتكلّمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء، كما يبقى الكتاب في القرطاس، لامتلأ العالم منه، فكان يكربهم ويفدحهم، وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به، إلى أكثر ممّا يحتاج إليه في تجديد القراطيس، لأن ما يلفظ من الكلام أكثر ممّا يكتب، فجعل الخلاق الحكيم جلّ قدسه هذا الهواء قرطاساً خفياً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم، ثم يمحىٰ فيعود جديداً نقياً، ويحمل ما حمل أبداً بلا انقطاع، وحسبك بهذا النسيم المسمّى هواء عبرة، وما فيه من المصالح، فإنه حياة هذه الأبدان، والممسك لها من داخل، بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه، وفيه تطرد هذه الأصوات فيؤدّي البعد البعيد، وهو الحامل لهذه الأرواح ينقلها من موضع إلى

موضع، ألا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت، وهو القابل لهذا الحر والبرد، اللّذين يتعاقبان على العالم لصلاحه، ومنه هذه الريح الهابّة، فالريح تروح عن الأجسام وتزجي السحاب من موضع إلى موضع، ليعمّ نفعه، حتى يستكثف فيمطر، وتفضه حتى يستخف فيتفشّى وتلقح الشجر، وتسير السفن، وترخي الأطعمة، وتبرد الماء، وتشب النار، وتجفف الأشياء الندية، وبالجملة إنها تحيي كل ما في الأرض، فلولا الريح لذوى النبات، ولمات الحيوان، وحمت الأشياء وفسدت.

استقرار الأرض وسِعتها

فكّر يا مفضّل فيما خلق الله عزَّ وجلَّ عليه هذه الجواهر الأربعة[١] ليتّسع ما يحتاج إليه منها، فمن ذلك سعة هذه الأرض وامتدادها، فلولا ذلك كيف كانت تتّسع لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت أخشابهم وأحطابهم والعقاقير العظيمة والمعادن الجسيم غناؤها، ولعل من ينكر هذه الفلوات[٢] الخاوية والقفار الموحشة، فيقول: ما المنفعة فيها؟ فهي مأوى هذه الوحوش ومحالها ومراعيها، ثم فيها بعد تنفس ومضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم، فكم بيداء وكم فدفد[٣] حالت قصوراً وجناناً، بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها، ولولا سعة الأرض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا أحزنه أمر يضّطره إلى الانتقال عنه.

---

(١) المراد بالجواهر الأربعة: هي التراب والماء والهواء والنار.
(٢) الفلوات: جمع فلاة، وهي الصحراء الواسعة.
(٣) الفدفد: الفلاة والجمع فدافد.

ثم فكّر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة، فتكون موطناً مستقراً للأشياء، فيتمكّن الناس من السعي عليها في مآربهم، والجلوس عليها لراحتهم والنوم لهدوئهم، والإتقان لأعمالهم، فإنها لو كانت رجراجة منكفئة، لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والنجارة والصناعة وما أشبه ذلك، بل كانوا لا يتهنون بالعيش والأرض ترتجّ من تحتهم، واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل، ـ على قلّة مكثها ـ حتى يصيروا إلى ترك منازلهم، والهرب عنها.

الكوارث الكونية

فإن قال قائل: فلِمَ صارت هذه الأرض تزلزل؟ قيل له إن الزلزلة وما أشبهها موعظة وترهيب يرهب لها الناس ليرعوا، وينتزعوا عن المعاصي، وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم، يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم، ويدخر لهم إن صلحوا من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعد له شيء من أمور الدنيا، وربما عجل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا صلاحاً للعامة والخاصة. ثم إن الأرض في طباعها الذي طبعها الله عليه باردة يابسة، وكذلك الحجارة، وإنما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة، أفرأيت لو أن اليبس أفرط على الأرض قليلاً، حتى تكون حجراً صلداً، أكانت تنبت هذا النبات الذي به حياة الحيوان، وكان يمكن بها حرث أو بناء؟ أفلا ترى كيف نقصت من يبس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة لتتهيأ للاعتماد.

العيون والأنهار

ومن تدبير الحكيم جلّ وعلا في خلقه الأرض أن مهبّ الشمال أرفع

من مهبّ الجنوب فلم جعل الله عزَّ وجلَّ كذلك إلاّ لتنحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها وترويها، ثم تفيض آخر ذلك إلى البحر، فكما يرفع أحد جانبي السطح، ويخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب لهذه العلّة بعينها، ولولا ذلك لبقي الماء متحيّراً على وجه الأرض، فكان يمنع الناس من أعمالها، ويقطع الطرق والمسالك، ثم الماء لولا كثرته، وتدّفقه في العيون والأودية والأنهار، لضاق عمّا يحتاج إليه الناس، لشربهم وشرب أنعامهم ومواشيهم، وسقي زروعهم وأشجارهم وأصناف غلاّتهم، وشرب ما يرده من الوحوش والطير والسباع، وتتقلّب فيه الحيتان ودواب الماء، وفيه منافع أُخر أنت بها عارف وعن عظيم موقعها غافل، فإنه سوى الأمر الجليل المعروف من عظيم غنائه في إحياء جميع ما على الأرض من الحيوان والنبات يمزج الأشربة فتلذّ وتطيب لشاربها، وبه تنظّف الأبدان والأمتعة من الدرن الذي يغشاها، وبه يبلّ التراب فيصلح للأعمال، وبه يكفّ عادية النار إذا اضطرمت، وأشرف الناس على المكروه، وبه يستحم المتعب الكال، فيجد الراحة من أوصابه، إلى أشباه هذا من المآرب التي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة إليها.

البحار والمحيطات

فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار، وقلت: ما الأرب فيه؟ فعلم أنه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى من أصناف السمك ودواب البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر وأصناف شتّى تستخرج من البحر، وفي سواحله منابت العود اليلنجوج[1] وضروب من

---

(١) اليلنجوج: العود الطيب الرائحة.

الطيب والعقاقير، ثم هو بعد مركب للناس، ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة، كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق، ومن العراق إلى الصين، فإن هذه التجارات لو لم يكن لها محمل إلاّ على الظهر لبارت وبقيت في بلدانها وأيدي أهلها، لأن أجر حملها يجاوز أثمانها، فلا يتعرّض أحد لحملها وكان يجتمع في ذلك أمران: أحدهما فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها، والآخر انقطاع معاش من يحملها ويتعيّش بفضلها.

انتشار النسيم

وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق هذا الأنام من الدخان والبخار الذي يتحيّر فيه، ويعجز عمّا يحول إلى السحاب والضباب أولاً أولاً، فقد تقدّم من صفته ما فيه كفاية.

اختزان النار

والنار أيضاً كذلك، فإنها لو كانت مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه، ولما لم يكن بدّ من ظهورها في الأحايين، لغنائها في كثير من المصالح، جعلت كالمخزونة في الأجسام، فتلتمس عند الحاجة إليها، وتمسك بالمادة والحطب ما احتيج إلى بقائها لئلا تخبو فلا هي تمسك بالمادة والحطب، فتعظم المؤونة في ذلك، ولا هي تظهر مبثوثة، فتحرق كل ما هي فيه، بل هي على تهيئة وتقدير، اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها.

ثم فيها خلّة أخرى وهي أنها ممّا خصّ بها الإنسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة، فإنه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه

من الضرر في معاشه، فأما البهائم فلا تستعمل النار، ولا تستمتع بها، ولما قدر الله عزَّ وجلَّ أن يكون هذا هكذا خلق للإنسان كفاً وأصابع مهيّأة لقدح النار واستعمالها، ولم يعط البهائم مثل ذلك، لكنها أُعينت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الإنسان عند فقدها.

سراج الليل وفاكهة الشتاء

وأنبئك من منافع النار على خلقة صغيرة عظيم موقعها، وهي هذا المصباح الذي يتّخذه الناس، فيقضون به حوائجهم ما شاؤوا في ليلهم، ولولا هذه الخلّة لكان الناس تصرف أعمارهم بمنزلة من في القبور، فمن كان يستطيع أن يكتب أو يحفظ أو ينسج في ظلمة الليل، وكيف كان حال من عرض له وجع في وقت من أوقات الليل، فاحتاج إلى أن يُعالج ضماداً أو سفوفاً أو شيئاً يستشفي به، فأما منافعها في نضج الأطعمة ودفاء الأبدان وتجفيف أشياء وتحليل أشياء وأشباه ذلك، فأكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى.

الصحو والمطر

فكّر يا مفضل في الصحو والمطر كيف يتعاقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه، ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده، ألا ترى أن الأمطار إذا توالت عفنت البقول والخضر، واسترخت أبدان الحيوان وحصر الهواء فأحدث ضروباً من الأمراض، وفسدت الطرق والمسالك، وأن الصحو إذا دام جفّت الأرض، واحترق النبات، وغيض ماء العيون والأودية، فأضرّ ذلك بالناس وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضروباً

أخرى من الأمراض، فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الآخر، فصلحت الأشياء واستقامت.

في مصلحة الإنسان

فإن قال قائل: ولِمَ لا يكون في شيء من ذلك مضرّة البتّة؟ قيل له ليمض ذلك الإنسان ويؤلمه بعض الألم، فيرعوي عن المعاصي، فكما أن الإنسان إذا سقم بدنه احتاج إلى الأدوية المرة البشعة ليقوّم طباعه، ويصلح ما فسد منه، كذلك إذا طغى واشتدّ، احتاج إلى ما يمضّه ويؤلمه، ليرعوي ويقصر عن مساويه، ويثبته على ما فيه حظّه ورشده. ولو أن ملكاً من الملوك قسّم في أهل مملكته قناطير من ذهب وفضّة، ألم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت، فأين هذا من مطرة رواء يعمّ به البلاد، ويزيد في الغلاّت أكثر من قناطير الذهب والفضة في أقاليم الأرض كلها، أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها، وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون، وربما عاقت عن أحدهم حاجة لا قدر لها، فيتذمّر ويسخط إيثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه، جميلاً محموداً لعاقبته وقلّة معرفته لعظيم الغناء والمنفعة فيها.

من أسرار المطر

تأمل نزوله على الأرض والتدبير في ذلك، فإنه جعل ينحدر عليها من علوّ ليغشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه، ولو كان إنما يأتيها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرفة منها، ويقل ما يزرع في الأرض ألا ترى أن الذي يزرع سيحاً أقل من ذلك، فالأمطار هي التي تطبق الأرض، وربما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلّة

الكثيرة، وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة سياق الماء من موضع إلى موضع، وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذو العزّ والقوّة، ويحرمه الضعفاء، ثم إنه حين قدر أن ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرش، ليغور في قعر الأرض فيرويها، ولو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها، ثم كان يحطّم الزروع القائمة إذا اندفق عليها، فصار ينزل نزولاً رقيقاً، فينبت الحب المزروع ويحيي الأرض والزرع القائم.

وفي نزوله أيضاً مصالح أخرى، فإنه يلين الأبدان، ويجلو كدر الهواء، فيرتفع الوباء الحادث من ذلك، ويغسل ما يسقط على الشجر والزرع من الدماء المسمى باليرقان[١]، إلى أشباه هذا من المنافع.

تنبيه وتأنيب

فإن قال قائل: أوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير، لشدّة ما يقع منه، أو برد يكون فيه تحطم الغلاّت، وبخورة يحدث في الهواء، فيولد كثيراً من الأمراض في الأبدان والآفات في الغلاّت؟ قيل: بلى قد يكون ذلك الفرط، لما فيه من صلاح الإنسان، وكفّه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها، فيكون المنفعة فيما يصلح له من دينه، أرجح ممّا عسى أن يرزأ في ماله.

وتد الأرض

انظر يا مفضّل إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة، التي يحسبها الغافلون فضلاً لا حاجة إليها، والمنافع فيها كثيرة، فمن ذلك أن

---

(١) اليرقان: بفتحتين أو فتح فسكون، آفة للزرع أو دود يسطو على الزرع.

تسقط عليها الثلوج، فتبقى في قلالها لمن يحتاج إليه، ويذوب ما ذاب منه، فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام، وينبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل، ويكون فيها كهوف ومعاقل للوحوش من السباع العادية، ويتّخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرّز من الأعداء وينحت منها الحجارة للبناء والأرحاء ويوجد فيها معادن لضرب من الجواهر، وما فيها خلال أخر لا يعرفها إلاّ المقدّر لها في سابق علمه.

الذخائر والكنوز

فكّر يا مفضّل: في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص والكلس والجبسين[١] والزرنيخ والمرتك[٢] والتوتيا[٣] والزئبق والنحاس والرصاص والفضة والذهب والزبرجد والياقوت والزمرد وضروب الحجارة.

وكذلك ما يخرج منها من القار والموميا والكبريت والنفط وغير ذلك ممّا يستعمله الناس في مآربهم فهل يخفى على ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض، ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها.

ثم قصرت حيلة الناس عمّا حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فإنهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر، ويستفيض في العالم، حتى تكثر الفضة والذهب، ويسقطا

---

(١) الجبسين: الظاهر أنه الجبس وهو الجصّ.

(٢) المرتك: هو أوكسيد الرصاص.

(٣) التوتيا: هي أوكسيد الزنك غير النقي مخلوطاً مع الزرنيخ.

عند الناس، فلا تكون لهما قيمته، ويبطل الانتفاع بهما في الشراء والبيع والمعاملات، ولا كان يجبي السلطان الأموال ولا يدّخرهما أحد للأعقاب، وقد أعطى الناس ـ مع هذا ـ صنعة الشبه[1] من النحاس، والزجاج من الرمل، والفضة من الرصاص، والذهب من الفضة، وأشباه ذلك ممّا لا مضرّة فيه.

فانظر كيف أعطوا إرادتهم في ما لا ضرر فيه، ومنعوا ذلك فيما كان ضاراً لهم لو نالوه، ومن أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلتاً بماء غزير، لا يدرك غوره، ولا حيلة في عبوره، ومن ورائه أمثال الجبال من الفضة.

من تدبير الخالق

تفكّر الآن في هذا، من تدبير الخالق الحكيم، فإنه أراد جلّ ثناؤه أن يري العباد قدرته، وسعة خزائنه، ليعلموا أنه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل، لكن لا صلاح لهم في ذلك، لأنه لو كان فيكون فيها ـ كما ذكرنا ـ سقوط هذا الجوهر عند الناس، وقلّة انتفاعهم به، واعتبر ذلك بأنه قد يظهر الشيء الظريف ممّا يحدثه الناس من الأواني والأمتعة، فما دام عزيزاً قليلاً، فهو نفيس جليل آخذ الثمن، فإذا فشا وكثر في أيدي الناس، سقط عندهم وخست قيمته، ونفاسة الأشياء من عزّتها.

من أسرار النبات

فكّر يا مفضل في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب، فالثمار للغذاء، والأتبان للعلق، والحطب للوقود، والخشب لكل شيء من أنواع

---

(١) الشبه: بكسر ففتح، هو النحاس الأصفر.

التجارة وغيرها، واللحاء[1] والورق والأصول والعروق والصموغ لضروب من المنافع، أرأيت لو كُنّا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه الأرض، ولم تكن تنبت على هذه الأغصان الحاملة لها، كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا، وإن كان الغذاء موجوداً فإن المنافع بالخشب والحطب والأتبان وسائر ما عددناه كثيرة عظيم قدرها، جليل موقعها، هذا مع ما في النبات من التلذّذ بحسن منظره، ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه.

حياة الحبة وريعها

فكّر يا مفضّل في هذا الريع الذي جعل في الزرع، فصارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة وأكثر وأقل، وكان يجوز للحبة أن تأتي بمثلها، فلم صارت تريع هذا الريع إلاّ ليكون في الغلّة متّسع، لما يرد في الأرض من البذر، وما يتقوّت الزراع إلى إدراك زرعها المستقبل، ألا ترى أن الملك لو أراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطي أهله ما يبذرونه في أرضهم وما يقوتهم إلى إدراك زرعهم.

فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدّم في تدبير الحكيم، فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج إليه للقوت والزراعة، وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير، فإنك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمراً عظيماً، فلم كان كذلك إلاّ ليكون فيه ما يقطعه الناس، ويستعملونه في مآربهم، وما برد فيغرس في الأرض، ولو كان الأصل منه يبقى منفرداً ولا يفرخ ولا يريع لما أمكن أن يقطع منه شيء لعمل ولا لغرس، ثم كان أن أصابته آفة انقطع أصله، فلم يكن منه خلف.

---

(١) اللحاء: قشر العود أو الشجر.

حكمة السنابل

تأمّل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلاء وما أشبه ذلك فإنها تخرج في أوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات إلى أن تشتدّ وتستحكم، كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه وأما البُر[١] وما أشبهه فإنه يخرج مدرجاً في قشور صلاب على رؤوسها أمثال الأسنة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفّر على الزرّاع.

فإن قال قائل: أوليس قد ينال الطير من البر والحبوب؟

قيل له: بلى على هذا قدر الأمر فيها، لأن الطير خلق من خلق الله تعالى وقد جعل الله تبارك وتعالى له في ما تخرج الأرض حظاً ولكن حصّنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكّن الطير منها كل التمكّن فيعبث بها ويفسد الفساد الفاحش، فإن الطير لو صادف الحب بارزاً ليس عليه شيء يحول دونه لأكبّ عليه حتى ينسفه أصلاً، فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت، ويخرج الزرّاع من زرعه صفراً، فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه، فينال الطائر منه شيئاً يسيراً يتقوّت به، ويبقى أكثره للإنسان، فإنه أولى به، إذ كان هو الذي كدح فيه وشقي به، وكان الذي يحتاج إليه أكثر ممّا يحتاج إليه الطير.

النبات وعملية التغذية

تأمّل الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات، فإنها لما كانت تحتاج إلى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان، ولم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء، جعلت أصولها مركوزة في

---

(١) البُر: بضم فتشديد، هو القمح، الواحدة بُرة.

الأرض لتنزع منها الغذاء فتؤدّيه إلى الأغصان وما عليها من الورق والثمر، فصارت الأرض كالأم المربّية لها، وصارت أصولها التي هي كالأفواه ملتقمة للأرض لتنزع منها الغذاء، كما ترضع أصناف الحيوان أمّاتها.

ألم ترّ إلى عمد الفساطيط والخيم كيف تمد بالأطناب من كل جانب لتثبت منتصبة فلا تسقط ولا تميل، فهكذا تجد النبات كلّه له عروق منتشرة في الأرض ممتدّة إلى كل جانب لتمسكه وتقيمه، ولولا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف؟

فانظر إلى حكمة الخالق كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة التي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط والخيم، متقدّمة في خلق الشجر، لأن خلق الشجر قبل صنعة الفساطيط والخيم. . . ألا ترى عمدها وعيدانها من الشجر، فالصناعة مأخوذة من الخلقة.

ورق الشجرة وحكمته

تأمّل يا مفضّل خلق الورق فإنك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع، فمنها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها، ومنها دقاق تتخلّل تلك الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجماً، لو كان ممّا يصنع بالأيدي كصنعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل، ولاحتيج إلى آلات وحركة وعلاج وكلام، فصار يأتي منه في أيام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الأرض كلّها بلا حركة ولا كلام، إلا بالإرادة النافذة في كل شيء والأمر المطاع، واعرف مع ذلك العلّة في تلك العروق الدقاق، فإنّها جعلت تتخلل الورقة بأسرها، لتسقيها وتوصل

الماء إليها، بمنزلة العروق المبثوثة في البدن، لتوصل الغذاء إلى كل جزء منه، وفي الغلاظ منها معنى آخر، فإنها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها، لئلا تنتهك وتتمزّق، فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب، فالصناعة تحكي الخلقة وإن كانت لا تدركها على الحقيقة.

حكم العجم والنوى

فكّر في هذا العجم والنوى والعلّة فيه، فإنه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس إن عاق دون الغرس عائق، كما يحرز الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة إليه في مواضع أُخر، فإن حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد في موضع آخر، ثم هو بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقّتها، ولولا ذلك لتشدّخت[1] وتفسّخت، وأسرع إليها الفساد وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه، فيستعمل منه ضروب من المصالح، وقد تبيّن لك موضع الأرب في العجم والنوى.

لولا النواة؟

فكّر الآن في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطبة، وفوق العجم من العنبة، فما العلّة فيه؟ ولماذا يخرج في هذه الهيئة؟ وقد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل كمثل ما يكون في السدر والدُلب[2] وما أشبه ذلك، فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة، إلاّ ليستمتع بها الإنسان؟

---

(١) تشدّخت: تكسّرت.

(٢) الدلب: بالضم، شجر عظيم عريض الورق لا زهر له ولا ثمر، والواحد دلبة.

حياة الشجر وموته

فكّر في ضروب من التدبير في الشجر، فإنّك تراه يموت في كل سنة موتة، فتحتبس الحرارة الغريزية في عوده، ويتولّد فيه مواد الثمار ثم يحيى وينتشر، فيأتيك بهذه الفواكه نوعاً بعد نوع، كما تقدم إليك أنواع الأطبخة التي تعالج بالأيدي واحداً بعد واحد، فترى الأغصان في الشجر تتلقّاك بثمارها حتى كأنها تناولكها عن يد، وترى الرياحين تتلقّاك في أفنانها[1] كأنها تجئك بأنفسها، فلمن هذا التقدير إلاّ لمقدر حكيم وما العلّة فيه إلاّ تفكيه الإنسان بهذه الثمار والأنوار؟ والعجب من أناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها.

في الرمّانة عبرة

واعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها من أثر العمد والتدبير، فإنك ترى فيها كأمثال التلال، من شحم مركوم في نواحيها، وحب مرصوف صفاً كنحو ما ينضد بالأيدي، وترى الحب مقسوماً أقساماً، وكل منها ملفوفاً بلفائف من حجب منسوجة أعجب النسج وألطفه، وقشرة يضم ذلك كله.

فمن التدبير في هذه الصنعة أنه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمانة من الحب وحده، وذلك أن الحب لا يمد بعضه بعضاً، فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء، ألا ترى أن أصول الحب مركوزة في ذلك الشحم، ثم لُفّ بتلك اللفائف لتضمّه وتمسكه فلا يضطرب، وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحصفة لتصونه وتحصّنه من الآفات، فهذا قليل من كثير من وصف الرمانة، وفيه أكثر من هذا لمن أراد الإطناب والتذرّع في

---

(١) الأفنان: جمع فنن، وهو الغصن المستقيم.

الكلام، ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار.

النباتات الزاحفة

فكّر يا مفضّل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة، فإنه حين قدر أن يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطاً على الأرض، ولو كان ينتصب قائماً كما ينتصب الزرع والشجر، لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة، ولتقصَّف قبل إدراكها وانتهائها إلى غاياتها، فانظر كيف صار يمتدّ على وجه الأرض ليلقي عليها ثماره فتحملها عنه فترى الأصل من القرع والبطيخ مفترشاً للأرض، وثماره مبثوثة عليها وحواليه كأنه هرة ممتدة، وقد اكتنفتها جراؤها لترضع منها.

لكلّ فصل فاكهة

وانظر كيف صارت الأصناف توافي في الوقت المشاكل لها، من حمّارة[١] الصيف ووقدة الحر فتلقاها النفوس بانشراح وتشوّق إليها، ولو كانت توافي الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعراراً منها مع ما يكون فيها من المضرّة للأبدان، ألا ترى أنه ربما أدرك شيء من الخيار في الشتاء، فيمتنع الناس من أكله إلاّ الشره الذي لا يمتنع من أكل ما يضرّه ويُسقم معدته.

النخيل وأسرارها

فكّر يا مفضّل في النخل، فإنه لما صار فيه إناث تحتاج إلى التلقيح جعلت فيه ذكورة اللقاح من غير غراس، فصار الذكر من النخل بمنزلة

---

(١) الحمّارة: شدّة الحر، والجمع حمّار.

الذكر من الحيوان الذي يُلقّح الإناث لتحمل وهو لا يحمل، تأمل خلقة الجذع كيف هو؟ فإنك تراه كالمنسوج نسجاً من خيوط ممدودة كالسدى وأخرى معه معترضة كاللحمة[١] كنحو ما ينسج بالأيدي، وذلك ليشتدّ ويصلب ولا يتقصّف من حمل القنوات[٢] الثقيلة وهزّ الرياح العواصف إذا صار نخلة وليتهيأ للسقوف والجسور وغير ذلك ممّا يتّخذ منه إذا صار جذعاً.

وكذلك ترى الخشب مثل النسج فإنك ترى بعضه مداخلاً بعضه بعضاً طولاً وعرضاً كتداخل أجزاء اللحم، وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتّخذ منه من الآلات فإنه لو كان مستحصفاً[٣] كالحجارة لم يمكن أن يستعمل في السقوف وغير ذلك ممّا يستعمل فيه الخشبة كالأبواب والأسرة والتوابيت وما أشبه ذلك، ومن جسيم المصالح في الخشب أنه يطفو على الماء، فكل الناس يعرف هذا منه، وليس كلهم يعرف جلالة الأمر فيه، فلولا هذه الخلّة كيف كانت هذه السفن والأظراف تحمل أمثال الجبال من الحمولة، وأنى كان ينال الناس هذا الرفق وخفّة المؤونة في حمل التجارات من بلد إلى بلد، وكانت تعظم المؤونة عليهم في حملها حتى يلقى كثيراً مما يحتاج إليه في بعض البلدان مفقوداً أصلاً أو عسر وجوده.

حكمة العقاقير

فكّر في هذه العقاقير وما خصّ بها كل واحد منها من العمل في بعض الأدواء، فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل

---

(١) اللحمة: بالضم، ما نسج عرضاً.

(٢) القنوات: جمع قناة، وهي العصا الغليظة والمراد بها السعف.

(٣) المستحصف: الشديد المحكم كأنه الحجارة.

الشيطرج، وهذا ينزف المرة السوداء مثل الافتيمون، وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج، وهذا يحلل الأورام، وأشباه هذا من أفعالها، فمن جعل هذه القوى فيها إلاّ من خلقها للمنفعة؟ ومن فطن الناس لها إلاّ من جعل هذا فيها؟ ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال القائلون؟ وهب الإنسان فطن لهذه الأشياء بذهنه ولطيف رويته وتجاربه، فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جرحه إن أصابته ببعض العقاقير فيبرأ، وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم، وأشباه هذا كثير.

عشب الصحاري

ولعلّك تشكّك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا إنس ولا أنيس، فتظن أنه فضل لا حاجة إليه، وليس كذلك، بل هو طعم لهذه الوحوش، وحبه علف للطير، وعوده وأفنانه حطب، فيستعمله الناس، وفيه بعد أشياء تعالج بها الأبدان، وأخرى تدبغ بها الجلود، وأخرى تصبغ الأمتعة، وأشباه هذا من المصالح، ألست تعلم أن من أخسّ النبات وأحقره هذا البردي وما أشبهها، ففيها مع هذا من ضروب المنافع، فقد يتّخذ من البردي القراطيس التي يحتاج إليها الملوك والسوقة، والحصر التي يستعملها كل صنف من الناس، ويعمل منه الغلف التي يوقى بها الأواني، ويجعل حشواً بين الظروف وفي الأسفاط، لكيلا تعيب وتنكسر، وأشباه هذا من المنافع.

في كل شيء عبرة

فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبما له قيمة وما لا قيمة له، وأخسّ من هذا وأحقره الزبل، والعذرة التي

اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معاً، وموقعها من الزروع والبقول والخضر أجمع الموقع الذي لا يعدله شيء، حتى أن كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو إلاّ بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس، ويكرهون الدنوّ منه.

واعلم أنه ليس منزلة الشيء حسب قيمته، بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين، وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيساً في سوق العلم، فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته، فلو فطن طالبو الكيمياء لما في العذرة، لاشتروها بأنفس الأثمان وغالوا بها.

ختم وبدء

قال المفضّل: وحان وقت الزوال، فقام مولاي إلى الصلاة وقال بكّر إليَّ غداً إن شاء الله تعالى، فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرّفنيه، مبتهجاً بما آتانيه، حامداً لله على ما منحنيه، فبتّ ليلتي مسروراً.

قال المفضّل: فلما كان اليوم الرابع بكّرت إلى مولاي فاستؤذن لي، فأمرني بالجلوس فجلست، فقال عليه السلام: منّا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقديس، للاسم الأقدم، والنور الأعظم، العلّي العلاّم، ذي الجلال والإكرام، ومنشىء الأنام، ومفني العوالم والدهور، وصاحب السرّ المستور، والغيب المحظور، والاسم المخزون، والعلم المكنون، وصلواته وبركاته على مُبلّغ وحيه، ومؤدّي رسالته، الذي بعثه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيي عن بيّنة، فعليه وعلى آله من بارئه الصلوات الطيّبات، والتحيّات الزاكيات الناميات، وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات

في الماضين والغابرين، أبد الآبدين، ودهر الداهرين، وهم أهله ومستحقّوه.

التذرّع بالكوارث لإنكار الخالق

قد شرحتُ لك يا مفضّل من الأدلّة على الخلق، والشواهد على صواب التدبير والعمد في الإنسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك، ما فيه عبرة لمن اعتبر، وأنا أشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الأزمان التي اتّخذها أناس من الجهّال ذريعة إلى جحود الخلق الخالق والعمد والتدبير، وما أنكرت المعطلة والمنانية من المكاره والمصائب، وما أنكروه من الموت والفناء، وما قاله أصحاب الطبائع، ومن زعم أن كون الأشياء بالعرض والاتفاق، ليتّسع ذلك القول في الرد عليهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

اتّخذ أناس من الجهّال هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان ـ كمثل الوباء واليرقان والبرد والجراد ـ ذريعة إلى جحود الخالق والتدبير والخلق.

النقض على المنكرين

فيقال في جواب ذلك: إنه إن لم يكن خالق ومدبّر فلم لا يكون ما هو أكثر من هذا وأفظع؟ فمن ذلك أن تسقط السماء على الأرض، وتهوي الأرض فتذهب سفلاً، وتتخلّف الشمس عن الطلوع أصلاً، وتجفّ الأنهار والعيون حتى لا يوجد ماء للشفة، وتركد الريح، حتى تخمّ الأشياء وتفسد، ويفيض ماء البحر على الأرض فيغرقها، ثم هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء والجراد وما أشبه ذلك ما بالها لا تدوم

وتمتدّ، حتى تجتاح كل ما في العالم، بل تحدث في الأحايين، ثم لا تلبث أن تُرفع.

في الكوارث موعظة

أفلا ترى أن العالم يصان ويحفظ من تلك الأحداث الجليلة التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره، ويلذع أحياناً بهذه الآفات اليسيرة، لتأديب الناس وتقويمهم، ثم لا تدوم هذه الآفات، بل تكشف عنهم عند القنوط منهم، فيكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة.

تشابه المنانية والجهّال

وقد أنكرت المنانية من المكاره والمصائب التي تُصيب الناس فكلاهما يقول: إن كان للعالم خالق رؤوف رحيم، فلم تحدث فيه هذه الأمور المكروهة، والقائل بهذا القول يذهب إلى أنه ينبغي أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافياً من كل كدر، ولو كان هكذا كان الإنسان يخرج من الأشر والعتوّ إلى ما لا يصلح في دين ولا دنيا، كالذي ترى كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والأمن، يخرجون إليه حتى أن أحدهم ينسى أنه بشر، وأنه مربوب، أو أن ضرراً يمسّه، أو أن مكروهاً يُنزل به، أو أنه يجب عليه أن يرحم ضعيفاً، أو يُواسي فقيراً، أو يُرثي المبتلى، أو يتحنّن على ضعيف، أو يتعطّف على مكروب، فإذا عضّته المكاره ووجد مضضها، اتّعظ وأبصر كثيراً ممّا كان جهله وغفل عنه، ورجع إلى كثير ممّا كان يجب عليه، والمنكرون لهذه الأمور المؤذية بمنزلة الصبيان الذي يذمّون الأدوية المرة البشعة، ويتسخّطون من المنع من الأطعمة الضارّة، ويتكرهون الأدب والعمل، ويحبّون أن يتفرّغوا للّهو

والبطالة، وينالوا كل مطعم ومشرب، ولا يعرفون ما تؤديهم إليه البطالة من سوء النشو [النشوء ـ خ] والعادة، وما تعقبهم الأطعمة اللذيذة الضارّة من الأدواء والأسقام، وما لهم في الأدب من الصلاح، وفي الأدوية من المنفعة، وإن شاب ذلك بعض الكراهة.

سؤال وجواب

فإن قالوا: فلم لم يكن الإنسان معصوماً من المساوئ، حتى لا يحتاج إلى أن تلذعه هذه المكاره، قيل: إذا كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها، ولا مستحقّاً للثواب عليها.

الأجر قبال العمل

فإن قالوا: وما كان يضرّه أن لا يكون محموداً على الحسنات مستحقاً للثواب، بعد أن يصير إلى غاية النعيم واللّذات؟ قيل لهم: اعرضوا على امرىء صحيح الجسم والعقل، أن يجلس مُنعّماً، ويكفى كلّ ما يحتاج إليه بلا سعي ولا استحقاق، فانظروا هل تقبل نفسه ذلك، بل ستجدونه بالقليل ممّا يناله بالسعي والحركة أشدّ اغتباطاً وسروراً منه بالكثير ممّا يناله بغير الاستحقاق، وكذلك نعيم الآخرة أيضاً يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة على الإنسان في هذا الباب مضاعفة، فإن أُعد له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا وجعل له السبيل إلى أن ينال ذلك بسعي واستحقاق، فيكمل له السرور والاغتباط بما يناله منه.

الاستغناء يطغي الإنسان

فإن قالوا: أوليس قد يكون من الناس من يركن إلى ما نال من خير،

وإن كان لا يستحقه، فما الحجّة في منع من رضي أن ينال نعيم الآخرة على هذه الجملة؟ قيل لهم: إن هذا باب لو فتح للناس لخرجوا إلى غاية الكلب، والضراوة على الفواحش، وانتهاك المحارم، فمن كان يكفّ نفسه عن فاحشة، أو يتحمّل المشقّة في باب من أبواب البِرّ لوثق بأنه صائر إلى النعيم لا محالة، أو من كان يأمن على نفسه وأهله وماله من الناس لو لم يخف الحساب والعقاب، فكان ضرر هذا الباب سينال الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة، فيكون في ذلك تعطيل العدل والحكمة معاً، وموضع للطعن على التدبير بخلاف الصواب ووضع الأمور في غير مواضعها.

البلاء في الأموال

وقد يتعلّق هؤلاء بالآفات التي تُصيب الناس، فتعمّ البِر والفاجر أو يُبتلى بها البِر ويسلم الفاجر منها، فقالوا: كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم وما الحجّة فيه؟ فيقال لهم: إن هذه الآفات وإن كانت تنال الصالح والطالح جميعاً، فإن الله عزَّ وجلَّ جعل ذلك صلاحاً للصنفين كليهما.

أما الصالحون فإن الذي يصيبهم من هذا يزدهم نِعَم ربهم عندهم في سالف أيامهم فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر.

وأما الطالحون فإن مثل هذا إذا نالهم كسر شرتهم وردعهم عن المعاصي والفواحش، وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحاً في ذلك، أما الأبرار فإنهم يغتبطون بما هم عليه من البِرّ والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة وأما الفُجّار فإنهم يعرفون رأفة ربهم، وتطوّله

عليهم بالسلامة من غير استحقاق، فيحضّهم ذلك على الرأفة بالناس، والصفح عمّن أساء إليهم.

البلاء في الأبدان

ولعل قائلاً يقول: إن هذه الآفات التي تُصيب الناس في أموالهم، فما قولك فيما يبتلون به في أبدانهم، فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف؟ فيقال له إن الله جعل في هذا أيضاً صلاحاً للصنفين جميعاً، أما الأبرار فلِما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها، والنجاة من مكارهها، وأما الفجّار فلِما لهم في ذلك من تمحيص أوزارهم، وحبسهم عن الازدياد منها، وجملة القول: إن الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الأمور كلّها إلى الخير والمنفعة، فكما أنه إذا قطعت الريح شجرة أو قطعت نخلة، أخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب من المنافع، فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في أبدانهم وأموالهم، فيصيّرها جميعاً إلى الخير والمنفعة.

حكمة الابتلاء

فإن قال: ولم تحدث على الناس؟ قيل له: لكيلا يركنوا إلى المعاصي من طول السلامة، فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي، ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البِرّ فإن هذين الأمرين جميعاً يغلبان على الناس في حال الخفض والدِّعة وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم وتنبّههم على ما فيه رشدهم، فلو خلوا منها لغلوا في الطغيان والمعصية، كما غلا الناس في أول الزمان، حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الأرض منهم.

من أسرار الموت

وممّا ينتقده الجاحدون للعمد والتقدير الموت والفناء، فإنهم يذهبون إلى أنه ينبغي أن يكون الناس مخلّدين في هذه الدنيا، مبرئين من هذه الآفات، فينبغي أن يساق هذا الأمر إلى غايته، فينظر ما محصوله.

أفرأيت لو كان كل من دخل العالم ويدخله يبقون، ولا يموت أحد منهم، ألم تكن الأرض تضيق بهم، حتى تعوزهم المساكن والمزارع والمعائش، فإنهم ـ والموت يفنيهم أولاً فأولاً ـ يتنافسون في المساكن والمزارع، حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب، وتسفك فيهم الدماء، فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون، وكان يغلب عليهم الحرص والشره وقساوة القلوب، فلو وثقوا بأنهم لا يموتون لما قنِع الواحد منهم بشيء يناله، ولا أفرج لأحد عن شيء يسأله، ولا سلا عن شيء ممّا يحدث عليه، ثم كانوا يملّون الحياة وكل شيء من أمور الدنيا كما قد يملّ الحياة من طال عمره، حتى يتمنّى الموت والراحة من الدنيا.

الإنسان والخلود

فإن قالوا: إنه كان ينبغي أن يرفع عنهم المكاره والأوصاب حتى لا يتمنوا الموت ولا يشتاقوا إليه، فقد وصفنا ما كان يخرجهم إليه من العتوّ والأشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدنيا والدين، وإن قالوا: إنه كان ينبغي أن لا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعائش. قيل لهم: إذا كان يحرم أكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله تعالى ومواهبه في الدارين جميعاً إذا لم يدخل العالم إلاّ قرن[1] واحد، لا

---

(١) المراد بالقرن هنا أهل زمان واحد والجمع قرون.

يتوالدون ولا يتناسلون، فإن قالوا: إنه كان ينبغي أن يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق إلى انقضاء العالم، يقال لهم: رجع الأمر إلى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعائش عنهم، ثم لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الأُنس بالقرابات وذوي الأرحام والانتصار بهم عند الشدائد، وموضع تربية الأولاد والسرور بهم، ففي هذا دليل على أن كلّ ما تذهب إليه الأوهام ـ سوى ما جرى به التدبير ـ خطأ وسفه من الرأي والقول.

الدنيا دار اختبار

ولعلّ طاعناً يطعن على التدبير من جهة أخرى فيقول: كيف يكون هٰهنا تدبير، ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عزيز، فالقوي يظلم ويغصب، والضعيف يظلم ويسالم الخسف، والصالح فقير مبتلى، والفاسق مُعافى موسع عليه، ومن ركب فاحشة أو انتهك محرماً لم يعاجل بالعقوبة، فلو كان في العالم تدبير لجرت الأمور على القياس القائم، فكان الصالح هو المرزوق، والطالح هو المحروم، وكان القوي يمنع من ظلم الضعيف، والمنتهك للمحارم يعاجل بالعقوبة.

فيقال في جواب ذلك: إن هذا لو كان هكذا لذهب موضع الإحسان الذي فضّل به الإنسان على غيره من الخلق، وحمل النفس على البِرّ والعمل الصالح احتساباً للثواب، وثقة بما وعد الله عنه، ولصار بمنزلة الدواب التي تُساس بالعصا والعلف، ويلمع لها بكل واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذلك، ولم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عقاب، حتى كان هذا يخرجهم عن حد الإنسية إلى حد البهائم، ثم لا

يعرف ما غاب، ولا يعمل إلاّ على الحاضر من نعيم الدنيا، وكان يحدث من هذا أيضاً أن يكون الصالح إنما يعمل للرزق والسعة في هذه الدنيا، ويكون الممتنع من الظلم والفواحش إنما يكف عن ذلك لترقّب عقوبة تنزل به من ساعته، حتى تكون أفعال الناس كلّها تجري على الحاضر لا يشوبه شيء من اليقين بما عند الله، ولا يستحقّون ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها.

النقض على الطاعنين

مع أن هذه الأمور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه، بل قد تجري على ذلك أحياناً والأمر المفهوم، فقد ترى كثيراً من الصالحين، يرزقون المال لضروب من التدبير وكيلا يسبق إلى قلوب الناس أن الكفار هم المرزقون، والأبرار هم المحرمون، فيؤثرون الفسق على الصلاح، وترى كثيراً من الفُسّاق يعاجلون بالعقوبة إذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم كما عوجل فرعون بالغرق، وبخت نصر بالتيه، وبلبيس بالقتل، وإن أمهل بعض الأشرار بالعقوبة، وأخّر بعض الأخيار بالثواب إلى الدار الآخرة، لأسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير، فإن مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض ولا يبطل تدبيرهم، بل يكون تأخيرهم ما أخّروه وتعجيلهم ما عجّلوه داخلاً في صواب الرأي والتدبير، وإذا كانت الشواهد تشهد وقياسهم يوجب أن للأشياء خالقاً حكيماً قادراً فما يمنعه أن يدبر خلقه، فإنه لا يصلح في قياسهم أن يكون الصانع يهمل صنعته إلاّ بإحدى ثلاث خصال إمّا عجز وإمّا جهل وإمّا شرارة.

وكلّ هذا محال في صنعته عزَّ وجلَّ وتعالى ذكره، وذلك أن العاجز لا يستطيع أن يأتي بهذه الخلائق الجليلة العجيبة، والجاهل لا يهتدي لما فيها من الصواب والحكمة والشرير لا يتطاول لخلقها وإنشائها، وإذا كان هذا هكذا وجب أن يكون الخالق لهذه الخلائق يدبّرها لا محالة، وإن كان لا يدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه، فإن كثيراً من تدبير الملوك لا تفهمه العامّة ولا تعرف أسبابه، لأنها لا تعرف دخيلة أمر الملوك وأسرارهم فإذا عرف سببه وجد قائماً على الصواب والشاهد المحنة.

الاعتبار بالشواهد

ولو شككت في بعض الأدوية والأطعمة فيتبيّن لك من جهتين أو ثلاث أنه حار أو بارد، ألم تكن ستقضي عليه بذلك وتنفي الشك فيه عن نفسك؟ فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخلق والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة وأكثر منها ما لا يحصى كثرة، ولو كان نصف العالم وما فيه مشكلاً صوابه، لما كان من حزم الرأي وسمت الأدب أن يقضى على العالم بالإهمال لأنه كان في النصف الآخر وما يظهر فيه من الصواب، وإتقان ما يردع الوهم عن التسرّع إلى هذه القضية، فكيف وكلّ ما فيه إذا فتش وجد على غاية الصواب حتى لا يخطر بالبال شيء إلاّ وجد ما عليه الخلقة أصحّ وأصوب منه.

وقفة مع علماء اليونان

واعلم يا مفضل أن اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم «قوسموس» وتفسيره الزينة، وكذلك سمَّته الفلاسفة ومن ادّعى الحكمة، أفكانوا يسمّونه بهذا الاسم إلاّ لما رأوا فيه من التقدير والنظام

فلم يرضوا أن يسموه تقديراً ونظاماً حتى سمّوه زينة، ليخبروا أنه مع ما هو عليه من الصواب والإتقان، على غاية الحسن والبهاء.

جاهل في لباس حكيم

أعجب يا مفضل من قوم لا يقضون على صناعة الطب بالخطأ، وهم يرون الطبيب يخطىء، ويقضون على العالم بالإهمال، ولا يرون شيئاً منه مهملاً، بل أعجب من أخلاق من ادّعى الحكمة، حتى جهلوا مواضعها في الخلق، فأرسلوا ألسنتهم بالذمّ للخالق جلّ وعلا، بل العجب من المخذول (ماني) حين ادّعى علم الأسرار وعَمِي عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه إلى الخطأ ونسب خالقه إلى الجهل، تبارك الحكيم الكريم.

المحدود لا يدرك اللامحدود

وأعجب منهم جميعاً (المعطلة) الذين راموا أن يدركوا بالحسّ ما لا يدرك بالعقل، فلما أعوزهم ذلك، خرجوا إلى الجحود والتكذيب، فقالوا: ولم لا يدرك بالعقل؟ قيل: لأنه فوق مرتبة العقل، كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته، فإنك لو رأيتَ حجراً يرتفع في الهواء علمتَ أن رامياً رمى به، فليس هذا العلم من قبل البصر، بل من قبل العقل، لأن العقل هو الذي يميّزه، فيعلم أن الحجر لا يذهب علواً من تلقاء نفسه، أفلا ترى كيف وقف البصر على حدّه فلم يتجاوزه، فكذلك يقف العقل على حدّه من معرفة الخالق فلا يعدوه، ولكن يعقله بعقل أقرّ أن فيه نفساً ولم يعاينها، ولم يدركها بحاسة من الحواس.

التكليف بالإقرار لا بالإحاطة

وعلى حسب هذا أيضاً نقول: إن العقل يعرف الخالق من جهة

توجب عليه الإقرار، ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته، فإن قالوا فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف، ولا يحيط به؟ قيل لهم: إنما كلف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه، وهو أن يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه، ولم يكلّفوا الإحاطة بصفته، كما أن الملك لا يكلّف رعيّته أن يعلموا أطويل هو أم قصير، وأبيض هو أم أسمر، وإنما يكلّفهم الإذعان لسلطانه، والانتهاء إلى أمره. ألا ترى أن رجلاً لو أتى باب الملك، فقال: أعرض عليّ نفسك حتى أتقصّى معرفتك، وإلاّ لم أسمع لك، كان قد أحلّ نفسه بالعقوبة، فكذا القائل إنه لا يقرّ بالخالق سبحانه، حتى يحيط بكنهه متعرّضاً لسخطه، فإن قالوا: أوَليس قد نصفه؟ فنقول: هو العزيز الحكيم الجواد الكريم، قيل لهم: كل هذه صفات إقرار، وليست صفات إحاطة، فإنّا نعلم أنه حكيم، ولا نعلم بكنه ذلك منه، وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته، كما قد نرى السماء فلا ندري ما جوهرها، ونرى البحر ولا ندري أين منتهاه، بل فوق هذا المثال بما لا نهاية له، ولأن الأمثال كلها تقصر عنه، ولكنها تقود العقل إلى معرفته، فإن قالوا: ولم يختلف فيه؟ قيل لهم: لقصر الأوهام عن مدى عظمته، وتعدّيها أقدارها في طلب معرفته، وأنها تروم الإحاطة به، وهي تعجز عن ذلك وما دونه.

نماذج من عدم الإحاطة

فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها، ولذلك كثرت الأقاويل فيها، واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها، فقال بعضهم هو فلك أجوف مملوء ناراً، له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع، وقال آخرون هو سحابة، وقال آخرون هو

جسم زجاجي، يقل نارية في العالم، ويرسل عليه شعاعها، وقال آخرون هو صفو لطيف ينعقد [من ـ خ] ماء البحر، وقال آخرون هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار، وقال آخرون هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربعة، ثم اختلفوا في شكلها، فقال بعضهم هي بمنزلة صفيحة عريضة، وقال آخرون هي كالكرة المدحرجة، وكذلك اختلفوا في مقدارها، فزعم بعضهم أنها مثل الأرض سواء، وقال آخرون بل هي أقل من ذلك، وقال آخرون بل هي أعظم من الجزيرة العظيمة، وقال أصحاب الهندسة هي أضعاف الأرض مائة وسبعين مرة، ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس، دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها، فإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر، ويدركها الحسّ، قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها، فكيف ما لطف عن الحسّ واستتر عن الوهم؟

الاستتار الذاتي

فإن قالوا: ولم استتر؟

قيل لهم: لم يستتر بحيلة يخلص إليها، كمن يحتجب من الناس بالأبواب والستور، وإنما معنى قولنا استتر أنه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام، كما لطفت النفس وهي خلق من خلقه، وارتفعت عن إدراكها بالنظر، فإن قالوا: ولم لطف تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً؟ كان ذلك خطأ من القول، لأنه لا يليق بالذي هو خالق كل شيء إلاّ أن يكون مبايناً لكل شيء، متعالياً عن كل شيء سبحانه وتعالى.

المعرفة الواجبة بالسبر والتقسيم

فإن قالوا: كيف يعقل أن يكون مبايناً لكل شيء متعالياً عن كل شيء؟

قيل لهم: الحق الذي تطلب معرفته من الأشياء هو أربعة أوجه:

فأولها: أن ينظر أموجود هو أم ليس بموجود؟

والثاني: أن يعرف ما هو في ذاته وجوهره؟

والثالث: أن يعرف كيف هو وما صفته؟

والرابع: أن يعلم لماذا هو ولأي علّة؟ فليس من هذه الوجوه شيء يمكن للمخلوق أن يعرفه من الخالق حقّ معرفته، غير أنّه موجود فقط.

فإذا قلنا: وكيف وما هو؟ فممتنع علم كنهه، وكمال المعرفة به، وأما لماذا هو؟ فساقط في صفة الخالق، لأنه جلّ ثناؤه علّة كل شيء، وليس شيء بعلّة له، ثم ليس علم الإنسان بأنه موجود، يوجب له أن يعلم ما هو وكيف هو، كما أن علمه بوجود النفس لا يُوجب أن يعلم ما هي وكيف هي؟ وكذلك الأمور الروحانية اللطيفة.

الجلي الخفي

فإن قالوا: فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفاً، حتى كأنه غير معلوم؟

قيل لهم: هو كذلك من جهة إذا رام العقل معرفة كنهه والإحاطة به، وهو من جهة أخرى أقرب من كل قريب إذا استدلّ عليه بالدلائل الشافية، فهو من جهة كالواضح لا يخفى على أحد وهو من جهة كالغامض لا يدركه أحد، وكذلك العقل أيضاً ظاهر بشواهد ومستور بذاته.

مع أصحاب الطبائع

فأما (أصحاب الطبائع) فقالوا: إن الطبيعة لا تفعل شيئاً لغير معنى ولا عمّا فيه تمام الشيء في طبيعته، وزعموا أن الحكمة تشهد بذلك،

فقيل لهم: فمن أعطى الطبيعة هذه الحكمة، والوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزة لها، وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب؟ فإن أوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الأفعال، فقد أقرّوا بما أنكروا، لأن هذه في صفات الخالق، وإن أنكروا أن يكون هذا للطبيعة، فهذا وجه الخلق يهتف بأن الفعل للخالق الحكيم.

مع المنكرين القدامى

وقد كان من القدماء طائفة أنكروا العمد والتدبير في الأشياء، وزعموا أن كونها بالعرض والاتفاق وكان ممّا احتجّوا به هذه الآيات التي تكون على غير مجرى العرف والعادة كإنسان يُولد ناقصاً أو زائداً إصبعاً، أو يكون المولود مشوّهاً مبدل الخلق فجعلوا هذا دليلاً على أن كون الأشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض كيف ما اتّفق أن يكون. وقد كان (أرسطوطاليس) ردّ عليهم فقال: إن الذي يكون بالعرض والاتفاق إنما هو شيء يأتي في الفرط مرّة لأعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها، وليس بمنزلة الأمور الطبيعية الجارية على شكل واحد جرياً دائماً ومتتابعاً.

وأنت يا مفضل ترى أصناف الحيوان أن يجري أكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد، كالإنسان يُولد وله يدان ورجلان وخمس أصابع، كما عليه الجمهور من الناس، فأما ما يولد على خلاف ذلك، فإنه لعلّة تكون في الرحم، أو في المادة التي ينشأ منها الجنين، كما يعرض في الصناعات، حين يتعمّد الصانع الصواب في صنعته، فيعوق دون ذلك عائق في الأداة، أو في الآلة التي يعمل فيها الشيء، فقد يحدث مثل ذلك

في أولاد الحيوان للأسباب التي وصفنا، فيأتي الولد زائداً أو ناقصاً أو مشوّهاً، ويسلم أكثرها فيأتي سوياً لا علّة فيه، فكما أن الذي يحدث في بعض أعمال الأعراض لعلّة فيه لا يوجب عليها جميعاً الإهمال وعدم الصانع، كذلك ما يحدث على بعض الأفعال الطبيعية لعائق يدخل عليها، لا يوجب أن يكون جميعها بالعرض والاتفاق، فقول من قال في الأشياء إن كونها بالعرض والاتفاق من قبيل أن شيئاً منها يأتي على خلاف الطبيعة بعرض يعرض له خطأ وخطل.

حكمة شواذ الخلقة

فإن قالوا: ولم صار مثل هذا يحدث في الأشياء؟ قيل لهم: ليعلم أنه ليس كون الأشياء باضطرار من الطبيعة، ولا يمكن أن يكون سواه ـ كما قال القائلون ـ بل هو تقدير وعمد من خالق حكيم، إذ جعل الطبيعة تجري أكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف، وتزول أحياناً عن ذلك، لأعراض تعرض لها، فيستدلّ بذلك على أنها مصرفة مدبرة فقيرة إلى إبداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها، وإتمام عملها، تبارك الله أحسن الخالقين.

نهاية المطاف

يا مفضل خذ ما آتيتك، واحفظ ما منحتك، وكن لربّك من الشاكرين، ولآلائه من الحامدين، ولأوليائه من المطيعين، فقد شرحت لك من الأدلّة على الخلق، والشواهد على صواب التدبير والعمد، قليلاً من كثير وجزءاً من كل، فتدبَّره وفكر فيه واعتبر به، فقلت: بمعونتك يا مولاي أقرّ على ذلك، وأبلغه إن شاء الله.

فوضع يده على صدري فقال: احفظ بمشيئة الله، ولا تنس إن شاء الله، فخررت مغشياً عليّ، فلما أفقت قال: كيف ترى نفسك يا مفضّل؟

فقلت: قد استغنيت بمعونة مولاي وتأييده عن الكتاب الذي كتبته وصار ذلك بين يدي كأنما أقرأه من كفي، فلمولاي الحمد والشكر كما هو أهله ومُستحقّه.

فقال: يا مفضّل فرغ قلبك، واجمع إليك ذهنك وعقلك وطمأنينتك فسألقي إليك من علم ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله بينهما وفيهما من عجائب خلقه، وأصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم إلى سدرة المنتهى، وسائر الخلق من الجن والإنس، إلى الأرض السابعة السفلى وما تحت الثرى، حتى يكون ما وعيته جزءاً من أجزاء. انصرف إذا شئت مصاحباً مكلوءاً، فأنت منّا بالمكان الرفيع، وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى، ولا تسألنّ عمّا وعدتك حتى أحدث لك منه ذكراً.

قال المفضّل: فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف أحدٌ بمثله.

القرآن والتوحيد[1]

عن عبد الرحيم القصير، قال: كتبتُ على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام بمسائل، فيها: أخبِرني عن الله عزَّ وجلَّ هل يوصف بالصورة وبالتخطيط، فإن رأيت ـ جعلني الله فداك ـ أن تكتب إليّ بالمذهب الصحيح من التوحيد. فكتب صلّى الله عليه بيدي عبد الملك بن أعين:

---

(١) التوحيد ١٠٢، ب ٦، ح ١٥: حدّثنا محمد بن الحسن بن الوليد ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفار، قال: حدّثنا العباس بن معروف، قال: حدّثنا ابن أبي نجران، عن حماد بن عثمان،...

سألتَ رحمك الله عن التوحيد، وما ذهب إليه من قبلك، فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون المشبّهون الله تبارك وتعالى بخلقه، المفترون على الله.

واعلم رحمك الله أنّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزَّ وجلَّ، فأنف عن الله البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون ولا تعد القرآن فتضلّ بعد البيان.

خالق كلّ شيء(١)

إنّ الله تبارك وتعالى خلوّ من خَلقه، وخلقه خلوّ منه، وكلّ ما وقع عليم اسم شيء ما خلا الله عزَّ وجلَّ فهو مخلوق، والله خالق كلّ شيء، تبارك الّذي ليس كمثله شيء.

نقطة الهلاك(٢)

عن حسين بن مياح، عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مَن نظر في الله كيف هو هلك.

فطرهم على التوحيد(٣)

عن عبد الرحمن بن كثير، مولى أبي جعفر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال:

---

(١) التوحيد ١٠٥، ب ٧، ح ٣: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٢) المحاسن ٢٣٧، ب ٢٤، ح ٢٠٨: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن بعض أصحابنا،...

(٣) التوحيد ٣٢٩، ب ٥٣، ح ٧: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفار، عن علي بن حسان الواسطي، عن الحسن بن يونس،...

التوحيد، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليّ أمير المؤمنين عليه السلام.

ألست بربّكم؟[١]

عن زرارة، قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ قال:

ثبتت المعرفة في قلوبهم، ونسوا الموقف، وسيذكرونه يوماً ما، ولولا ذلك لم يدرِ أحد من خالقه ولا من رازقه.

هو الأوّل والآخر[٢]

عن ميمون البان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام ـ وقد سُئل عن قوله جلّ وعزّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ﴾ ـ فقال:

الأوّل لا عن أوّل قبله ولا عن بدء سبقه، وآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفات المخلوقين، ولكن قديم أوّل [و]آخر، لم يزل ولا يزال بلا بدء ولا نهاية، لا يقع عليه الحدوث، ولا يحول من حال إلى حال، خالق كلّ شيء.

الواحد الأحد[٣]

عن أبي بصير، قال: أخرج أبو عبد الله عليه السلام حقّاً فأخرج منه ورقة فإذا فيها:

---

(١) المحاسن ١: ٢٤١، ب ٢٤، ح ٢٢٥: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن الحسن بن علي بن فضال، عن ابن بكير،...

(٢) معاني الأخبار ١٢، ب ١٢، ح ١: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل رضي الله عنه، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن محمد بن حكيم،...

(٣) التوحيد ٤٦، ب ٢، ح ٨: أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، قال: حدّثنا محمّد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن إسحاق بن الحارث،...

سبحان الواحد الذي لا إلٰه غيره، القديم المبدىء الذي لا بدء له، الدائم الذي لا نفاد له، الحيّ الذي لا يموت، الخالق ما يُرى وما لا يُرى، العالم كلّ شيء بغير تعليم، ذلك الله الذي لا شريك له.

أفضل الأعمال(١)

عن محمد بن سماعة، قال: سأل بعض أصحابنا الصّادق عليه السلام فقال له: أخبرني أيّ الأعمال أفضل؟ قال:

توحيدك لربّك.

قال: فما أعظم الذنوب؟

قال: تشبيهك لخالقك.

لا يشبهه شيء(٢)

إنّ الله تعالى لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، وكلّ ما وقع في الوهم فهو بخلافه.

هو العليّ الأعلى(٣)

الحمد لله الّذي لا يحسّ ولا يجسّ ولا يمسّ، ولا يدرك بالحواسّ الخمس، ولا يقع عليه الوهم، ولا تصفه الألسن، فكلّ شيء حسّته

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ٢/٢٩٩، ب ٣٩، ح ١: حدّثنا الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي رحمه الله، قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن الحسن بن شاذان القمي، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثنا محمد بن الحسن قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، قال: حدّثنا محمد بن عيسى، قال: حدّثني علي بن بلال، عن محمد بن بشر الدهان،...

(٢) بحار الأنوار ٣/٢٩٠، ح ٤: عن الصادق عليه السلام أنه قال لهشام:...

(٣) التوحيد ٥٩ ـ ٦٠، ب ٢، ح ١٧: حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي أبو الحسين، قال: حدّثني موسى بن عمران، عن الحسين بن يزيد، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن عبد الله بن جرير العبدي، عن جعفر بن محمد عليهما السلام، أنه كان يقول:...

الحواس، أو جسّته الجواس، أو لمسته الأيدي فهو مخلوق، والله هو العليّ، حيث ما يبتغى يوجد، والحمد لله الذي كان قبل أن يكون كان، لم يوجد لوصفه كان، بل كان أولاً كائناً، لم يكوّنه مكوّن جلّ ثناؤه، بل كوّن الأشياء قبل كونها فكانت كما كوّنها، علم ما كان وما هو كائن، كان إذ لم يكن شيء، ولم ينطق فيه ناطق، فكان إذ لا كان.

كان إذ لم يكن شيء(١)

إنّ الله تبارك وتعالى لا تقدّر قدرته ولا يقدر العباد على صفته، ولا يبلغون كنه علمه، ولا مبلغ عظمته، وليس شيء غيره، وهو نور ليس فيه ظلمة، وصدق ليس فيه كذب، وعدل ليس فيه جور، وحقّ ليس فيه باطل، كذلك لم يزل ولا يزال أبد الآبدين، وكذلك كان إذ لم يكن أرض ولا سماء، ولا ليل ولا نهار، ولا شمس ولا قمر، ولا نجوم ولا سحاب، ولا مطر ولا رياح.

ثم إنّ الله تبارك وتعالى أحبّ أن يخلق خلقاً يعظّمون عظمته، ويكبّرون كبرياءه، ويجلّون جلاله، فقال: كونا ظلّين، فكانا كما قال الله تبارك وتعالى.

قال الصدوق رحمه الله: معنى قوله: (هو نور) أي: هو منير وهاد. ومعنى قوله: (كونا ظلّين) الروح المقدّس والملك المقرّب.

والمُراد به أنّ الله كان ولا شيء معه، فأراد أن يخلق أنبياءه وحججه

(١) التوحيد ١٢٨ ـ ١٢٩، ب ٩، ح ٨: حدّثنا محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، عن محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي الصيرفي، عن علي بن حماد، عن المفضل بن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

وشهداءه فخلق قبلهم الروح المقدّس، وهو الذي يؤيّد الله عزَّ وجلَّ به أنبياءه وحججه وشهداءه صلوات الله عليهم، وهو الذي يحرسهم به من كيد الشيطان ووسواسه، ويسدّدهم ويوفّقهم ويمدّهم بالخواطر الصادقة.

ثمّ خلق الروح الأمين الذي نزل على أنبيائه بالوحي منه عزَّ وجلَّ وقال لهما: كونا ظلّين ظليلين لأنبيائي ورسلي وحججي وشهدائي، فكانا كما قال الله عزَّ وجلَّ ظلَّين ظليلَين لأنبيائه ورسله وحججه وشهدائه، يعينهم بهما، وينصرهم على أيديهما، ويحرسهم بهما.

لا يوصف بزمان[1]

إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال، تعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

أحَديّ الذات[2]

عن عمر بن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾[3] فقال:

---

(١) أمالي الصدوق ٢٣٠، ب ٤٧، ح ٧: حدّثنا محمد بن أحمد السناني رضي الله عنه قال: حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الأسدي الكوفي، عن موسى بن عمران النخعي، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي، عن علي بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال:...

(٢) التوحيد ١٣١، ب ٩، ح ١٣: حدّثنا حمزة بن محمد العلوي رحمه الله، قال: أخبرنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير،...

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

هو واحد أحديّ الذات، بائن من خلقه، وبذاك وصف نفسه، وهو بكلّ شيء محيط بالإشراف والإحاطة والقدرة، لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، بالإحاطة والعلم، لا بالذات، لأنّ الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة، فإذا كان بالذات لزمه الحواية.

لا يبعد منه شيء(١)

عن أبي جعفر ـ أظنّه محمد بن النعمان ـ قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(٢) قال: كذلك هو في كلّ مكان. قلت: بذاته؟ قال:

ويحك، إنّ الأماكن أقدار، فإذا قلت: في مكان بذاته لزمك أن تقول في أقدار وغير ذلك، ولكن هو بائن من خلقه، محيط بما خلق علماً وقدرة وإحاطة وسلطاناً وملكاً، وليس علمه بما في الأرض بأقلّ ممّا في السماء، لا يبعد منه شيء، والأشياء له سواء علماً وقدرة وسلطاناً وملكاً وإحاطة.

زعم المشركين(٣)

من زعم أنّ الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، لو

---

(١) التوحيد ١٣٢ ـ ١٣٣، ب ٩، ح ١٥: حدّثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار رضي الله عنه، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن علي الخزاز، عن مثنّى الحناط،...

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣.

(٣) التوحيد ١٧٨، ب ٢٨، ح ٩: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدّثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدّثنا الحسين بن الحسن بن أبان، عن محمد بن أورمة، عن ابن محبوب، عن صالح بن حمزة، عن أبان، عن أسد، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

كان الله عزَّ وجلَّ على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدَثاً.

هؤلاء أُمنائي(١)

عن داود الرقّي، قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ فقال لي: ما يقولون في ذلك؟ قلت: يقولون: إن العرش كان على الماء والربّ فوقه. فقال: كذبوا، من زعم هذا فقد صيّر الله محمولاً، ووصفه بصفة المخلوقين، ولزمه أنّ الشيء الذي يحمله أقوى منه. قلت: بيّن لي جعلتُ فداك. فقال:

إنّ الله عزَّ وجلَّ حمل علمه ودينه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء، أو جنّ أو إنس، أو شمس أو قمر، فلمّا أن أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربّكم؟ فكان أوّل من نطق رسول الله وأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام، فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلم والدين.

ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة علمي وديني وأمنائي في خلقي، وهم المسؤولون.

ثم قيل لبني آدم: أقرّوا لله بالربوبيّة، ولهؤلاء النفر بالطاعة.

فقالوا: نعم ربّنا أقررنا. فقال للملائكة: اشهدوا.

فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو يقولوا: إنّما أشرك آباؤنا من قبل، وكنّا ذرّية من بعدهم أفتهلكنا بما

---

(١) التوحيد ٣١٩ ـ ٣٢٠، ب ٤٩، ح ١: حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدّثنا جذعان بن نصر أبو نصر الكندي، قال: حدّثني سهل بن زياد الآدمي، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الرحمن بن كثير،...

فعل المبطلون، يا داود ولايتنا مؤكّدة عليهم في الميثاق.

استوى من كلّ شيء[١]

عن عبد الرحمن بن الحجّاج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٢] فقال:

استوى من كلّ شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب، استوى من كلّ شيء.

يعطي ويمنع[٣]

عن سليمان بن مهران، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؟ فقال:

يعني ملكه، لا يملكها معه أحد.

والقبض من الله تبارك وتعالى في موضع آخر: المنع، والبسط منه: الإعطاء والتوسيع كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ يعني: يعطي ويوسّع ويمنع ويضيّق، والقبض منه عزّ وجلّ في وجه آخر الأخذ، والأخذ في وجه القبول منه، كما قال: ﴿وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: يقبلها من أهلها ويثيب عليها.

---

(١) التوحيد ٣١٥، ب ٤٨، ح ٢: أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى،...

(٢) سورة طه، الآية: ٥.

(٣) التوحيد ١٦١ ـ ١٦٢، ب ١٧، ح ٢: حدّثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي رحمه الله، قال: حدّثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدّثنا بكر بن عبد الله بن حبيب، قال: حدّثنا تميم بن بهلول، عن أبيه، عن أبي الحسن العبدي،...

قلت: فقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾؟

قال: اليمين: اليد، واليد: القدرة والقوّة، يقول عزَّ وجلَّ: والسماوات مطويّات بقدرته وقوّته، سبحانه وتعالى عمّا يشركون.

الوجه أو الدين؟[1]

عن خيثمة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؟ قال:

دينه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام دين الله ووجهه وعينه في عباده، ولسانه الذي ينطق به ويده على خلقه، ونحن وجه الله الذي يؤتى منه، لن نزال في عباده ما دامت لله فيهم رويّة. قلت: وما الرويّة؟

قال: الحاجة، فإذا لم يكن لله فيهم حاجة رفعنا إليه فصنع ما أحبّ.

الله والرؤية[2]

عن عاصم بن حميد، قال: ذاكرتُ أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية، فقال:

الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، والكرسيّ جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب.

---

(١) التوحيد ١٥١، ب ١٢، ح ٧: أبي رحمه الله قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن سيف، عن أخيه الحسين بن سيف، عن أبيه سيف بن عميرة النخعي،...

(٢) التوحيد ١٠٨، ب ٨، ح ٣: حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رحمه الله، عن أبيه، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى،...

لا تراه العيون(١)

عن هشام، قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام إذ دخل عليه معاوية بن وهب وعبد الملك بن أعين، فقال له معاوية بن وهب: يابن رسول الله ما تقول في الخبر الذي روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ربّه، على أيّ صورة رآه؟ وعن الحديث الذي رووه أنّ المؤمنين يرون ربّهم في الجنّة؟ على أيّ صورة يرونه؟ فتبسّم عليه السلام، ثمّ قال:

يا معاوية! ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه ثمّ لا يعرف الله حقّ معرفته.

ثم قال عليه السلام: يا معاوية! إنّ محمداً صلى الله عليه وآله لم يرَ الربّ تبارك وتعالى بمشاهدة العيان، وأنّ الرؤية على وجهين: رؤية القلب، ورؤية البصر، فمن عنى برؤية القلب فهو مصيب، ومن عنى برؤية البصر فقد كفر بالله وبآياته، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: من شبّه الله بخلقه فقد كفر، ولقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن الحسين بن عليّ، قال: سُئل أمير المؤمنين عليه السلام فقيل: يا أخا رسول الله هل رأيتَ ربّك؟

فقال: وكيف أعبد من لم أره؟ ولم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، فإذا كان المؤمن يرى ربّه بمشاهدة البصر فإنّ كلّ من جاز عليه البصر والرؤية فهو مخلوق، ولا بدّ للمخلوق من الخالق، فقد جعلتَه إذاً محدَثاً مخلوقاً، ومن شبّهه بخلقه فقد اتّخذ مع الله شريكاً، ويلهم أو لم يسمعوا بقول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

---

(١) بحار الأنوار ٤/٥٤، ح ٣٤، عن الكفاية: الحسين بن علي، عن هارون بن موسى، عن محمد بن الحسن، عن الصفار، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير،...

وقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ وإنّما طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سمّ الخياط، فدكدكت الأرض وصعقت الجبال فـ ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ أي ميّتاً ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ وردّ عليه روحه ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من قول من زعم أنّك ترى، ورجعت إلى معرفتي بك أنّ الأبصار لا تدركك، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وأوّل المقرّين بأنّك تَرى ولا تُرى، وأنت بالمنظر الأعلى.

ثم قال عليه السلام: إنّ أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان معرفة الربّ والإقرار له بالعبوديّة، وحدّ المعرفة أن يعرف أنّه لا إلٰه غيره، ولا شبيه له ولا نظير، وأن يعرف أنّه قديم مثبت موجود غير فقيد، موصوف من غير شبيه ولا مبطل ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

وبعده معرفة الرسول والشهادة بالنبوّة، وأدنى معرفة الرسول الإقرار بنبوّته، وأنّ ما أتى به من كتاب أو أمر أو نهي فذلك من الله عزَّ وجلَّ.

وبعده معرفة الإمام الذي به تأتمّ بنعته وصفته واسمه في حال العسر واليُسر.

وأدنى معرفة الإمام أنّه عِدل النبيّ إلاّ درجة النبوّة، ووارثه، وأنّ طاعته طاعة الله وطاعة رسول الله، والتسليم له في كل أمر، والردّ إليه، والأخذ بقوله.

ويعلم أنّ الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علىّ بن أبي طالب، وبعده الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثم محمد بن عليّ، ثم أنا، ثم بعدي موسى ابني، وبعده عليّ ابنه، وبعد عليّ محمد ابنه، وبعد

محمد علي ابنه، وبعد عليّ الحسن ابنه، والحجّة من ولد الحسن.

ثم قال: يا معاوية! جعلتُ لك أصلاً في هذا فاعمل عليه، فلو كنت تموت على ما كنت عليه لكان حالك أسوأ الأحوال، فلا يغرّنك قول من زعم أنّ الله تعالى يُرى بالبصر.

قال: وقد قالوا أعجب من هذا، أوَلم ينسبوا آدم عليه السلام إلى المكروه؟ أوَلم ينسبوا إبراهيم عليه السلام إلى ما نسبوه؟ أوَلم ينسبوا داود عليه السلام إلى ما نسبوه من حديث الطير؟ أوَلم ينسبوا يوسف الصدّيق إلى ما نسبوه من حديث زليخا؟ أوَلم ينسبوا موسى عليه السلام إلى ما نسبوه من القتل؟ أوَلم ينسبوا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما نسبوه من حديث زيد؟ أوَلم ينسبوا عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى ما نسبوه من حديث القطيفة؟

إنّهم أرادوا بذلك توبيخ الإسلام ليرجعوا على أعقابهم، أعمى الله أبصارهم كما أعمى قلوبهم، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

جعل رضاهم رضاه(١)

عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ قال:

إنّ الله تبارك وتعالى لا يأسف كأسفنا، ولكنّه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مدبّرون، فجعل رضاهم لنفسه رضًى، وسخطهم لنفسه سخطاً، وذلك لأنّه جعلهم الدّعاة إليه والأدلاّء عليه، ولذلك صاروا كذلك وليس أنّ ذلك يصل إلى الله عزَّ وجلَّ كما يصل إلى

---

(١) معاني الأخبار ١٩ ـ ٢٠، ب ١٤، ح ٢: أبي رحمه الله، قال: حدّثنا أحمد بن إدريس،...

خلقه، ولكن هذا معنى ما قال من ذلك، وقد قال أيضاً: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها، وقال أيضاً: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ وكلّ هذا وشبهه على ما ذكرت لك.

وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء ممّا يشاكل ذلك، ولو كان يصل إلى المكوِّن الأسف والضجر وهو الّذي أحدثهما وأنشأهما لجاز لقائل أن يقول: إنّ المكوِّن يبيد يوماً ما لأنه إذا دخله الضجر والغضب دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة، ولو كان ذلك كذلك لم يعرف الخالق من المخلوق، وتعالى الله عن هذا القول علوّاً كبيراً، هو الخالق للأشياء لا لحاجة، فإذا كان لا لحاجة استحال الحدّ والكيف فيه، فافهم ذلك إن شاء الله.

رضى الله وسخطه[1]

عن هشام بن الحكم: أنّ رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى له رضى وسخط؟ قال:

نعم، وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، وذلك أنّ الرضا والغضب دخّال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال، معتمل مركّب للأشياء فيه مدخل، وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه، واحد واحديّ الذات، واحديّ المعنى، فرضاه ثوابه، وسخطه عقابه، من غير شيء يتداخله فيهيّجه، وينقله من حال إلى حال، فإنّ ذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين، وهو تبارك وتعالى القويّ العزيز، لا حاجة له إلى

---

(١) معاني الأخبار ٢٠، ب ١٤، ح ٣: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن العباس بن عمرو الفقيمي،...

شيء ممّا خلق، وخلقه جميعاً محتاجون إليه، إنّما خلق الأشياء لا من حاجة ولا سبب، اختراعاً وابتداعاً.

عالم ولا معلوم(١)

عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: لم يزل الله جلّ اسمه عالماً بذاته ولا معلوم، ولم يزل قادراً بذاته ولا مقدور.

قلت له: جعلتُ فداك فلم يزل متكلّماً؟

فقال: الكلام محدَث، كان الله عزَّ وجلَّ وليس بمتكلّم، ثمّ أحدث الكلام.

حيّ لا موت فيه(٢)

عن هارون بن عبد الملك قال: سُئل أبو عبد الله عليه السلام عن التوحيد، فقال:

هو عزَّ وجلَّ مثبت موجود، لا مبطل ولا معدود، ولا في شيء من صفة المخلوقين، وله عزَّ وجلَّ نعوت وصفات، فالصفات له، وأسماؤها جارية على المخلوقين، مثل السميع والبصير والرؤوف والرحيم وأشباه ذلك، والنعوت نعوت الذات لا تليق إلاّ بالله تبارك وتعالى، والله نور لا

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ١/ ١٧٠: أخبرني أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ السعيد الوالد أبو جعفر محمد بن الحسن رحمه الله، قال: أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرنا أبو القاسم جعفر بن محمد، قال: حدّثنا محمد بن يعقوب الكليني، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان،...

(٢) التوحيد ١٤٠، ب ١١، ح ٤: حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير،...

ظلام فيه، وحيّ لا موت له، وعالم لا جهل فيه، وصمد لا مدخل فيه، ربّنا نوريّ الذات، حيّ الذات، عالم الذات، صمديّ الذّات.

بصير بلا بصر(١)

في حديث الزنديق الّذي سأل أبا عبد الله عليه السلام أنّه قال له: أتقول إنّه سميع بصير؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام:

هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه، ويبصر بنفسه، وليس قولي: إنّه يسمع بنفسه أنّه شيء والنفس شيء آخر، ولكنّي أردت عبارة عن نفسي إذ كنتُ مسؤولاً، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً فأقول: يسمع بكلّه لا أنّ كلّه له بعض، ولكنّي أردت إفهامك والتعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك إلاّ إلى أنّه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى.

العلم والقدرة ذاته(٢)

لم يزل الله جلّ وعزّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور.

---

(١) التوحيد ١٤٤، ب ١١، ج ١٠: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل رحمه الله، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن العباس بن عمرو، عن هشام بن الحكم، قال:...

(٢) التوحيد ١٣٩، ب ١١، ح ١: حدّثنا محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن خالد الطيالسي الخزاز الكوفي، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

قال: قلت: فلم يزل الله متكلّماً؟

فقال: إنّ الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة، كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم.

يعلم السرّ وأخفى(١)

عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾(٢) قال:

السرّ ما كتمته في نفسك، وأخفى ما خطر ببالك ثمّ أنسيته.

عالم الغيب والشهادة(٣)

عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾(٤) فقال:

الغيب: ما لم يكن، والشهادة: ما قد كان.

يعلم خائنة الأعين(٥)

عن عبد الرحمن بن مسلمة الجريري، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام

---

(١) معاني الأخبار ١٤٣، ب ٨٢، ح ١: حدّثنا محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، قال: حدّثني عمي ـ محمد بن أبي القاسم ـ عن محمد بن علي الكوفي، قال: حدّثني موسى بن سعدان الحناط، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن مسكان،...

(٢) سورة طه، الآية: ٧.

(٣) معاني الأخبار ١٤٦، ب ٨٨، ح ١: حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، عن ثعلبة بن ميمون، عن بعض أصحابنا،...

(٤) سورة الجمعة، الآية: ٨.

(٥) معاني الأخبار ١٤٧، ب ٨٩، ح ١: حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، عن ثعلبة بن ميمون،...

عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾[1] فقال:

ألم تر إلى الرجل ينظر إلى الشيء وكأنّه لا ينظر إليه، فذلك خائنة الأعين.

عالم بما كان وما يكون[2]

عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة إليس كان في علم الله تعالى؟ قال: فقال:

بلى قبل أن يخلق السماوات والأرض.

عالم بالمكان[3]

عن عبد الله بن مسكان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان أم علمه عندما خلقه وبعدما خلقه؟ فقال:

تعالى الله بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعدما كوّنه، وكذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان.

ما هو الكرسي؟[4]

عن حفص بن غياث، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٩.

(٢) التوحيد ١٣٥، ب ١٠، ح ٥: أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم، عن ابن أبي عمير،...

(٣) التوحيد ١٣٧، ب ١٠، ح ٩: حدّثنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، قال: حدّثنا أحمد بن الفضل بن المغيرة، قال: حدّثنا أبو نصر، منصور بن عبد الله بن إبراهيم الإصفهاني، عن علي بن عبد الله، قال: حدّثنا صفوان بن يحيى،...

(٤) التوحيد ٣٢٧، ب ٥٢، ح ١: حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، قال:...

عزَّ وجلَّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[١] قال: علمه.

ما هو العرش؟[٢]

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فقال:

السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي، والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره.

يكتبون ما قضى الله[٣]

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٤] فإنه حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

إذا كانت ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتبة إلى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون من قضاء الله تبارك وتعالى في تلك السنة فإذا أراد الله أن يقدّم أو يؤخّر أو ينقص شيئاً أو يزيده أمر الله أن يمحو ما يشاء ثمّ أثبت الذي أراد.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) التوحيد ٣٢٧، ب ٥٢، ح ٢: حدّثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير،...

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ١/٣٣٦ ـ ٣٣٧:...

(٤) سورة الرعد، الآيتان: ٣٨ ـ ٣٩.

قلت: وكلّ شيء عنده بمقدار، مثبت في كتابه؟

قال: نعم.

قلت: فأيّ شيء يكون بعده؟

قال: سبحان الله ثمّ يحدث الله أيضاً ما يشاء تبارك الله وتعالى.

الله والأنبياء(١)

ما بعث الله نبيّاً قطّ حتّى يأخذ عليه ثلاثاً:

الإقرار لله بالعبوديّة، وخلع الأنداد، وأنّ الله يمحو ما يشاء ويُثبت ما يشاء.

خزائن الله(٢)

لمّا صعد موسى ـ على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ إلى الطور فناجى ربّه عزَّ وجلَّ: قال: يا ربّ أرني خزائنك.

قال: يا موسى إنّما خزائني إذا أردتُ شيئاً أن أقول له كن فيكون.

الدنيا في بيضة(٣)

عن محمد بن أبي إسحاق الخفّاف، قال: حدّثني عدّة من أصحابنا،

---

(١) المحاسن ٢٣٣ ـ ٢٣٤، ب ٢٠، ح ١٨٩: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن زرارة وابن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) أمالي الصدوق ٤١٣، ب ٧٧، ح ٤: حدّثنا جعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنه قال: حدّثنا الحسين بن محمد بن عامر، عن عمه عبد الله بن عامر، عن الحسن بن محبوب، عن مقاتل بن سليمان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٣) التوحيد ١٢٢، ب ٩، ح ١: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه، قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن هاشم،...

أنّ عبد الله الديصاني أتى هشام بن الحكم فقال له: ألك ربّ؟ فقال: بلى. قال: قادر؟ قال: نعم، قادر، قاهر. قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلّها في البيضة لا يكبِّر البيضة ولا يُصغِّر الدنيا؟ فقال هشام: النظرة. فقال له: قد أنظرتك حولاً، ثمّ خرج عنه. فركب هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه، فأذن له فقال: يابن رسول الله أتاني عبد الله الديصاني بمسألة ليس المعوّل فيها إلاّ على الله وعليك. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: عمّاذا سألك؟ فقال: قالي لي: كيت وكيت. فقال أبو عبد الله عليه السلام:

يا هشام كم حواسّك؟

قال: خمس.

فقال: أيّها أصغر؟

فقال: الناظر.

فقال: وكم قدر الناظر؟

قال: مثل العدسة أو أقلّ منها.

فقال: يا هشام فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى.

فقال: أرى سماءً وأرضاً ودوراً وقصوراً وتراباً وجبالاً وأنهاراً.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقلّ منها قادر أن يدخل الدنيا كلّها البيضة لا يصغّر الدنيا ولا يكبّر البيضة.

فانكبّ هشام عليه وقبّل يديه ورأسه ورجليه، وقال: حسبي يابن رسول الله.

فانصرف إلى منزله، وغدا عليه الديصاني، فقال: يا هشام إنّي جئتك مسلّماً، ولم أجئك متقاضياً للجواب.

فقال له هشام: إن كنت جئت متقاضياً فهاك الجواب.

فخرج عنه الديصاني، فأخبر أنّ هشاماً دخل على أبي عبد الله عليه السلام فعلّمه الجواب. فمضى عبد الله الديصاني حتى أتى باب أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه، فأذن له، فلمّا قعد قال له: يا جعفر بن محمد دلّني على معبودي.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما اسمك؟

فخرج عنه ولم يخبره باسمه.

فقال له أصحابه: كيف لم تخبره باسمك؟

قال: لو كنت قلت له: عبد الله، كان يقول: مَن هذا الذي أنت له عبد.

فقالوا له: عُد إليه فقل له، يدلّك على معبودك ولا يسألك عن اسمك. فرجع إليه.

فقال له: يا جعفر دلّني على معبودي ولا تسألني عن اسمي.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: اجلس ـ وإذا غلام له صغير في كفّه بيضة يلعب بها ـ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ناولني يا غلام البيضة.

فناوله إيّاها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضّة ذائبة فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة، ولا الفضّة

الذائبة تختلط بالذهبة المائعة هي على حالها لم يخرج منها مصلح فيخبر عن إصلاحها، ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدرى للذكر خُلقت أم للأنثى تنفلق عن مثل ألوان الطواويس أترى لها مدبّراً؟

قال: فأطرق مليّاً ثم قال: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّك إمام وحجّة من الله على خلقه، وأنا تائب ممّا كنتُ فيه.

العلم والمشيئة(١)

عن بكير بن أعين، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: علم الله ومشيئته هما مختلفان أم متّفقان؟ فقال:

العلم ليس هو المشيئة، ألا ترى أنّك تقول: سأفعل كذا إن شاء الله، ولا تقول: سأفعل كذا إن علم الله، فقولك: إن شاء الله دليل على أنّه لم يشأ، فإذا شاء كان الذي شاء كما شاء، وعلم الله سابق للمشيئة.

العلم والإرادة(٢)

عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: لم يزل الله مريداً؟ فقال:

إنّ المريد لا يكون إلاّ لمراد معه، بل لم يزل عالماً قادراً ثم أراد.

---

(١) التوحيد ١٤٦، ب ١١، ح ١٦: حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل البرمكي، عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن صالح، عن علي بن أسباط، عن الحسن بن الجهم،...

(٢) التوحيد ١٤٦، ب ١١، ح ١٥: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدّثنا الحسين بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد،...

والأوّل والآخر(١)

عن ابن أبي يعفور، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ وقلت: أمّا الأوّل فقد عرفناه، وأمّا الآخر فبيّن لنا تفسيره، فقال:

إنه ليس شيء إلّا يبيد أو يتغيّر، أو يدخله الغير [التغير ـ خ] والزوال، أو ينتقل من لون إلى لون، ومن هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة، ومن زيادة إلى نقصان، ومن نقصان إلى زيادة إلاّ ربّ العالمين، فإنّه لم يزل ولا يزال واحداً، هو الأوّل قبل كلّ شيء، وهو الآخر على ما لم يزل لا تختلف عليه الصفات والأسماء ما يختلف على غيره مثل الإنسان الذي يكون تراباً مرّةً، ومرّة لحماً، ومرّة دماً، ومرّة رفاتاً ورميماً، وكالتمر الذي يكون مرّة بلحاً، ومرّة بسراً، ومرّة رطباً، ومرّة تمراً فيتبدّل [فتتبدل ـ خ] عليه الأسماء والصفات، والله عزَّ وجلَّ بخلاف ذلك.

الاسم الأعظم(٢)

إنّ الله عزَّ وجلَّ جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى نوحاً منها خمسة عشر حرفاً، وأعطى منها إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطى موسى منها أربعة أحرف، وأعطى عيسى منها حرفين، وكان يُحيي بهما الموتى ويُبرئ بهما الأكمه

---

(١) التوحيد ٣١٤، باب ٤٧، ح ٢: حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رحمه الله، عن أبيه، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن فضيل بن عثمان،...

(٢) بصائر الدرجات ٢٠٨ ـ ٢٠٩، الجزء ٤، ب ١٣، ح ٣: أحمد بن محمد، عن أبي عبد الله البرقي، يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال:...

والأبرص، وأعطى محمداً اثنين وسبعين حرفاً، واحتجب حرفاً لئلا يعلم ما في نفسه ويعلم ما في نفس العباد.

التوحيد والعدل[1]

إنّ أساس الدين التوحيد والعدل، وعلمه كثير، ولا بدّ لعاقل منه، فاذكر ما يسهل الوقوف عليه، ويتهيّأ حفظه.

فقال: أمّا التوحيد فأن لا تجوّز على ربّك ما جاز عليك.

وأمّا العدل فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه.

أزليّ أبدي[2]

عن حماد بن عمرو النصيبي، قال: سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن التوحيد، فقال:

واحد، صمد، أزليّ، صمديّ، لا ظلّ له يمسكه، وهو يمسك الأشياء بأظلّتها، عارف بالمجهول، معروف عند كلّ جاهل، فردانيّ لا خلقه فيه ولا هو في خلقه، غير محسوس ولا مجسوس، ولا تدركه الأبصار، علا فقرُب، ودنا فبعُد، وعصي فغفر، وأطيع فشكر، لا تحويه أرضه، ولا تقلّه سماواته، وأنّه حامل الأشياء بقدرته، ديموميّ أزليّ، لا

---

(١) معاني الأخبار ١١، ب ٩، ح ٢: حدّثنا أبو الحسن محمد بن سعيد بن عزيز السمرقندي الفقيه بأرض بلخ، قال: حدّثنا أبو أحمد الزاهد السمرقندي بإسناده رفعه إلى الصادق عليه السلام أنه سأله رجل، فقال له:...

(٢) التوحيد ٥٧، ب ٢، ح ١٥: حدّثنا علي بن أحمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدّثنا علي بن العباس، قال: حدّثنا الحسن بن محبوب،...

ينسى ولا يلهو، ولا يغلط ولا يلعب، ولا لإرادته فصل، وفصله جزاء، وأمره واقع، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يكن له كفواً أحد.

إذا قضى شيئاً أمضاه(١)

إنّ الله إذا أراد شيئاً قدّره، فإذا قدّره قضاه، فإذا قضاه أمضاه.

عليَّ رزقهنّ(٢)

سأل الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن بعض أهل مجلسه فقيل: عليل، فقصده عائداً وجلس عند رأسه فوجده دنفاً، فقال له: أحسن ظنّك بالله تعالى.

فقال: أمّا ظنّي بالله فحسن، ولكن غمّي لبناتي ما أمرضني غير رفقي بهنّ.

فقال الصادق عليه السلام: الذي ترجوه لتضعيف حسناتك ومحو سيّئاتك فارجه لإصلاح حال بناتك، أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لمّا جاوزت سدرة المنتهى وبلغت أغصانها وقضبانها رأيت بعض ثمار قضبانها أثداءً معلّقة يقطر من بعضها اللّبن، ومن بعضها العسل، ومن بعضها الدهن، ويخرج من بعضها شبه دقيق السمراء، ومن بعضها النبات، ومن بعضها كالنبق فيهوي ذلك كلّه نحو الأرض.

---

(١) المحاسن ٢٤٣، ح ٢٣٥: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، قال: أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٣ ـ ٤، ب ٣٠، ح ٧: ما حدّثنا به أبو الحسن محمد بن القاسم المفسّر الجرجاني رضي الله عنه، قال: حدّثنا أحمد بن الحسن الحسيني، عن الحسن بن علي، عن أبيه، عن محمد بن علي، عن أبيه الرضا عليه السلام، عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام، قال:...

فقلت في نفسي: أين مقرّ هذه الخارجات عن هذه الأثداء؟ وذلك أنّه لم يكن معي جبرئيل لأنّي كنت جاوزت مرتبته، واختزل دوني، فناداني ربّي عزَّ وجلَّ في سرّي: يا محمد هذه أنبتّها من هذا المكان الأرفع لأغذو منها بنات المؤمنين من أمّتك وبنيهم فقل لآباء البنات: لا تضيقنَّ صدوركم على فاقتهنّ فإنّي كما خلقتهنّ أرزقهنّ.

تقسيم الأرزاق(١)

إنّ الله قسّم الأرزاق بين عباده وأفضل فضلاً كثيراً لم يقسّمه بين أحد قال الله: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾(٢).

وكّل الله بالأسعار(٣)

إنّ الله عزَّ وجلَّ وكّل بالسعر ملكاً فلن يغلو من قلّة، ولا يرخص من كثرة.

كلّ شيء من ماء(٤)

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن أوّل ما خلق الله عزَّ وجلَّ؟ قال:

إنّ أوّل ما خلق الله عزَّ وجلَّ ما خلق منه كلّ شيء.

---

(١) تفسير العياشي ١/٢٣٩، ح ١١٧: عن ابن الهذيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٣) فروع الكافي ٣/١٦٢، ح ٢: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أسلم، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٤) علل الشرائع ١/٨٣ ـ ٨٤، ب ٧٧، ح ٦: حدّثنا محمد بن الحسن، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفّار، عن محمد بن الحسن بن أبي الخطاب، عن محمد بن سنان،...

قلت: جُعلت فداك وما هو؟

قال: الماء، قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق الماء بحرين: أحدهما عذب، والآخر ملح، فلمّا خلقهما نظر إلى العذب فقال: يا بحر، فقال: لبّيك وسعديك، قال: فيك بركتي ورحمتي، ومنك أخلق أهل طاعتي وجنّتي، ثمّ نظر إلى الآخر فقال: يا بحر، فلم يجب، فأعاد عليه ثلاث مرّات يا بحر فلم يجب! فقال: عليك لعنتي، ومنك أخلق أهل معصيتي ومن أسكنته ناري، ثمّ أمرهما فامتزجا، قال: فمن ثمّ يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن.

لما خلق السماوات والأرض(١)

عن عبد الله بن سنان، قال: بينا نحن في الطواف إذ مرّ رجل من آل عمر، فأخذ بيده رجل فاستلم الحجر فانتهره وأغلظ له، وقال له: بطل حجّك إنّ الّذي تستلمه حجر لا يضرّ ولا ينفع. فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلتُ فداك أما سمعتَ قول العمري لهذا الذي استلم الحجر فأصابه ما أصابه؟ فقال: وما الذي قال؟ قلت: قال له: يا عبد الله بطل حجّك ثم إنّما هو حجر لا يضرّ ولا ينفع! فقال أبو عبد الله عليه السلام:

كذب، ثم كذب ثم كذب، إنّ للحجر لساناً ذلقاً يوم القيامة، يشهد لمن وافاه بالموافاة، ثم قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق السماوات والأرض خلق بحرين: بحراً عذباً، وبحراً أُجاجاً، فخلق تربة آدم من البحر العذب، وشنّ عليها من البحر الأجاج، ثم جبل آدم فعرك عرك

---

(١) علل الشرائع ٢/ ٤٢٥، ب ١٦١، ح ٦: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن زياد القندي،...

الأديم فتركه ما شاء الله فلمّا أراد أن ينفخ فيه الروح أقامه شبحاً فقبض قبضة من كتفه الأيمن فخرجوا كالذرّ، فقال: هؤلاء إلى الجنّة وقبض قبضة من كتفه الأيسر وقال: هؤلاء إلى النار. فأنطق الله عزَّ وجلَّ أصحاب اليمين وأصحاب اليسار.

فقال أهل اليسار: يا ربِّ لِمَ خلقت لنا النار ولم تبيّن لنا ولم تبعث إلينا رسولاً؟

فقال الله عزَّ وجلَّ لهم: ذلك لعلمي بما أنتم صائرون إليه، وإنّي سأبتليكم، فأمر الله عزَّ وجلَّ النار فأسعرت، ثم قال لهم: تقحّموا جميعاً في النار، فإنّي أجعلها عليكم برداً وسلاماً.

فقالوا: يا ربّ إنّما سألناك لأيّ شيء جعلتها لنا هرباً منها، ولو أمرت أصحاب اليمين ما دخلوا.

فأمر الله عزَّ وجلَّ النار فأسعرت ثم قال لأصحاب اليمين: تقحّموا جميعاً في النار، فتقحّموا جميعاً فكانت عليهم برداً وسلاماً.

فقال لهم جميعاً: ألستُ بربّكم؟

قال أصحاب اليمين: بلى طوعاً. وقال أصحاب الشمال: بلى كرهاً. فأخذ منهم جميعاً ميثاقهم، وأشهدهم على أنفسهم.

قال: وكان الحَجَر في الجنّة فأخرجه الله عزَّ وجلَّ فالتقم الميثاق من الخلق كلّهم، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾، فلمّا أسكن الله عزَّ وجلَّ آدم الجنّة وعصى أهبط الله عزَّ وجلَّ الحَجَر وجعله في ركن بيته وأهبط آدم عليه السلام على الصفا فمكث ما شاء الله، ثم رآه في البيت فعرفه وعرف ميثاقه وذكره

فجاء إليه مسرعاً فأكبّ عليه وبكى عليه أربعين صباحاً تائباً من خطيئته، ونادماً على نقضه ميثاقه.

قال: فمن أجل ذلك أُمرتم أن تقولوا إذا استلمتم الحجر: أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة.

ليجعل المطر بإرادتنا(١)

إنّ بني إسرائيل أتوا موسى عليه السلام فسألوه أن يسأل الله عزَّ وجلَّ أن يمطر السماء عليهم إذا أرادوا، ويحبسها إذا أرادوا، فسأل الله عزَّ وجلَّ ذلك لهم.

فقال الله عزَّ وجلَّ: ذلك لهم يا موسى، فأخبرهم موسى فحرثوا ولم يتركوا شيئاً إلاّ زرعوه، ثم استنزلوا المطر على إرادتهم وحبسوه على إرادتهم، فصارت زروعهم كأنّها الجبال والآجام، ثم حصدوا وداسوا وذروا فلم يجدوا شيئاً، فضجّوا إلى موسى عليه السلام وقال: إنّما سألناك أن تسأل الله أن يمطر السماء علينا إذا أردنا فأجابنا، ثم صيّرها علينا ضرراً.

فقال: يا ربّ إنّ بني إسرائيل ضجّوا ممّا صنعت بهم.

فقال: وممّ ذاك يا موسى؟

قال: سألوني أن أسألك أن تمطر السماء إذا أرادوا، وتحبسها إذا أرادوا فأجبتهم، ثم صيّرتها عليهم ضرراً.

فقال: يا موسى أنا كنت المقدّر لبني إسرائيل فلم يرضوا بتقديري فأجبتهم إلى إرادتهم فكان ما رأيت.

---

(١) فروع الكافي ٣/٢٦٢، ح ٢: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن ابن مسكان، عن سدير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

لا تشتبه عليه الأصوات[١]

إنّ داود عليه السلام لمّا وقف الموقف بعرفة نظر إلى الناس وكثرتهم، فصعد الجبل فأقبل يدعو، فلمّا قضى نسكه أتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا داود يقول لك ربّك: لِمَ صعدت الجبل؟ ظننت أنّه يخفى عليَّ صوت من صوَّت؟! ثم مضى به إلى البحر إلى جدّة فرسب به في الماء مسيرة أربعين صباحاً في البرّ، فإذا صخرة ففلقها فإذا فيها دودة، فقال له: يا داود يقول لك ربّك: أنا أسمع صوت هذه في بطن هذه الصخرة في قعر هذا البحر، فظننتَ أنّه يخفى عليَّ صوت من صوَّت؟!

يسمع ويجيب[٢]

إنّ سليمان بن داود عليه السلام خرج ذات يوم مع أصحابه ليستسقي، فوجد نملة قد رفعت قائمة من قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللّهمَّ إنّا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك، فلا تُهلكنا بذنوب بني آدم.

فقال سليمان عليه السلام لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم بغيركم.

لا يوصف بعجز[٣]

جاء إبليس إلى عيسى عليه السلام فقال: أليس تزعم أنّك تحيي الموتى؟

قال عيسى: بلى.

---

(١) فروع الكافي ٢/٢١٤، ح ١١: أبو علي الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن علي بن مهزيار، عن عثمان بن عيسى، عن ابن مسكان، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) من لا يحضره الفقيه ١/٢٥٤، ح ١٤٩٠: روى حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:...

(٣) بحار الأنوار ١٤/٢٧١، ح ٣، عن قصص الأنبياء: الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفار، عن محمد بن خالد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن الصادق عليه السلام قال:...

قال إبليس: فاطرح نفسك من فوق الحائط.

فقال عيسى: ويلك إنّ العبد لا يجرّب ربّه.

وقال إبليس: يا عيسى هل يقدر ربّك على أن يدخل الأرض في بيضة والبيضة كهيئتها؟

فقال: إنّ الله تعالى لا يوصف بعجز، والذي قلت لا يكون يعني هو مستحيل في نفسه كجمع الضدَّيْن

خالق السماوات والأرض(١)

خرج هشام بن عبد الملك حاجّاً ومعه الأبرش الكلبي، فلقيا أبا عبد الله عليه السلام في المسجد الحرام، فقال هشام للأمرش. تعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا الذي تزعم الشيعة أنّه نبيّ من كثرة علمه! فقال الأبرش: لأسألنّه عن مسائل لا يجيبني فيها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ!

فقال هشام: وددت أنّك فعلت ذلك. فلقي الأبرش أبا عبد الله عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله: أخبرني عن قول الله ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾(٢) فبما كان رتقهما وبما كان فتقهما؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام:

يا أبرش هو كما وصف نفسه ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾(٣) والماء على الهواء، والهواء لا يحدّ، ولم يكن يومئذٍ خلقٌ غيرهما،

---

(١) تفسير القمّي ٢/ ٦٩ ـ ٧٠: حدّثني أبي عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٣) سورة هود، الآية: ٧.

والماء يومئذ عذب فرات فلمّا أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتّى صار موجاً.

ثم أزبد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحا الأرض من تحته.

فقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[1] ثم مكث الربّ تبارك وتعالى ما شاء، فلمّا أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتّى أزبدت بها، فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء وجعل فيها البروج والنجوم ومنازل الشمس والقمر، وأجراها في الفلك، وكانت السماء خضراء على لون الماء الأخضر وكانت الأرض غبراء على لون الماء العذب وكانتا مرتوقتين ليس لهما أبواب ولم يكن للأرض أبواب وهو النبت، ولم تمطر السماء عليها فتنبت، ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾.

فقال الأبرش: والله ما حدّثني بمثل هذا الحديث أحد قطّ! أعد عليّ، فأعاد عليه وكان الأبرش ملحداً فقال: أنا أشهد أنّك ابن نبيّ ـ ثلاث مرّات ـ.

الكعبة وشكلها الهندسي[2]

روي عن الصادق عليه السلام أنّه سُئل: لِمُ سُمِّيت الكعبة كعبة؟

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

(٢) علل الشرائع ٢/٣٩٨، ح ٢١١٠.

قال: لأنّها مربّعة.

فقيل له: ولِمَ صارت مربّعة؟

قال: لأنّها بحذاء البيت المعمور وهو مربّع.

فقيل له: ولِمَ صار البيت المعمور مربّعاً.

قال: لأنّه بحذاء العرش وهو مربّع.

فقيل له: ولِمَ صار العرش مربّعاً؟

قال: لأنّ الكلمات التي بُني عليها الإسلام أربع وهي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلاّ الله، والله أكبر.

البيت العتيق[1]

عن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: لِمَ سُمّي البيت (العتيق)؟ قال:

إنّ الله عزَّ وجلَّ أنزل الحجر الأسود لآدم من الجنّة وكان البيت درّة بيضاء، فرفعه الله إلى السماء، وبقي اسمه، فهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً، فأمر الله إبراهيم وإسماعيل ببنيان البيت على القواعد، وإنّما سُمّي البيت العتيق لأنه أُعتِق من الغرق.

القمر من آيات الله[2]

لمّا خلق الله عزَّ وجلَّ القمر كتب عليه (لا إلٰه إلاّ الله، محمد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين) وهو السواد الذي ترونه في القمر.

---

(١) علل الشرائع ٢/٣٩٨ ـ ٣٩٩، ب ١٤٠، ح ١: أبي قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن عليّ الوشاء، عن أحمد بن عائذ،...

(٢) الاحتجاج ١/٢٣١: روى القاسم بن معاوية، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:...

عند غروب الشمس[١]

إذا كان عند غروب الشمس وكّل الله بها ملكاً يُنادي: (أيها الناس أقبلوا على ربّكم، فإنّ ما قلّ وكفى خير ممّا كثر وألهى) وملك موكّل بالشمس عند طلوعها ينادي (يابن آدم لِدْ للموت، وابْنِ للخراب واجمَع للفناء).

ريح الجنوب رحمة[٢]

نِعم الريح الجنوب، تكسر البرد عن المساكين، وتلقّح الشجر، وتسيل الأودية.

تربة المدفن[٣]

إنّ النطفة إذا وقعت في الرحم بعث الله عزَّ وجلَّ ملكاً فأخذ من التربة التي يُدفن فيها فماثها[٤] في النطفة فلا يزال قلبه يحنّ إليها حتّى يُدفن فيها.

تصوير الجنين[٥]

إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كلّ صورة بينه وبين

---

(١) الاختصاص ٢٣٤: قال الصادق عليه السلام:...

(٢) من لا يحضره الفقيه ١/٥٤٧، ح ١٥٢٣: قال الصادق عليه السلام:...

(٣) فروع الكافي ١/٢٠٣، ح ٢ عدَّة من أصحابنا عن سهل بن زياد، عن الحجّال، عن ابن بكير، عن أبي منهال، عن الحارث بن المغيرة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٤) فماثها: أي خلطها.

(٥) علل الشرائع ١/١٠٣، ب ٩٣، ح ١: أبي قال: حدّثنا أحمد بن إدريس، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن جعفر بن بشير، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

أبيه إلى آدم ثمّ خلقه على صورة أحدهم فلا يقولنّ أحد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي.

تدبير الكون(١)

إنّ قوماً من بني إسرائيل قالوا لنبي لهم: ادع لنا ربّك يمطر علينا السماء إذا أردنا فسأل ربّه ذلك فوعده أن يفعل، فأمطر السماء عليهم كلّما أرادوا، فزرعوا فنمت زروعهم وخصبت، فلمّا حصدوا لم يجدوا شيئاً.

فقالوا: إنّما سألنا المطر للمنفعة فأوحى الله تعالى إليه أنّهم لم يرضوا بتدبيري لهم، أو نحو هذا.

معنى التكبير(٢)

عن ابن محبوب عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رجل عنده «الله أكبر». فقال:

الله أكبر من أي شيء؟

فقال: من كل شيء.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: حدّدته.

فقال الرجل: كيف أقول؟

قال: قل: الله أكبر من أن يُوصف.

---

(١) قصص الأنبياء ١٨٠ ـ ١٨١، ب ٩، فصل ١، ح ٢١٦: بإسناده إلى الصدوق، عن أبيه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي أحمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) أصول الكافي ١/١١٧، ح ٨، والتوحيد ٣١٢ ـ ٣١٣، ب ٤٦، ح ١: علي بن محمد عن سهل بن زياد،...

أنت كما تقول[1]

اللّهمَّ إني أشهد أنّك كما تقول، وفوق ما يقول القائلون، وأشهد أنّك كما شهدت لنفسك، وشهدت لك ملائكتك وأولو العلم بأنك قائم بالقسط لا إلٰه إلاّ أنت وكما أثنيت على نفسك سبحانك وبحمدك.

من دلائل التوحيد[2]

قيل له: ما الدليل على الواحد؟ فقال عليه السلام:

ما بالخلق من الحاجة.

---

(١) قرب الإسناد ٤: محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن هارون بن مسلم عن ابن صدقة، عن الصادق عليه السلام قال: كان من شهادته عليه السلام:...

(٢) تحف العقول ٣٧٧:...

إلهيات ـ رسائل

حديث الإهليلجة[1]

كتب المفضل بن عمر الجعفي إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يعلمه أن أقواماً ظهروا من أهل هذه الملّة يجحدون الربوبية، ويجادلون على ذلك، ويسأله أن يردّ عليهم قولهم، ويحتجّ عليهم فيما ادّعوا بحسب ما احتجّ به على غيرهم. فكتب أبو عبد الله عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد، وفّقنا الله وإيّاك لطاعته، وأوجب لنا بذلك رضوانه برحمته، وصل كتابك تذكر فيه ما ظهر في ملّتنا، وذلك من قوم من أهل الإلحاد بالربوبية قد كثرَت عدّتهم واشتدت خصومتهم، وتسأل أن أضع للردّ عليهم والنقض لما في أيديهم كتاباً على نحو ما رددتُ على غيرهم من أهل البدع والاختلاف ونحن نحمد الله على النِّعم السابغة والحجج البالغة والبلاء المحمود عند الخاصّة والعامّة فكان من نِعمه العظام وآلائه الجسام التي أنعم بها تقريره قلوبهم بربوبيته، وأخذه ميثاقهم بمعرفته،

---

(١) بحار الأنوار ٣/١٥٢، ب ٥: حدّثني محرز بن سعيد النحوي بدمشق، قال: حدّثني محمد بن أبي مسهر بالرملة، عن أبيه، عن جدّه، قال:...

وإنزاله عليهم كتاباً فيه شفاء لما في الصدور من أمراض الخواطر ومشتبهات الأمور، ولم يدع لهم ولا لشيء من خلقه حاجة إلى من سواه واستغنى عنهم، وكان الله غنيًّا حميداً.

ولعمري ما أتى الجهّال من قبل ربّهم وأنهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البيّنات في خلقهم، وما يعاينون من ملكوت السماوات والأرض والصنع العجيب المُتقن الدالّ على الصانع، ولكنهم قوم فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصي، وسهّلوا لها سبيل الشهوات، فغلبت الأهواء على قلوبهم، واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم، وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين.

والعجب من مخلوق يزعم أنّ الله يخفى على عباده وهو يرى أثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر عقله، وتأليف يُبطل حجّته، ولعمري لو تفكّروا في هذه الأمور العظام لعاينوا من أمر التركيب البيّن، ولطف التدبير الظاهر، ووجود الأشياء مخلوقة بعد أن لم تكن، ثم تحوّلها من طبيعة إلى طبيعة، وصنيعة بعد صنيعة، ما يدلّهم ذلك على الصانع، فإنه لا يخلو شيء منها من أن يكون فيه أثر تدبير وتركيب يدلّ على أنّ له خالقاً مدبّراً، وتأليف بتدبير يهدي إلى واحد حكيم.

وقد وافاني كتابك ورسمتُ لك كتاباً كنتُ نازعت فيه بعض أهل الأديان من أهل الإنكار، وذلك أنه كان يحضرني طبيب من بلاد الهند وكان لا يزال ينازعني في رأيه، ويجادلني على ضلالته، فبينا هو يوماً يدقّ إهليلجة ليخلطها دواءً احتجت إليه من أدويته، إذ عرض له شيء من كلامه الذي لم يزل ينازعني فيه من ادّعائه أن الدنيا لم تزل ولا تزال شجرة تنبت وأخرى تسقط، نفس تولد وأخرى تتلف، وزعم أن انتحالي

المعرفة لله تعالى دعوى لا بيِّنة لي عليها، ولا حجّة لي فيها، وأن ذلك أمر أخذه الآخر عن الأول، والأصغر عن الأكبر، وأن الأشياء المختلفة والمؤتلفة والباطنة والظاهرة إنما تُعرف بالحواس الخمس: نظر العين، وسمع الأذن، وشمّ الأنف، وذوق الفم، ولمس الجوارح، ثم قاد منطقه على الأصل الذي وضعه فقال: لم يقع شيء من حواسّي على خالق يؤدّي إلى قلبي، إنكاراً لله تعالى.

ثم قال: أخبرني بم تحتجّ في معرفة ربك الذي تصف قدرته وربوبيته وإنما يعرف القلب الأشياء كلّها بالدلالات الخمس التي وُصفت لك؟

قلت: بالعقل الذي في قلبي، والدليل الذي أحتج به في معرفته.

قال: فأنّى يكون ما تقول وأنت تعرف أن القلب لا يعرف شيئاً بغير الحواس الخمس؟ فهل عاينت ربّك ببصر، أو سمعت صوته بأُذن، أو شممته بنسيم، أو ذقته بفم، أو مسسته بيد فأدّى ذلك المعرفة إلى قلبك؟

قلت: أرأيتَ إذ أنكرتَ الله وجحدتَه ـ لأنك زعمت أنك لا تحسّه بحواسك التي تعرف بها الأشياء ـ وأقررتُ أنا به هل بد من أن يكون أحدنا صادقاً والآخر كاذباً؟

قال: لا.

قلت: أرأيت إن كان القول قولك فهل يخاف عليّ شيء مما أخوفك به من عقاب الله؟

قال: لا.

قلت: أفرأيت إن كان كما أقول والحق في يدي ألست قد أخذت

فيما كنت أحاذر من عقاب الخالق بالثقة وأنك قد وقعت بجحودك وإنكارك في الهلكة؟

قال: بلى.

قلت: فأيّنا أولى بالحزم وأقرب من النجاة؟

قال: أنت، إلا أنك من أمرك على ادّعاء وشبهة، وأنا على يقين وثقة، لأني لا أرى حواسي الخمس أدركته، وما لم تدركه حواسي فليس عندي بموجود.

قلت: إنه لما عجزت حواسك عن إدراك الله أنكرتَه، وأنا لمّا عجزت حواسي عن إدراك الله تعالى صدّقتُ به.

قال: وكيف ذلك؟

قلت: لأنّ كل شيء جرى فيه أثر تركيب لَجسم، أو وقع عليه بصر لَلون فما أدركته الأبصار ونالته الحواس فهو غير الله سبحانه لأنه لا يشبه الخلق، وأن هذا الخلق ينتقل بتغيير وزوال، وكل شيء أشبه التغيير والزوال فهو مثله، وليس المخلوق كالخالق، ولا المحدَث كالمحدِث.

قال: إنّ هذا لقول، ولكني لمنكر ما لم تدركه حواسّي فتؤدّيه إلى قلبي، فلما اعتصم بهذه المقالة ولزم هذه الحجّة.

قلت: أما إذا أبيت إلاّ أن تعتصم بالجهالة، وتجعل المحاجزة حجّة فقد دخلت في مثل ما عبت وامتثلت ما كرهت، حيث قلت: إني اخترت الدعوى لنفسي لأن كل شيء لم تدركه حواسي عندي بلا شيء.

قال: وكيف ذلك؟

قلت: لأنك نقمت على الادّعاء ودخلت فيه فادّعيت أمراً لم تحط به خبراً، ولم تقله علماً فكيف استجزت لنفسك الدعوى في إنكارك الله ودفعك أعلام النبوّة والحجّة الواضحة وعبتها عليّ؟ أخبرني هل أحطت بالجهات كلّها وبلغت منتهاها؟

قال: لا.

قلت: فهل رقيت إلى السماء التي ترى؟ أو انحدرت إلى الأرض السفلى فجلت في أقطارها؟ أو هل خضت في غمرات البحور، واخترقت نواحي الهواء فيما فوق السماء وتحتها إلى الأرض وما أسفل منها فوجدت ذلك خلاء من مدبر حكيم عالم بصير؟

قال: لا.

قلت: فما يدريك لعل الذي أنكره قلبك هو في بعض ما لم تدركه حواسّك ولم يحط به علمك.

قال: لا أدري لعلّ في بعض ما ذكرت مدبّراً، وما أدري لعله ليس في شيء من ذلك شيء.

قلت: أما إذ خرجت من حد الإنكار إلى منزلة الشك فإنّي أرجو أن تخرج إلى المعرفة.

قال: فإنّما دخل عليّ الشك لسؤالك إيّاي عمّا لم يحط به علمي، ولكن من أين يدخل عليّ اليقين بما لم تدركه حواسي؟

قلت: من قبل إهليلجتك هذه.

قال: ذاك إذاً أثبت للحجّة، لأنها من آداب الطب الذي أذعن بمعرفته.

قلت: إنما أردت أن آتيك به من قبلها لأنها أقرب الأشياء إليك، ولو كان شيء أقرب إليك منها لأتيتك من قبله، لأن في كل شيء أثر تركيب وحكمة، وشاهداً يدل على الصنعة الدالّة على من صنعها ولم تكن شيئاً، ويهلكها حتى لا تكون شيئاً.

قلت: فأخبرني هل ترى هذه الإهليلجة؟

قال: نعم.

قلت: أفترى غيب ما في جوفها؟

قال: لا.

قلت: أفتشهد أنها مشتملة على نواة ولا تراها؟

قال: ما يدريني لعلّ ليس فيها شيء.

قلت: أفترى أنّ خلف هذا القشر من هذه الإهليلجة غائب لم تره من لحم أو ذي لون؟

قال: ما أدري لعلّ ما ثم غير ذي لون ولا لحم؟

قلت: أفتقرّ أن هذه الإهليلجة التي تسمّيها الناس بالهند موجودة؟ لاجتماع أهل الاختلاف من الأمم على ذكرها.

قال: ما أدري لعلّ ما اجتمعوا عليه من ذلك باطل.

قلت: أفتقرّ أن الإهليلجة في أرض تنبت؟

قال: تلك الأرض وهذه واحدة وقد رأيتها.

قلت: أفما تشهد بحضور هذه الإهليلجة على وجود ما غاب من أشباهها؟

قال: ما أدري لعلّه ليس في الدنيا إهليلجة غيرها.

فلما اعتصم بالجهالة قلت: أخبرني عن هذه الإهليلجة أتقرّ أنها خرجت من شجرة، أو تقول: أنها هكذا وجدت؟

قال: لا، بل من شجرة خرجت.

قلت: فهل أدركت حواسك الخمس ما غاب عنك من تلك الشجرة؟

قال: لا.

قلت: فما أراك إلاّ قد أقررت بوجود شجرة لم تدركها حواسّك.

قال: أجل، ولكني أقول: إن الإهليلجة والأشياء المختلفة شيء لم تزل تدرك، فهل عندك في هذا شيء تردّ به قولي؟

قلت: نعم، أخبرني عن هذه الإهليلجة هل كنت عاينت شجرتها وعرفتها قبل أن تكون هذه الإهليلجة فيها؟

قال: نعم.

قلت: فهل كنت تعاين هذه الإهليلجة؟

قال: لا.

قلت: أفما تعلم أنك كنت عاينت الشجرة وليس فيها الإهليلجة، ثم عدت إليها فوجدت فيها الإهليلجة أفما تعلم أنه قد حدث فيها ما لم تكن؟

قال: ما أستطيع أن أنكر ذلك ولكني أقول: إنها كانت فيها متفرّقة.

قلت: فأخبرني هل رأيت تلك الإهليلجة التي تنبت منها شجرة هذه الإهليلجة قبل أن تغرس؟

قال: نعم.

قلت: فهل يحتمل عقلك أن الشجرة التي تبلغ أصلها وعروقها وفروعها ولحاؤها وكل ثمرة جنيت، وورقة سقطت ألف ألف رطل كانت كامنة في هذه الإهليلجة؟

قال: ما يحتمل هذا العقل ولا يقبله القلب.

قلت: أقررت أنها حدثت في الشجرة؟

قال: نعم، ولكني لا أعرف أنها مصنوعة فهل تقدر أن تقرّرني بذلك؟

قلت: نعم، أرأيت أني إن أريتك تدبيراً أتقرّ أنّه له مدبّراً، وتصويراً أنّ له مصوّراً؟

قال: لا بد من ذلك.

قلت: ألست تعلم أن هذه الإهليلجة لحم ركّب على عظم فوضع في جوف متّصل بغصن مركّب على ساق يقوم على أصل فيقوى بعروق من تحتها على جرم متّصل بعض ببعض؟

قال: بلى.

قلت: ألست تعلم أن هذه الإهليلجة مصوّرة بتقدير وتخطيط، وتأليف وتركيب وتفصيل متداخل بتأليف شيء في بعض شيء، به طبق بعد طبق وجسم على جسم ولون مع لون، أبيض في صفرة، ولين على شديد، في طبائع متفرّقة، وطرائق مختلفة، وأجزاء مؤتلفة مع لحاء تسقيها، وعروق يجري فيها الماء، وورق يسترها وتقيها من الشمس أن تحرقها، ومن البرد أن يهلكها، والريح أن تذبلها؟

قال: أفليس لو كان الورق مطبقاً عليها كان خيراً لها؟

قلت: الله أحسن تقديراً لو كان كما تقول لم يصل إليها ريح يروّحها، ولا برد يشدّدها، ولعفنت عند ذلك، ولو لم يصل إليها حرّ الشمس لما نضجت، ولكن شمس مرّة وريح مرّة وبرد مرّة قدّر الله ذلك بقوّة لطيفة ودبّره بحكمة بالغة.

قال: حسبي من التصوير فسّر لي التدبير الذي زعمت أنك ترينه.

قلت: أرأيت الإهليلجة قبل أن تعقد إذ هي في قمعها ماء بغير نواة ولا لحم ولا قشر ولا لون ولا طعم ولا شدّة؟

قال: نعم.

قلت: أرأيت لو لم يرفق الخالق ذلك الماء الضعيف الذي هو مثل الخردلة في القلّة والذلّة ولم يقوّه بقوّته ويصوّره بحكمته ويقدّره بقدرته هل كان ذلك الماء يزيد على أن يكون في قمعه غير مجموع بجسم وقمع وتفصيل؟ فإن زاد زاد ماءً متراكباً غير مصوّر ولا مخطّط ولا مدبّر بزيادة أجزاء ولا تأليف أطباق.

قال: قد أريتني من تصوير شجرتها وتأليف خلقتها وحمل ثمرتها وزيادة أجزائها وتفصيل تركيبها أوضح الدلالات، وأظهر البيّنة على معرفة الصانع، ولقد صدّقت بأن الأشياء مصنوعة، ولكني لا أدري لعلّ الإهليلجة والأشياء صنعت نفسها؟

قلت: أولست تعلم أن خالق الأشياء والإهليلجة حكيم عالم بما عاينتَ من قوّة تدبيره؟

قال: بلى.

قلت: فهل ينبغي للذي هو كذلك أن يكون حدثاً؟

قال: لا.

قلت: أفلست قد رأيت الإهليلجة حين حدثت وعاينتها بعد أن لم تكن شيئاً ثم هلكت كأن لم تكن شيئاً؟

قال: بلى، وإنما أعطيتك أن الإهليلجة حدثت ولم أعطك أن الصانع لا يكون حدثاً لا يخلق نفسه.

قلت: ألم تعطني أن الحكيم الخالق لا يكون حدثاً، وزعمت أن الإهليلجة حدثت؟ فقد أعطيتني أنّ الإهليلجة مصنوعة، فهو عزَّ وجلَّ صانع الإهليلجة، وإن رجعت إلى أن تقول: إن الإهليلجة صنعت نفسها ودبّرت خلقها فما زدت أن أقررت بما أنكرت، ووصفت صانعاً مدبراً أصبت صفته، ولكنك لم تعرفه فسمّيته بغير اسمه.

قال: كيف ذلك؟

قلت: لأنّك أقررت بوجود حكيم لطيف مدبّر، فلما سألتك من هو؟ قلت الإهليلجة. قد أقررت بالله سبحانه، ولكنك سمّيته بغير اسمه، ولو عقلت وفكّرت لعلمت أن الإهليلجة أنقص قوّة من أن تخلق نفسها، وأضعف حيلة من أن تدبّر خلقها.

قال: هل عندك غير هذا؟

قلت: نعم، أخبرني عن هذه الإهليلجة التي زعمت أنها صنعت نفسها ودبّرت أمرها كيف صنعت نفسها صغيرة الخلقة، صغيرة القدرة،

ناقصة القوّة، لا تمتنع أن تكسر وتعصر وتؤكل؟ وكيف صنعت نفسها مفضولة مأكولة مرة قبيحة المنظر لا بهاء لها ولا ماء؟

قال: لأنها لم تقوَ إلاّ على ما صنعت نفسها أو لم تصنع إلاّ ما هويت؟

قلت: أما إذا أبيت إلاّ التمادي في الباطل فأعلمني متى خلقت نفسها ودبّرت خلقها قبل أن تكون أو بعد أن كانت؟ فإن زعمت أن الإهليلجة خلقت نفسها بعد ما كانت فإن هذا لمن أبين المُحال، كيف تكون موجودة مصنوعة ثم تصنع نفسها مرة أخرى؟ فيصير كلامك إلى أنها مصنوعة مرّتين، ولأن قلت: إنها خلقت نفسها ودبّرت خلقها قبل أن تكون، إن هذا من أوضح الباطل وأبين الكذب، لأنها قبل أن تكون ليس بشيء، فكيف يخلق لا شيء شيئاً؟ وكيف تعيب قولي: إن شيئاً يصنع لا شيئاً، ولا تعيب قولك: إن لا شيء يصنع لا شيئاً؟ فانظر أي القولين أولى بالحق؟

قال: قولك.

قلت: فما يمنعك منه؟

قال: قد قبلته واستبان لي حقّه وصدقه بأن الأشياء المختلفة والإهليلجة لم يصنعن أنفسهن، ولم يدبّرن خلقهن، ولكنه تعرّض لي أن الشجرة هي التي صنعت الإهليلجة لأنها خرجت منها.

قلت: فمن صنع الشجرة؟

قال: الإهليلجة الأخرى.

قلت: اجعل لكلامك غاية أنتهي إليها فإما أن تقول: هو الله سبحانه فيُقبل منك، وإمّا أن تقول: الإهليلجة فنسألك.

قال: سل.

قلت: أخبرني عن الإهليلجة هل تنبت منها الشجرة إلاّ بعد ما ماتت وبليت وبادت؟

قال: لا.

قلت: إن الشجرة بقيت بعد هلاك الإهليلجة مائة سنة، فمن كان يحميها ويزيد فيها، ويدبّر خلقها ويربّيها، وينبت ورقها؟ ما لك بُدّ من أن تقول: هو الذي خلقها، ولإن قلت: الإهليلجة وهي حيّة قبل أن تهلك وتُبلى وتصير تُراباً، وقد ربّت الشجرة وهي ميتة أن هذا القول مختلف.

قال: لا أقول ذلك.

قلت: أفتقرّ بأن الله خلق الخلق أم قد بقي في نفسك شيء من ذلك؟

قال: إني من ذلك على حدّ وقوف ما أتخلّص إلى أمر ينفذ لي فيه الأمر.

قلت: أما إذ أبيت إلاّ الجهالة وزعمت أن الأشياء لا يدرك [لا تدرك ـ خ] إلاّ بالحواسّ فإني أخبرك أنه ليس للحواس دلالة على الأشياء، ولا فيها معرفة إلاّ بالقلب، فإنه دليلها ومعرّفها الأشياء التي تدّعي أن القلب لا يعرفها إلاّ بها.

فقال: أما إذ نطقت بهذا فما أقبل منك إلاّ بالتخليص والتفحّص منه بإيضاح وبيان وحجّة وبرهان.

قلت: فأوّل ما أبدأ به أنك تعلم أنه ربما ذهب الحواس، أو بعضها ودبّر القلب الأشياء التي فيها المضرّة والمنفعة من الأمور العلانية والخفية فأمر بها ونهى فنفذ فيها أمره وصحّ فيها قضاؤه.

قال: إنّك تقول في هذا قولاً يشبه الحجّة، ولكنّي أحب أن توضِحه لي غير هذا الإيضاح.

قلت: ألست تعلم أن القلب يبقى بعد ذهاب الحواس؟

قال: نعم، ولكن يبقى بغير دليل على الأشياء التي تدلّ عليها الحواس.

قلت: أفلست تعلم أن الطفل تضعه أمه مضغة ليس تدلّه الحواس على شيء يسمع ولا يبصر، ولا يذاق ولا يلمس ولا يشم؟

قال: بلى.

قلت: فأيّة الحواس دلّته على طلب اللبن إذا جاع، والضحك بعد البكاء إذا روي من اللبن؟ وأي حواس سباع الطير ولاقط الحبّ منها دلّها على أن تلقي بين أفراخها اللحم والحبّ فتهوى سباعها إلى اللحم، والآخرون إلى الحب؟ وأخبرني عن فراخ طير الماء ألست تعلم أن فراخ طير الماء إذا طرحت فيه سبحت، وإذا طرحت فيه فراخ طير البرّ غرقت والحواس واحدة، فكيف انتفع بالحواس طير الماء وأعانته على السباحة ولم تنتفع طير البرّ في الماء بحواسّها؟ وما بال طير البرّ إذا غمستها في الماء ساعة ماتت وإذا أمسكت طير الماء عن الماء ساعة ماتت؟ فلا أرى الحواس في هذا إلاّ منكسرة عليك، ولا ينبغي ذلك أن يكون إلاّ من مدبّر حكيم جعل للماء خلقاً وللبرّ خلقاً.

أم أخبرني ما بال الذرة التي لا تعاين الماء قطّ تطرح في الماء فتسبح وتلقى الإنسان ابن خمسين سنة من أقوى الرجال وأعقلهم لم يتعلّم السباحة فيغرق؟ كيف لم يدلّه عقله ولبّه وتجاربه وبصره بالأشياء مع اجتماع حواسّه وصحّتها أن يدرك ذلك بحواسه كما أدركته الذرة إن كان ذلك إنما يُدرك بالحواسّ؟ أفليس ينبغي لك أن تعلم أن القلب الذي هو معدن العقل في الصبي الذي وصفت وغيره ممّا سمعت من الحيوان هو الذي يهيّج الصبي إلى طلب الرضاع، والطير اللاقط على لقط الحب، والسباع على ابتلاع اللحم؟

قال: لست أجد القلب يعلم شيئاً إلاّ بالحواس!

فقلت: أما إذ أبيت إلاّ النزوع إلى الحواس فإنّا لنقبل نزوعك إليها بعد رفضك لها، ونجيبك في الحواس حتى يتقرر عندك أنها لا تعرف من سائر الأشياء إلاّ الظاهر ممّا هو دون الرب الأعلى سبحانه وتعالى، فأما ما يخفى ولا يظهر فلست تعرفه، وذلك أن خالق الحواس جعل لها قلباً احتجّ به على العباد، وجعل للحواس الدلالات على الظاهر الذي يستدلّ بها على الخالق سبحانه، فنظرت العين إلى خلق متّصل بعضه ببعض فدلّت القلب على ما عاينت، وتفكّر القلب حين دلّته العين على ما عاينت من ملكوت السماء وارتفاعها في الهواء بغير عمد يرى، ولا دعائم تمسكها لا تؤخّر مرة فتنكشط، ولا تقدم أخرى فتزول، ولا تهبط مرّة فتدنو، ولا ترفع أخرى فتنأى، لا تتغير لطول الأمد ولا تخلق لاختلاف الليالي والأيام، ولا تتداعى منها ناحية، ولا ينهار منها طرف، مع ما عاينت من النجوم الجارية السبعة المختلفة بمسيرها لدوران الفلك، وتنقلها في البروج يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة، منها

السريع، ومنها البطيء، ومنها المعتدل السير، ثم رجوعها واستقامتها، وأخذها عرضاً وطولاً، وخنوسها عند الشمس وهي مشرقة وظهورها إذا غربت، وجري الشمس والقمر في البروج دائبين لا يتغيّران في أزمنتهما وأوقاتهما يعرف ذلك من يعرف بحساب موضوع وأمر معلوم بحكمة يعرف ذوو الألباب أنها ليست من حكمة الإنس، ولا تفتيش الأوهام، ولا تقليب التفكّر، فعرف القلب حين دلّته العين على ما عاينت أن لذلك الخلق والتدبير والأمر العجيب صانعاً يمسك السماء المنطبقة أن تهوى إلى الأرض وأن الذي جعل الشمس والنجوم فيها خالق السماء.

ثم نظرت العين إلى ما استقلّها من الأرض فدلّت القلب على ما عاينت فعرف القلب بعقله أن ممسك الأرض الممتدّة أن تزول أو تهوى في الهواء ـ وهو يرى الريشة يرمى بها فتسقط مكانها وهي في الخفّة على ما هي عليه ـ هو الذي يمسك السماء التي فوقها، وأنه لولا ذلك لخسفت بما عليها من ثقلها وثقل الجبال والأنام والأشجار والبحور والرمال، فعرف القلب بدلالة العين أن مدبّر الأرض هو مدبّر السماء.

ثم سمعت الأذن صوت الرياح الشديدة العاصفة والليّنة الطيّبة، وعاينت العين ما يقلع من عظام الشجر ويهدم من وثيق البنيان، وتسفى من ثقال الرمال، تخلي منها ناحية وتصبّها في أُخرى، بلا سائق تبصره العين، ولا تسمعه الأذن، ولا يدرك بشيء من الحواس، وليست مجسّدة تلمس ولا محدودة تُعاين، فلم تزد العين والأذن وسائر الحواس على أن دلّت القلب أن لها صانعاً، وذلك أن القلب يفكر بالعقل الذي فيه، فيعرف أن الريح لم تتحرك من تلقائها وأنها لو كانت هي المتحرّكة لم تكفف عن التحرّك، ولم تهدم طائفة وتعفي أخرى، ولم تقلع شجرة وتدع

أخرى إلى جنبها، ولم تصب أرضاً وتنصرف عن أخرى، فلمّا تفكَّر القلب في أمر الريح علم أن لها محركاً هو الذي يسوقها حيث يشاء، ويسكنها إذا شاء، ويصيب بها من يشاء، ويصرفها عمّن يشاء، فلما نظر القلب إلى ذلك وجدها متّصلة بالسماء، وما فيها من الآيات، فعرف أن المدبّر القادر على أن يمسك الأرض والسماء هو خالق الريح ومحرّكها إذا شاء، وممسكها كيف شاء، ومسلّطها على من يشاء.

وكذلك دلّت العين والأذن القلب على هذه الزلزلة، وعرف ذلك بغيرهما من حواسّه حين حرّكته فلما دلّ الحواس على تحريك هذا الخلق العظيم من الجبال في غلظها وثقلها، وطولها وعرضها، وما عليها من ثقل الجبال والمياه والأنام وغير ذلك، وإنما تتحرك في ناحية ولم تتحرك في ناحية أخرى، وهي ملتحمة جسداً واحداً، وخلقاً متصلاً بلا فصل ولا وصل، تهدم ناحية وتخسف بها وتسلم أخرى، فعندها عرف القلب أن محرك ما حرك منها هو ممسك ما أمسك منها، وهو محرّك الريح وممسكها، وهو مدبّر السماء والأرض وما بينهما، وأن الأرض لو كانت هي المزلزلة لنفسها لما تزلزلت ولما تحرّكت، ولكنه الذي دبّرها وخلقها حرك منها ما شاء.

ثم نظرت العين إلى العظيم من الآيات من السحاب المسخر بين السماء والأرض بمنزلة الدخان لا جسد له يلمس بشيء من الأرض والجبال، يتخلل الشجرة فلا يحرك منها شيئاً، ولا يهصر منها غصناً، ولا يعلق منها بشيء يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته وكثافته، ويحتمل من ثقل الماء وكثرته ما لا يقدر على صفته، مع ما فيه من الصواعق الصادعة، والبروق اللامعة، والرعد والثلج والبرد والجليد

ما لا تبلغ الأوهام صفته ولا تهتدي القلوب إلى كُنه عجائبه، فيخرج مستقلاً في الهواء يجتمع بعد تفرّقه، ويلتحم بعد تزايله، تفرّقه الرياح من الجهات كلها إلى حيث تسوقه بإذن الله ربّها، يسفل مرة ويعلو أخرى، متمسّك بما فيه من الماء الكثير الذي إذا أزجاه صارت منه البحور، يمرّ على الأراضي الكثيرة والبلدان المتنائية لا تنقص منه نقطة، حتى ينتهي إلى ما لا يحصى من الفراسخ فيرسل ما فيه قطرة بعد قطرة، وسيلاً بعد سيل، مُتتابع على رسله حتى ينقع البرك، وتمتلي الفجاج، وتعتلي الأودية بالسيول كأمثال الجبال غاصّة بسيولها، مصمّخة الآذان لدويّها وهديرها فتحيي بها الأرض الميتة، فتصبح مخضرّة بعد أن كانت مغبّرة، ومعشبة بعد أن كانت مجدبة، قد كسيت ألواناً من نبات عشب ناضرة زاهرة مزينة معاشاً للناس والأنعام، فإذا أفرغ الغمام ماءه أقلع وتفرّق وذهب حيث لا يعاين ولا يدري أين توارى.

فأدّت العين ذلك إلى القلب فعرف القلب أن ذلك السحاب لو كان بغير مدبّر وكان ما وصفت من تلقاء نفسه ما احتمل نصف ذلك من الثقل من الماء، وإن كان هو الذي يرسله لما احتمله ألفي فرسخ أو أكثر، ولأرسله فيما هو أقرب من ذلك، ولما أرسله قطرة بعد قطرة، بل كان يرسله إرسالاً فكان يهدم البنيان ويفسد النبات، ولما جاز إلى البلد وترك آخر دونه، فعرف القلب بالأعلام المنيرة الواضحة أن مدبّر الأمور واحد، وأنه لو كان اثنين أو ثلاثة لكان في طول هذه الأزمنة والأبد والدهر اختلاف في التدبير وتناقض في الأمور، ولتأخّر بعض وتقدّم بعض، ولكان تسفل بعض ما قد علا، ولعلا بعض ما قد سفل، ولطلع شيء وغاب فتأخر عن وقته أو تقدّم ما قبله فعرف القلب بذلك أن مدبّر الأشياء

ما غاب منها وما ظهر هو الله الأول، خالق السماء وممسكها، وفارش الأرض وداحيها، وصانع ما بين ذلك ممّا عدّدنا وغير ذلك مما لم يحص.

وكذلك عاينت العين اختلاف الليل والنهار دائبين جديدين لا يبليان في طول كرّهما، ولا يتغيران لكثرة اختلافهما، ولا ينقصان عن حالهما، النهار في نوره وضيائه، والليل في سواده وظلمته، يلج أحدهما في الآخر حتى ينتهي كل واحد منهما إلى غاية محدودة معروفة في الطول والقصر على مرتبة واحدة ومجرى واحد، مع سكون من يسكن في الليل، وانتشار من ينتشر في الليل، وانتشار من ينتشر في النهار، وسكون من يسكن في النهار.

ثم الحرّ والبرد وحلول أحدهما بعقب الآخر حتى يكون الحرّ برداً والبرد حرّاً في وقته وأبّانه.

فكل هذا مما يستدلّ به القلب على الرب سبحانه وتعالى، فعرف القلب بعقله أن من دبّر هذه الأشياء هو الواحد العزيز الحكيم الذي لم يزل ولا يزال، وأنه لو كان في السماوات والأرضين آلهة معه سبحانه لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، ولفسد كل واحد منهم على صاحبه.

وكذلك سمعت الأذن ما أنزل المدبر من كتب تصديقاً لما أدركته القلوب بعقولها، وتوفيق الله إياها، وما قاله من عرفه كنه معرفته بلا ولد ولا صاحبة ولا شريك فأدّت الأذن ما سمعت من اللسان بمقالة الأنبياء إلى القلب.

فقال: قد أتيتني من أبواب لطيفة بما لم يأتني به أحد غيرك، إلاّ أنه

لا يمنعني من ترك ما في يدي إلاّ الإيضاح والحجّة القوية بما وصفت لي وفسّرت.

قلت: أما إذا حجبت عن الجواب واختلف منك المقال فسيأتيك من الدلالة من قبل نفسك خاصة ما يستبين لك أن الحواس لا تعرف شيئاً إلاّ بالقلب، فهل رأيت في المنام أنك تأكل وتشرب حتى وصلت لذّة ذلك إلى قلبك؟

قال: نعم.

قلت: فهل رأيت أنك تضحك وتبكي وتجول في البلدان التي لم ترها والتي قد رأيتها حتى تعلم معالم ما رأيت منها؟

قال: نعم ما لا أحصي.

قلت: هل رأيت أحداً من أقاربك من أخ أو أب أو ذي رحم قد مات قبل ذلك حتى تعلمه وتعرفه كمعرفتك إياه قبل أن يموت؟

قال: أكثر من الكثير.

قلت: فأخبرني أيّ حواسّك أدرك هذه الأشياء في منامك حتى دلّت قلبك على معاينة الموتى وكلامهم، وأكل طعامهم، والجولان في البلدان، والضحك والبكاء وغير ذلك؟

قال: ما أقدر أن أقول لك أيّ حواسي أدرك ذلك أو شيئاً منه، وكيف تدرك وهي بمنزلة الميت لا تسمع ولا تبصر؟

قلت: فأخبرني حيث استيقظت ألست قد ذكرت الذي رأيت في منامك تحفظه وتقصّه بعد يقظتك على إخوانك لا تنسى منه حرفاً؟

قال: إنه كما تقول، وربما رأيت الشيء في منامي ثم لا أمسي حتى أراه في يقظتي كما رأيته في منامي.

قلت: فأخبرني أيّ حواسّك قرّرت علم ذلك في قلبك حتى ذكرته بعدما استيقظت؟

قال: إن هذا الأمر ما دخلت فيه الحواس.

قلت: أفليس ينبغي لك أن تعلم حيث بطلت الحواس في هذا أن الذي عاين تلك الأشياء وحفظها في منامك قلبك الذي جعل الله فيه العقل الذي احتجّ به على العباد؟

قال: إنّ الذي رأيت في منامي ليس بشيء إنما هو بمنزلة السراب الذي يعاينه صاحبه وينظر إليه لا يشكّ فيه أنه ماء فإذا انتهى إلى مكانه لم يجده شيئاً فما رأيت في منامي فبهذه المنزلة.

قلت: كيف شبّهت السراب بما رأيت في منامك من أكلك الطعام الحلو والحامض، وما رأيت من الفرح والحزن؟

قال: لأنّ السراب حيث انتهيت إلى موضعه صار لا شيء، وكذلك صار ما رأيت في منامي حين انتبهت.

قلت: فأخبرني إن أتيتك بأمر وجدت لذّته في منامك وخفق لذلك قلبك ألست تعلم أنّ الأمر على ما وصفت لك؟

قال: بلى.

قلت: فأخبرني هل احتلمت قطّ حتى قضيت في امرأة نهمتك عرفتها أم لم تعرفها؟

قال: بلى ما لا أحصيه.

قلت: ألست وجدت لذلك لذّة على قدر لذّتك في يقظتك فتنتبه وقد أنزلت الشهوة حتى تخرج منك بقدر ما تخرج منك في اليقظة، هذا كسر لحجّتك في السراب.

قال: ما يرى المحتلم في منامه شيئاً إلاّ ما كانت حواسّه دلّت عليه في اليقظة.

قلت: ما زدت على أن قوّيت مقالتي، وزعمت أن القلب يعقل الأشياء ويعرفها بعد ذهاب الحواس وموتها فكيف أنكرت أن القلب يعرف الأشياء وهو يقظان مجتمعة له حواسّه وما الذي عرفه إيّاها بعد موت الحواسّ وهو لا يسمع ولا يبصر؟ ولكنت حقيقاً أن لا تنكر له المعرفة وحواسّه حيّة مجتمعة إذا أقررت أنّه ينظر إلى الإمرأة بعد ذهاب حواسّه حتى نكحها وأصاب لذّته منها.

فينبغي لمن يعقل حيث وصف القلب بما وصفه به من معرفته بالأشياء والحواسّ ذاهبة أن يعرف أن القلب مدبّر الحواس ومالكها ورائسها والقاضي عليها، فإنه ما جهل الإنسان من شيء فما يجهل أن اليد لا تقدر على العين أن تقلعها، ولا على اللسان أن تقطعه، وأنه ليس يقدر شيء من الحواس أن يفعل بشيء من الجسد شيئاً بغير إذن القلب ودلالته وتدبيره لأن الله تبارك وتعالى جعل القلب مدبّراً للجسد، به يسمع وبه يبصر وهو القاضي والأمير عليه، لا يتقدّم الجسد إن هو تأخّر، ولا يتأخّر إن هو تقدّم، وبه سمعت الحواسّ وأبصرت، إن أمرها ائتمرت، وإن نهاها انتهت، وبه ينزل الفرح والحزن، وبه ينزل الألم، إن فسد شيء

من الحواس بقي على حاله، وإن فسد القلب ذهب جميعاً حتى لا يسمع ولا يبصر.

قال: لقد كنت أظنّك لا تتخلّص من هذه المسألة وقد جئت بشيء لا أقدر على ردّه.

قلت: وأنا أعطيك تصاديق ما أنبأتك به وما رأيت في منامك في مجلسك الساعة.

قال: إفعل فإني قد تحيّرت في هذه المسألة.

قلت: أخبرني هل تحدّث نفسك من تجارة أو صناعة أو بناء أو تقدير شيء وتأمر به إذا أحكمت تقديره في ظنّك؟

قال: نعم.

قلت: فهل أشركت قلبك في ذلك الفكر شيئاً من حواسّك؟

قال: لا.

قلت: أفلا تعلم أنّ الذي أخبرك به قلبك حقّ؟

قال: اليقين هو، فزدني ما يذهب الشك عنّي ويزيل الشبهة من قلبي.

قلت[1]: أخبرني هل يعرف أهل بلادك علم النجوم؟

قال: إنك لغافل عن علم أهل بلادي بالنجوم.

قلت: وما بلغ من علمهم بها؟

---

(١) قال العلاّمة المجلسي (قدّس سرّه):
ذكر السيد ابن طاوُس قدس الله روحه في كتاب النجوم من هذه الرسالة جملة ليست فيما عندنا من النسخ فلنذكرها:

فقال: إنّا نخبرك عن علمهم بخصلتين تكتفي بهما عمّا سواهما.

قلت: فأخبرني ولا تخبرني إلّا بحقّ.

قال: بديني لا أخبرك إلاّ بحق وبما عاينت.

قلت: هات.

قال: أمّا إحدى الخصلتين فإنّ ملوك الهند لا يتّخذون إلاّ الخصيان.

قلت: ولِم ذلك؟

قال: لأنّ لكلّ رجل منهم منجّماً حاسباً فإذا أصبح أتى باب الملك فقاس الشمس وحسب فأخبره بما يحدث في يومه ذلك، وما حدث في ليلته التي كان فيها، فإن كانت امرأة من نسائه قارفت شيئاً يكرهه أخبره، فقال: فلان قارف كذا وكذا مع فلانة، ويحدث في هذا اليوم كذا وكذا.

قلت: فأخبرني عن الخصلة الأخرى.

قال: قوم بالهند بمنزلة الخنّاقين عندكم يقتلون الناس بلا سلاح ولا خنق ويأخذون أموالهم.

قلت: وكيف يكون هذا؟

قال: يخرجون مع الرفقة والتجّار بقدر ما فيها من الرجالة فيمشون معهم أيّاماً ليس معهم سلاح، ويحدّثون الرجال ويحسبون حساب كلّ رجل من التجّار فإذا عرف أجمعهم موضع النفس من صاحبه وكز كلّ واحد منهم صاحبه الذي حسب به في ذلك الموضع فيقع جميع التجّار موتى!.

قلت: إنّ هذا أرفع من الباب الأوّل إن كان ما تقول حقّاً!

قال: أحلف لك بديني إنّه حق ولربّما رأيت ببلاد الهند قد أخذ بعضهم وأمر بقتله.

قلت: فأخبرني كيف كان هذا حتى اطّلعوا عليه؟

قال: بحساب النجوم.

قلت: فما سمعت كهذا علماً قطّ، وما أشكّ أنّ واضعه الحكيم العليم، فأخبرني من وضع هذا العلم الدقيق الذي لا يدرك بالحواسّ ولا بالعقول ولا بالفكر؟

قال: حساب النجوم وضعته الحكماء وتوارثه الناس[١].

قلت: أخبرني هل يعلم أهل بلادك علم النجوم؟

قال: إنّك لغافل عن علم أهل بلادي بالنجوم، فليس أحد أعلم بذلك منهم.

قلت: أخبرني كيف وقع علمهم بالنجوم وهي ممّا لا يدرك بالحواسّ ولا بالفكر؟

قال: حساب وضعته الحكماء وتوارثته الناس، فإذا سألت الرجل منهم عن شيء قاس الشمس ونظر في منازل الشمس والقمر وما للطالع من النحوس، وما للباطن من السعود، ثمّ يحسب ولا يخطىء، ويحمل إليه المولود فيحسب له ويخبر بكلّ علامة فيه بغير معاينة ما هو مصيبه إلى يوم يموت.

---

(١) قال العلاّمة المجلسي (قدّس سرّه):
إلى هنا انتهى ما يختصّ به كتاب النجوم، ويشترك سائر النسخ من قوله: فإذا سألت الرجل منهم...

قلت: كيف دخل الحساب في مواليد الناس؟

قال: لأنّ جميع الناس إنّما يولدون بهذه النجوم، ولولا ذلك لم يستقم هذا الحساب فمن ثمّ لا يخطىء إذا علم الساعة واليوم والشهر والسنة التي يُولد فيها المولود.

قلت: لقد توصّفت علماً عجيباً ليس في علم الدنيا أدقّ منه ولا أعظم إن كان حقّاً كما ذكرت، يعرف به المولود الصبي وما فيه من العلامات ومنتهى أجله وما يصيبه في حياته، أوليس هذا حساباً تولد به جميع أهل الدنيا من كان من الناس؟

قال: لا أشكّ فيه.

قلت: فتعال ننظر بعقولنا كيف علم الناس هذا العلم وهل يستقيم أن يكون لبعض الناس إذا كان جميع الناس يولدون بهذه النجوم وكيف عرفها بسعودها ونحوسها، وساعاتها وأوقاتها، ودقائقها ودرجاتها، وبطيئها وسريعها، ومواضعها من السماء، ومواضعها تحت الأرض، ودلالتها على غامض هذه الأشياء التي وصفت في السماء وما تحت الأرض، فقد عرفت أن بعض هذه البروج في السماء، وبعضها تحت الأرض، وكذلك النجوم السبعة منها تحت الأرض ومنها في السماء فما يقبل عقلي أنّ مخلوقاً من أهل الأرض قدر على هذا.

قال: وما أنكرت من هذا؟

قلت: إنّك زعمت أن جميع أهل الأرض إنما يتوالدون بهذه النجوم، فأرى الحكيم الذي وضع هذا الحساب بزعمك من بعض أهل الدنيا، ولا شك إن كنت صادقاً أنّه ولد ببعض هذه النجوم والساعات

والحساب الذي كان قبله، إلاّ أن تزعم أن ذلك الحكيم لم يولد بهذه النجوم كما ولد سائر الناس.

قال: وهل هذا الحكيم إلاّ كسائر الناس؟

قلت: أفليس ينبغي أن يدلّك عقلك على أنّها قد خُلقت قبل هذا الحكيم الذي زعمت أنّه وضع هذا الحساب، وقد زعمت أنّه ولد ببعض هذه النجوم؟

قال: بلى.

قلت: فكيف اهتدى لوضع هذه النجوم؟ وهل هذا العلم إلاّ من معلّم كان قبلهما وهو الذي أسّس هذا الحساب الذي زعمت أنه أساس المولود والأساس أقدم من المولود، والحكيم الذي زعمت أنه وضع هذا إنما يتّبع أمر معلّم هو أقدم منه وهو الذي خلقه مولوداً ببعض هذا النجوم، وهو الذي أسّس هذه البروج التي ولد بها غيره من الناس فواضع الأساس ينبغي أن يكون أقدم منها، هب أنّ هذا الحكيم عمّر مُذ كانت الدنيا عشرة أضعاف، هل كان نظره في هذه النجوم إلاّ كنظرك إليها معلّقة في السماء أو تراه كان قادراً على الدُنوّ منها وهي في السماء حتى يعرف منازلها ومجاريها، نحوسها وسعودها، ودقائقها، وبأيّتها تكسف الشمس والقمر، وبأيّتها يُولد كل مولود، وأيّها السعد وأيّها النحس، وأيّها البطيء وأيها السريع، ثم يعرف بعد ذلك سعود ساعات النهار ونحوسها، وأيّها السعد وأيّها النحْس، وكم ساعة يمكث كلّ نجم منها تحت الأرض، وفي أيّ ساعة تغيب، وأيّ ساعة تطلع وكم ساعة يمكث طالعاً، وفي أيّ ساعة تغيب وكم استقام لرجل حكيم كما زعمت من أهل

الدنيا أن يعلم علم السماء ممّا لا يدرك بالحواسّ، ولا يقع عليه الفكر، ولا يخطر على الأوهام؟

وكيف اهتدى أن يقيس الشمس حتى يعرف في أيّ برج، وفي أيّ برج القمر، وفي أيّ برج من السماء هذه السبعة السعود والنحوس وما الطالع منها وما الباطن؟ وهي معلّقة في السماء وهو من أهل الأرض لا يراها إذا توارت بضوء الشمس إلاّ أن تزعم أن هذا الحكيم الذي وضع هذا العلم قد رقي إلى السماء، وأنا أشهد أنّ هذا العالم لم يقدر على هذا العلم إلاّ بمن في السماء، لأن هذا ليس من علم أهل الأرض.

قال: ما بلغني أنّ أحداً من أهل الأرض رقي إلى السماء.

قلت: فلعلّ هذا الحكيم فعل ذلك ولم يبلغك؟

قال: ولو بلغني ما كنت مصدّقاً.

قلت: فأنا أقول قولك، هبه رقِي إلى السماء هل كان له بدّ من أن يجري مع كل برج من هذه البروج، ونجم من هذه النجوم من حيث يطلع إلى حيث يغيب، ثم يعود إلى الآخر حتى يفعل مثل ذلك حتى يأتي على آخرها؟ فإنّ منها ما يقطع السماء في ثلاثين سنة، ومنها ما يقطع دون ذلك، وهل كان له بدّ من أن يجول في أقطار السماء حتى يعرف مطالع السعود منها والنحوس، والبطيء والسريع، حتى يحصى ذلك؟

أو هبه قدر على ذلك حتى فرغ ممّا في السماء هل كان يستقيم له حساب ما في السماء حتى يحكم حساب ما في الأرض وما تحتها وأن يعرف ذلك مثل ما قد عاين في السماء؟ لأن مجاريها تحت الأرض على غير مجاريها في السماء، فلم يكن يقدر على أحكام حسابها ودقائقها

وساعاتها إلاّ بمعرفة ما غاب عنه تحت الأرض منها، لأنّه ينبغي أن يعرف أيّ ساعة من الليل يطلع طالعها، وكم يمكث تحت الأرض، وأيّة ساعة من النهار يغيب غائبها لأنه لا يعاينها، ولا ما طلع منها ولا ما غاب.

ولا بدّ من أن يكون العالم بها واحداً وإلاّ لم ينتفع بالحساب ألا تزعم أن ذلك الحكيم قد دخل في ظلمات الأرضين والبحار فسار مع النجوم والشمس والقمر في مجاريها على قدر ما سار في السماء حتى علم الغيب منها وعلم ما تحت الأرض على قدر ما عاين منها في السماء.

قال: وهل أريتني أجبتك إلى أنّ أحداً من أهل الأرض رقِي إلى السماء وقدر على ذلك حتى أقول: إنه دخل في ظلمات الأرضين والبحور؟

قلت: فكيف وقع هذا العلم الذي زعمت أنّ الحكماء من الناس وضعوه وأن الناس كلّهم مولدون به وكيف عرفوا ذلك الحساب وهو أقدم منهم؟

قال: أرأيت إن قلت لك: إن البروج لم تزل وهي التي خلقت أنفسها على هذا الحساب ما الذي تردّ عليّ؟

قلت: أسألك كيف يكون بعضها سعداً وبعضها نحساً، وبعضها مضيئاً وبعضها مظلماً، وبضعها صغيراً وبضعها كبيراً؟

قال: كذلك أرادت أن تكون بمنزلة الناس، فإن بعضهم جميل، وبعضهم قبيح، وبعضهم قصير، وبعضهم طويل، وبعضهم أبيض، وبعضهم أسود، وبعضهم صالح، وبعضهم طالح.

قلت: فالعجب منك إنّي أُراودك منذ اليوم على أن تقرّ بصانع فلم تجبني إلى ذلك حتى كان الآن أقررت بأن القردة والخنازير خلقن أنفسهنّ!

قال: لقد بهتّني بما لم يسمع الناس منّي!

قلت: أفمنكر أنت لذلك؟

قال: أشدّ إنكار.

قلت: فمن خلق القردة والخنازير إن كان الناس والنجوم خلقن أنفسهنّ؟ فلا بد من أن تقول إنهنّ من خلق الناس، أو خلقن أنفسهن، أفتقول: إنها من خلق الناس؟

قال: لا.

قلت: فلا بدّ من أن يكون لها خالق أو هي خلقت أنفسها، فإن قلت: إنّها من خلق الناس أقررت أنّ لها خالقاً، فإن قلت: لابدّ أن يكون لها خالق فقد صدقت وما أعرفنا به، ولئن قلت: إنهن خلقن أنفسهن فقد أعطيتني فوق ما طلبت منك من الإقرار بصانع.

ثم قلت: فأخبرني بعضهنّ قبل بعض خلقن أنفسهنّ أم كان ذلك في يوم واحد؟

فإن قلت: بعضهنّ قبل بعض فأخبرني السماوات وما فيهنّ والنجوم قبل الأرض والإنس والذرّ خلقن أم بعد ذلك؟

فإن قلت: إن الأرض قبل أفلا ترى قولك إن الأشياء لم تزل قد بطل حيث كانت السماء بعد الأرض؟

قال: بلى ولكن أقول: معاً جميعاً خلقن.

قلت: أفلا ترى أنك قد أقررت أنها لم تكن شيئاً قبل أن خلقن، وقد أذهبت حجّتك في الأزليّة؟

قال: إني لَعلى حدّ وقوف، ما أدري ما أجيبك فيه لأني أعلم أنّ الصانع إنما سُمّي صانعاً لصناعته، والصناعة غير الصانع، والصانع غير الصناعة لأنه يقال للرجل الباني لصناعته البناء، والبناء غير الباني، والباني غير البناء، وكذلك الحارث غير الحرث والحرث غير الحارث؟

قلت: فأخبرني عن قولك: إن الناس خلقوا أنفسهم فبكمالهم خلقوها أرواحهم وأجسادهم وصورهم وأنفاسهم أم خلق بعض ذلك غيرهم؟

قال: بكمالهم لم يخلق ذلك ولا شيئاً منهم غيرهم.

قلت: فأخبرني الحياة أحبّ إليهم أم الموت؟

قال: أوتشكّ أنه لا شيء أحبّ إليهم من الحياة، ولا أبغض إليهم من الموت؟

قلت: فأخبرني من خلق الموت الذي يخرج أنفسهم التي زعمت أنهم خلقوها؟ فإنك لا تنكر أنّ الموت غير الحياة، وأنه هو الذي يُذهب بالحياة.

فإن قلت: إن الذي خلق الموت غيرهم، فإن الذي خلق الموت هو الذي خلق الحياة.

ولئن قلت: هم الذين خلقوا الموت لأنفسهم إنّ هذا لمحال من

القول! وكيف خلقوا لأنفسهم ما يكرهون إن كانوا كما زعمت خلقوا أنفسهم؟ هذا ما يستنكر من ضلالك أن تزعم أنّ الناس قدروا على خلق أنفسهم بكمالهم، وأن الحياة أحبّ إليهم من الموت وخلقوا ما يكرهون لأنفسهم؟

قال: ما أجد واحداً من القولين ينقاد لي ولقد قطعته عليّ قبل الغاية التي كنت أريدها؟

قلت: دعني فإن من الدخول في أبواب الجهالات ما لا ينقاد من الكلام، وإنما أسألك عن معلّم هذا الحساب الذي علّم أهل الأرض علم هذه النجوم المعلقة في السماء.

قال: ما أجد يستقيم أن أقول: إنّ أحداً من أهل الأرض وضع علم هذه النجوم المعلّقة في السماء.

قلت: فلا بدّ أن تقول: إنّما علّمه حكيم عليم بأمر السماء والأرض ومدبّرهما.

قال: إن قلت هذا فقد أقررت لك بإلٰهك الذي تزعم أنه في السماء.

قلت: أمّا إنّك فقد أعطيتني أنّ حساب هذه النجوم حق، وأنّ جميع الناس ولدوا بها.

قال: الشك في غير هذا.

قلت: وكذلك أعطيتني أنّ أحداً من أهل الأرض لم يقدر على أن يغيب مع هذه النجوم والشمس والقمر في المغرب حتى يعرف مجاريها ويطلع معها إلى المشرق.

قال: الطلوع إلى السماء دون هذا.

قلت: فلا أراك تجد بُدّاً من أن تزعم أن المعلّم لهذا من السماء.

قال: لئن قلت أن ليس لهذا الحساب معلّم لقد قلت إذاً غير الحق، ولئن زعمت أنّ أحداً من أهل الأرض علم ما في السماء وما تحت الأرض لقد أبطلت لأنّ أهل الأرض لا يقدرون على علم ما وصفت لك من حال هذه النجوم والبروج بالمعاينة والدنوّ منها فلا يقدرون عليه لأنّ علم أهل الدنيا لا يكون عندنا إلاّ بالحواسّ، وما يدرك علم هذه النجوم التي وصفت بالحواسّ لأنها معلّقة في السماء وما زادت الحواس على النظر إليها حيث تطلع وحيث تغيب، فأمّا حسابها ودقائقها ونحوسها وسعودها وبطيئها وسريعها وخنوسها ورجوعها فأنّى تدرك بالحواس أو يهتدى إليها بالقياس؟

قلت: فأخبرني لو كنت متعلّماً مستوصفاً لهذا الحساب من أهل الأرض أحبّ إليك أن تستوصفه وتتعلّمه، أم من أهل السماء؟

قال: من أهل السماء، إذ كانت النجوم معلّقة فيها حيث لا يعلمها أهل الأرض.

قلت: فافهم وأدقّ النظر وناصح نفسك ألست تعلم أنه حيث كان جميع أهل الدنيا إنما يولدون بهذه النجوم على ما وصفت في النحوس والسعود أنهنّ كنّ قبل الناس؟

قال: ما أمتنع أن أقول هذا.

قلت: أفليس ينبغي لك أن تعلم أن قولك: إنّ الناس لم يزالوا ولا يزالون قد انكسر عليك حيث كانت النجوم قبل الناس، فالناس حدث

بعدها، ولئن كانت النجوم خلقت قبل الناس ما تجد بدّاً من أن تزعم أنّ الأرض خلقت قبلهم.

قال: ولم تزعم أن الأرض خلقت قبلهم؟

قلت: ألست تعلم أنها لو لم تكن الأرض جعل الله لخلقه فراشاً ومهاداً ما استقام الناس ولا غيرهم من الأنام، ولا قدروا أن يكونوا في الهواء إلاّ أن يكون لهم أجنحة؟

قال: وماذا يغني عنهم الأجنحة إذا لم تكن لهم معيشة؟

قلت: ففي شكّ أنت من أنّ الناس حدث بعد الأرض والبروج؟

قال: لا ولكن على يقين من ذلك.

قلت: آتيك أيضاً بما تبصره.

قال: ذلك أنفى للشكّ عنّي.

قلت: ألست تعلم أن الذي تدور عليه هذه النجوم والشمس والقمر هذا الفلك؟

قال: بلى.

قلت: أفليس قد كان أساساً لهذه النجوم؟

قال: بلى.

قلت: فما أرى هذه النجوم التي زعمت أنّها مواليد الناس إلاّ وقد وضعت بعد هذا الفلك لأنه به تدور البروج وتسفل مرّة وتصعد أخرى.

قال: قد جئت بأمر واضح لا يشكل على ذي عقل أن الفلك الذي تدور به النجوم هو أساسها الذي وضع لها لأنّها إنما جرت به.

قلت: أقررت أن خالق النجوم التي يولد بها الناس سعودهم ونحوسهم هو خالق الأرض لأنه لو لم يكن خلقها لم يكن ذرء.

قال: ما أجد بُدّاً من إجابتك إلى ذلك.

قلت: أفليس ينبغي لك أن يدلّك عقلك على أنّه لا يقدر على خلق السماء إلاّ الذي خلق الأرض والذرء والشمس والقمر والنجوم، وأنه لولا السماء وما فيها لهلك ذرء الأرض.

قال: أشهد أنّ الخالق واحد من غير شك لأنّك قد أتيتني بحجّة ظهرت لعقلي وانقطعت بها حجّتي، وما أرى يستقيم أن يكون واضع هذا الحساب ومعلّم هذه النجوم واحداً من أهل الأرض لأنّها في السماء ولا مع ذلك يعرف ما تحت الأرض منها إلاّ معلّم ما في السماء منها، ولكن لست أدري كيف سقط أهل الأرض على هذا العلم الذي هو في السماء حتى اتّفق حسابهم على ما رأيت من الدقّة والصواب فإنّي لو لم أعرف من هذا الحساب ما أعرفه لأنكرته ولأخبرتك أنّه باطل في بدء الأمر فكان أهون عليّ.

قلت: فأعطني موثقاً إن أنا أعطيتك من قبل هذه الإهليلجة التي في يدك وما تدّعي من الطب الذي هو صناعتك وصناعة آبائك حتى يتّصل الإهليلجة وما يشبهها من الأدوية بالسماء لتذعننّ بالحقّ، ولتنصفنّ من نفسك.

قال: ذلك لك.

قلت: هل كان الناس على حال وهم لا يعرفون الطب ومنافعه من هذه الإهليلجة وأشباهها؟

قال: نعم.

قلت: فمن أين اهتدوا له.

قال: بالتجربة وطول المقايسة.

قلت: فكيف خطر على أوهامهم حتى همّوا بتجربته؟ وكيف ظنّوا أنّه مصلحة للأجساد وهم لا يرون فيه إلاّ المضرّة! أو كيف عزموا على طلب ما لا يعرفون ممّا لا تدلّهم عليه الحواسّ؟

قال: بالتجارب.

قلت: أخبرني عن واضع هذا الطب وواصف هذه العقاقير المتفرّقة بين المشرق والمغرب، هل كان بُدّ من أن يكون الذي وضع ذلك ودلّ على هذه العقاقير رجل حكيم من بعض أهل هذه البلدان؟

قال: لا بدّ أن يكون كذلك، وأن يكون رجلاً حكيماً وضع ذلك وجمع عليه الحكماء فنظروا في ذلك، وفكّروا فيه بعقولهم.

قلت: كأنّك تريد الإنصاف من نفسك والوفاء بما أعطيت من ميثاقك فأعلمني كيف عرف الحكيم ذلك؟ وهبه قد عرف بما في بلاده من الدواء، والزعفران الذي بأرض فارس، أتراه اتّبع جميع نبات الأرض فذاقه شجرة شجرة حتى ظهر على جميع ذلك؟ وهل يدلك عقلك على أن رجالاً حكماء قدروا على أن يتّبعوا جميع بلاد فارس ونباتها شجرة شجرة حتّى عرفوا ذلك بحواسّهم، وظهروا على تلك الشجرة التي يكون فيها خلط بعض هذه الأدوية التي لم تدرك حواسّهم شيئاً منها؟

وهبه أصاب تلك الشجرة بعد بحثه عنها وتتبّعه جميع شجر فارس

ونباتها، كيف عرف أنه لا يكون دواء حتى يضمّ إليه الإهليلج من الهند، والمصطكي من الروم، والمسك من التّبت، والدارصيني من الصين، وخصي بيدستر من الترك، والأفيون من مصر، والصبر من اليمن، والبورق من أرمينية، وغير ذلك من أخلاط الأدوية التي تكون في أطراف الأرض؟

وكيف عرف أن بعض تلك الأدوية وهي عقاقير مختلفة يكون المنفعة باجتماعها ولا يكون منفعتها في الحالات بغير اجتماع؟ أم كيف اهتدى لمنابت هذه الأدوية وهي ألوان مختلفة وعقاقير متبائنة في بلدان متفرّقة؟ فمنها عروق، ومنها لحاء، ومنها ورق، ومنها ثمر، ومنها عصير، ومنها مائع، ومنها صمغ، ومنها دهن، ومنها ما يُعصر ويُطبخ، ومنها ما يُعصر ولا يُطبخ ممّا سُمّي بلغات شتّى لا يصلح بعضها إلاّ ببعض، ولا يصير دواءً إلاّ باجتماعها.

ومنها مرائر السباع والدواب البرّية والبحرية، وأهل هذه البلدان مع ذلك متعادون مختلفون متفرّقون باللغات، متغالبون بالمناصبة، ومتحاربون بالقتل والسبي أفترى ذلك الحكيم تتبّع هذه البلدان حتى عرف كلّ لغة وطاف كلّ وجه، وتتبّع هذه العقاقير مشرّقاً ومغرّباً آمناً صحيحاً لا يخاف ولا يمرض، سليماً لا يعطب، حيّاً لا يموت، هادياً لا يضلّ، قاصداً لا يجور، حافظاً لا ينسى، نشيطاً لا يملّ، حتى عرف وقت أزمنتها، ومواضع منابتها مع اختلاطها واختلاف طبقاتها، وتبيان ألوانها وتفرّق أسمائها، ثم وضع مثالها على شبهها وصفتها، ثم وصف كل شجرة بنباتها وورقها وثمرها وريحها وطعمها؟

أم هل كان لهذا الحكيم بدّ من أن يتّبع جميع أشجار الدنيا وبقولها

وعروقها شجرة شجرة، وورقة ورقة، شيئاً شيئاً؟ فهبه وقع على الشجرة التي أراد فكيف دلّته حواسّه على أنها تصلح لدواء، والشجر مختلف منه الحلوّ والحامض والمرّ والمالح؟

وإن قلت: يستوصف في هذه البلدان ويعمل بالسؤال، فأنّى يسأل عمّا لم يعاين ولم يدركه بحواسّه؟ أم كيف يهتدي إلى من يسأله عن تلك الشجرة وهو يكلّمه بغير لسانه وبغير لغته والأشياء كثيرة؟ فهبه فعل كيف عرف منافعها ومضارّها، وتسكينها وتهييجها، وباردها وحارّها، وحلوها ومرارتها وحرافتها، ولينها وشديدها؟

فلئن قلت: بالظن إنّ ذلك ممّا لا يدرك ولا يعرف بالطبائع والحواسّ.

ولئن قلت: بالتجربة والشرب لقد كان ينبغي له أن يموت في أوّل ما شرب وجرّب تلك الأدوية بجهالته بها وقلّة معرفته بمنافعها ومضارّها وأكثرها السمّ القاتل.

ولئن قلت: بل طاف في كل بلد، وأقام في كلّ أمّة يتعلّم لغاتهم ويجرّب بهم أدويتهم تقتل الأوّل فالأوّل منهم ما كان لتبلغ معرفته الدواء الواحد إلاّ بعد قتل قوم كثير، فما كان أهل تلك البلدان الذين قتل منهم من قتل بتجربته بالذين ينقادونه بالقتل ولا يدعونه أن يجاورهم، وهبه تركوه وسلّموا لأمره ولم ينهوه كيف قوي على خلطها، وعرف قدرها ووزنها وأخذ مثاقيلها وقرط قراريطها؟ وهبه تتبّع كلّه، وأكثر سمّ قاتل إن زيد على قدرها قتل، وإن نقص عن قدرها بطل، وهبه تتبّع هذا كلّه وجال مشارق الأرض ومغاربها، وطال عمره فيها تتبّعه شجرة شجرة وبقعة

بقعة، كيف كان له تتبّع ما لم يدخل في ذلك من مرارة الطير والسباع ودواب البحر؟

هل كان بُدّ حيث زعمت أنّ ذلك الحكيم تتبّع عقاقير الدنيا شجرة شجرة وثمرة ثمرة حتى جمعها كلّها فمنها ما لا يصلح ولا يكون دواءً إلاّ بالمرار؟ هل كان بُدّ من أن يتّبع جميع طير الدنيا وسباعها ودوابّها دابّة دابّة وطائراً طائراً يقتلها ويجرّب مرارتها، كما بحث عن تلك العقاقير على ما زعمت بالتجارب؟

ولو كان ذلك فكيف بقيت الدوابّ وتناسلت وليست بمنزلة الشجرة إذا قطعت شجرة نبتت أُخرى؟

وهبه أتى على طير الدنيا كيف يصنع بما في البحر من الدواب التي كان ينبغي أن يتّبعها بحراً بحراً ودابة دابة حتى أحاط به كما أحاط بجميع عقاقير الدنيا التي بحث عنها حتى عرفها وطلب ذلك في غمرات الماء؟ فإنّك مهما جهلت شيئاً من هذا فإنّك لا تجهل أنّ دوابّ البحر كلّها تحت الماء فهل يدلّ العقل والحواسّ على أنّ هذا يدرك بالبحث والتجارب؟

قال: لقد ضيّقت عليّ المذاهب، فما أدري ما أجيبك به!

قلت: فإنّي آتيك بغير ذلك ممّا هو أوضح وأبين ممّا اقتصصت عليك، ألست تعلم أنّ هذه العقاقير التي منها الأدوية والمرار من الطير والسباع لا يكون دواءً إلاّ بعد الاجتماع؟

قال: هو كذلك.

قلت: فأخبرني كيف حواسّ هذا الحكيم وضعت هذه الأدوية مثاقيلها وقراريطها؟ فإنّك من أعلم الناس بذلك لأنّ صناعتك الطب، وأنت تدخل في الدواء الواحد من اللون الواحد زنة أربعمائة مثقال، ومن

الآخر مثاقيل وقراريط فما فوق ذلك ودونه حتّى يجيء بقدر واحد معلوم إذا سقيت منه صاحب البطنة بمقدار عقد بطنه، وإن سقيت صاحب القولنج أكثر من ذلك استطلق بطنه وألان، فكيف أدركت حواسّه على هذا؟ أم كيف عرفت حواسّه أنّ الذي يسقى لوجع الرأس لا ينحدر إلى الرجلين، والانحدار أهون عليه من الصعود؟ والذي يسقى لوجع القدمين لا يصعد إلى الرأس، وهو إلى الرأس عند السلوك أقرب منه؟ وكذلك كلّ دواء يسقى صاحبه لكلّ عضو لا يأخذ إلاّ طريقه في العروق التي تسقى له، وكل ذلك يصير إلى المعدة ومنها يتفرّق؟

أم كيف لا يسفل منه ما صعد ولا يصعد منه ما انحدر؟

أم كيف عرفت الحواسّ هذا حتّى علم أنّ الذي ينبغي للأذن لا ينفع العين وما ينتفع [وما ننتفع] به العين لا يغني من وجع الأذن، وكذلك جميع الأعضاء يصير كلّ داء منها إلى ذلك الدواء الذي ينبغي له بعينه؟

فكيف أدركت العقول والحكمة والحواس هذا وهو غائب في الجوف والعروق في اللحم، وفوقه الجلد لا يدرك بسمع ولا ببصر ولا بشمّ ولا بلمس ولا بذوق؟

قال: لقد جئت بما أعرفه إلاّ أنّنا نقول: إنّ الحكيم الذي وضع هذه الأدوية وأخلاطها كان إذا سقى أحداً شيئاً من هذه الأدوية فمات شقّ بطنه وتتبّع عروقه ونظر مجاري تلك الأدوية وأتى المواضع التي تلك الأدوية فيها.

قلت: فأخبرني ألست تعلم أنّ الدواء كلّه إذا وقع في العروق اختلط بالدم فصار شيئاً واحد؟

قال: بلى.

قلت: أما تعلم أنّ الإنسان إذا خرجت نفسه برد دمه وجمد؟

قال: بلى.

قلت: فكيف عرف ذلك الحكيم دواءه الذي سقاه للمريض بعدما صار غليظاً عبيطاً ليس بأمشاج يستدلّ عليه بلون فيه غير لون الدم؟

قال: لقد حملتني على مطيّة صعبة ما حمّلت على مثلها قطّ، ولقد جئت بأشياء لا أقدر على ردّها.

قلت: فأخبرني من أين علم العباد ما وصفت من هذه الأدوية التي فيها المنافع لهم حتّى خاطوها وتتبّعوا عقاقيرها في هذه البلدان المتفرّقة، وعرفوا مواضعها ومعادنها في الأماكن المتباينة، وما يصلح من عروقها وزنتها من مثاقيلها وقراريطها، وما يدخلها من الحجارة ومرار السباع وغير ذلك؟

قال: قد أعييت عن إجابتك لغموض مسائلك وإلجائك إيّاي إلى أمر لا يدرك علمه بالحواسّ، ولا بالتشبيه والقياس، ولا بدّ أن يكون وضع هذه الأدوية واضع، لأنّها لم تضع هي أنفسها، ولا اجتمعت حتى جمعها غيرها بعد معرفته إيّاها، فأخبرني كيف علم العباد هذه الأدوية التي فيها المنافع حتّى خلطوها وطلبوا عقاقيرها في هذه البلدان المتفرّقة؟

قلت: إنّي ضارب لك مثلاً وناصب لك دليلاً تعرف به واضع هذه الأدوية والدالّ على هذه العقاقير المختلفة وباني الجسد وواضع العروق التي يأخذ فيها الدواء إلى الداء.

قال: فإن قلت ذلك لم أجد بُدّاً من الانقياد إلى ذلك.

قلت: فأخبرني عن رجل أنشأ حديقة عظيمة، وبنى عليها حائطاً وثيقاً، ثم غرس فيها الأشجار والأثمار والرياحين والبقول، وتعاهد سقيها وتربيتها، ووقاها ما يضرّها، حتّى لا يخفى عليه موضع كلّ صنف منها فإذا أدركت أشجارها وأينعت أثمارها واهتزّت بقولها دفعت إليه فسألته أن يطعمك لوناً من الثمار والبقول سمّيته له أتراه كان قادراً على أن ينطلق قاصداً مستمرّاً لا يرجع، ولا يهوي إلى شيء يمرّ به من الشجرة والبقول حتّى يأتي الشجرة التي سألته أن يأتيك بثمرها، والبقلة التي طلبتها حيث كان من أدنى الحديقة أو أقصاها فيأتيك بها؟

قال: نعم.

قلت: أفرأيت لو قال لك صاحب الحديقة حيث سألته الثمرة: ادخل الحديقة فخُذ حاجتك فإني لا أقدر على ذلك، هل كنت تقدر أن تنطلق قاصداً لا تأخذ يميناً ولا شمالاً حتى تنتهي إلى الشجرة فتجتني منها؟

قال: وكيف أقدر على ذلك ولا علم لي في أيّ مواضع الحديقة هي؟

قلت: أفليس تعلم أنّك لم تكن لتصيبها دون أن تهجم عليه بتعسّف وجولان في جميع الحديقة حتّى تستدلّ عليها ببعض حواسّك بعدما تتصفّح فيها من الشجرة شجرة وثمرة ثمرة حتى تسقط على الشجرة التي تطلب ببعض حواسّك أن تأتيها، وإن لم ترها انصرفت؟

قال: وكيف أقدر على ذلك ولم أُعاين مغرسها حيث غرست، ولا منبتها حيث نبتت، ولا ثمرتها حيث طلعت.

قلت: فإنه ينبغي لك أن يدلّك عقلك حيث عجزت حواسّك عن إدراك ذلك أن الذي غرس هذا البستان العظيم فيما بين المشرق والمغرب وغرس فيه هذه الأشجار والبقول هو الذي دلّ الحكيم الذي زعمت أنّه وضع الطبّ على تلك العقاقير ومواضعها في المشرق والمغرب، وكذلك ينبغي لك أن تستدلّ بعقلك على أنّه هو الذي سمّاها وسمّى بلدتها وعرف مواضعها كمعرفة صاحب الحديقة الذي سألته الثمرة، وكذلك لا يستقيم ولا ينبغي أن يكون الغارس والدالّ عليها إلاّ الدالّ على منافعها ومضارّها وقراريطها ومثاقيلها.

قال: إنّ هذا لَكما تقول.

قلت: أفرأيت لو كان خالق الجسد وما فيه من العصب واللحم والأمعاء والعروق التي يأخذ فيها الأدوية إلى الرأس وإلى القدمين وإلى ما سوى ذلك غير خالق الحديقة وغارس العقاقير، هل كان يعرف زنتها ومثاقيلها وقراريطها وما يصلح لكلّ داء منها، وما كان يأخذ في كلّ عرق؟

قال: وكيف يعرف ذلك أو يقدر عليه وهذا لا يدرك بالحواس، ما ينبغي أن يعرف هذا إلاّ الذي غرس الحديقة وعرف كلّ شجرة وبقلة وما فيها من المنافع والمضارّ.

قلت: أفليس كذلك ينبغي أن يكون الخالق واحداً؟ لأنّه لو كانا اثنين أحدهما خالق الدواء والآخر خالق الجسد والداء لم يهتد غارس العقاقير لإيصال دوائه إلى الداء الذي بالجسد ممّا لا علم له به، ولا اهتدى خالق الجسد إلى علم ما يصلح ذلك الداء من تلك العقاقير، فلمّا كان خالق

الداء والدواء واحداً أمضى الدواء في العروق التي برأ وصوّر إلى الداء الذي عرف ووضع فعلم مزاجها من حرّها وبردها وليّنها وشديدها وما يدخل في كلّ دواء منه من القراريط والمثاقيل، وما يصعد إلى الرأس منها وما يهبط إلى القدمين منها وما يتفرّق منه فيما سوى ذلك.

قال: لا أشكّ في هذا لأنّه لو كان خالق الجسد غير خالق العقاقير لم يهتد واحد منهما إلى ما وصفت.

قلت: فإنّ الذي دلّ الحكيم الذي وصفت أنه أوّل من خلط هذه الأدوية ودلّ على عقاقيرها المتفرّقة فيما بين المشرق والمغرب، ووضع هذا الطبّ على ما وصفت لك هو صاحب الحديقة فيما بين المشرق والمغرب، وهو باني الجسد، وهو دلّ الحكيم بوحي منه على صفة كلّ شجرة وبلدها، وما يصلح منها من العروق والثمار والدهن والورق والخشب واللحاء وكذلك دلّه على أوزانها من مثاقيلها وقراريطها وما يصلح لكلّ داء منها وكذلك هو خالق السباع والطير والدوابّ التي في مرارها المنافع ممّا يدخل في تلك الأدوية فإنّه لو كان غير خالقها لم يدرِ ما ينتفع به من مرارها وما يضرّ وما يدخل منها في العقاقير، فلمّا كان الخالق سبحانه وتعالى واحداً دلّ على ما فيه من المنافع منها فسمّاه باسمه حتّى عرف وترك ما لا منفعة فيه منها.

فمن ثَمَّ علم الحكيم أيّ السباع والدواب والطير فيه المنافع وأيّها لا منفعة فيه، ولولا أنّ خالق هذه الأشياء دلّه عليها ما اهتدى بها.

قال: إنّ هذا لَكما تقول، وقد بطلت الحواسّ والتجارب عند هذه الصفات.

قلت: أمّا إذا صحّت نفسك فتعال ننظر بعقولنا ونستدلّ بحواسّنا، هل كان يستقيم لخالق هذه الحديقة وغارس هذه الأشجار وخالق هذه الدواب والطير والناس الذي خلق هذه الأشياء لمنافعهم أن يخلق هذا الخلق ويغرس هذا الغرس في أرض غيره ممّا إذا شاء منعه ذلك؟

قال: ما ينبغي أن تكون الأرض التي خلقت فيها الحديقة العظيمة وغرست فيه الأشجار إلاّ الخالق هذا الخلق وملك يده.

قلت: فقد أرى الأرض أيضاً لصاحب الحديقة لاتّصال هذه الأشياء بعضها ببعض.

قال: ما في هذا شكّ.

قلت: فأخبرني وناصح نفسك ألست تعلم أنّ هذه الحديقة وما فيها من الخلقة العظيمة من الإنس والدوابّ والطير والشجر والعقاقير والثمار وغيرها لا يصلحها إلاّ شربها وريّها من الماء الذي لا حياة لشيء إلاّ به؟

قال: بلى.

قلت: أفترى الحديقة وما فيها من الذرء خالقها واحد، وخالق الماء غيره يحبسه عن هذه الحديقة إذا شاء ويرسله إذا شاء فيفسد على خالق الحديقة؟

قال: ما ينبغي أن يكون خالق هذه الحديقة وذارئ هذا الذرء الكثير وغارس هذه الأشجار إلاّ المدبّر الأوّل وما ينبغي أن يكون ذلك الماء لغيره، وأنّ اليقين عندي لهو أنّ الذي يجري هذه المياه من أرضه وجباله لغارس هذه الحديقة وما فيها من الخليقة لأنّه لو كان الماء لغير صاحب الحديقة لهلك [لهلكت] الحديقة وما فيها، ولكنّه خالق الماء قبل الغرس والذرء وبه استقامت الأشياء وصلحت.

قلت: أفرأيت لو لم يكن لهذه المياه المنفجرة في الحديقة مغيض لما يفضل من شربها يحبسه عن الحديقة أن يفيض عليها أليس كان يهلك ما فيها من الخلق على حسب ما كانوا يهلكون لو لم يكن لها ماء؟

قال: بلى ولكنّي لا أدري لعلّ هذا البحر ليس له حابس وأنّه شيء لم يزل.

قلت: أمّا أنت فقد أعطيتني أنه لولا البحر ومغيض المياه إليه لهلكت الحديقة.

قال: أجل.

قلت: فإنّي أخبرك عن ذلك بما تستيقن بأنّ خالق البحر هو خالق الحديقة وما فيها من الخليقة، وأنّه جعله مغيضاً لمياه الحديقة مع ما جعل فيه من المنافع للناس.

قال: فاجعلني من ذلك على يقين كما جعلتني من غيره.

قلت: ألست تعلم أنّ فضول ماء الدنيا يصير في البحر؟

قال: بلى.

قلت: فهل رأيته زائداً قطّ في كثرة الماء وتتابع الأمطار على الحدّ الذي لم يزل عليه؟ أو هل رأيته ناقصاً في قلّة المياه وشدّة الحرّ وشدّة القحط؟

قال: لا.

قلت: أفليس ينبغي أن يدلّك عقلك على أنّ خالقه وخالق الحديقة وما فيها من الخليقة واحد، وأنّه هو الذي وضع له حدّاً لا يجاوزه لكثرة الماء ولا لقلّته، وأنّ ممّا يستدلّ على ما أقول أنّه يقبل بالأمواج أمثال

الجبال يشرف على السهل والجبل فلو لم تقبض أمواجه ولم تحبس في المواضع التي أُمرت بالاحتباس فيها لأطبقت على الدنيا حتى إذا انتهت على تلك المواضع التي لم تزل تنتهي إليها ذلّت أمواجه وخضع أشرافه.

قال: إنّ ذلك لَكَما وصفت، ولقد عاينت منه كلّ الذي ذكرت، ولقد أتيتني ببرهان ودلالات ما أقدر على إنكارها ولا جحودها لبيانها.

قلت: وغير ذلك سآتيك به ممّا تعرف اتّصال الخلق بعضه ببعض، وأنّ ذلك من مدبّر حكيم عالم قدير، ألست تعلم أنّ عامّة الحديقة ليس شربها من الأنهار والعيون وأنّ أعظم ما ينبت فيها من العقاقير والبقول التي في الحديقة ومعاش ما فيها من الدوابّ والوحوش والطير من البراري التي لا عيون لها ولا أنهار إنّما يسقيه السحاب؟

قال: بلى.

قلت: أفليس ينبغي أن يدلّك عقلك وما أدركت بالحواسّ التي زعمت أنّ الأشياء لا تعرف إلاّ بها أنّه لو كان السحاب الذي يحتمل من المياه إلى البلدان والمواضع التي لا تنالها ماء العيون والأنهار وفيها العقاقير والبقول والشجر والأنام لغير صاحب الحديقة لأمسكه عن الحديقة إذا شاء، ولكان خالق الحديقة من بقاء خليقته التي ذرأ وبرأ على غرور ووجل، خائفاً على خليقته أن يحبس صاحب المطر الماء الذي لا حياة للخليقة إلاّ به؟

قال: إنّ الذي جئت به لواضح متّصل بعضه ببعض، وما ينبغي أن يكون الذي خلق هذه الحديقة وهذه الأرض، وجعل فيها الخليقة وخلق لها هذا المغيض، وأنبت فيها هذه الثمار المختلفة إلاّ خالق السماء

والسحاب، يرسل منها ما شاء من الماء إذا شاء أن يسقي الحديقة ويحيي ما في الحديقة من الخليقة والأشجار والدوابّ والبقول وغير ذلك، إلاّ أنّي أُحبّ أن تأتيني بحجّة أزداد بها يقيناً وأخرج بها من الشك.

قلت: فإني آتيك بها إن شاء الله من قبل إهليلجتك واتّصالها بالحديقة، وما فيها من الأشياء المتّصلة بأسباب السماء لتعلم أنّ ذلك بتدبير عليم حكيم.

قال: وكيف تأتيني بما يذهب عنّي الشكّ من قبل الإهليلجة؟

قلت: فيما أريك فيها من إتقان الصنع، وأثر التركيب المؤلّف، واتّصال ما بين عروقها إلى فروعها، واحتياج بعض ذلك إلى بعض حتّى يتّصل بالسماء.

قال: إن أريتني ذلك لم أشك.

قلت: ألست تعلم أنّ الإهليلجة نابتة في الأرض وأنّ عروقها مؤلفة إلى أصل، وأن الأصل متعلّق بساق متّصل بالغصون، والغصون متّصلة بالفروع، والفروع منظومة بالأكمام والورق، وملبس ذلك كلّه الورق ويتّصل جميعه بظلّ يقيه حرّ الزمان وبرده؟

قال: أمّا الإهليلجة فقد تبيّن لي اتّصال لحائها وما بين عروقها وبين ورقها ومنبتها من الأرض، فأشهد أنّ خالقها واحد لا يشركه في خلقها غيره لإتقان الصنع واتّصال الخلق وائتلاف التدبير وإحكام التقدير.

قلت: إن أريتك التدبير مؤتلفاً بالحكمة والإتقان معتدلاً بالصنعة، محتاجاً بعضه إلى بعض، متّصلاً بالأرض التي خرجت منه [منها ـ خ] الإهليلجة في الحالات كلّها أتقرّ بخالق ذلك؟

قال: إذن لا أشك في الوحدانيّة.

قلت: فافهم وٱفقه ما أصف لك: ألست تعلم أنّ الأرض متّصلة بإهليلجتك وإهليلجتك متّصلة بالتراب، والتراب متّصل بالحرّ والبرد، والحرّ والبرد متّصلان بالهواء، والهواء متّصل بالريح، والريح متّصلة بالسحاب، والسحاب متّصل بالمطر، والمطر متّصل بالأزمنة، والأزمنة متّصلة بالشمس والقمر، والشمس والقمر متّصلتان [متصلان ـ خ] بدوران الفلك، والفلك متّصل بما بين السماء والأرض صنعة ظاهرة، وحكمة بالغة، وتأليف متقن، وتدبير مُحكم، متّصل كلّ هذا ما بين السماء والأرض، لا يقوم بعضه إلاّ ببعض، ولا يتأخّر واحد منهما عن وقته، ولو تأخّر عن وقته لهلك جميع من في الأرض من الأنام والنباتات؟

قال: إنّ هذه لهي العلامات البيّنات والدلالات الواضحات التي يجري معها أثر التدبير، بإتقان الخلق والتأليف مع إتقان الصُنع، لكنّي لست أدري لعلّ ما تركت غير متّصل بما ذكرت.

قلت: وما تركت؟

قال: الناس.

قلت: ألست تعلم أنّ هذا كلّه متّصل بالناس، سخّره لها المدبّر الذي أعلمتك أنه إن تأخّر شيء ممّا عددت عليك هلكت الخليقة، وباد جميع ما في الحديقة، وذهبت الإهليلجة التي تزعم أنّ فيها منافع الناس؟

قال: فهل تقدر أن تفسّر لي هذا الباب على ما لخّصت لي غيره؟

قلت: نعم أبيّن لك ذلك من قبل إهليلجتك، حتّى تشهد أنّ ذلك كلّه مسخّر لبني آدم.

قال: وكيف ذلك؟

قلت: خلق الله السماء سقفاً مرفوعاً، ولولا ذلك اغتمّ خلقه لقربها، وأحرقتهم الشمس لدنوّها، وخلق لهم شهباً ونجوماً يهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر لمنافع الناس، ونجوماً يعرف بها أصل الحساب، فيها الدلالات على إبطال الحواسّ.

ووجود معلّمها الذي علّمها عباده، ممّا لا يدرك علمها بالعقول فضلاً عن الحواسّ، ولا يقع [ولا تقع ـ خ] عليها الأوهام ولا يبلغها [ولا تبلغها ـ خ] العقول إلاّ به لأنّه العزيز الجبّار الذي دبّرها وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، يسبحان في فلك يدور بهما دائبين، يطلعهما تارة ويؤفلهما أخرى.

فبنى عليه الأيّام والشهور والسنين التي هي من سبب الشتاء والصيف والربيع والخريف، أزمنة مختلفة الأعمال، أصلها اختلاف الليل والنهار اللذين لو كان واحد منهما سرمداً على العباد لما قامت لهم معايش أبداً، فجعل مدبّر هذه الأشياء وخالقها النهار مبصراً والليل سكناً، وأهبط فيهما الحرّ والبرد متبائنين لو دام واحد منهما بغير صاحبه ما نبتت شجرة ولا طلعت ثمرة، ولهلكت الخليقة لأنّ ذلك متّصل بالريح المصرّفة في الجهات الأربع، باردة تبرّد أنفاسهم وحارة تلقح أجسادهم وتدفع الأذى عن أبدانهم ومعايشهم، ورطوبة ترطّب طبائعهم، ويبوسة تنشف رطوباتهم وبها يأتلف المفترق وبها يتفرّق الغمام المطبق حتى ينبسط في السماء كيف يشاء مدبّره فيجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله بقدر معلوم لمعاش مفهوم، وأرزاق مقسومة وآجال مكتوبة، ولو احتبس عن أزمنته ووقته هلكت الخليقة ويبست الحديقة، فأنزل الله المطر في أيّامه ووقته

إلى الأرض التي خلقها لبني آدم، وجعلها فرشاً ومهاداً، وحبسها أن تزول بهم، وجعل الجبال لها أوتاداً، وجعل فيها ينابيع تجري في الأرض بما تنبت فيها لا تقوم الحديقة والخليقة إلاّ بها، ولا يصلحون إلاّ عليها مع البحار التي يركبونها، ويستخرجون منها حلية يلبسونها ولحماً طريّاً وغيره يأكلونه، فعلم أنّ إلٰه البرّ والبحر والسماء والأرض وما بينهما واحد حيّ قيّوم مدبّر حكيم، وأنّه لو كان غيره لاختلفت الأشياء.

وكذلك السماء نظير الأرض التي أخرج الله منها حبّاً وعنباً وقضباً، وزيتوناً ونخلاً، وحدائق غلباً، وفاكهة وأبّاً، بتدبير مؤلّف مبيّن، بتصوير الزهرة والثمرة حياة لبني آدم، ومعاشاً يقوم [تقوم ـ خ] به أجسادهم، وتعيش بها أنعامهم التي جعل الله في أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين، والانتفاع بها والبلاغ على ظهورها معاشاً لهم لا يحيون إلاّ به، وصلاحاً لا يقومون إلاّ عليه، وكذلك ما جهلت من الأشياء فلا تجهل أن جميع ما في الأرض شيئان: شيء يولد، وشيء ينبت، أحدهما آكل، والآخر مأكول.

وممّا يدلّك عقلك أنّه خالقهم ما ترى من خلق الإنسان وتهيئة جسده لشهوة الطعام، والمعدة لتطحن المأكول، ومجاري العروق لصفوة الطعام، وهيّأ لها الأمعاء، ولو كان خالق المأكول غيره لما خلق الأجساد مشتهية للمأكول وليس له قدرة عليه.

قال: لقد وصفت صفة أعلم أنّها من مدبّر حكيم لطيف قدير، قد آمنت وصدّقت أنّ الخالق واحد سبحانه وبحمده، غير أنّي أشكّ في هذه السمائم القاتلة أن يكون هو الذي خلقها لأنّها ضارّة غير نافعة!

قلت: أليس قد صار عندك أنّها من غير خلق الله؟

قال: نعم، لأنّ الذي خلق عبيده ولم يكن ليخلق ما يضرّهم.

قلت: سأبصّرك من هذا شيئاً تعرفه ولا أُنبّئك إلاّ مِن قِبَل إهليلجتك هذه وعلمك بالطبّ.

قال: هات.

قلت: هل تعرف شيئاً من النبت ليس فيه مضرّة للخلق.

قال: نعم.

قلت: ما هو؟

قال: هذه الأطعمة.

قلت: أليس هذا الطعام الذي وصفت بغير ألوانهم، ويهيّج أوجاعهم حتّى يكون منها الجذام والبرص والسلال والماء الأصفر، وغير ذلك من الأوجاع؟

قال: هو كذلك.

قلت: أمّا هذا الباب فقد انكسر عليك.

قال: أجل.

قلت: هل تعرف شيئاً من النبت ليس فيه منفعة؟

قال: نعم.

قلت: أليس يدخل في الأدوية التي يدفع بها الأوجاع من الجذام والبرص والسلال وغير ذلك، ويدفع الداء ويذهب السقم مما أنت أعلم به لطول معالجتك؟

قال: إنّه كذلك؟

قلت: فأخبرني أيّ الأدوية عندكم أعظم في السمائم القاتلة؟ أليس الترياق؟

قال: نعم هو رأسها وأوّل ما يفرغ إليه عند نهش الحيات ولسع الهوامّ وشرب السمائم.

قلت: أليس تعلم أنّه لا بدّ للأدوية المرتفعة والأدوية المحرقة في أخلاط الترياق إلاّ أن تطبخ بالأفاعي القاتلة؟

قال: نعم هو كذلك، ولا يكون الترياق المنتفع به الدافع للسمائم القاتلة إلاّ بذلك، ولقد انكسر عليّ هذا الباب، فأنا أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّه خالق السمائم القاتلة والهوامّ العادية، وجميع النبت والأشجار، وغارسها ومُنبتها، وبارىء الأجساد، وسائق الرياح، ومسخّر السحاب، وأنّه خالق الأدواء التي تهيج بالإنسان كالسمائم القاتلة التي تجري في أعضائه وعظامه، ومستقرّ الأدواء وما يصلحها من الدواء، العارف بالروح، ومُجري الدم وأقسامه في العروق واتّصاله بالعصب والأعضاء والعصب والجسد، وأنّه عارف بما يصلحه من الحرّ والبرد، عالم بكلّ عضو بما فيه، وأنّه هو الذي وضع هذه النجوم وحسابها والعالم بها، والدالّ على نحوسها وسعودها وما يكون من المواليد.

وأنّ التدبير واحد لم يختلف متّصل فيما بين السماء والأرض وما فيها، فبيّن لي كيف قلت هو الأوّل والآخر وهو اللطيف الخبير وأشباه ذلك؟

قلت: هو الأوّل بلا كيف، وهو الآخر بلا نهاية، ليس له مثل، خلق الخلق والأشياء لا من شيء ولا كيف، بلا علاج ولا معاناة ولا فكر ولا كيف، كما أنّه لا كيف له، وإنّما الكيف بكيفية المخلوق لأنّه الأوّل لا بدء له، ولا شبه ولا مثل ولا ضدّ ولا ندّ، لا يدرك ببصر، ولا يحسّ بلمس، ولا يعرف إلاّ بخلقه تبارك وتعالى.

قال: فصف لي قوّته.

قلت: إنّما سمّي ربّنا جلّ جلاله قويّاً للخلق العظيم القوي الذي خلق مثل الأرض وما عليها من جبالها وبحارها ورمالها وأشجارها وما عليها من الخلق المتحرّك من الإنس ومن الحيوان، وتصريف الرياح والسحاب المسخّر المثقّل بالماء الكثير، والشمس والقمر وعظمهما وعظم نورهما الذي لا تدركه الأبصار بلوغاً ولا منتهًى، والنجوم الجارية ودوران الفلك، وغلظ السماء، وعظم الخلق العظيم والسماء المسقّفة فوقنا راكدة في الهواء، وما دونها من الأرض المبسوطة، وما عليها من الخلق الثقيل، وهي راكدة لا تتحرّك، غير أنّه ربّما حرّك فيها ناحية، والناحية الأخرى ثابتة، وربما خسف منها ناحية والناحية الأخرى قائمة، يرينا قدرته ويدلّنا بفعله على معرفته، فلهذا سمّي قويّاً لا لقوّة البطش المعروفة من الخلق، ولو كانت قوّته تشبه قوّة الخلق لوقع عليه التشبيه، وكان محتملاً للزيادة، وما احتمل الزيادة كان ناقصاً، وما كان ناقصاً لم يكن تامّاً، وما لم يكن تامّاً كان عاجزاً ضعيفاً، والله عزَّ وجلَّ لا يشبّه بشيء.

وإنّما قلنا: إنّه قوي للخلق القوي، وكذلك قولنا: العظيم والكبير ولا يشبه بهذه الأسماء الله تبارك وتعالى.

قال: أفرأيت قوله: سميع بصير عالم؟

قلت: إنّما يسمّى تبارك وتعالى بهذه الأسماء لأنّه لا يخفى عليه شيء ممّا لا تدركه الأبصارُ من شخص صغير أو كبير، أو دقيق أو جليل، ولا نصفه بصيراً بلحظ عين كالمخلوق.

وإنّما سمّي سميعاً لأنه ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم، ولا خمسة إلاّ هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم أينما كانوا، يسمع النجوى، ودبيب النمل على الصفا، وخفقان الطير في الهواء، لا تخفى عليه خافية ولا شيء ممّا أدركته الأسماع والأبصار وما لا تدركه الأسماع والأبصار، ما جلّ من ذلك وما دقّ، وما صغُر وما كبُر، ولم نقل سميعاً بصيراً كالسمع المعقول من الخلق، وكذلك إنّما سمّي عليماً لأنّه لا يجهل شيئاً من الأشياء، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء علم ما يكون وما لا يكون، وما لو كان كيف يكون، ولم نصف عليماً بمعنى غريزة يعلم بها، كما أنّ للخلق غريزة يعلمون بها، فهذا ما أراد من قوله: عليم، فعزّ من جلّ عن الصفات ومن نزّه نفسه عن أفعال خلقه فهذا هو المعنى، ولولا ذلك ما فصل بينه وبين خلقه، فسبحانه وتقدّست أسماؤه.

قال: إنّ هذا لَكَما تقول، ولقد علمت إنّما غرضي أن أسأل عن ردّ الجواب فيه عند مصرف يسنح عنّي، فأخبرني لعلّي أحكمه فيكون الحجّة قد انشرحت للمتعنّت المخالف، أو السائل المُرتاب، أو الطالب المُرتاد مع ما فيه لأهل الموافقة من الازدياد، فأخبرني عن قوله: لطيف، وقد عرفت أنّه للفعل ولكن قد رجوت أن تشرح لي ذلك بوصفك.

قلت: إنّما سمّيناه لطيفاً للخلق اللطيف، ولعلمه بالشيء اللطيف ممّا

خلق من البعوض والذرّة، وممّا هو أصغر منهما لا يكاد تدركه الأبصار والعقول، لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته، لا يعرف من ذلك لصغره الذكر من الأنثى، ولا الحديث المولود من القديم الوالد، فلمّا رأينا لطف ذلك في صغره وموضع العقل فيه والشهوة للفساد والهرب من الموت، والحدب على نسله من ولده، ومعرفة بعضها بعضاً، وما كان منها في لجج البحار، وأعنان السماء والمفاوز والقفار، وما هو معنا في منزلنا، ويفهم بعضهم بعضاً من منطقهم، وما يفهم من أولادها، ونقلها الطعام إليها والماء، علمنا أنّ خالقها لطيف وأنّه لطيف بخلق اللطيف، كما سمّيناه قوّياً بخلق القوي.

قال: إن الذي جئت به لواضح، فكيف جاز للخلق أن يتسمّوا بأسماء الله تعالى؟

قلت: إنّ الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه أباح للناس الأسماء ووهبها لهم، وقد قال القائل من الناس للواحد: واحد، ويقول لله: واحد.

ويقول: قويّ والله تعالى قويّ.

ويقول: صانع والله صانع.

ويقول: رازق والله رازق، ويقول: سميع بصير والله سميع بصير، وما أشبه ذلك.

فمن قال للإنسان: واحد فهذا له اسم وله شبيه، والله واحد وهو له اسم ولا شيء له شبيه وليس المعنى واحداً.

وأمّا الأسماء فهي دلالتنا على المسمّى لأنّا قد نرى الإنسان واحداً

وإنّما نخبر واحداً إذا كان مفرداً فعلم أنّ الإنسان في نفسه ليس بواحد في المعنى لأنّ أعضاءه مختلفة وأجزاءه ليست سواءً، ولحمه غير دمه، وعظمه غير عصبه، وشعره غير ظفره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر الخلق، والإنسان واحد في الاسم، وليس بواحد في الاسم والمعنى والخلق، فإذا قيل لله فهو الواحد الذي لا واحد غيره، لأنّه لا اختلاف فيه، وهو تبارك وتعالى سميع وبصير وقوي وعزيز وحكيم وعليم فتعالى الله أحسن الخالقين.

قال: فأخبرني عن قوله: رؤوف رحيم، وعن رضاه ومحبّته وغضبه وسخطه.

قلت: إنّ الرحمة وما يحدث لنا منها شفقة ومنها جود، وإن رحمة الله ثوابه لخلقه، والرحمة من العباد شيئان:

أحدهما: يحدث في القلب الرأفة والرقّة لما يرى بالمرحوم من الضرّ والحاجة وضروب البلاء.

والآخر: ما يحدث منّا من بعد الرأفة واللطف على المرحوم والرحمة منّا ما نزل به.

وقد يقول القائل: أُنظر إلى رحمة فلان، وإنّما يريد الفعل الذي حدث عن الرقّة التي في قلب فلان، وإنّما يضاف إلى الله عزَّ وجلَّ من فعل ما حدث عنّا من هذه الأشياء.

وأما المعنى الذي هو في القلب فهو منفي عن الله كما وصف عن نفسه فهو رحيم لا رحمة رقّة.

وأما الغضب فهو منّا إذا غضبنا تغيّرت طبائعنا، وترتعد أحياناً

مفاصلنا وحالت ألواننا، ثم نجيء من بعد ذلك بالعقوبات فسمّي غضباً، فهذا كلام الناس المعروف.

والغضب شيئان: أحدهما في القلب، وأما المعنى الذي هو في القلب فهو منفيّ عن الله جلّ جلاله، وكذلك رضاه وسخطه ورحمته على هذه الصفة جلّ وعزّ لا شبيه له ولا مثل في شيء من الأشياء.

قال: فأخبرني عن إرادته.

قلت: إنّ الإرادة من العباد الضمير وما يبدو بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزَّ وجلَّ فالإرادة للفعل إحداثه إنّما يقول له: كُن فيكون بلا تعب ولا كيف.

قال: قد بلغت حسبك فهذه كافية لمن عقل.

والحمد لله ربّ العالمين، الذي هدانا من الضلال، وعصمنا من أن نشبّهه بشيء من خلقه، وأن نشكّ في عظمته وقدرته ولطيف صنعه وجبروته، جلّ عن الأشياء والأضداد، وتكبّر عن الشركاء والأنداد.

نبويات

اِشفع تشفَّع[١]

عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة؟ فقال:

يلجم الناس يوم القيامة العرق فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا عند ربّنا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم اشفع لنا عند ربّك، فيقول: إنّ لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردّهم إلى من يليه، ويردّهم كلّ نبيّ إلى من يليه حتّى ينتهوا إلى عيسى، فيقول: عليكم بمحمد رسول الله، فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول: انطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنّة ويستقبل باب الرحمة ويخرّ ساجداً، فيمكث ما شاء الله فيقول الله: اِرفع رأسك واشفع تشفَّع واسأل تُعْطَ، وذلك هو قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾[٢].

لا غنى عن شفاعته[٣]

سُئل أبو عبد الله عليه السلام عن المؤمن: هل له شفاعة؟ قال: نعم، فقال

---

(١) تفسير القمي ٢/ ٢٥: أبي، عن الحسن بن محبوب، عن زراعة،...

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٣) تفسير العياشي ٢/ ٣١٤، ح ١٥٠: عن عبيد بن زرارة قال:...

له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يومئذ؟ قال:

نعم، إنّ للمؤمنين خطايا وذنوباً، وما من أحد إلاّ ويحتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يومئذ.

قال: وسأله رجل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا سيّد وُلْد آدم ولا فخر».

قال: نعم، يأخذ حلقة باب الجنّة فيفتحها فيخرّ ساجداً، فيقول الله: اِرفع رأسك اشفع تُشفَّع، اطلب تُعطَ، فيرفع رأسه ثمّ يخرّ ساجداً فيقول الله: ارفع رأسك اشفع تشفّع واطلب تُعطَ، ثمّ يرفع رأسه فيشفع فيشفّع ويطلب فيُعطىٰ.

الوسيلة إلى الله[1]

إنّ الله عزَّ وجلَّ مكّن أنبياءه من خزائن لطفه وكرمه ورحمته، وعلّمهم من مخزون علمه، وأفردهم من جميع الخلائق لنفسه، فلا يشبه أخلاقهم وأحوالهم أحداً من الخلائق أجمعين، إذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه، وجعل حبّهم وإطاعتهم سبب رضائه، وخلافهم وإنكارهم سبب سخطه، وأمر كلّ قوم وفئة باتّباع ملّة رسولهم، ثم أبى أن يقبل طاعة إلاّ بطاعتهم وتمجيدهم ومعرفة حقّهم وتبجيلهم وحرمتهم ووقارهم وتعظيمهم وجاههم عند الله تعالى، فعظِّم جميع أنبياء الله، ولا تنزلهم منزلة أحد من دونهم، ولا تتصرّف بعقلك في مقاماتهم وأحوالهم وأخلاقهم إلاّ ببيان محكم من عند الله وإجماع أهل البصائر بدلائل تتحقّق بها فضائلهم

---

(١) مصباح الشريعة /٦١، ب ٢٧: قال الصادق عليه السلام:...

ومراتبهم، وأنّىٰ بالوصول إلى حقيقة ما لهم عند الله تعالى؟ فإن قابلتَ أقوالهم وأفعالهم بمن دونهم من الناس أجمعين فقد أسأتَ صحبتهم، وأنكرتَ معرفتهم، وجهلتَ خصوصيّتهم بالله، وسقطتَ عن درجة حقائق الإيمان والمعرفة، فإيّاك ثمّ إيّاك.

الأنبياء لماذا؟[1]

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأله رجل فقال: لأيّ شيء بعث الله الأنبياء والرسل إلى الناس؟ فقال:

لئلاّ يكون للناس على الله حجّة من بعد الرسل، ولئلاّ يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير، وليكون حجّة الله عليهم، ألا تسمع الله عزَّ وجلَّ يقول حكاية عن خزنة جهنّم واحتجاجهم على أهل النار بالأنبياء والرسل: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾[2]

الأنبياء العرب[3]

لم يبعث الله عزَّ وجلَّ من العرب إلاّ خمسة أنبياء: هوداً، وصالحاً،

---

(١) علل الشرائع ١/١٢٠، ب ٩٩، ح ٤: حدّثنا علي بن أحمد رحمه الله قال: حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن موسى بن عمران، عن عمه الحسين بن يزيد، عن علي بن أبي حمزة...

(٢) سورة الملك، الآيتان: ٨ ـ ٩.

(٣) بحار الأنوار ١١/٤٢، ح ٤٤، عن قصص الأنبياء: بالإسناد إلى الصدوق، عن ماجيلويه، عن محمد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عمّن ذكره، عن العلاء، عن الفضيل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

وإسماعيل، وشعيباً، ومحمداً خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله .

الأنبياء وكتبهم[(١)]

نزلت التوراة في ستّ مضت من شهر رمضان، ونزل الإنجيل في اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، ونزل الزبور في ليلة ثماني عشرة مضت من شهر رمضان، ونزل القرآن في ليلة القدر .

عدد الأنبياء[(٢)]

عن صفوان بن مهران الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا صفوان هل تدري كم بعث الله من نبي؟ قال: قلت: ما أدري، قال:

بعث الله مائة ألف نبيّ وأربعة وأربعين ألف نبيّ ومثلهم أوصياء بصدق الحديث وأداء الأمانة والزهد في الدنيا، وما بعث الله نبيّاً خيراً من محمد صلى الله عليه وآله، ولا وصيّاً خيراً من وصيّه .

الأنبياء والرعي[(٣)]

ما بعث الله نبيّاً قطّ حتّى يسترعيه الغنم يعلّمه بذلك رعية الناس .

---

(١) فروع الكافي ٢/١٥٧، ح ٥: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) الاختصاص /٢٦٣: جماعة من أصحابنا، عن محمد بن جعفر المؤدّب، قال: حدّثنا عن عدّة من أصحابنا، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن علي بن أسباط، عن الحسن بن زياد،...

(٣) علل الشرائع ١/٣٢، ب ٢٩، ح ٢: حدّثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، عن مروان بن مسلم، عن عقبة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

محن الأنبياء(١)

إن كان النبيّ من الأنبياء ليبتلى بالجوع حتّى يموت جوعاً، وإن كان النبيّ من الأنبياء ليبتلى بالعطش حتّى يموت عطشاً، وإن كان النبيّ من الأنبياء ليبتلى بالعراء حتّى يموت عرياناً، وإن كان النبيّ من الأنبياء ليبتلى بالسقم والأمراض حتّى تتلفه، وإن كان النبيّ ليأتي قومه فيقوم فيهم يأمرهم بطاعة الله ويدعوهم إلى توحيد الله، وما معه مبيت ليلة فما يتركونه يفرغ من كلامه ولا يستمعون إليه حتّى يقتلوه، وإنّما يبتلي الله تبارك وتعالى عباده على قدر منازلهم عنده.

ادام الأنبياء(٢)

كان أحبّ الأصباغ إلى رسول الله ﷺ الخلّ والزيت، وقال: هو طعام الأنبياء.

خُلق النبيّين(٣)

إنّ الله عزَّ وجلَّ لم يبعث نبيّاً إلاّ بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر.

---

(١) أمالي المفيد ٣١ و٣٢، مجلس ٥: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان قال: أخبرنا الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن طاهر الموسوي قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال: حدّثنا يحيى بن زكريا بن شيبان قال: حدّثنا محمد بن سنان قال: أخبرني أحمد بن سليمان القمي الكوفي، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول:...

(٢) فروع الكافي ٤/٣٢٨، ح٦: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) أصول الكافي ٢/١٠٤، ح ١: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

إدريس في السماء[(١)]

إنّ الله تبارك وتعالى غضب على ملك من الملائكة فقطع جناحه وألقاه في جزيرة من جزائر البحر، فبقي ما شاء الله في ذلك البحر، فلمّا بعث الله إدريس عليه السلام جاز ذلك الملك إليه، فقال: يا نبيّ الله ادع الله أن يرضى عنّي ويردّ عليّ جناحي.

قال: نعم، فدعا إدريس، فردّ الله عليه جناحه ورضي عنه.

قال الملك لإدريس: ألك إليَّ حاجة؟

قال: نعم، أُحبّ أن ترفعني إلى السماء حتّى أنظر إلى ملك الموت فإنّه لا عيش لي مع ذكره، فأخذه الملك على جناحه حتّى انتهى به إلى السماء الرابعة فإذا ملك الموت يحرّك رأسه تعجّباً، فسلّم إدريس على ملك الموت وقال له: ما لك تحرّك رأسك؟

قال: إنّ ربّ العزّة أمرني أن أقبض روحك بين السماء الرابعة والخامسة.

فقلت: يا ربّ وكيف هذا وغلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الرابعة إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الثالثة إلى الثانية مسيرة خمسمائة عام، وكلّ سماء وما بينهما كذلك، فكيف يكون هذا؟! ثمّ قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وهو قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[(٢)].

---

(١) تفسير القمي ٢/٥١ و٥٢، حدثني أبي، عن محمد بن أبي عمير، عمّن حدّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٧.

قال: وسمّي إدريس لكثرة دراسته الكتب.

بيت إدريس[(١)]

إذا دخلتَ الكوفة فأت مسجد السهلة فصلّ فيه واسأل الله حاجتك لدينك ودنياك، فإنَّ مسجد السهلة بيت إدريس النبيّ ﷺ الّذي كان يخيط فيه ويصلّي فيه، ومن دعا الله فيه بما أحبّ قضى له حوائجه ورفعه يوم القيامة مكاناً عليّاً إلى درجة إدريس عليه السلام، وأُجير من مكروه الدنيا ومكائد أعدائه.

حياة نوح[(٢)]

عاش نوح عليه السلام ألفي سنة وخمسمائة سنة، منها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن يبعث، وألف سنة إلاّ خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، ومائتا سنة في عمل السفينة، وخمسمائة عام بعدما نزل من السفينة ونضب الماء فمصّر الأمصار، وأسكن ولده البلدان، ثمّ إنّ ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال: السلام عليك، فردّ عليه نوح عليه السلام وقال له: ما جاء بك يا ملك الموت؟

فقال: جئتُ لأقبض روحك.

فقال له: تدعني أدخل من الشمس إلى الظلّ؟

---

(١) بحار الأنوار ١١/ ٢٨٠، ح ١٠، عن قصص الأنبياء: بالإسناد إلى الصدوق، عن الصائغ، عن ابن زكريا القطان، عن أبي حبيب، عن ابن بهلول، عن أبيه، عن ابن مهران، عن الصادق عليه السلام قال:...

(٢) أمالي الصدوق ٤١٣ و٤١٤، ب ٧٧، ح ٧: حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال:...

فقال له: نعم.

فتحوَّل نوح عليه السلام ثمّ قال: يا ملك الموت فكان ما مرَّ بي في الدنيا مثل تحوّلي من الشمس إلى الظلّ، فامض لما أمرتَ به.

قال: فقبض روحه عليه السلام.

نوح أو عبد الغفّار(١)

كان اسم نوح عليه السلام عبد الغفّار، وإنّما سمّي نوحاً لأنّه كان ينوح على نفسه.

نوح والسفينة(٢)

بقي نوح في قومه ثلاثمائة سنة يدعوهم إلى الله فلم يجيبوه، فهمَّ أن يدعو عليهم فوافاه عند طلوع الشمس اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة سماء الدنيا وهم العظماء من الملائكة، فقال لهم نوح عليه السلام: من أنتم؟

فقالوا: نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الدنيا وأنّ مسيرة غلظ سماء الدنيا خمسمائة عام ومن سماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وخرجنا عند طلوع الشمس ووافيناك في هذا الوقت فنسألك أن لا تدعو على قومك.

فقال نوح: قد أجّلتهم ثلاثمائة سنة، فلمّا أتى عليهم ستمائة سنة ولم

---

(١) علل الشرائع ١/٢٨، ب ٢٠، ح ١: حدّثنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن العباس بن معروف، عن علي بن مهزيار، عن أحمد بن الحسن الميثمي، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:...

(٢) تفسير القمي ١/٣٢٥ و٣٢٦: حدّثني أبي عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

يؤمنوا همَّ أن يدعو عليهم فوافاه اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية فقال نوح: من أنتم؟

قالوا: نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية، وغلظ السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الثانية إلى سماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وغلظ سماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، ومن سماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمائة عام، خرجنا عند طلوع الشمس ووافيناك ضحوة، نسألك أن لا تدعو على قومك.

فقال نوح: قد أجَّلتهم ثلاثمائة سنة، فلمّا أتى عليهم تسعمائة سنة همّ أن يدعو عليهم فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾(١).

فقال نوح: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾(٢).

فأمره الله عزَّ وجلَّ أن يغرس النخل، فكان قومه يمرّون به فيسخرون منه ويستهزئون به ويقولون: شيخ قد أُتي له تسعمائة سنة يغرس النخل، وكانوا يرمونه بالحجارة، فلمّا أتى لذلك خمسون سنة وبلغ النخل واستحكم أمر بقطعه فسخروا منه، وقالوا: بلغ النخل مبلغه [قطعه] وهو قوله: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة هود، الآية: ٣٦.
(٢) سورة نوح، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.
(٣) سورة هود، الآيتان: ٣٨ ـ ٣٩.

فأمره الله أن يتّخذ السفينة وأمر جبرئيل أن ينزل عليه ويعلّمه كيف يتّخذها، فقدّر طولها في الأرض ألفاً ومائتي ذراع، وعرضها ثمانمائة ذراع، وطولها في السماء ثمانون ذراعاً.

فقال: يا ربّ من يعينني على اتّخاذها؟

فأوحى الله إليه: ناد في قومك: من أعانني عليها ونجر منها شيئاً صار ما ينجره ذهباً وفضّة.

فنادى نوح فيهم بذلك فأعانوه عليها وكانوا يسخرون منه ويقولون: يتّخذ سفينة في البرّ.

نوح والطوفان[1]

لمّا أراد الله عزَّ وجلَّ هلاك قوم نوح عقم أرحام النساء أربعين سنة فلم يولد فيهم مولود، فلمّا فرغ نوح من اتّخاذ السفينة أمره الله أن ينادي بالسريانيّة: لا يبقى بهيمة ولا حيوان إلاّ حضر، فأدخل من كلّ جنس من أجناس الحيوان زوجين في السفينة، وكان الّذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلاً فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2].

وكان نجر السفينة في مسجد الكوفة، فلمّا كان في اليوم الّذي أراد الله هلاكهم كانت امرأة نوح تخبز في الموضع الّذي يُعرف بفار التنّور في مسجد الكوفة، وقد كان نوح اتّخذ لكلّ ضرب من أجناس الحيوان موضعاً في السفينة، وجمع لهم فيها ما يحتاجون من الغذاء، فصاحت

---

(١) تفسير القمي ١/٣٢٦ إلى ٣٢٨: قال: حدّثني أبي، عن صفوان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) سورة هود، الآية: ٤٠.

امرأته لمّا فار التنّور فجاء نوح إلى التنّور، فوضع عليها طيناً وختمه حتّى أدخل جميع الحيوان السفينة، ثمّ جاء إلى التنّور ففضّ الخاتم ورفع الطين، وانكسفت الشمس، وجاء من السماء ماء منهمر صبّ بلا قطر، وتفجّرت الأرض عيوناً، وهو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾[١].

فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[٢] يقول: مجراها أي: مسيرها، ومرساها: أي موقفها، فدارت السفينة ونظر نوح إلى ابنه يقع ويقوم فقال له: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فقال ابنه كما حكى الله عزَّ وجلَّ: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾.

فقال نوح: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ الله ثم قال نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

فقال الله: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

فقال نوح كما حكى الله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣] فكان كما حكى الله: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾[٤].

---

(١) سورة القمر، الآيات: ١١ ـ ١٣.

(٢) سورة هود، الآية: ٤١.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٧.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٣.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: فدارت السفينة وضربتها الأمواج حتّى وافتْ مكّة، وطافت بالبيت وغرق جميع الدنيا إلاّ موضع البيت، وإنّما سمّي البيت العتيق لأنّه أعتق من الغرق، فبقي الماء ينصبّ من السماء أربعين صباحاً، ومن الأرض العيون حتّى ارتفعت السفينة فمسحت السماء، قال: فرفع نوح يده فقال: يا رهمان اخفرس وتفسيرها: ربّ احبس، فأمر الله تعالى الأرض أن تبلع ماءها وهو قوله: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾[1] أي: أمسكي ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾[2] فبلعت الأرض ماءها، فأراد ماء السماء أن يدخل في الأرض فامتنعت الأرض من قبولها وقالت: إنّما أمرني الله عزَّ وجلَّ أن أبلع مائي، فبقي ماء السماء على وجه الأرض، واستوت السفينة على جبل الجوديّ وهو بالموصل جبل عظيم، فبعث الله جبرئيل فساق الماء إلى البحار حول الدنيا، وأنزل الله على نوح: ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[3].

فنزل نوح بالموصل من السفينة مع الثمانين وبنوا مدينة الثمانين، وكانت لنوح ابنة ركبتْ معه في السفينة فتناسل الناس منها، وذلك قول النبي صلى الله عليه وآله: نوح أحد الأبوين، ثمّ قال الله عزَّ وجلَّ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[4].

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٤.
(٢) سورة هود، الآية: ٤٤.
(٣) سورة هود، الآية: ٤٨.
(٤) سورة هود، الآية: ٤٩.

نوح عليه السلام وإبليس[١]

لمّا هبط نوح عليه السلام من السفينة أتاه إبليس فقال له: ما في الأرض رجل أعظم منّة عليّ منك، دعوت الله على هؤلاء الفسّاق فأرحتني منهم، ألا أعلّمك خصلتين؟ إيّاك والحسد فهو الّذي عمل بي ما عمل، وإيّاك والحرص فهو الّذي عمل بآدم ما عمل.

نوح عند الوفاة[٢]

لمّا حضرت نوحاً عليه السلام الوفاة دعا الشيعة فقال لهم: اعلموا أنّه ستكون من بعدي غيبة تظهر فيها الطواغيت، وأنّ الله عزَّ وجلَّ يفرّج عنكم بالقائم من وُلدي اسمه هود، له سمت وسكينة ووقار، يشبهني في خَلقي وخُلقي، وسيهلك الله أعداءكم عند ظهوره بالريح، فلم يزالوا يترقّبون هوداً عليه السلام وينتظرون ظهوره حتّى طال عليهم الأمد وقست قلوب أكثرهم، فأظهر الله تعالى ذكره نبيّه هوداً عليه السلام عند اليأس منهم وتناهي البلاء بهم، وأهلك الأعداء بالريح العقيم الّتي وصفها الله تعالى ذكره، فقال: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[٣] ثمّ وقعت الغيبة [به] بعد ذلك إلى أن ظهر صالح عليه السلام.

---

(١) الخصال ١/٥٠، ح ٦١: حدّثنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي، عن أبان بن عثمان، عن العلاء بن سيّابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) كمال الدين ١/١٣٥، ب ٢، ح ٤: حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رضي الله عنه قال: حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن موسى بن عمران النخعي، عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي، عن علي بن سالم، عن أبيه قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:...

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٤٢.

الناقة وفصيلها[(١)]

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۝٢٣ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝٢٤ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[(٢)] قال:

هذا كان بما كذّبوا به صالحاً، وما أهلك الله عزّ وجلّ قوماً قطّ حتّى يبعث إليهم قبل ذلك الرسل فيحتجّوا عليهم، فبعث الله إليهم صالحاً فدعاهم إلى الله فلم يجيبوا، وعتوا عليه وقالوا: لن نؤمن لك حتّى تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء، وكانت الصخرة يعظّمونها ويعبدونها ويذبحون عندها في رأس كلّ سنة ويجتمعون عندها.

فقالوا له: إن كنتَ كما تزعم نبيّاً رسولاً فادع لنا إلٰهك حتّى تخرج لنا من هذه الصخرة الصمّاء ناقة عشراء، فأخرجها الله كما طلبوا منه، ثم أوحى الله تبارك وتعالى إليه: أن يا صالح قل لهم: إنّ الله قد جعل لهذه الناقة [من الماء] شرب يوم ولكم شرب يوم، فكانت الناقة إذا كان يوم شربها شربت الماء ذلك اليوم فيحلبونها فلا يبقى صغير ولا كبير إلاّ شرب من لبنها يومهم ذلك، فإذا كان اللّيل وأصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم ولم تشرب الناقة ذلك اليوم، فمكثوا بذلك ما شاء الله ثمّ أنّهم عتوا على الله ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا: اعقروا هذه الناقة واستريحوا منها، لا نرضى أن يكون لنا شرب يوم ولها شرب يوم.

ثمّ قالوا: من الّذي يلي قتلها ونجعل له جعلا ما أحبّ؟

---

(١) روضة الكافي ١٨٧ ـ ١٨٩، ح ٢١٤: علي بن محمد، عن علي بن عباس، عن الحسن بن عبد الرحمن، عن علي بن أبي حمزة...

(٢) سورة القمر، الآيات: ٢٣ ـ ٢٥.

فجاءهم رجل أحمر أشقر أزرق ولد زنى لا يعرف له أب يقال له قدار، شقيّ من الأشقياء، مشؤوم عليهم، فجعلوا له جعلاً، فلمّا توجّهت الناقة إلى الماء الّذي كانت ترده تركها حتّى شربت الماء وأقبلت راجعة فتعد لها في طريقها فضربها بالسيف ضربة فلم تعمل شيئاً، فضربها ضربة أخرى فقتلها، وخرّت إلى الأرض على جنبها، وهرب فصيلها حتّى صعد على الجبل فرغى ثلاث مرّات إلى السماء، وأقبل قوم صالح فلم يبق أحد منهم إلاّ شركه في ضربته، واقتسموا لحمها فيما بينهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلاّ أكل منها.

فلمّا رأى ذلك صالح أقبل إليهم فقال: يا قوم ما دعاكم إلى ما صنعتم؟ أعصيتم ربّكم؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إلى صالح عليه السلام: إنّ قومك قد طغوا وبغوا وقتلوا ناقة بعثتها إليهم حجّة عليهم، ولم يكن عليهم فيها ضرر، وكان لهم منها أعظم المنفعة، فقل لهم: إنّي مرسل عليكم عذابي إلى ثلاثة أيّام، فإن هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم وصددت عنهم، وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بعثتُ عليهم عذابي في اليوم الثالث.

فأتاهم صالح عليه السلام فقال لهم: يا قوم إنّي رسول ربّكم إليكم، وهو يقول لكم: إن أنتم تبتم ورجعتم واستغفرتم غفرتُ لكم وتبتُ عليكم.

فلمّا قال لهم ذلك كانوا أعتى ما كانوا وأخبث وقالوا: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[1].

قال: يا قوم إنّكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفّرة، واليوم الثاني

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٧٧.

وجوهكم محمرّة، واليوم الثالث وجوهكم مسودّة.

فلمّا أن كان أوّل يوم أصبحوا ووجوههم مصفرّة، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: قد جاءكم ما قال لكم صالح.

فقال العتاة منهم: لا نسمع قول صالح ولا نقبل قوله وإن كان عظيماً.

فلمّا كان اليوم الثاني أصبحتْ وجوههم محمرّة، فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا: يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح.

فقال العُتاة منهم: لو أهلكنا جميعاً ما سمعنا قول صالح ولا تركنا آلهتنا الّتي كان آباؤنا يعبدونها، ولم يتوبوا ولم يرجعوا.

فلمّا كان اليوم الثالث أصبحوا ووجوههم مسودّة، فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا: يا قوم أتاكم ما قال لكم صالح.

فقال العتاة منهم: قد أتانا ما قال لنا صالح.

فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيلعليه السلام فصرخ بهم صرخة خرقت تلك الصرخة أسماعهم، وفلقت قلوبهم، وصدعت أكبادهم، وقد كانوا في تلك الثلاثة الأيام قد تحنّطوا وتكفّنوا وعلموا أنّ العذاب نازل بهم فماتوا أجمعون في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق لهم ناعقة ولا راغية ولا شيء إلاّ أهلكه الله.

فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم موتى أجمعين، ثم أرسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم أجمعين وكانت هذه قصّتهم.

من أسباب الخلّة[1]

اتّخذ الله عزَّ وجلَّ إبراهيم خليلاً لأنّه لم يردّ أحداً، ولم يسأل أحداً غير الله عزَّ وجلَّ.

الخلّة لماذا؟[2]

عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لِمَ اتّخذ الله عزَّ وجلَّ إبراهيم خليلاً؟ قال:

لكثرة سجوده على الأرض.

مقام الخلّة[3]

لمّا جاء المرسلون إلى إبراهيم جاءهم بالعجل فقال: كلوا.

فقالوا: لا نأكل حتّى تخبرنا ما ثمنه.

فقال: إذا أكلتم فقولوا: بسم الله، وإذا فرغتم فقولوا: الحمد لله.

قال: فالتفت جبرئيل إلى أصحابه وكانوا أربعة وجبرئيل رئيسهم فقال: حقّ لله أن يتّخذ هذا خليلاً.

---

(١) علل الشرائع ١/ ٣٤، ب ٣٢، ح ٢: حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه عن علي بن معبد، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه عليه السلام أنه قال:...

(٢) علل الشرائع ١/ ٣٤، ب ٣٢، ح ١: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل رضي الله عنه قال: حدّثنا علي بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه،...

(٣) علل الشرائع ١/ ٣٥ و٣٦، ب ٣٢، ح ٦: حدّثنا محمد بن الحسن قال: حدّثنا محمد بن يحيى العطّار، قال: حدّثنا الحسين بن الحسن بن أبان، عن محمد بن أورمة، عن عبد الله بن محمد، عن داود بن أبي يزيد، عن عبد الله بن هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

قال أبو عبد الله عليه السلام: لما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار تلقّاه جبرئيل عليه السلام في الهواء وهو يهوي فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟

فقال: أمّا إليك فلا.

إبراهيم والخلّة[1]

إنّ إبراهيم عليه السلام هو أوّل من حوّل له الرمل دقيقاً، وذلك أنّه قصد صديقاً له بمصر في قرض طعام فلم يجده في منزله فكره أن يرجع بالحمار خالياً، فملأ جرابه رملاً فلمّا دخل منزله خلاّ بين الحمار وبين سارة استحياءً منها ودخل البيت ونام، ففتحت سارة عن دقيق أجود ما يكون فخبزت وقدّمتْ إليه طعاماً طيّباً.

فقال إبراهيم: من أين لكِ هذا؟

فقالت: من الدقيق الّذي حملته من عند خليلك المصريّ.

فقال إبراهيم: أما إنّه خليلي وليس بمصريّ، فلذلك أعطي الخلّة فشكر الله وحمده وأكل.

سجايا كريمة[2]

إنّ إبراهيم عليه السلام كان أبا أضياف فكان إذا لم يكونوا عنده خرج يطلبهم وأغلق بابه وأخذ المفاتيح يطلب الأضياف، وأنّه رجع إلى داره فإذا هو

---

(١) تفسير القمي ١/١٥٣: حدّثني أبي، عن هارون بن مسلم، عن مسعود بن صدقة، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال:...

(٢) فروع الكافي ٢/٤٠، ح ٦: علي بن محمد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن أبان، عن معاوية بن عمار، عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

برجل أو شبه رجل في الدار، فقال: يا عبد الله بإذن من دخلتَ هذه الدار؟

قال: دخلتها بإذن ربّها ـ يردّد ذلك ثلاث مرّات ـ فعرف إبراهيم عليه السلام أنّه جبرئيل فحمد الله، ثمّ قال: أرسلني ربّك إلى عبد من عبيده يتّخذه خليلاً.

قال إبراهيم عليه السلام: فأعلمني من هو، أخدمه حتّى أموت.

قال: فأنت هو.

قال: وممّ ذلك؟

قال: لأنّك لم تسأل أحداً شيئاً قطّ، ولم تسأل شيئاً قطّ.

فقلت: لا.

إبراهيم وموسى(١)

عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي، قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام، عن موسى بن عمران عليه السلام لمّا رأى حبالهم وعصيّهم كيف أوجس في نفسه خيفة ولم يوجسها إبراهيم عليه السلام حين وضع في المنجنيق وقذف به في النار؟ فقال عليه السلام:

إنّ إبراهيم عليه السلام حين وُضِعَ في المنجنيق كان مستنداً إلى ما في صلبه من أنوار حجج الله عزَّ وجلَّ، ولم يكن موسى عليه السلام كذلك فلهذا أوجس في نفسه خيفة، ولم يوجسها إبراهيم عليه السلام.

---

(١) أمالي الصدوق ٥٢١، مجلس ٩٤، ح ٢، حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل قال: حدّثنا محمد بن جعفر الأسدي، قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدّثنا عبد الله بن أحمد الشامي،...

في يوم النيروز[1]

يوم النيروز هو اليوم الّذي كسّر فيه إبراهيم عليه السلام أصنام قومه.

إبراهيم الخليل[2]

إنّ إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثى ربا وكان أبوه من أهلها، وكانت أمّ إبراهيم وأمّ لوط سارة وورقة ـ وفي نسخة رقية ـ أُختين وهما ابنتان للاحجّ، وكان لاحج نبيّاً منذراً ولم يكن رسولاً، وكان إبراهيم عليه السلام في شبيبته على الفطرة الّتي فطر الله عزّ وجلّ الخلق عليها حتّى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباه، وأنّه تزوّج سارة ابنة لاحج وهي ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة، وكانت قد ملّكتْ إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه وكثرت الماشية والزرع حتّى لم يكن بأرض كوثى ربا رجل أحسن حالاً منه.

وإنّ إبراهيم عليه السلام لمّا كسّر أصنام نمرود أمر به نمرود فأوثق وعمل له حيراً وجمع له فيه الحطب وألهب فيه النار ثمّ قذف إبراهيم عليه السلام في النار لتحرقه، ثمّ اعتزلوها حتّى خمدت النار ثمّ أشرفوا على الحير فإذا هم بإبراهيم عليه السلام سليماً مطلقاً من وثاقه، فأخبر نمرود خبره فأمرهم أن ينفوا إبراهيم عليه السلام من بلاده، وأن يمنعوه من الخروج بماشيته وماله.

فحاجّهم إبراهيم عليه السلام عند ذلك فقال: إن أخذتم ماشيتي ومالي، فإنّ

---

(١) بحار الأنوار ٤٣/١٢، ح ٣٥: أقول روى الشيخ أحمد بن فهد في المهذّب وغيره بأسانيدهم عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) روضة الكافي ٣٧٠ ـ ٣٧٣، ح ٥٦٠، علي بن إبراهيم عن أبيه، وعدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

حقّي عليكم أن تردّوا عليّ ما ذهب من عمري في بلادكم، واختصموا إلى قاضي نمرود، فقضى على إبراهيم عليه السلام أن يسلّم إليهم جميع ما أصاب في بلادهم، وقضى على أصحاب نمرود أن يردّوا على إبراهيم عليه السلام ما ذهب من عمره في بلادهم.

فأخبر بذلك نمرود فأمرهم أن يخلّوا سبيله وسبيل ماشيته وماله وأن يخرجوه.

وقال: إنّه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضرّ بآلهتكم، فأخرجوا إبراهيم ولوطاً صلى الله عليهما معه من بلادهم إلى الشام، فخرج إبراهيم ومعه لوط لا يفارقه وسارة، وقال لهم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[1] يعني إلى بيت المقدس، فتحمّل إبراهيم عليه السلام بماشيته وماله وعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشدّ عليها الأغلاق غيرة منه عليها، ومضى حتّى خرج من سلطان نمرود وصار إلى سلطان رجل من القبط يقال له عرارة، فمرّ بعاشر له فاعترضه العاشر ليعشر ما معه، فلمّا انتهى إلى العاشر ومعه التابوت قال العاشر لإبراهيم عليه السلام: اِفتح هذا التابوت حتّى نعشر ما فيه.

فقال له إبراهيم عليه السلام: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضّة حتّى نعطي عشره ولا نفتحه.

قال: فأبى العاشر إلاّ فتحه.

قال: وغضب إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلمّا بدت له سارة وكانت موصوفة بالحُسن والجمال قال له العاشر: ما هذه المرأة منك؟

قال إبراهيم عليه السلام: هي حرمتي وابنة خالتي.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٩٩.

فقال له العاشر: فما دعاكَ إلى أن خبيتها في هذا التابوت؟

فقال إبراهيم عليه السلام: الغيرة عليها أن يراها أحد.

فقال له العاشر: لستُ أدعك تبرح حتّى أعلم الملك حالها وحالك.

قال: فبعث رسولاً إلى الملك فأعلمه فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت فأتوا ليذهبوا به، فقال لهم إبراهيم عليه السلام: إنّي لستُ أفارق التابوت حتّى يفارق روحي جسدي، فأخبروا الملك بذلك.

فأرسل الملك أن احملوه والتابوت معه، فحملوا إبراهيم عليه السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتّى أدخل على الملك.

فقال له الملك: افتح التابوت.

فقال إبراهيم عليه السلام: أيّها الملك إنّ فيه حرمتي وابنة خالتي وأنا مفتد فتحه بجميع ما معي.

قال: فغصب الملك إبراهيم عليه السلام على فتحه.

فلمّا رأى سارة لم يملك حلمه سفهه أن مدّ يده إليها.

فأعرض إبراهيم عليه السلام بوجهه عنها وعنه غيرة منه وقال: اللّهمَّ احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي، فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه.

فقال له الملك: إنّ إلٰهك هو الذي فعل بي هذا؟

فقال له: نعم إنّ إلٰهي غيور يكره الحرام، وهو الّذي حال بينك وبين ما أردتَ من الحرام.

فقال له الملك: فادع إلٰهك يردّ عليّ يدي فإن أجابك فلم أعرض لها.

فقال إبراهيم عليه السلام: إلٰهي ردّ عليه يده ليكفّ عن حرمتي.

قال: فردّ الله عزَّ وجلَّ عليه يده فأقبل الملك نحوها ببصره ثمّ أعاد بيده نحوها.

فأعرض إبراهيم عليه السلام عنه بوجهه غيرة منه وقال: اللّهمَّ احبس يده عنها.

قال: فيبست يده ولم تصل إليها.

فقال الملك لإبراهيم عليه السلام: إنّ إلٰهك لغيور وإنّك لغيور فادع إلٰهك يردّ عليَّ يدي فإنّه إن فعل لم أعد.

فقال له إبراهيم عليه السلام: أسأله ذلك على أنَّك إن عدتَ لم تسألني أن أسأله.

فقال له الملك: نعم.

فقال إبراهيم عليه السلام: اللّهمَّ إن كان صادقاً فردّ يده عليه، فرجعت إليه يده، فلمّا رأى ذلك الملك من الغيرة ما رأى ورأى الآية في يده عظّم إبراهيم عليه السلام وهابه وأكرمه واتّقاه وقال له: قد أمنت من أن أعرض لها أو لشيء ممّا معكَ فانطلق حيث شئت، ولكن لي إليك حاجة.

فقال إبراهيم عليه السلام: ما هي؟

فقال له: أُحبّ أن تأذن لي أن أخدمها قبطيّة عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً.

قال: فأذن له إبراهيم عليه السلام، فدعا بها فوهبها لسارة وهي هاجر أمّ إسماعيل عليه السلام.

فسار إبراهيم عليه السلام بجميع ما معه، وخرج الملك معه يمشي خلف إبراهيم عليه السلام إعظاماً لإبراهيم عليه السلام وهيبة له.

فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم: أن قف ولا تمش قدّام الجبّار المتسلّط ويمشي هو خلفك، ولكن اجعله أمامك وامش خلفه وعظّمه وهبه فإنّه مسلّط، ولا بدّ من إمرة في الأرض برّة أو فاجرة.

فوقف إبراهيمعليه السلام وقال للملك: امضِ فإنَّ إلٰهي أوحى إليَّ الساعة أن أعظّمك وأهابك وأن أقدّمك أمامي وأمشي خلفكَ إجلالاً لك.

فقال له الملك: أوحى إليك بهذا؟

فقال له إبراهيمعليه السلام: نعم.

فقال له الملك: أشهد أنَّ إلٰهك لرفيق حليم كريم، وأنّك ترغّبني في دينك.

قال: وودّعه الملك فسار إبراهيمعليه السلام حتّى نزل بأعلى الشامات، وخلّف لوطاًعليه السلام في أدنى الشامات.

ثمّ إنّ إبراهيمعليه السلام لمّا أبطأ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعتني هاجر لعلّ الله أن يرزقنا منها ولداً فيكون لنا خلفاً، فابتاع إبراهيمعليه السلام هاجر من سارة، فوقع عليها فولدت إسماعيلعليه السلام.

في بوتقة الامتحان[1]

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾[2] أي: اختبره وكلّفه «بكلمات» فيه خلاف، فروى عن الصادقعليه السلام:

أنّه ما ابتلاه الله به في نومه من ذبح ولده إسماعيل أبي العرب فأتمّها

---

(١) تفسير مجمع البيان ١/٣٧٧:....
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

إبراهيم وعزم عليها وسلّم لأمر الله تعالى، فلمّا عزم قال الله تعالى ثواباً له لما صدّق وعمل بما أمره الله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[١] ثمّ أنزل الله عليه الحنيفيّة وهي الطهارة، وهي عشرة أشياء خمسة منها في الرأس، وخمسة منها في البدن، فأمّا الّتي في الرأس: فأخذ الشارب وإعفاء اللّحى وطمّ الشعر والسواك والخلال.

وأمّا الّتي في البدن: فحلق الشعر من البدن والختان وتقليم الأظفار والغسل من الجنابة والطهور بالماء، فهذه الحنيفيّة الظاهرة الّتي جاء بها إبراهيم عليه السلام فلم تنسخ ولا تنسخ إلى يوم القيامة، وهو قوله: ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[٢] ذكره عليّ بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره.

البكّاؤون[٣]

البكّاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ بن الحسين عليهما السلام.

فأمّا آدم فبكى على الجنّة حتّى صار في خدّيه أمثال الأودية.

وأمّا يعقوب فبكى على يوسف حتّى ذهب بصره وحتّى قيل له: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[٤].

وأمّا يوسف فبكى على يعقوب حتّى تأذّى به أهل السجن فقالوا له:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٣) الخصال ١/٢٧٢ و٢٧٣، ح ١٥: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفار، قال: حدّثني العباس بن معروف عن محمد بن سهل البحراني يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٥.

إمّا أن تبكي باللّيل وتسكت بالنهار، وإمّا أن تبكي النهار وتسكت باللّيل فصالحهم على واحدة منهما.

وأمّا فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تأذّى بها أهل المدينة فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر ـ مقابر الشهداء ـ فتبكي حتّى تقضي حاجتها ثمّ تنصرف.

وأمّا عليّ بن الحسين عليه السلام فبكى على الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة[١] ما وضع بين يديه طعام إلاّ بكى حتّى قال له مولى له: جعلتُ فداك يابن رسول الله إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢] إنّي ما أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنقتني لذلك عبرة.

محنة يعقوب[٣]

إنّ يعقوب عليه السلام لمّا ذهب منه ابن يامين نادى: يا ربّ يا ربّ أما ترحمني؟ أذهبت عيني، وأذهبت ابنيَّ.

فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: لو أمتّهما لأحييتهما حتّى أجمع بينك وبينهما، ولكن أما تذكر الشاة الّتي ذبحتَها وشويتَها وأكلتَ وفلان إلى جنبك صائم لم تنله منها شيئاً؟

قال ابن أسباط: قال يعقوب: حدّثني الميثمي، عن أبي

---

(١) الترديد من الراوي.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٦.

(٣) المحاسن ٣٩٩، ب ٥، ح ٧٨، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن عدّة من أصحابنا، عن علي بن أسباط، عن عمّه يعقوب بن سالم، عن إسحاق بن عمار، عن الكاهلي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

عبد الله عليه السلام : أنَّ يعقوب بعد ذلك كان ينادي مناديه كلّ غداة من منزله على فرسخ: ألا من أراد الغداء فليأت آل يعقوب، وإذا أمسى نادى: ألا من أراد العشاء فليأت آل يعقوب.

الأنبياء العرب[١]

لم يبعث الله عزَّ وجلَّ من العرب إلاّ خمسة: هوداً وصالحاً وإسماعيل وشعيباً ومحمداً خاتم النبيّين صلوات الله عليهم، وكان شعيب بكّاء.

جبرئيل يستبشر[٢]

ما أتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ كئيباً حزيناً، ولم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون، فلمّا أمره الله بنزول هذه الآية: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[٣] نزل عليه وهو ضاحك مستبشر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما أتيتني يا جبرئيل إلاّ وتبيّنت الحزن في وجهك حتّى الساعة.

قال: يا محمد لمّا أغرق الله فرعون قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[٤] فأخذت حمأة فوضعتها في فيه، ثمّ قلت له: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ وعملت ذلك من غير أمر الله خفت أن تلحقه الرحمة من الله ويعذّبني على ما فعلت،

---

(١) بحار الأنوار ١٢/٣٨٥، ح ١١، عن قصص الأنبياء: بهذا الإسناد عن ابن أرومة، عمّن ذكره، عن العلاء، عن الفضيل قال: أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) تفسير القمي ١/٣١٦: قال: علي بن إبراهيم: قال الصادق عليه السلام:...

(٣) سورة يونس، الآية: ٩١.

(٤) سورة يونس، الآية: ٩٠.

فلمّا كان الآن وأمرني الله أن أؤدّي إليك ما قلته أنا لفرعون أمنت وعلمت أنّ ذلك كان لله رضى.

موسى والعصا(١)

لمّا بعث الله موسى إلى فرعون أتى بابه فاستأذن عليه ولم يؤذن له، فضرب بعصاه الباب فاصطكّت الأبواب ففتحت، ثمّ دخل على فرعون فأخبره أنّه رسول ربّ العالمين، وسأله أن يرسل معه بني إسرائيل، فقال له فرعون كما حكى الله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ ـ أي: قتلت الرجل ـ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(٢).

فقال موسى كما حكى الله: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ ـ إلى قوله :ـ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

فقال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وإنّما سأله عن كيفيّة الله.

فقال موسى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾.

فقال فرعون متعجّباً لأصحابه: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ أسأله عن الكيفيّة فيجيبني عن الصفات!.

فقال موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ثم قال لموسى: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.

قال موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾.

---

(١) تفسير القمي ٢/١١٨، إلى ١٢٢: حدثني أبي، عن الحسن بن علي بن فضال، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) يعني كفرت نعمتي.

قال فرعون: ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝١٠٦ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ فلم يبق أحد من جلساء فرعون إلاّ هرب، ودخل فرعون من الرعب ما لم يملك به نفسه.

فقال فرعون: [يا موسى] أنشدك بالله وبالرضاع إلاّ ما كففتها عنّي، فكفّها، ثمّ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ فلمّا أخذ موسى العصا رجعت إلى فرعون نفسه وهمّ بتصديقه فقام إليه هامان فقال له: بينما أنت إلٰه تعبد إذ صرت تابعاً لعبد؟!

ثمّ قال فرعون للملأ الّذين حوله: ﴿... إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ـ إلى قوله: ـ ﴿لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾، وكان فرعون وهامان قد تعلّما السحر وإنّما غلبا الناس بالسحر، وادّعى فرعون الربوبيّة بالسحر، فلمّا أصبح بعث في المدائن حاشرين، مدائن مصر كلّها، وجمعوا ألف ساحر، واختاروا من الألف مائة ومن المائة ثمانين فقال السحرة لفرعون: قد علمت أنّه ليس في الدنيا أسحر منّا، فإن غلبنا موسي فما يكون لنا عندك؟ قال: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[1] عندي، أشارككم في ملكي، قالوا: فإن غلبنا موسى وأبطل سحرنا علمنا أنَّ ما جاء به ليس من قبل السحر ولا من قبل الحيلة وآمنّا به وصدّقناه، فقال فرعون: إن غلبكم موسى صدّقته أنا أيضاً معكم، ولكن أجمعوا كيدكم أي حيلتكم، قال: وكان موعدهم يوم عيد لهم.

فلمّا ارتفع النهار من ذلك اليوم، جمع فرعون الناس والسحرة، وكانت له قبّة طولها في السماء ثمانون ذراعاً، وقد كانت كسيت بالحديد

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٤٢.

والفولاذ المصقول، وكانت إذا وقعت الشمس عليها لم يقدر أحد أن ينظر إليها من لمع الحديد ووهج الشمس، وجاء فرعون وهامان وقعدا عليها ينظران، وأقبل موسى ينظر إلى السماء، فقالت السحرة لفرعون: إنّا نرى رجلاً ينظر إلى السماء ولم يبلغ سحرنا إلى السماء، وضمنت السحرة من في الأرض، فقالوا لموسى: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ فأقبلت تضطرب وصارت مثل الحيّات، فقالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ـ فـنـودي: ـ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[1] فألقى موسى العصا فذابت في الأرض مثل الرصاص ثمّ طلع رأسها وفتحت فاها ووضعت شدقها العليا على رأس قبّة فرعون، ثمّ دارت وأرخت شفتها السفلى والتقمت عصيّ السحرة وحبالها وغلب كلّهم وانهزم الناس حين رأوها وعظمها وهولها ممّا لم تر العين ولا وصف الواصفون مثله، فقتل في الهزيمة من وطء الناس عشرة آلاف رجل وامرأة وصبيّ ودارت على قبّة فرعون.

قال: فأحدث فرعون وهامان في ثيابهما وشاب رأسهما وغشي عليهما من الفزع، ومرّ موسى في الهزيمة مع الناس فناداه الله: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾[2] فرجع موسى ولفّ على يده عباءً كانت عليه ثمّ أدخل يده في فمها فإذا هي عصا كما كانت، وكان كما قال الله: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ـ لـمّـا رأوا ذلـك ـ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾

---

(١) سورة طه، الآيات: ٦٧ ـ ٦٩.

(٢) سورة طه، الآية: ٢١.

رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ـ فغضب فرعون عند ذلك غضباً شديداً ـ ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ـ يعني موسى ـ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ـ فقالوا له كما حكى الله عزَّ وجلَّ: ـ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فحبس فرعون من آمن بموسى [في السجن] حتّى أنزل الله عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم، فأطلق فرعون عنهم.

فأوحى الله إلى موسى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ فخرج موسى ببني إسرائيل ليقطع بهم البحر، وجمع فرعون أصحابه وبعث في المدائن حاشرين، وحشر الناس وقدّم مقدّمته في ستمائة ألف، وركب هو في ألف ألف، وخرج كما حكى الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ فلمّا قرب موسى البحر وقرب فرعون من موسى ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ فقال موسى: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ أي: سينجيني، فدنا موسى عليه السلام من البحر فقال له: انفلق، فقال له البحر: استكبرت يا موسى أن تقول لي: انفلق لك ولم أعص الله طرفة عين وقد كان فيكم المعاصي؟!.

فقال له موسى: فاحذر أن تعصي، وقد علمت أنّ آدم أخرج من الجنّة بمعصيته وإنّما لعن إبليس بمعصيته.

فقال البحر: ربّي عظيم، مطاع أمره، ولا ينبغي لشيء أن يعصيه.

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٤٦ ـ ٥١.

فقام يوشع بن نون فقال لموسى: يا رسول الله ما أمرك ربّك؟

فقال: بعبور البحر، فاقتحم يوشع فرسه في الماء، وأوحى الله إلى موسى: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ - فضربه - فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[1] أي: كالجبل العظيم، فضرب له في البحر اثنا عشر طريقاً، فأخذ كلّ سبط منهم في طريق، فكان الماء قد ارتفع وبقيت الأرض يابسة طلعت فيها الشمس فيبست كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[2] ودخل موسى و[أصحابه] البحر، وكان أصحابه اثني عشر سبطاً، فضرب الله لهم في البحر اثني عشر طريقاً، فأخذ كلّ سبط في طريق، وكان الماء قد ارتفع على رؤوسهم مثل الجبال، فجزعت الفرقة الّتي كانت مع موسى في طريقه فقالوا: يا موسى أين إخواننا؟

فقال لهم موسى: معكم في البحر، فلم يصدّقوه، فأمر الله البحر فصارت طاقات حتّى كان ينظر بعضهم إلى بعض ويتحدّثون، وأقبل فرعون وجنوده فلمّا انتهى إلى البحر قال لأصحابه: ألا تعلمون أنّي ربّكم الأعلى قد فرج لي البحر؟ فلم يجسر أحد أن يدخل البحر وامتنعت الخيل منه لهول الماء، فتقدّم فرعون حتّى جاء إلى ساحل البحر، فقال له منجّم: لا تدخل البحر، وعارضه فلم يقبل منه، وأقبل على فرس حصان فامتنع الفرس أن يدخل الماء، فعطف عليه جبرئيل وهو على ماديانة فتقدّمه ودخل، فنظر الفرس إلى الرمكة فطلبها ودخل البحر واقتحم أصحابه خلفه، فلمّا دخلوا كلّهم حتّى كان آخر من دخل من أصحابه

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

(٢) سورة طه، الآية: ٧٧.

وآخر من خرج من أصحاب موسى أمر الله الرياح فضربت البحر بعضه ببعض، فأقبل الماء يقع عليهم مثل الجبال، فقال فرعون عند ذلك: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(١) فأخذ جبرئيل كفّاً من حمأة فدسّها في فيه ثم قال: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(٢).

سنّة إبراهيم(٣)

عن سفيان بن سعيد، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ـ وكان والله صادقاً كما سمي ـ يقول:

يا سفيان عليك بالتقيّة فإنّها سنّة إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنّ الله عزَّ وجلَّ قال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(٤) يقول الله عزَّ وجلَّ: كنّياه وقولاً له: «يا أبا مصعب» وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أراد سفراً ورّى بغيره، وقال: أمرني ربّي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض، ولقد أدّبه الله عزَّ وجلَّ بالتقيّة فقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٥).

يا سفيان من استعمل التقيّة في دين الله فقد تسنّم الذروة العليا من

---

(١) سورة يونس، الآية: ٩٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩١.

(٣) معاني الأخبار ٣٨٦، ب ٤٢٩، ح ٢٠: حدّثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدّثنا الحسن بن علي السكري قال: حدّثنا محمد بن زكريا الجوهري قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه،...

(٤) سورة طه، الآيتان: ٤٣ ـ ٤٤.

(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤ ـ ٣٥.

العزّ، إنّ عزّ المؤمن في حفظ لسانه، ومن لم يملك لسانه ندم.

قال سفيان: فقلت له: يابن رسول الله هل يجوز أن يطمع الله عزَّ وجلَّ عباده في كون ما لا يكون؟

قال: لا.

فقلت: فكيف قال الله عزَّ وجلَّ لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ وقد علم أنَّ فرعون لا يتذكّر ولا يخشى؟

فقال: إنّ فرعون قد تذكّر وخشي ولكن عند رؤية البأس حيث لم ينفعه الإيمان، ألا تسمع الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ـ فلم يقبل الله عزَّ وجلَّ إيمانه، وقال: ـ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾[١] يقول: نلقيك على نجوة من الأرض لتكون لمن بعدك علامة وعبرة.

موسى والخضر[٢]

إنّ الخضر كان نبيّاً مرسلاً بعثه الله تبارك وتعالى إلى قومه، فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتُبه، وكانت آيته أنّه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلاّ أزهرت خضراء، وإنّما سمّي خضراً لذلك، وكان اسمه باليا بن ملكان بن عابر بن أرفخشد بن سام بن

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٩٠ ـ ٩٢.

(٢) علل الشرائع ١/٥٩ إلى ٦٢، ب ٥٤، ح١: حدّثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدّثنا الحسن بن علي السكري قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري البصري قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال:...

نوح عليه السلام وأنّ موسى لمّا كلّمه الله تكليماً وأنزل عليه التوراة وكتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء وجعل آيته في يده وعصاه وفي الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم وفلق البحر وغرق الله عزَّ وجلَّ فرعون وجنوده عملت [وعملت ـ خ] البشريّة فيه حتى قال في نفسه: ما أرى أنّ الله عزَّ وجلَّ خلق خلقاً أعلم منّي، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى جبرئيل: يا جبرئيل أدرك عبدي موسى قبل أن يهلك وقلّ له: إنّ عند ملتقى البحرين رجلاً عابداً فاتّبعه وتعلّم منه، فهبط جبرئيل على موسى بما أمره به ربّه عزَّ وجلَّ، فعلم موسى عليه السلام أنّ ذلك لمّا حدّث به نفسه، فمضى هو وفتاه يوشع بن نون عليه السلام حتّى انتهيا إلى ملتقى البحرين فوجدا هناك الخضر عليه السلام يعبد الله عزَّ وجلَّ كما قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[1].

قال له الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ لأنّي وكّلت بعلم لا تطيقه، ووكّلت أنت بعلم لا أطيقه.

قال موسى له: بل أستطيع معكَ صبراً.

فقال له الخضر: إنّ القياس لا مجال له في علم الله وأمره ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾.

قال موسى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ فلمّا استثنى المشيّة قبله، قال: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٦٥ ـ ٦٦.

فقال موسى عليه السلام: لك ذلك عليَّ ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ الخضر عليه السلام.

فقال له موسى عليه السلام: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ - لك - إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

قال موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أي بما تركت من أمرك، ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ الخضر عليه السلام، فغضب موسى وأخذ بتلابيبه وقال له: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾.

قال له الخضر: إنّ العقول لا تحكم على أمر الله تعالى ذكره، بل أمر الله يحكم عليها فسلّم لما ترى منّي واصبر عليه، فقد كنت علمت أنّك لن تستطيع معي صبراً.

قال موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ وهي الناصرة وإليها تنسب النصارى ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ فوضع الخضر عليه السلام يده عليه ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾.

فقال له موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

قال له الخضر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

فقال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَصْبًا﴾ فأردتُ بما فعلتُ أن تبقى لهم ولا يغصبهم الملك عليها، فنسب الأنانيّة في هذا الفعل إلى نفسه لعلّة ذكر التعييب، لأنه أراد أن يعيبها عند الملك إذا شاهدها، فلا

يغصب المساكين عليها، وأراد الله عزَّ وجلَّ صلاحهم بما أمره به من ذلك.

ثمّ قال: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ وطلع كافراً، وعلم الله تعالى ذكره [أنّه] إن بقي كفر أبواه وافتتنا به وضلاّ بإضلاله إيّاهما، فأمرني الله تعالى ذكره بقتله وأراد بذلك نقلهم إلى محلّ كرامته في العاقبة، فاشترك بالأنانيّة بقوله: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ وإنّما اشترك في الأنانيّة لأنّه خشي والله لا يخشى لأنّه لا يفوته شيء ولا يمتنع عليه أحد أراده، وإنّما خشي الخضر من أن يُحال بينه وبين ما أمر فيه فلا يدرك ثواب الإمضاء فيه، ووقع في نفسه أنّ الله تعالى ذكره جعله سبباً لرحمة أبوي الغلام، فعمل فيه وسط الأمر من البشريّة مثل ما كان عمل في موسى عليه السلام لأنّه صار في الوقت مخبراً وكليم الله موسى عليه السلام مخبراً، ولم يكن ذلك باستحقاق للخضر عليه السلام للرتبة على موسى عليه السلام وهو أفضل من الخضر، بل كان لاستحقاق موسى للنبيّين.

ثمّ قال: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ ولم يكن ذلك الكنز بذهب ولا فضّة، ولكن كان لوحاً من ذهب فيه مكتوب:

عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟!

عجب لمن أيقن بالقدر كيف يحزن؟!

عجب لمن أيقن أنّ البعث حقّ كيف يظلم؟!

عجب لمن يرى الدنيا وتصرّف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمئنّ إليها؟!

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ كان بينهما وبين هذا الأب الصالح سبعون أباً، فحفظهما الله بصلاحه، ثمّ قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ فتبرّأ من الأنانية [الإنابة ـ خ] في آخر القصص ونسب الإرادة كلّها إلى الله تعالى ذكره في ذلك، لأنّه لم يكن بقي شيء ممّا فعله فيخبر به بعد ويصير موسى عليه السلام به مخبراً ومصغياً إلى كلامه تابعاً له فتجرَّد من الأنانيّة والإرادة تجرّد العبد المخلص، ثمّ صار متنصلاً ممّا أتاه من نسبة الأنانية في أوّل القصّة، ومن ادّعاء الاشتراك في ثاني القصّة، فقال: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

ثمّ قال جعفر بن محمّد عليه السلام: إنّ أمر الله تعالى ذكره لا يحمل على المقاييس، ومن حمل أمر الله على المقاييس هلك وأهلك، إنّ أوّل معصية ظهرت الأنانيّة عن إبليس اللعين حين أمر الله تعالى ذكره ملائكته بالسجود لآدم، فسجدوا وأبى إبليس اللعين أن يسجد، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ فكان أوّل كفره قوله: أنا خير منه، ثمّ قياسه بقوله: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ فطرده الله عزَّ وجلَّ عن جواره ولعنه وسمّاه رجيماً، وأقسم بعزّته لا يقيس أحد في دينه إلاّ قرنه مع عدوّه إبليس في أسفل درك من النار.

قال الصدوق رحمه الله: إنّ موسى عليه السلام مع كمال عقله وفضله ومحلّه من الله تعالى ذكره لم يستدرك باستنباطه واستدلاله معنى أفعال الخضر عليه السلام حتى اشتبه عليه وجه الأمر فيه، وسخط جميع ما كان يشاهده حتّى أخبر بتأويله فرضي، ولو لم يخبر بتأويله لما أدركه ولو فني في الفكر عمره،

فإذا لم يجز لأنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم القياس والاستنباط والاستخراج كان من دونهم من الأمم أولى بأن لا يجوز لهم ذلك.

مناجاة إلياس[١]

عن مفضّل بن عمر، قال: أتينا باب أبي عبد الله عليه السلام ونحن نريد الإذن عليه فسمعناه يتكلّم بكلام ليس بالعربيّة، فتوهّمنا أنّه بالسريانيّة، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثمّ خرج إلينا الغلام فأذن لنا فدخلنا عليه، فقلت: أصلحك الله أتيناكَ نريد الإذن عليك فسمعناك تتكلّم بكلام ليس بالعربيّة فتوهّمنا أنّه بالسريانيّة ثمّ بكيت فبكينا لبكائك، فقال: نعم ذكرت إلياس النبي عليه السلام وكان من عبّاد أنبياء بني إسرائيل، فقلت: كما كان يقول في سجوده، ثمّ اندفع فيه بالسريانيّة فلا والله ما رأينا قسّاً ولا جاثليقا أفصح لهجة منه به، ثمّ فسّره لنا بالعربيّة، فقال: كان يقول في سجوده:

أتراك معذّبي وقد أظمأتُ لك هواجري؟

أتراك معذّبي وقد عفّرتُ لك في التراب وجهي؟

أتراك معذّبي وقد اجتنبتُ لك المعاصي؟

أتراك معذّبي وقد أسهرتُ لك الليالي؟

قال: فأوحى الله إليه: أن ارفع رأسك فإني غير معذّبك.

قال: فقال: إن قلتَ: لا أُعذِّبك ثمّ عذّبتني ماذا؟ ألستُ عبدك وأنت ربّي؟

---

(١) أصول الكافي ١/٢٢٧، ح ٢: علي بن محمد، ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن بكر بن صالح، عن محمد بن سنان...

فأوحى الله إليه: أن ارفع رأسك فإنّي غير معذّبك، إنّي إذا وعدتُ وعداً وفيتُ به.

إليا وبنو إسرائيل(١)

كان في زمان بني إسرائيل رجل يُسمّى إليا رئيس على أربعمائة من بني إسرائيل، وكان ملك بني إسرائيل هوى امرأة من قوم يعبدون الأصنام من غير بني إسرائيل فخطبها.

فقالت: على أن أحمل الصنم فأعبده في بلدتك، فأبى عليها، ثم عاودها مرّة بعد مرّة حتى صار إلى ما أرادت فحوّلها إليه ومعها صنم، وجاء معها ثمانمائة رجل يعبدونه.

فجاء إليا إلى الملك فقال: ملّكك الله ومدّ لك في العمر فطغيت وبغيت! فلم يلتفت إليه فدعا الله إليا أن لا يسقيهم قطرة، فنالهم قحط شديد ثلاث سنين حتّى ذبحوا دوابّهم فلم يبق لهم من الدوابّ إلاّ برذون يركبه الملك، وآخر يركبه الوزير، وكان قد استتر عند الوزير أصحاب إليا يطعمهم في سرب.

فأوحى الله تعالى جلّ ذكره إلى إليا: تعرّض للملك فإنّي أريد أن أتوب عليه.

فأتاه فقال: يا إليا ما صنعت بنا؟ قتلت بني إسرائيل.

فقال إليا: تطيعني فيما آمرك به؟ فأخذ عليه العهد، فأخرج أصحابه

---

(١) بحار الأنوار ١٣/٣٩٩، ح ٦، عن قصص الأنبياء: الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن الحسن، عن عمرو بن سعيد، عن مصدق، عن عمار، عن الصادق عليه السلام قال:...

وتقرَّبوا إلى الله تعالى بثورين، ثمّ دعا بالمرأة فذبحها وأحرق الصنم وتاب الملك توبة حسنة حتى لبس الشعر وأرسل إليه المطر والخصب.

طالوت وعلامة ملكه(١)

عن محمّد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال:

وكان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود، والنبيّ يقيم له أمره وينبّئه بالخبر من عند ربّه، فلمّا قالوا ذلك لنبيّهم قال لهم: إنّه ليس عندكم وفاء ولا صدق ولا رغبة في الجهاد.

فقالوا: إنّا كنّا نهاب الجهاد فإذا أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلا بدّ لنا من الجهاد ونطيع ربّنا في جهاد عدوّنا.

قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾.

فقالت عظماء بني إسرائيل: وما شأن طالوت يملك علينا وليس في بيت النبوّة والمملكة وقد عرفت أنّ النبوّة والمملكة في آل الّلاوي ويهودا، وطالوت من سبط ابن يامين بن يعقوب.

فقال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾(٢) والملك بيد الله يجعله حيث يشاء ليس لكم أن تختاروا، فإنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت من قبل الله، تحمله الملائكة فيه سكينة من

---

(١) تفسير العياشي ١/١٣٢، ح ٤٣٧:...

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

ربّكم وبقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون، وهو الذي كنتم تهزمون به من لقيتم.

فقالوا: إن جاء التابوت رضينا وسلّمنا.

بيت الأنبياء[(١)]

مسجد السهلة ذلك موضع بيت إدريس عليه السلام الذي كان يخيط فيه، وهو الموضع الذي خرج منه إبراهيم عليه السلام إلى العمالقة، وهو الموضع الذي خرج منه داود إلى جالوت.

النبيّ وقبائل العرب[(٢)]

اكتتم رسول الله صلى الله عليه وآله بمكّة سنين ليس يظهر وعليّ معه وخديجة، ثم أمره الله أن يصدع بما يؤمر، فظهر رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يعرض نفسه على قبائل العرب، فإذا أتاهم قالوا: كذّاب امض عنّا.

في طريق المدينة[(٣)]

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا خرج من الغار متوجّهاً إلى المدينة وقد كانت قريش جعلت لمن أخذه مائة من الإبل، فخرج سراقة بن مالك بن جعشم فيمن يطلب فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ اكفني شرّ سراقة بما شئت» فساخت قوائم فرسه فثنّى رجله ثمّ اشتدّ.

---

(١) بحار الأنوار ١٣/٤٥٦، ح ٢١، عن من لا يحضره الفقيه. قال الصادق عليه السلام:...

(٢) تفسير العياشي ٢/٢٥٣، ح ٤٧، عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) روضة الكافي ٢٦٣، ح ٣٧٨: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام:...

فقال: يا محمّد إنّي علمتُ أنّ الذي أصاب قوائم فرسي إنّما هو من قبلك، فادع الله أن يطلق لي فرسي، فلعمري إن لم يصبكم منّي خير لم يصبكم منّي شرّ.

فدعا رسول الله ﷺ فأطلق الله عزَّ وجلَّ فرسه، فعاد في طلب رسول الله ﷺ حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات، كلّ ذلك يدعو رسول الله فتأخذ الأرض قوائم فرسه، فلمّا أطلقه في الثالثة قال: يا محمّد هذه إبلي بين يديك فيها غلامي، وإن احتجتَ إلى ظهر أو لبن فخذ منه، وهذا سهم من كنانتي علامة، وأنا أرجع فأردّ عنك الطلب.

فقال: لا حاجة لنا فيما عندك.

داود والقضاء[1]

إنّ داود عليه السلام كان يدعو أن يلهمه الله القضاء بين الناس بما هو عنده تعالى الحقّ، فأوحى إليه: يا داود إنّ الناس لا يحتملون ذلك، وإنّي سأفعل، وارتفع إليه رجلان فاستعداه أحدهما على الآخر، فأمر المستعدى عليه أن يقوم إلى المستعدي فيضرب عنقه ففعل، فاستعظمت بنو إسرائيل ذلك وقالت: رجل جاء يتظلّم من رجل فأمر الظالم أن يضرب عنقه!.

فقال: ربّ أنقِذْني من هذه الورطة.

قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا داود سألتني أن ألهمك القضاء بين

(١) بحار الأنوار ١٤/٥ ـ ٦، ح ١٣، عن قصص الأنبياء: أبي سعد، عن ابن عيسى، عن محمد البرقي، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن أبي بكر، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

عبادي بما هو عندي الحقّ، وأنّ هذا المستعدي قتل أبا هذا المستعدى عليه فأمرت فضربتَ عنقه قوداً بأبيه وهو مدفون في حائط كذا وكذا تحت شجرة كذا، فأته فناده باسمه فإنّه سيجيبك فسله.

قال: فخرج داود عليه السلام وقد فرح فرحاً شديداً لم يفرح مثله فقال لبني إسرائيل: قد فرّج الله، فمشى ومشوا معه فانتهى إلى الشجرة فنادى: يا فلان.

فقال: لبّيك يا نبيّ الله.

قال: من قتلك؟

قال: فلان.

فقالت بنو إسرائيل: لسمعناه يقول: يا نبيّ الله، فنحن نقول كما قال، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إنّ العباد لا يطيقون الحكم بما هو عندي الحكم، فسل المدّعي البيّنة، وأضف المدّعى عليه إلى اسمي.

سلسلة القضاء(١)

كان على عهد داود عليه السلام سلسلة يتحاكم الناس إليها وأنّ رجلاً أودع رجلاً جوهراً فجحده إيّاه فدعاه إلى سلسلة فذهب معه إليها، وقد أدخل الجوهر في قناة، فلمّا أراد أن يتناول السلسلة قال له: أمسك هذه القناة حتى آخذ السلسلة، فأمسكها ودنا الرجل من السلسلة فتناولها وأخذها وصارت في يده، فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أن احكم بينهم

---

(١) بحار الأنوار، ١٤/٨، ح ١٦، عن قصص الأنبياء: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

بالبيّنات وأضفهم إلى اسمي يحلفون به، ورفعت السلسلة.

كثرة التواضع[(١)]

لمّا قالت النملة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾[(٢)] حملت الريح صوت النملة إلى سليمان وهو مارّ في الهواء والريح قد حملته فوقف وقال: عليَّ بالنملة، فلمّا أتي بها قال سليمان: يا أيّتها النملة أما علمت أنّي نبيّ الله وأنّي لا أظلم أحداً؟

قالت النملة: بلى.

قال سليمان: فلِمَ حذّرتنيهم ظلمي وقلتِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ﴾؟

قالت النملة: خشيتُ أن ينظروا إلى زينتك فيفتتنوا بها فيبعدوا عن الله تعالى ذكره.

ثمّ قالت النملة: أنت أكبر أم أبوك داود؟

قال سليمان عليه السلام: بل أبي داود.

قالت النملة: فلم زيد في حروف اسمك حرف على حروف اسم أبيك داود؟

---

(١) بحار الأنوار ١٤/٩٢ ـ ٩٣، ح ٢: عن عيون أخبار الرضا عليه السلام وعلل الشرائع: عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب القرشي، عن منصور بن عبد الله الأصفهاني، عن علي بن مهروية القزويني، عن داود بن سليمان الغازي قال: سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد عليهم السلام في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ قال: . . .

(٢) سورة النمل، الآية: ١٨.

قال سليمان: ما لي بهذا علم.

قالت النملة: لأنّ أباك داود داوى جرحه بودّ فسمّي داود، وأنت يا سليمان أرجو أن تلحق بأبيك.

ثمّ قالت النملة: هل تدري لم سخّرت لك الريح من بين سائر المملكة؟

قال سليمان: ما لي بهذا علم.

قالت النملة: يعني عزَّ وجلَّ بذلك: لو سخّرتُ لك جميع المملكة كما سخّرتُ لك هذه الريح لكان زوالها من يدك كزوال الريح، فحينئذ تبسَّم ضاحكاً من قولها.

ردّ الشمس[1]

إنّ سليمان بن داود عليه السلام عرض عليه ذات يوم بالعشيّ الخيل، فاشتغل بالنظر إليها حتّى توارت الشمس بالحجاب، فقال للملائكة: ردّوا الشمس عليَّ حتّى أُصلّي صلاتي في وقتها، فردّوها فقام فطفق ومسح ساقيه وعنقه، وأمر أصحابه الذين فاتتهم الصلاة معه بمثل ذلك، وكان ذلك وضوءهم للصلاة، ثمّ قام فصلّى فلمّا فرغ غابت الشمس وطلعت النجوم، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[2].

---

(١) بحار الأنوار ١٤/١٠١ ـ ١٠٢، عن من لا يحضره الفقيه: عن الصادق عليه السلام أنه قال:...

(٢) سورة ص، الآيات: ٣٠ ـ ٣٣.

داود يعرّف وصيّه(١)

كان في بني إسرائيل رجل له كرم ونفشت فيه غنم لرجل آخر باللّيل وقضمته وأفسدته، فجاء صاحب الكرم إلى داود عليه السلام فاستعدى على صاحب الغنم، فقال داود عليه السلام: اذهبا إلى سليمان عليه السلام ليحكم بينكما، فذهبا إليه، فقال سليمان: إن كانت الغنم أكلت الأصل والفرع فعلى صاحب الغنم أن يدفع إلى صاحب الكرم الغنم وما في بطنها، وإن كانت ذهبت بالفرع ولم تذهب بالأصل فإنه يدفع ولدها إلى صاحب الكرم، وكان هذا حكم داود، وإنّما أراد أن يعرّف بني إسرائيل أنّ سليمان عليه السلام وصيّه بعده، ولم يختلفا في الحكم، ولو اختلف حكمهما لقال: وكنّا لحكمهما شاهدين.

هنا وُلد عيسى(٢)

عن يحيى بن عبد الله قال: كنّا بالحيرة فركبتُ مع أبي عبد الله عليه السلام، فلمّا صرنا حيال قرية فوق الماصر قال: هي هي، حين قرب من الشطّ، وصار على شفير الفرات، ثمّ نزل فصلّى ركعتين ثمّ قال: أتدري أين وُلِد عيسى عليه السلام؟ قلت: لا، قال: في هذا الموضع الّذي أنا فيه جالس، ثمّ قال: أتدري أين كانت النخلة؟ قلت: لا، فمدّ يده خلفه فقال: في هذا المكان، ثمّ قال: أتدري ما القرار وما الماء المَعين؟ قلت: لا، قال:

---

(١) تفسير القمي ٢/٧٣ ـ ٧٤: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] فإنّه حدّثني أبي، عن عبد الله بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) بحار الأنوار ١٤/٢١٦، ح ١٧، عن قصص الأنبياء: الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد،...

هذا هو الفرات، ثمّ قال: أتدري ما الربوة؟ قلت: لا، فأشار بيده عن يمينه فقال:

هذا هو الجبل إلى النجف وقال: إنّ مريم ظهر حملها وكانت في واد فيه خمسمائة بكر يتعبّدن، وقال: حملته تسع ساعات، فلمّا ضربها الطلق خرجت من المحراب إلى بيت دير لهم فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة فوضعته فحملته فذهبت به إلى قومها، فلمّا رأوها فزعوا فاختلف فيه بنو إسرائيل فقال بعضهم: هو ابن الله، وقال بعضهم: هو عبد الله ونبيّه، وقالت اليهود: بل هو ابن الهنة، ويقال للنخلة الّتي أُنزلت على مريم: العجوة.

عيسى وإحياء الموتى[1]

عن أبان بن تغلب قال: سُئل أبو عبد الله عليه السلام هل كان عيسى بن مريم أحيى أحداً بعد موته حتّى كان له أكل ورزق ومدّة وولد؟ قال: فقال:

نعم، إنّه كان له صديق مواخ له في الله، وكان عيسى يمرّ به فينزل عليه، وأنّ عيسى عليه السلام غاب عنه حيناً، ثم مرّ به ليسلّم عليه فخرجت إليه أمّه فسألها عنه، فقالت أمّه: مات يا رسول الله.

فقال لها: أتحبّين أن ترينه؟

قالت: نعم.

قال لها: إذا كان غداً أتيتك حتّى أُحييه لك بإذن الله، فلمّا كان من الغد أتاها فقال لها: انطلقي معي إلى قبره، فانطلقا حتّى أتيا قبره، فوقف

---

(١) تفسير العياشي ١/ ١٧٤، ح ٥١....

عيسى عليه السلام ثمّ دعا الله فانفرج القبر وخرج ابنها حيّاً، فلمّا رأته أمّه ورآها بكيا، فرحمهما عيسى عليه السلام فقال له: أتحبّ أن تبقى مع أُمّك في الدنيا؟

قال: يا رسول الله بأكل وبرزق ومدّة، أو بغير مدّة ولا رزق ولا أكل؟

فقال له عيسى عليه السلام: بل برزق وأكل ومدّة تعمر عشرين سنة، وتزوّج ويولد لك.

قال: فنعم إذاً.

قال: فدفعه عيسى إلى أمّه فعاش عشرين سنة وتزوَّج وولد له.

شرايع الأنبياء[1]

كان بين داود وعيسى بن مريم عليهما السلام أربعمائة سنة، وكان شريعة عيسى أنّه بعث بالتوحيد والإخلاص، وبما أوصى به نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام، وأنزل عليه الإنجيل، وأخذ عليه الميثاق الذي أُخذ على النبيّين، وشرع له في الكتاب إقام الصلاة مع الدين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المُنكر، وتحريم الحرام، وتحليل الحلال، وأنزل عليه في الإنجيل مواعظ وأمثال وليس فيها قصاص ولا أحكام حدود، ولا فرض مواريث، وأنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى عليه السلام في التوراة، وهو قول الله تعالى في الّذي قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وأمر عيسى من معه ممّن اتّبعه من المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة والإنجيل.

---

(١) تفسير العياشي ١/١٧٥، ح ٥٢، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

المسيح ورسوله إلى الروم[1]

كان بين داود وعيسىعليه السلام أربعمائة سنة وثمانون سنة، وأُنزل على عيسى في الإنجيل مواعظ وأمثال وحدود ليس فيها قصاص ولا أحكام حدود ولا فرض مواريث، وأنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسىعليه السلام في التوراة وهو قوله تعالى حكاية عن عيسى أنّه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وأمر عيسى من معه ممّن تبعه من المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة وشرائع جميع النبيّين والإنجيل، قال: ومكث عيسىعليه السلام حتى بلغ سبع سنين أو ثمانياً، فجعل يخبرهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم، فأقام بين أظهرهم يُحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص ويعلّمهم التوراة، وأنزل الله عليه الإنجيل لمّا أراد أن يتّخذ عليهم حجّة، وكان يبعث إلى الروم رجلاً لا يداوي أحداً إلاّ بريء من مرضه، ويبرىء الأكمه والأبرص حتّى ذكر ذلك لملكهم فأذخل عليه فقال: أتبرىء الأكمه والأبرص؟

قال: نعم.

قال: أُتي بغلام منخسف الحدقة لم ير شيئاً قطّ، فأخذ بندقتين فبندقهما ثمّ جعلهما في عينيه ودعا فإذا هو بصير، فأقعده الملك معه وقال: كن معي ولا تخرج من مصري، فأنزله معه بأفضل المنازل.

ثم إنّ المسيحعليه السلام بعث آخر وعلّمه ما به يُحيي الموتى، فدخل الروم وقال: أنا أعلم من طبيب الملك.

---

(١) بحار الأنوار ١٤/٢٥١، ح ٤٣، عن قصص الأنبياء: الصدوق بإسناده عن ابن عيسى، عن البزنطي، عن أبان بن عثمان، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد اللهعليه السلام قال:...

فقالوا للملك ذلك. قال: اقتلوه.

فقال الطبيب: لا تفعله أدخله فإن عرفت خطاه قتلته ولك الحجّة، فأدخل عليه فقال: أنا أحيي الموتى، فركب الملك والناس إلى قبر ابن الملك وكان قد مات في تلك الأيّام، فدعا رسول المسيح وأمّن طبيب الملك الّذي هو رسول المسيح أيضاً الأوّل، فانشقّ القبر فخرج ابن الملك، ثمّ جاء يمشي حتّى جلس في حجر أبيه، فقال: يا بُنيّ من أحياك؟

قال: فنظر فقال: هذا وهذا.

فقاما فقالا: إنّا رسول المسيح إليك، وإنّك كنت لا تسمع من رسله إنّما تأمر بقتلهم إذا أتوك، فتابع وأعظموا أمر المسيح عليه السلام حتّى قال فيه أعداء الله ما قالوا واليهود يكذّبونه ويريدون قتله.

عيسى نبيّ من البشر(١)

عن عبد الله بن سنان قال: سأل أبي أبا عبد الله عليه السلام هل كان عيسى يصيبه ما يصيب وُلد آدم؟ قال:

نعم، ولقد كان يصيبه وجع الكبار في صغره، ويصيبه وجع الصغار في كبره، ويصيبه المرض، وكان إذا مسّه وجع الخاصرة في صغره وهو من علل الكبار قال لأمّه: إبغي لي عسلاً وشونيزا وزيتاً فتعجني به ثمّ إئتني به، فأتته به فكرهه فتقول: لمَ تكرهه وقد طلبتَه؟ فيقول: هاتيه، نعتّه لكِ بعلم النبوّة وأكرهته لجزع الصبا، ويشمّ الدواء ثم يشربه بعد ذلك.

---

(١) بحار الأنوار ١٤/٢٥٣ ـ ٢٥٤، ح ٤٦، عن قصص الأنبياء: بالإسناد إلى الصدوق بإسناده عن ابن محبوب،...

مع أصحاب الكهف[1]

كان سبب نزول سورة الكهف أنّ قريشاً بعثوا ثلاثة نفر إلى نجران، النضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل السهمي، ليتعلّموا من اليهود والنصارى مسائل يسألونها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخرجوا إلى نجران إلى علماء اليهود فسألوهم فقالوا: سلوه عن ثلاث مسائل فإن أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق، ثمّ سلوه عن مسألة واحدة فإن ادّعى علمها فهو كاذب.

قالوا: وما هذه المسائل؟

قالوا: سلوه عن فتية كانوا في الزمن الأوّل فخرجوا وغابوا وناموا، كم بقوا في نومهم حتّى انتبهوا؟ وكم كان عددهم؟ وأيّ شيء كان معهم من غيرهم؟ وما كان قصّتهم؟ واسألوه عن موسى حين أمره الله أن يتّبع العالم ويتعلّم منه من هو؟ وكيف تبعه؟ وما كان قصّته معه؟ واسألوه عن طائف طاف من مغرب الشمس ومطلعها حتّى بلغ سدّ يأجوج ومأجوج من هو؟ وكيف كان قصّته؟ ثمّ أملوا عليهم أخبار هذه الثلاث المسائل وقالوا لهم: إن أجابكم بما قد أملينا عليكم فهو صادق، وإن أخبركم بخلاف ذلك فلا تصدّقوه.

قالوا: فما المسألة الرابعة؟

قالوا: اسألوه متى تقوم الساعة؟ فإن ادّعى علمها فهو كاذب، فإنّ قيام الساعة لا يعلمها إلاّ الله تبارك وتعالى.

---

(١) تفسير القمي ٢/ ٣١ ـ ٣٣: قال علي بن إبراهيم: فحدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

فرجعوا إلى مكّة واجتمعوا إلى أبي طالب عليه السلام فقالوا: يا أبا طالب إنّ ابن أخيك يزعم أنَّ خبر السماء يأتيه ونحن نسأله عن مسائل، فإن أجابنا عنها علمنا أنّه صادق، وإن لم يجبنا علمنا أنّه كاذب.

فقال أبو طالب: سلوه عمّا بدا لكم، فسألوه عن الثلاث المسائل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: غداً أخبركم ولم يستثن[1] فاحتبس الوحي عليه أربعين يوماً حتّى اغتمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وشكّ أصحابه الّذين كانوا آمنوا به، وفرحت قريش واستهزؤوا وآذوا، وحزن أبو طالب، فلمّا أن كان بعد أربعين يوماً نزل عليه جبرئيل بسورة الكهف.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل لقد أبطأت؟

فقال: إنّا لا نقدر أن ننزل إلاّ بإذن الله، فأنزل: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا﴾ ثمّ قصّ قصّتهم، فقال: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

فقال الصادق عليه السلام: إنَّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا في زمن ملك جبّار عات، وكان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام، فمن لم يجبه قتله، وكان هؤلاء قوماً مؤمنين يعبدون الله عزَّ وجلَّ، ووكّل الملك بباب المدينة وكلاء ولم يدع أحداً يخرج حتّى يسجد للأصنام، فخرج هؤلاء بحيلة الصيد، وذلك أنّهم مرّوا براع في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم، وكان مع الراعي كلب فأجابهم الكلب وخرج معهم.

فقال الصادق عليه السلام: فلا يدخل الجنّة من البهائم إلاّ ثلاثة: حمار

---

(١) أي لم يقل إن شاء الله.

بلعم بن باعوراء، وذئب يوسف، وكلب أصحاب الكهف.

فخرج أصحاب الكهف من المدينة بحيلة الصيد هرباً من دين ذلك الملك، فلمّا أمسوا دخلوا ذلك الكهف والكلب معهم، فألقى الله عليهم النعاس كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ فناموا حتّى أهلك الله ذلك الملك وأهل مملكته وذهب ذلك الزمان وجاء زمان آخر وقوم آخرون ثمّ انتبهوا، فقال بعضهم لبعض: كم نمنا ههنا فنظروا إلى الشمس قد ارتفعت فقالوا: نمنا يوماً أو بعض يوم، ثمّ قالوا لواحد منهم: خذ هذا الورق وادخل المدينة متنكّراً لا يعرفوك فاشترِ لنا طعاماً، فإنهم إن علموا بنا وعرفونا يقتلونا أو يردّونا في دينهم، فجاء ذلك الرجل فرأى المدينة بخلاف الّذي عهدها، ورأى قوماً بخلاف أولئك لم يعرفهم ولم يعرفوا لغته ولم يعرف لغتهم.

فقالوا له: من أنت؟ ومن أين جئت؟ فأخبرهم، فخرج ملك تلك المدينة مع أصحابه والرجل معهم حتّى وقفوا على باب الكهف، وأقبلوا يتطلّعون فيه.

فقال بعضهم: هؤلاء ثلاثة ورابعهم كلبهم، وقال بعضهم: هم خمسة وسادسهم كلبهم، وقال بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم، وحجبهم الله عزَّ وجلَّ بحجاب من الرعب فلم يكن أحد يقدم بالدخول عليهم غير صاحبهم، فإنّه لمّا دخل عليهم وجدهم خائفين أن يكونوا أصحاب دقيانوس شعروا بهم، فأخبرهم صاحبهم أنّهم كانوا نائمين هذا الزمن الطويل، وأنّهم آية للناس، فبكوا وسألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا.

ثمّ قال الملك: ينبغي أن نبني ههنا مسجداً ونزوره، فإنّ هؤلاء قوم مؤمنون، فلهم في كل سنة نقلتان ينامون ستة أشهر على جنوبهم اليمنى وستة أشهر على جنوبهم اليسرى والكلب معهم قد بسط ذراعيه بفناء الكهف وذلك قوله ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ أي بالفناء ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ وهم الذين ذهبوا إلى باب الكهف قوله ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فقال الله لنبيه، ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ثم انقطع خبرهم فقال ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أخبره أنه إنما حبس الوحي عنه أربعين صباحاً لأنه قال لقريش غداً أخبركم بجواب مسائلكم ولم يستثن فقال الله ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ـ إلى قوله ـ رَشَدًا﴾ ثم عطف على الخبر الأول الذي حكى عنهم أنهم يقولون ثلاثة رابعهم كلبهم فقال ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ وهو حكاية عنهم ولفظه خبر والدليل على أنه حكاية عنهم قوله ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

الأنبياء والطيب(١)

ما بعث الله عزَّ وجلَّ نبيّاً إلاّ ومعه رائحة السفرجل.

التطيّب بالعطر(٢)

العطر من سنن المرسلين.

---

(١) فروع الكافي ٣٥٨/٤، ح ٦، محمد بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن علي بن سليمان بن رشيد، عن مروك بن عبيد، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) فروع الكافي ٥١٠/٤، ح ٢، محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن يونس بن يعقوب، عن أبي أسامة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

المجوس من أهل الكتاب[1]

عن أبي يحيى الواسطي، عن بعض أصحابنا قال: سُئل أبو عبد الله عليه السلام عن المجوس أكان لهم نبيّ؟ فقال:

نعم، أما بلغك كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أهل مكّة: أن أسلموا وإلاّ نابذتكم بحرب، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: أن خذ منّا الجزية ودعنا على عبادة الأوثان، فكتب إليهم النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّي لست آخذ الجزية إلاّ من أهل الكتاب، فكتبوا إليه ـ يريدون بذلك تكذيبه ـ: زعمت أنّك لا تأخذ الجزية إلاّ من أهل الكتاب، ثمّ أخذت الجزية من مجوس هَجَر[2] فكتب إليهم النبي صلى الله عليه وآله: إنّ المجوس كان لهم نبيّ فقتلوه، وكتاب أحرقوه، أتاهم نبيّهم بكتابهم في اثني عشر ألف جلد ثور.

الأنبياء والمساجد[3]

عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي لأكره الصلاة في مساجدهم، فقال:

لا تكره، فما من مسجد بُني إلاّ على قبر نبيّ أو وصيّ نبيّ قتل فأصاب تلك البقعة رشّة من دمه فأحبّ الله أن يُذكر فيها: فأدّ فيها الفريضة والنوافل، واقض فيها ما فاتك.

---

(١) فروع الكافي ١/٥٦٧ ـ ٥٦٨، ح ٤: محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد، ..فروع الكافي ١/٥٦٧ ـ ٥٦٨، ح ٤: محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد،...

(٢) هجر ـ بفتحتين ـ: بلد بقرب المدينة.

(٣) فروع الكافي ١/٣٧٠، ح ١٤، الحسين بن محمد رفعه،...

الأنبياء ممتحنون(١)

دُفن ما بين الركن اليماني والحجر الأسود سبعون نبيّاً، أماتهم الله جوعاً وضرّاً.

النبيّ ﷺ في حِجر عمّه(٢)

نشأ رسول الله ﷺ في حجر أبي طالب فبينا هو غلام يجيء بين الصفا والمروة إذ نظر إليه رجل من أهل الكتاب فقال: ما اسمك؟

قال: اسمي محمّد.

قال: ابن من؟

قال: ابن عبد الله.

قال: ابن من؟

قال: ابن عبد المطّلب.

قال: فما اسم هذه؟ ـ وأشار إلى السماء ـ؟

قال: السماء.

قال: فما اسم هذه ـ وأشار إلى الأرض ـ؟

قال: الأرض.

قال: فمن ربّهما؟

---

(١) فروع الكافي ٢/ ٢١٤، ح ١٠، عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الوليد شباب الصيرفي، عن معاوية بن عمار الدهني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) الخرائج والجرائح ١/ ٧١ ـ ٧٢، ح ١٣٠، روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

قال: الله.

قال: فهل لهما ربّ غير الله؟

قال: لا.

ثمّ إنَّ أبا طالب خرج به معه إلى الشام في تجارة قريش فلمّا انتهى به إلى بُصرىٰ ـ وفيها راهب لم يكلّم أهل مكّة، إذ مرّوا به ـ ورأى علامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الركب، فإنّه رأى غمامة تظلّه في مسيره، ونزل تحت شجرة قريبة من صومعته، فتثنّت أغصان الشجرة عليه، والغمامة على رأسه بحالها، فصنع لهم طعاماً، واجتمعوا عليه، وتخلّف محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا نظر بحيرى إليهم ولم ير الصفة الّتي يعرف قال: فهل تخلّف منكم أحد؟

قالوا: لا ـ واللّات والعُزّى ـ إلاّ صبيّ، فاستحضره فلمّا لحظ إليه نظر إلى أشياء من جسده قد كان يعرفها من صفته، فلمّا تفرّقوا قال: يا غلام أتخبرني عن أشياء أسألك عنها؟ قال: سل.

قال: أنشدك باللات والعزّى إلاّ أخبرتني عمّا أسألك عنه ـ وإنّما أراد أن يعرف، لأنّه سمعهم يحلفون بهما ـ فذكروا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال له: لا تسألني باللّات والعُزّى، فإنّي والله لم أبغض بغضهما شيئاً قطّ.

قال: فبالله إلاّ أخبرتني عمّا أسألك عنه؟

قال: فجعل يسأله عن حاله في نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره، فكان يجدها موافقة لما عنده.

فقال له: اكشف عن ظهرك، فكشف عن ظهره فرأى خاتم النبوّة بين

كتفيه على الموضع الّذي يجده عنده، فأخذه الأفكل ـ وهو الرعدة ـ واهتزّ الديرانيّ فقال: من أبو هذا الغلام؟

قال أبو طالب: هو ابني.

قال: لا والله لا يكون أبوه حيّاً.

قال أبو طالب: إنه ابن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟

قال: مات وهو ابن شهرين.

قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلادك، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأته وعرفوا منه الذي عرفتُه ليبغينّه شراً، فخرج أبو طالب فردّه إلى مكّة.

تبّع يبشّر بالنبيّ(١)

إنّ تبّعاً قال للأوس والخزرج: كونوا هٰهنا حتّى يخرج هذا النبيّ أمّا أنا لو أدركته لخدمته ولخرجتُ معه.

وروي أنّه قال:

قالوا بمكّة بيت مال داثر ... وكنوزه من لؤلؤ وزبرجد

بادرت أمراً حال ربّي دونه ... والله يدفع عن خراب المسجد

فتركت فيه من رجالي عصبة ... نجباء ذو حسب ورب محمد

وكتب كتاباً إلى النبي ﷺ يذكر فيه إيمانه وإسلامه وأنّه من أُمّته فليجعله تحت شفاعته، وعنوان الكتاب: إلى محمّد بن عبد الله، خاتم النبيّين، ورسول ربّ العالمين من تبّع الأوّل، ودفع الكتاب إلى العالم

---

(١) المناقب ١/١٥ ـ ١٦، روى ابن بابويه في كتاب النبوّة أنه قال أبو عبد الله عليه السلام:...

الذين نصح له، ثمّ خرج منه وسار [أي تبّع] حتّى مات بغلسان بلد من بلاد الهند، وكان بين موته ومولد النبي صلى الله عليه وآله ألف سنة، ثمّ إنّ النبي صلى الله عليه وآله لما بُعِث وآمن به أكثر أهل المدينة أنفذوا الكتاب إليه على يد أبي ليلى، فوجد النبي صلى الله عليه وآله في قبيلة بني سليم فعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: أنت أبو ليلى؟

قال: نعم.

قال: ومعك كتاب تبّع الأوّل؟

فتحيّر الرجل فقال: هات الكتاب، فأخرجه ودفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدفعه النبيّ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقرأه عليه، فلمّا سمع النبيّ صلى الله عليه وآله كلام تبّع قال: مرحباً بالأخ الصالح ثلاث مرّات، وأمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة.

اليهود يصطدمون بتبّع(١)

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾(٢) فقال:

كانت اليهود تجد في كتبها أنّ مهاجر محمّد صلى الله عليه وآله ما بين عير وأُحد، فخرجوا يطلبون الموضع، فمرّوا بجبل يسمّى حداداً، فقالوا: حداد وأُحد سواء، فتفرّقوا عنده، فنزل بعضهم بفدك، وبعضهم بخيبر، وبعضهم بتيماء، فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم، فمرّ بهم أعرابي من قيس فتكاروا منه، وقال لهم: أمرّ بكم ما بين عير وأحد، فقالوا له: إذا مررت بهما فأرناهما، فلمّا توسّط بهم أرض المدينة قال لهم: ذاك

---

(١) تفسير العياشي ١/٤٩، ح ٦٩:...

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

عير، وهذا أُحد، فنزلوا عن ظهر إبله فقالوا له: قد أصبنا بغيتنا فلا حاجة لنا في إبلك، فاذهب حيث شئت، وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر: إنّا قد أصبنا الموضع فهلمّوا إلينا، فكتبوا إليهم: إنّا قد استقرّت بنا الدار، واتّخذنا الأموال، وما أقربنا منكم، وإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم، فاتّخذوا بأرض المدينة الأموال، فلمّا كثرت أموالهم بلغ تبّع فغزاهم فتحصّنوا منه فحاصرهم، وكانوا يرقّون لضعفاء أصحاب تبّع فيلقون إليهم بالليل التمر والشعير، فبلغ ذلك تبّع فرقّ لهم وآمنهم فنزلوا إليه، فقال لهم: إنّي قد استطبت بلادكم ولا أراني إلاّ مقيماً فيكم.

فقالوا له: إنّه ليس ذلك لك، إنّها مهاجر نبيّ، وليس ذلك لأحد حتّى يكون ذلك.

فقال لهم: فإنّي مخلّف فيكم من أُسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره، فخلّف فيهم حيّين الأوس والخزرج، فلمّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود، فكانت اليهود تقول لهم: أمّا لو بعث محمّد لنخرجنّكم من ديارنا وأموالنا، فلمّا بعث الله محمّداً عليه الصلاة والسلام آمنت به الأنصار، وكفرت به اليهود، وهو قول الله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ إلى ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

إرهاصات المولد الشريف[(١)]

كان إبليس (لعنه الله) يخترق السماوات السبع، فلمّا وُلِد عيسى عليه السلام

---

(١) أمالي الصدوق ٢٣٥ ـ ٢٣٦، مجلس ٤٨، ح ١: حدّثنا الشيخ الفقيه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، قال: حدّثنا علي بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، قال: حدّثني أبي عن جدّه أحمد بن أبي عبد الله عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:...

حُجِب عن ثلاث سماوات، وكان يخترق أربع سماوات، فلمّا وُلِد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حُجب عن السبع كلّها، ورُميت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش: هذا قيام الساعة الذي كنّا نسمع أهل الكتب يذكرونه، وقال عمرو بن أميّة وكان من أزجر أهل الجاهليّة: اُنظروا هذه النجوم التي يُهتدى بها، ويُعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فإن كان رمي بها فهو هلاك كلّ شيء، وإن كانت ثبتت ورمي بغيرها فهو أمر حدث، وأصبحت الأصنام كلّها صبيحة مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس منها صنم إلاّ وهو منكبّ على وجهه، وارتجس في تلك الليلة إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وغاضت بحيرة سارة، وفاض وادي السماوة، وخمدت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى المؤبدان في تلك الليلة في المنام إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة، وانسربت في بلادهم، وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، وانتشر في تلك اللّيلة نور من قبل الحجاز ثمّ استطار حتى بلغ المشرق، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلاّ أصبح منكوساً، والملك مخرساً لا يتكلّم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحَرَة، ولم يبق [تبق ـ خ] كاهنة في العرب إلاّ حجبت عن صاحبها، وعظمت قريش في العرب، وسمّوا آل الله عزَّ وجلَّ.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: إنّما سمّوا آل الله لأنّهم في بيت الله الحرام.

وقالت آمنة: إنّ ابني والله سقط فاتّقى الأرض بيده، ثمّ رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج منّي نور أضاء له كلّ شيء، وسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنّكِ قد ولدْتِ سيّد الناس فسمّيه محمّداً، وأُتي به عبد

المطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمّه، فأخذه فوضعه في حجره ثمّ قال:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيّب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان

ثمّ عوّذه بأركان الكعبة، وقال فيه أشعاراً، قال: وصاح إبليس (لعنه الله) في أبالسته فاجتمعوا إليه، فقالوا: ما الّذي أفزعك يا سيّدنا؟

فقال لهم: ويلكم لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ وُلِدَ عيسى ابن مريم عليه السلام، فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث، فافترقوا ثمّ اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً.

فقال إبليس (لعنه الله): أنا لهذا الأمر، ثمّ انغمس في الدنيا فجالها حتّى انتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوظاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاحوا به، فرجع ثمّ صار مثل الصرّ[الصرد] وهو العصفور فدخل من قبل حراء.

فقال له جبرائيل: وراك لعنك الله.

فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرائيل، ما هذا الحدث الّذي حدث منذ اللّيلة في الأرض؟

فقال له: وُلِدَ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: هل لي فيه نصيب.

قال: لا.

قال: ففي أمّته؟

قال: نعم.

قال: رضيتُ.

الكتابي ليلة الميلاد[1]

لمّا وُلِدَ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وُلِدَ ليلاً فأتى رجل من أهل الكتاب إلى الملأ من قريش وهم مجتمعون: هشام بن المغيرة، والوليد بن المغيرة، وعتبة، وشيبة فقال: أوُلِدَ فيكم اللّيلة مولود؟

قالوا: لا، وما ذاك؟

قال: لقد وُلِدَ فيكم اللّيلة أو بفلسطين مولود اسمه أحمد، به شامة، يكون هلاك أهل الكتاب على يديه، فسألوا فأخبروا فطلبوه.

فقالوا: لقد وُلِدَ فينا غلام.

فقال: قبل أن أنبّئكم أو بعد؟

قالوا: قبل.

قال: فانطلقوا معي أنظر إليه، فأتوا أمّه وهو معهم فأخبرتهم كيف سقط، وما رأت من النور.

قال اليهودي: فأخرجيه، فنظر إليه، ونظر إلى الشامة فخرَّ مغشياً عليه، فأدخلته أمّه، فلمّا أفاق قالوا له: ويلك ما لك؟

قال: ذهبت نبوّة بني إسرائيل إلى يوم القيامة، هذا والله مبيرهم،

---

(١) بحار الأنوار ١٥/ ٢٦٠، ح ١٠، عن أمالي الشيخ الطوسي، عن الجعابي، عن ابن عقدة، عن أحمد بن يوسف الجعفي، عن محمد بن حسان، عن حفص بن راشد الهلالي، عن محمد بن عباد بن سريع البارقي، قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول:...

ففرحت قريش بذلك، فلمّا رأى فرحهم قال: والله ليسطونَّ بكم سطوة يتحدّث بها أهل الشرق وأهل الغرب.

النبيّ ﷺ والحجر الأسود(١)

إنّ قريشاً في الجاهلية هدموا البيت، فلمّا أرادوا بناءه حيل بينهم وبينه، وألقى في روعهم الرعب حتّى قال قائل منهم: ليأتي كلّ رجل منكم بأطيب ماله، ولا تأتوا بمال اكتسبتموه من قطيعة رحم، أو حرام ففعلوا فخلّى بينهم وبين بنائه، فبنوه حتّى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود فتشاجروا فيه أيّهم يضع الحجر الأسود في موضعه، حتّى كاد أن يكون بينهم شرّ، فحكّموا أوّل من يدخل من باب المسجد، فدخل رسول الله ﷺ، فلمّا أتاهم أمر بثوب فبسط ثمّ وضع الحجر في وسطه، ثمّ أخذت القبائل بجوانب الثوب فرفعوه، ثمّ تناوله ﷺ فوضعه في موضعه، فخصّه الله به.

النبيّ ﷺ ووصيّه(٢)

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: لأيّ علّة لم يبق لرسول الله ﷺ ولد؟ قال:

لأنّ الله عزَّ وجلَّ خلَق محمداً ﷺ نبيّاً وعليّاً عليه السلام وصيّاً، فلو كان

---

(١) فروع الكافي ٢/٢١٧، ح ٣، محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن سعيد بن عبد الله الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) علل الشرائع ١/١٣١، ب ١١١، ح ١: أخبرنا علي بن حاتم القزويني فيما كتب إليّ قال: أخبرنا القاسم بن محمد، قال: حدّثنا حمدان بن الحسين، عن الحسين بن الوليد، عن عبد الله بن حماد،...

لرسول الله صلى الله عليه وآله ولد من بعده لكان أولى برسول الله صلى الله عليه وآله من أمير المؤمنين عليه السلام فكانت لا تثبت وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام.

كأنّه شقّة قمر[1]

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رئي في اللّيلة الظلماء رُئي له نور كأنّه شقّة قمر.

نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وأُمّته[2]

إنّ الله تبارك وتعالى أعطى محمّداً صلى الله عليه وآله شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام: التوحيد والإخلاص وخلع الأنداد والفطرة الحنيفيّة السمحة، لا رهبانيّة ولا سياحة، أحلّ فيها الطيّبات، وحرّم فيها الخبيثات، ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فعرف فضله بذلك، ثمّ افترض عليه فيها الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحلال والحرام، والمواريث والحدود والفرائض والجهاد في سبيل الله، وزاده الوضوء، وفضّله بفاتحة الكتاب، وبخواتيم سورة البقرة والمفصّل وأحلّ له المغنم والفيء، ونصره بالرعب، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسله كافّة إلى الأبيض والأسود، والجنّ والإنس، وأعطاه الجزية، وأسر المشركين وفداهم، ثمّ كلّفه ما لم يكلّف أحداً من الأنبياء، أنزل عليه سيفاً من السماء في غير غمد، وقيل له: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾[3].

---

(١) مكارم الأخلاق ٢٣ ـ ٢٤: عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) المحاسن ٢٨٧ ـ ٢٨٨، ب ٤٦، ح ٤٣١، أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبي إسحاق الثقفي قال: حدّثنا محمد بن مروان، عن أبان بن عثمان، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٤.

أولو العزم من الرسل(١)

عن سماعة بن مهران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾(٢) فقال:

نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قلت: كيف صاروا أُولي العزم؟

قال: لأنّ نوحاً بعث بكتاب وشريعة، وكلّ من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه، حتّى جاء إبراهيم عليه السلام بالصُحُف وبعزيمة ترك كتاب نوح عليه السلام لا كفراً به، فكلّ نبيّ جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم عليه السلام ومنهاجه وبالصحف، حتّى جاء موسى عليه السلام بالتوراة وشريعته ومنهاجه وبعزيمة ترك الصحف، وكلّ نبيّ جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه، حتّى جاء المسيح عليه السلام بالإنجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى عليه السلام ومنهاجه، فكلّ نبيّ جاء بعد المسيح عليه السلام أخذ بشريعته ومنهاجه، حتّى جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهؤلاء أولو العزم من الرسل عليهم السلام.

سيّد من خلق الله(٣)

عن الحسين بن عبد الله قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيّد وُلد آدم؟ فقال:

---

(١) أصول الكافي ٢/١٧، ح ٢، عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى،...

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٣) أصول الكافي ١/٤٤٠، ح ١، محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن عبد الله بن محمد ابن أخي حماد الكاتب،...

كان والله سيّد مَن خَلَق الله، وما برأ الله بريّة خيراً من محمد صلى الله عليه وآله.

رحمة للعباد وربيعاً للبلاد[١]

عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له خاصّة يذكر فيها حال النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام وصفاتهم:

فلم يمنع ربّنا لحلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم أن انتجب لهم أحبّ أنبيائه إليه، وأكرمهم عليه، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله في حومة العزّ مولده، وفي دومة الكرم محتدّه، غير مشوب حسبه، ولا ممزوج نسبه، ولا مجهول عند أهل العلم صفته، بشّرت به الأنبياء في كتبها، ونطقت به العلماء بنعتها، وتأمّلته الحكماء بوصفها، مهذّب لا يدانى، هاشميّ لا يوازى، أبطحيّ لا يسامى، شيمته الحياء، وطبيعته السخاء، مجبول على أوقار النبوّة وأخلاقها، مطبوع على أوصاف الرسالة وأحلامها، إلى أن انتهت به أسباب مقادير الله إلى أوقاتها، وجرى بأمر الله القضاء فيه إلى نهاياتها، أدّاه محتوم قضاء الله إلى غاياتها، تبشّر به كلّ أمّة من بعدها، ويدفعه كلّ أب إلى أب من ظهر إلى ظهر، لم يخلطه في عنصره سفاح، ولم ينجّسه في ولادته نكاح، من لدن آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله في خير فرقة، وأكرم سبط، وأمنع رهط وأكلأ حمل، وأودع حجر، اصطفاه الله وارتضاه واجتباه، وآتاه من العلم مفاتيحه، ومن الحكم ينابيعه، ابتعثه رحمة للعباد، وربيعاً للبلاد، وأنزل الله إليه الكتاب، فيه البيان والتبيان ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾[٢] قد بيّنه للناس ونهّجه بعلم قد

---

(١) أصول الكافي ١/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥، ح ١٧، محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب،...

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٨.

فصّله، ودين قد أوضحه، وفرائض قد أوجبها، وحدود حدّها للناس وبيّنها، وأمور قد كشفها لخلقه وأعلنها، فيها دلالة إلى النجاة، ومعالم تدعو إلى هداة، فبلّغ رسول الله ﷺ ما أرسل به، وصدع بما أمر، وأدّى ما حمّل من أثقال النبوّة، وصبر لربّه، وجاهد في سبيله، ونصح لأمّته، ودعاهم إلى النجاة، وحثّهم على الذكر، ودلّهم على سبيل الهدى بمناهج ودواع أسّس للعباد أساسها، ومنار رفع لهم أعلامها، كيلا يضلّوا من بعده، وكان بهم رؤوفاً رحيماً.

أعطى نبيّه كلّ شيء[1]

ما أعطى الله نبيّاً شيئاً إلاّ وقد أعطاه محمّداً ﷺ قال لسليمان بن داود عليه السلام: ﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]. وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3]

النبي ﷺ وروح القدس[4]

عن المفضّل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره، فقال:

يا مفضّل إنّ الله تبارك وتعالى جعل للنبيّ ﷺ خمسة أرواح: روح الحياة، فبه دبّ ودرج، وروح القوّة فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه

---

(١) بصائر الدرجات ٣٨٢، الجزء ٨، ب ٤، ح ١٧، حدّثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) سورة ص، الآية: ٣٩.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) بصائر الدرجات ٤٥٤، الجزء ٩، ب ١٥، ح ١٣، حدّثنا الحسين بن محمد بن عامر، عن المعلى بن محمد، عن أبي الفضل عبد الله بن إدريس، عن محمد بن سنان،...

أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه فبه أمر وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوّة، فإذا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس، فصار في الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، والأربعة الأرواح تنام وتلهو وتغفل وتسهو، وروح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها وبرّها وبحرها.

قلت: جعلتُ فداك يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟

قال: نعم وما دون العرش.

النبيّ صلى الله عليه وآله وأعمال العباد[1]

تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله أعمال العباد كلّ صباح أبرارها وفجّارها، فاحذروها، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾[2] وسكت.

لا تسوءوا النبيّ صلى الله عليه وآله[3]

ما لكم تسوءُون رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال له رجل: كيف نسوؤه؟

فقال: أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوءوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسرّوه.

---

(١) أصول الكافي ١/٢١٩، ح ١: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(٣) أصول الكافي ١/٢١٩، ح ٣، علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:...

قميص يوسف عليه السلام[1]

عن مفضّل الجعفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: أتدري ما كان قميص يوسف عليه السلام؟ قال: قلت: لا، قال:

إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا أوقدت له النار أتاه جبرئيل عليه السلام بثوب من ثياب الجنّة وألبسه إيّاه، فلم يضرّه معه ريح ولا برد ولا حرّ، فلمّا حضر إبراهيم عليه السلام الموت جعله في تميمة وعلّقه على إسحاق عليه السلام وعلّقه إسحاق عليه السلام على يعقوب عليه السلام، فلمّا ولد ليعقوب عليه السلام يوسف علّقه عليه، فكان في عضده حتّى كان من أمره ما كان، فلمّا أخرج يوسف عليه السلام القميص من التميمة وجد يعقوب عليه السلام ريحه وهو قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[2] فهو ذلك القميص الّذي أُنزل به من الجنّة.

قلت: جعلتُ فداك فإلى من صار هذا القميص؟

قال: إلى أهله، وكلّ نبيّ ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى محمّد وآله.

النبيّ صلى الله عليه وآله والشجرتان[3]

إنّ من الناس من يؤمن بالكلام ومنهم من لا يؤمن إلاّ بالنظر، إنّ رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: أرني آية.

---

(١) علل الشرائع ١/٥٣، ب ٤٥، ح ٢: حدّثنا المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي رضي الله عنه، قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن مسعود، عن أبيه، عن محمد بن أبي نصر، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن العباس بن معروف، عن علي بن مهزيار، عن محمد بن إسماعيل السراج، عن بشر بن جعفر،...

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٤.

(٣) بصائر الدرجات ٢٥٣، الجزء ٥، ب ١٣، ح ١: حدّثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد وعلي بن الحكم جميعاً عن محمد بن أبي عمير، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لشجرتين: اجتمعا، فاجتمعتا، ثمّ قال: تفرّقا، فافترقتا، ورجعت كلّ واحدة منهما إلى مكانهما.

قال: فآمن الرجل.

النبيّ صلى الله عليه وآله وولايته التكوينيّة[1]

لمّا انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الركن الغربيّ فجازه فقال له الركن: يا رسول الله ألستُ قعيداً من قواعد بيت ربّك فما بالي لا أُستلَم؟ فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اسكن عليك السلام غير مهجور، ودخل حائطاً فنادته العراجين من كلّ جانب السلام عليك يا رسول الله، وكلّ واحد منها يقول: خذ منّي، فأكل، ودنا من العجوة فسجدت فقال: «اللّهمَّ بارك عليها وانفع بها» فمن ثمّ روى: إنّ العجوة من الجنّة.

وقال صلى الله عليه وآله: إنّي لأعرف حجراً بمكّة كان يسلّم عليّ قبل أن أُبعث إنّي لأعرفه الآن، ولم يكن صلى الله عليه وآله يمرّ في طريق يتبعه أحد إلاّ عرف أنّه سلكه من طيب عرفه، ولم يكن يمرّ بحجر ولا شجر إلاّ سجد له.

النبي صلى الله عليه وآله واليهودي[2]

أتى رسول الله صلى الله عليه وآله يهودي يُقال له: سبخت، فقال له: يا محمّد جئت أسألك عن ربّك فإن أجبتني عمّا أسألك عنه اتّبعتك وإلاّ رجعت.

---

(١) بحار الأنوار ١٧/٣٦٧ ـ ٣٦٨، ح ١٦، عن قصص الأنبياء: الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن محمد بن عبد الجبار، عن جعفر بن محمد الكوفي، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال:...

(٢) التوحيد ٣٠٩، ب ٤٤، ح ١، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، وإبراهيم بن هاشم، عن الحسن بن علي، عن داود بن علي اليعقوبي، عن بعض أصحابنا، عن عبد الأعلى مولى آل سام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

فقال له: سل عمّا شئت.

فقال: أين ربّك؟

فقال: هو في كلّ مكان، وليس هو في شيء من المكان بمحدود.

قال: فكيف هو؟

فقال: وكيف أصف ربّي بالكيف، والكيف مخلوق الله، والله لا يوصف بخلقه. قال: فمن يعلم أنّك نبيّ؟

قال: فما بقي حوله حجر ولا مدر ولا غير ذلك إلاّ تكلّم بلسان عربيّ مبين، يا شيخ إنّه رسول الله.

فقال سبخت: تالله ما رأيت كاليوم أبين، ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّك رسول الله.

النبي ﷺ وأرض فدك[1]

إنّ رسول الله ﷺ خرج في غزاة فلمّا انصرف راجعاً نزل في بعض الطريق فبينا رسول الله ﷺ يطعم والناس معه إذ أتاه جبرئيل فقال: يا محمد قم فاركب، فقام النبيّ ﷺ فركب، وجبرئيل معه، فطويت له الأرض كطيّ الثوب حتّى انتهى إلى فدك، فلمّا سمع أهل فدك وقع الخيل ظنّوا أنَّ عدوّهم قد جاءهم، فغلّقوا أبواب المدينة، ودفعوا المفاتيح إلى عجوز لهم في بيت لهم خارج [من] المدينة ولحقوا برؤوس الجبال، فأتى جبرئيل العجوز حتّى أخذ المفاتيح، ثمّ فتح أبواب المدينة، ودار النبيّ في بيوتها وقراها، فقال جبرئيل: يا محمّد هذا ما خصّك الله به وأعطاك

---

(١) الخرائج والجرائح ١/١١٢، ح ١٨٧، روي عن أبي عبد الله عليه السلام:...

دون الناس، وهو قوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(١) وذلك في قوله: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾(٢) ولم يغزوا المسلمون ولم يطؤوها ولكن الله أفاءها على رسوله وطوّف به جبرئيل في دورها وحيطانها، وغلّق الباب ودفع المفاتيح إليه، فجعلها رسول الله صلى الله عليه وآله في غلاف سيفه وهو معلّق بالرحل، ثمّ ركب وطويت له الأرض كطيّ الثوب، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وهم على مجالسهم لم يتفرّقوا ولم يبرحوا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للناس: قد انتهيت إلى فدك وإنّي قد أفاءها الله عليّ، فغمز المنافقون بعضهم بعضاً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذه مفاتيح فدك، ثمّ أخرجها من غلاف سيفه، ثمّ ركب رسول الله صلى الله عليه وآله وركب معه الناس، فلمّا [دخل المدينة] دخل على فاطمة فقال: يا بنيّة إنّ الله قد أفاء على أبيك بفدك، واختصّه بها فهي لي خاصّة دون المسلمين، أفعل بها ما أشاء، وأنّه قد كان لأمّك خديجة على أبيك مهر، وأنّ أباك قد جعلها لك بذلك ونحلتكها تكون لكِ ولولدكِ بعدكِ.

قال: فدعا بأديم عكاظي ودعا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: اُكتب لفاطمة بفدك نحلة من رسول الله، فشهد على ذلك عليّ بن أبي طالب، ومولى لرسول الله وأمّ أيمن، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أمّ أيمن امرأة من أهل الجنّة، وجاء أهل فدك إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقاطعهم على أربعة وعشرين ألف دينار في كلّ سنة.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٦.

وساطة مقبولة[١]

إنّ ناضحاً كان لرجل من الأنصار فلمّا استسنّ قال بعض أهله: لو نحرتموه، فجاء البعير إلى رسول الله ﷺ فجعل يرغو.

فبعث رسول الله ﷺ إلى صاحبه، فلمّا جاء قال له النبي ﷺ: إنّ هذا يزعم أنّه كان لكم شابّاً حتّى هرم، وأنّه قد نفعكم ثم أنّكم أردتم نحره...

فقال: صدق.

فقال [رسول الله ﷺ]: لا تنحروه ودعوه، فدَعَوْه.

النبيّ ﷺ والشهادة[٢]

سمّ رسول الله ﷺ يوم خيبر فتكلّم اللّحم فقال: يا رسول الله ﷺ إنّي مسموم.

قال: فقال النبي ﷺ عند موته: اليوم قطعت مطاي الأكلة الّتي أكلت بخيبر، وما من نبيّ ولا وصيّ إلّا شهيد.

بصرك أو الجنّة[٣]

إنّ رجلاً مكفوف البصر أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ ادع الله أن يردّ عليَّ بصري، وقال: فدعا الله له فردّ عليه بصره.

---

(١) الاختصاص ٢٩٤: أحمد بن محمد بن عيسى وأحمد بن الحسن بن علي بن فضال، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) بصائر الدرجات ٥٠٣ الجزء ١٠، ب ١٧، ح ٥: حدّثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن علي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) بصائر الدرجات ٢٧٢ الجزء ٦، ب ٣، ح٨: عن أيوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن حماد بن أبي طلحة، عن أبي عوف، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلت عليه فألطفني، وقال:...

ثمّ أتاه آخر فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ادع الله لي أن يردَّ عليَّ بصري.

قال: فقال: الجنّة أحبّ إليك أو يردّ عليك بصرك؟

قال: يا رسول الله وإنّ ثوابها الجنّة؟

فقال: إنّ الله أكرم من أن يبتلي عبده المؤمن بذهاب بصره ثمّ لا يثيبه الجنّة.

أحسن الناس صوتاً بالقرآن[1]

عن عمرو بن شمر قال: سألت جعفر بن محمد عليه السلام أنّي أؤمّ قومي فأجهر ببسم الله الرحمن الرحيم؟ قال:

نعم، حقّ فاجهر به، قد جهر بها رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، فإذا قام من اللّيل يصلّي جاء أبو جهل والمشركون يستمعون قراءته، فإذا قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وضعوا أصابعهم في آذانهم وهربوا، فإذا فرغ من ذلك جاؤوا فاستمعوا.

قال: وكان أبو جهل يقول: إنّ ابن أبي كبشة ليردّد اسم ربّه إنّه ليحبّه.

فقال جعفر عليه السلام: صدق وإن كان كذوباً، قال: فأنزل الله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾[2] وهو ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

---

(١) تفسير فرات الكوفي ٨٥، فرات بن إبراهيم الكوفي، عن يحيى بن زياد معنعناً...

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٦.

النبيّ ﷺ وجبرئيل[١]

كان جبرئيل إذا أتى النبيّ ﷺ قعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتّى يستأذنه.

النبيّ ﷺ ونزول الوحي[٢]

ما علم رسول الله ﷺ أنّ جبرئيل عليه السلام من قِبَل الله عزَّ وجلَّ إلاّ بالتوفيق.

النبيّ ﷺ والروح[٣]

عن أبي حمزة قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن العلم أهو علم يتعلّمه العالم من أفواه الرجال، أم في الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟ قال:

الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[٤] ثمّ قال: أيّ شيء يقول أصحابكم في هذه الآية؟ أيقرّون أنّه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟

---

(١) علل الشرائع ١/٧، ب ٧، ح ٢، حدّثنا علي بن أحمد بن عبد الله البرقي، قال: حدّثنا أبي، عن جدّه أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) التوحيد ٢٤٢، ح ٢: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي عبد الله الفراء، عن محمد بن مسلم، ومحمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) أصول الكافي ١/٢٧٣، ح ٥، محمد بن يحيى، عن عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر، عن علي بن اسباط، عن محمد بن الفضيل...

(٤) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

فقلت: لا أدري ـ جعلتُ فداك ـ ما يقولون.

فقال: [لي] قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان حتّى بعث الله عزَّ وجلَّ الروح الّتي ذكر في الكتاب، فلمّا أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الروح الّتي يعطيها الله عزَّ وجلَّ من شاء، فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم.

مراتب الوحي(١)

عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال بعض أصحابنا: أصلحك الله أكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال جبرئيل، وهذا جبرئيل يأمرني، ثمّ يكون في حال أُخرى يغمى عليه؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام:

إنّه إذا كان الوحي من الله إليه ليس بينهما جبرئيل أصابه ذلك لثقل الوحي من الله، وإذا كان بينهما جبرئيل لم يصبه ذلك فقال: قال لي جبرئيل، وهذا جبرئيل.

النبيّ صلى الله عليه وآله وحده(٢)

لمّا عُرج برسول الله صلى الله عليه وآله انتهى به جبرئيل عليه السلام إلى مكان فخلّى عنه، فقال له: يا جبرئيل [أ]تخلّيني على هذه الحالة؟

فقال: امضه، فوالله لقد وطئتَ مكاناً ما وطئه بشر وما مشى فيه بشر قبلك.

---

(١) بحار الأنوار ١٨/٢٦٨، ح ٣٠، عن أمالي الشيخ الطوسي: الحسين بن إبراهيم القزويني، عن محمد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم بن أحمد، عن الحسن بن علي الزعفراني، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير...

(٢) أصول الكافي ١/٤٤٢، ح ١٢: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

النبيّ ﷺ يخبر قريشاً[1]

لمّا أُسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس حمله جبرائيل على البُراق فأتيا بيت المقدس وعرض إليه محاريب الأنبياء وصلّى بها، وردّه فمرّ رسول الله ﷺ في رجوعه بعير لقريش، وإذا لهم ماء في آنية وقد أضلّوا بعيراً لهم وكانوا يطلبونه، فشرب رسول الله من ذلك الماء وأهرق باقيه، فلمّا أصبح رسول الله ﷺ قال لقريش: إنّ الله جلّ جلاله قد أسرى بي إلى بيت المقدس، وأراني آثار الأنبياء ومنازلهم، وإنّي مررت بعير لقريش في موضع كذا وكذا وقد أضلّوا بعيراً لهم، فشربت من مائهم وأهرقت باقي ذلك.

فقال أبو جهل: قد أمكنتكم الفرصة منه، فاسألوه كم الأساطين فيها والقناديل؟

فقالوا: يا محمّد إنّ ههنا من قد دخل بيت المقدس فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاريبه؟

فجاء جبرائيل عليه السلام فعلّق صورة بيت المقدس تجاه وجهه، فجعل يخبرهم بما يسألونه عنه، فلمّا أخبرهم قالوا: حتّى يجيء العير ونسألهم عمّا قلت.

فقال لهم رسول الله ﷺ: تصديق ذلك أنّ العير تطلع عليكم مع طلوع الشمس، يقدّمها جمل أورق فلمّا كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة ويقولون: هذه الشمس تطلع الساعة فبينما هم كذلك إذ طلعت

---

(١) أمالي الصدوق ٣٦٣، ب ٦٩، ح ١: حدّثنا الشيخ الفقيه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، عن أبيه، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:...

عليهم العير حين طلع القرص يقدّمها جمل أورق، فسألوهم عمّا قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: لقد كان هذا، ضلّ جمل لنا في موضع كذا وكذا، ووضعنا ماءً فأصبحنا وقد أُهريق الماء، فلم يزدهم ذلك إلاّ عُتُوّاً.

المعراج كمّاً وكيفاً[1]

عرج النبيّ صلى الله عليه وآله [إلى السماء] مائة وعشرين مرّة ما من مرّة إلاّ وقد أوصى الله عزَّ وجلَّ فيها النبيّ صلى الله عليه وآله بالولاية لعليّ والأئمّة عليهم السلام أكثر ممّا أوصاه بالفرائض.

القرآن ومفسّروه[2]

أتى رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في مسجد الكوفة وقد احتبى بحمائل سيفه. فقال: يا أمير المؤمنين إنّ في القرآن آية قد أفسدت عليَّ ديني وشكّكتني في ديني.

قال: وما ذاك؟

قال: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[3] فهل كان في ذلك الزمان نبيّ غير محمّد صلى الله عليه وآله فيسأله عنه؟

---

(١) الخصال ٢/٦٠٠ ـ ٦٠١، ح ٣: محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال: حدّثنا الحسن بن متيّل الدقّاق، قال: حدّثنا سلمة بن الخطاب، عن منيع بن الحجاج، عن يونس، عن الصباح المزني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) اليقين في إمرة أمير المؤمنين ٨٧ ـ ٨٨، ب ١٠٥، عن محمد بن العباس بن مروان، قال: حدّثنا أحمد بن إدريس، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسى، قال: حدّثنا الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: اِجلس أُخبرك به إن شاء الله:

إنّ الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾(١) فكان من آيات الله التي أراها محمّداً أنّه انتهى به جبرئيل إلى البيت المعمور وهو المسجد الأقصى، فلمّا دنا منه أتى جبرئيل عيناً فتوضّأ منها، ثم قال: يا محمّد توضّأ، ثمّ قام جبرئيل فأذّن، ثمّ قال للنبيّ صلى الله عليه وآله: تقدّم فصلّ واجهر بالقراءة فإنّ خلفك أفقاً من الملائكة لا يعلم عدّتهم إلاّ الله جلّ وعزّ، وفي الصفّ الأوّل آدم ونوح وإبراهيم وهود وموسى وعيسى وكلّ نبيّ بعثه الله تبارك وتعالى منذ خلق الله السماوات والأرض إلى أن بعث محمّداً، فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى بهم غير هائب ولا محتشم.

فلمّا انصرف أوحى إليه كلمح البصر: سل يا محمّد مَن أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون، فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بجميعه فقال: بِمَ تشهدون؟

قالوا: نشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّك رسول الله وأنَّ عليّاً أمير المؤمنين وصيّك، وأنّك رسول الله سيّد النبيّين، وأنَّ عليّاً سيّد الوصيّين أخذت على ذلك مواثيقنا لكما بالشهادة.

فقال الرجل: أحييتَ قلبي وفرَّجْتَ عنّي يا أمير المؤمنين.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

النبيّ صلى الله عليه وآله في ذات الرقاع(١)

نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير واد، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه، فرآه رجل من المشركين، والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل.

فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمّداً، فجاء وشدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف.

ثم قال: من ينجيك منّي يا محمّد؟

فقال: ربّي وربّك.

فنسفه جبرئيل عليه السلام عن فرسه فسقط على ظهره، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ السيف وجلس على صدره وقال: من ينجيك منّي يا غورث؟

فقال: جودك وكرمك يا محمّد، فتركه، فقام وهو يقول: والله لأنت خير منّي وأكرم.

النبيّ صلى الله عليه وآله في حياته وموته(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حياتي خير لكم، ومماتي خيرٌ لكم، فأمّا حياتي فإنّ الله هداكم بي من الضلالة، وأنقذكم من شفا حفرة من النار.

---

(١) روضة الكافي ١٢٧، ح ٩٧: حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن محمد بن أيوب، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن البزنطي، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) بصائر الدرجات ٤٤٣ ـ ٤٤٤، الجزء ٩، ب ١٣ ح ٢ ـ ٣: حدّثنا محمد بن عبد الجبّار، عن عبد الرحمن بن حمّاد، عن القاسم بن عروة، وحدّثنا عبد الله بن عمر المسلمي، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

وأمّا مماتي فإنّ أعمالكم تعرض عليّ، فما كان من حسن استزدت الله لكم، وما كان من قبيح استغفرت الله لكم.

فقال له رجل من المنافقين: وكيف ذاك يا رسول الله وقد رممت؟ ـ يعني صرت رميماً ـ.

فقال له رسول الله ﷺ: كلاّ إنّ الله حرّم لحومنا على الأرض فلا يطعم منها شيئاً.

النبيّ ﷺ يعرّف وصيّه[1]

إنّ رسول الله ﷺ عرّف أصحابه أمير المؤمنين عليه السلام مرّتين، وذلك أنّه قال لهم: أتدرون من وليّكم بعدي؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

[قال:] فإنّ الله تبارك وتعالى قد قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] يعني أمير المؤمنين وهو وليّكم بعدي.

والمرّة الثانية: يوم غدير خمّ حين قال: من كنتُ مولاه فعليّ مولاه.

النبيّ الخاتم ﷺ[3]

إنّ الله بعث محمداً نبيّاً فلا نبيّ بعده، أنزل عليه الكتاب فختم به الكتب فلا كتاب بعده، أحلّ فيه حلاله، وحرّم فيه حرامه، فحلاله حلال

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٦٧٤ ـ ٦٧٥: قال محمد بن العبّاس: حدّثنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٣) كشف الغمّة ٢/ ٤٣٠ ـ ٤٣١: عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام:...

إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، ثم أومأ بيده إلى صدره، وقال: ونحن نعلمه.

الأنبياء عليهم السلام والحضارة[1]

لما أهبط الله عزَّ وجلَّ آدم عليه السلام من الجنة أهبط معه عشرين ومائة قضيب منها أربعون ما يؤكل داخلها وخارجها، وأربعون منها ما يؤكل داخلها ويرمى بخارجها، وأربعون منها ما يؤكل خارجها ويُرمى بداخلها، وغِزارة فيها بزر كل شيء.

خيرة الأولين والآخرين[2]

إنّ الله لمّا خلق الخلق فجعله فرقتين فجعل خيرته في إحدى الفرقتين، ثم جعلهم أثلاثاً فجعل خيرته في إحدى الأثلاث ثم لم يزل يختار حتى اختار عبد مناف، ثم اختار من عبد مناف هاشماً ثم اختار من هاشم عبد المطلب ثم اختار من عبد المطلب عبد الله واختار من عبد الله محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان أطيب الناس ولادة، وأطهرها، فبعثه الله بالحق بشيراً ونذيراً، وأنزل عليه الكتاب، فليس من شيء إلاّ في الكتاب تبيانه.

الذاكرون رسول الله صلى الله عليه وآله[3]

من ذكر الله كتبت له عشر حسنات، ومن ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله كتبت له عشر حسنات، لأن الله تعالى قرن رسوله بنفسه.

---

(١) الخصال ٢/٦٠١، ح ٤: حدّثنا أبي ومحمد بن الحسن قالا: حدّثنا سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري جميعاً عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام:...

(٢) تفسير العياشي ١/٦، ح ١٢: عن محمد بن حمدان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) علل الشرائع ٢/٥٧٩: حدّثنا أبي «ره» عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الحميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

الذبيح إسماعيل عليه السلام(١)

كان إسماعيل أكبر من إسحاق بخمس سنين، وكان الذبيح إسماعيل عليه السلام أما تسمع قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٢) إنما سأل ربّه أن يرزقه غلاماً من الصالحين فقال في سورة الصّافات: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾(٣) يعني إسماعيل.

ثم قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٤) فمن زعم أن إسحاق أكبر من إسماعيل فقد كذّب بما أنزل الله من القرآن.

ما أيسر هذا؟(٥)

عن عامر بن عبد الله قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني زدت جمّالي دينارين أو ثلاثة على أن يمرّ بي على المدينة. فقال:

قد أحسنت ما أيسر هذا تأتي قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وتسلّم عليه، أما أنه ليسمعك من قريب ويبلغه عنك من بعيد.

مرّوا بالمدينة(٦)

مرّوا بالمدينة فسلّموا على رسول الله صلى الله عليه وآله من قريب وإن كانت الصلاة تبلغه من بعيد.

---

(١) تحف العقول ٣٧٥: قال عليه السلام: . . .

(٢) سورة الصافّات، الآية: ١٠٠.

(٣) سورة الصّافات، الآية: ١٠١.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٢٢.

(٥) كامل الزيارات ١٢، ب ٢، ح ٦: حدّثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة،...

(٦) فروع الكافي ٢/٥٥٢، ح ٥: عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد، عن حماد بن عثمان، عن إسحاق بن عمّار أن أبا عبد الله عليه السلام قال لهم:...

ولائيات

إسلام الشيخ[1]

إنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى عامله بالمدينة ـ وفي رواية هشام بن عبد الملك ـ: أن وَجِّه إليَّ محمد بن علي، فخرج أبي وأخرجني معه، فمضينا حتّى أتينا مدين شعيب، فإذا نحن بدَير عظيم البنيان وعلى بابه أقوام عليهم ثياب صوف خشنة، فألبسني والدي ولبس ثياباً خشنة، وأخذ بيدي حتّى جئنا وجلسنا عند القوم، فدخلنا مع القوم الدير.

فرأينا شيخاً قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، فنظر إلينا فقال لأبي: أنت منّا أم من هذه الأمّة المرحومة؟

قال: لا، بل من هذه الأمّة المرحومة.

قال: من علمائها أو من جهّالها؟

قال أبي: من علمائها.

قال: أسألك عن مسألة؟

---

(١) الخرائج ١/٢٩١، ح ٢٥، ب ٦: روي عن الصادق عليه السلام:...

قال [له]: سل [ما شئت].

قال: أخبرني عن أهل الجنّة إذا دخلوها وأكلوا من نعيمها هل ينقص من ذلك شيء؟

قال: لا.

قال الشيخ: ما نظيره؟

قال أبي: أليس التوراة والإنجيل والزبور والقرآن يؤخذ منها ولا ينقص منها [شيء]؟

قال: أنت من علمائها، ثم قال: أهل الجنّة هل يحتاجون إلى البول والغائط؟

قال أبي: لا.

قال: وما نظير ذلك؟

قال أبي: أليس الجنين في بطن أمّه يأكل ويشرب ولا يبوّل ولا يتغوّط؟

قال: صدقت.

قال: وسأل عن مسائل [كثيرة] وأجاب أبي [عنها].

ثم قال الشيخ: أخبرني عن توأمين ولدا في ساعة، وماتا في ساعة، عاش أحدهما مائة وخمسين سنة، وعاش الآخر خمسين سنة، من كانا؟ وكيف قصّتهما؟

قال أبي: هما عُزَير وعزرة، أكرم الله تعالى عزيراً بالنبوّة عشرين سنة، وأماته مائة سنة، ثم أحياه فعاش بعده ثلاثين سنة، وماتا في ساعة [واحدة]، فخرّ الشيخ مغشياً عليه.

فقال: فقام أبي وخرجنا من الدير، فخرج إلينا جماعة من الدير وقالوا: يدعوك شيخنا.

فقال أبي: ما لي إلى شيخكم من حاجة، فإن كان له عندنا حاجة فليقصدنا، فرجعوا ثم جاؤوا به وأُجلس بين يديّ أبي.

فقال [الشيخ]: ما اسمك؟

قال عليه السلام: محمد.

قال: أنت محمد النبيّ؟

قال: لا، أنا ابن بنته.

قال: ما اسم أمّك؟

قال: أمّي فاطمة.

قال: من أبوك؟

قال: اسمه عليّ.

قال: أنت ابن إليا بالعبرانيّة، وعليّ بالعربيّة؟

قال: نعم.

قال: ابن شبّر أم شبير؟

قال: إنّي ابن شبير.

قال الشيخ: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنَّ جدَّك محمّداً صلى الله عليه وآله رسول الله.

ثمّ ارتحلنا حتّى أتينا عبد الملك [ودخلنا عليه] فنزل من سريره واستقبل أبي وقال: عرضت لي مسألة فلم يعرفها العلماء فأخبرني إذا قتلت هذه الأمّة إمامها المفروض طاعته عليهم أيّ عبرة يريهم الله في ذلك اليوم؟

قال أبي: إذا كان كذلك لا يرفعون حجراً إلاّ ويرون تحته دماً عبيطاً.

فقبَّل عبد الملك رأس أبي وقال: صدقت، إنَّ في اليوم الّذي قُتل فيه أبوك عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان على باب أبي مروان حجر عظيم فأمر أن يرفعوه فرأينا تحته دماً عبيطاً يغلي، وكان لي أيضاً حوض كبير في بستاني، وكان حافّتاه حجارة سوداء، فأمرت أن ترفع ويوضع مكانها حجارة بيض، وكان في ذلك اليوم قتل الحسين عليه السلام فرأيت دماً عبيطاً يغلي تحتها، أفتقيم عندنا ولك من الكرامات ما تشاء أم ترجع؟

قال أبي: بل أرجع إلى قبر جدّي.

فأذن له بالانصراف، فبعث قبل خروجنا بريداً يأمر أهل كلّ منزل أن لا يطعمونا ولا يمكّنونا من النزول في بلد حتّى نموت جوعاً، فكلّما بلغنا منزلاً طردونا وفنى زادنا حتّى أتينا مدين شعيب، وقد أُغلق بابه، فصعد أبي جبلاً هناك مطلاً على البلد ـ أو مكاناً مرتفعاً عليه ـ فقرأ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ﴾ ثمّ رفع صوته وقال: أنا ـ والله ـ بقيّة الله.

فأخبروا الشيخ بقدومنا وأحوالنا، فحملوه إلى أبي، وكان معهم من الطعام كثير، فأحسن ضيافتنا، فأمر الوالي بتقييد الشيخ فقيّدوه ليحملوه إلى عبد الملك، لأنّه خالف أمره.

قال الصادق عليه السلام: فاغتممت [لذلك] وبكيت.

فقال والدي: لا بأس من عبد الملك بالشيخ، ولا يصل إليه، فإنّه

يتوفّى في أوّل منزل ينزله، وارتحلنا حتّى رجعنا إلى المدينة بجهد.

أشدّ الناس حسرة[١]

أبلغ موالينا عنّا السلام وأخبرهم أنّا لا نغني عنهم من الله شيئاً إلاّ بعمل، وأنّهم لن ينالوا ولايتنا إلاّ بعمل أو ورع، وأنَّ أشد الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثمّ خالفه إلى غيره.

كتمان سرّنا جهاد[٢]

نَفَس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمّه لنا عبادة، وكتمان سرّنا جهاد في سبيل الله.

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: يجب أن يكتب هذا الحديث بماء الذهب.

اجترّ مودّة الناس[٣]

يا مدرك رحم الله عبداً اجترّ مودّة الناس إلينا فحدّثهم بما يعرفون، وترك ما ينكرون.

---

(١) بحار الأنوار ٢/٢٨، ح ٧، عن قرب الإسناد: ابن سعد، عن الأزدي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) أمالي المفيد ٢٠٨، ب ٤٠، ح ٣: قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه رحمه الله، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، قال: حدّثنا سليمان بن سلمة الكندي محمد بن سعيد بن غزوان، وعيسى بن أبي منصور، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، قال...

(٣) أمالي الصدوق ٨٨، المجلس ٢١، ح ٧: حدّثنا علي بن الحسين بن شانويه المؤدّب، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن جعفر بن جامع الحميري، قال: حدّثنا أحمد بن محمد، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن مدرك بن الهزهاز، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:...

أمرنا صعب[1]

خالطوا الناس ممّا يعرفون، ودعوهم ممّا ينكرون، ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا، إنَّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.

نحن ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2]

أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بالأسباب، فجعل لكلّ شيء سبباً، وجعل لكلّ سبب شرحاً، وجعل لكلّ شرح مفتاحاً، وجعل لكلّ مفتاح علماً، وجعل لكلّ علم باباً ناطقاً، من عرفه عرف الله، ومن أنكره أنكر الله، ذلك رسول الله ونحن.

سلمتم وجحد الناس[3]

إنّ الله تبارك وتعالى أدّب نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم على محبّته فقال: إنّك لعلىٰ خُلُق عظيم.

وقال: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.

وقال: من يطع الرسول فقد أطاع الله، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوّض إلى عليّ عليه السلام، فسلّمتم وجحد الناس، فوالله فبحسبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله.

---

(١) بصائر الدرجات ٢٦، الجزء ١، ب ١٢، ح ٢: حدّثنا سلمة بن الخطّاب، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه، عن أبي بصير ومحمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) بحار الأنوار ٢/ ٩٠، ح ١٥، عن بصائر الدرجات: القاشاني، عن اليقطيني يرفعه، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٣) المحاسن ١٦٢، ح ١١١: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن ابن فضّال، عن عاصم بن حميد، عن أبي إسحاق النحوي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

من زار جدّي[١]

كنت عند الصادق عليه السلام ـ وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام ـ فقال:

يابن مارد من زار جدّي عارفاً بحقّه كتب الله له بكلّ خطوة حجّة مقبولة، وعمرة مبرورة.

يابن مارد والله ما يطعم الله النار قدماً تغبّرت في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً كان أو راكباً، اكتب هذا الحديث بماء الذهب.

مَثَل عليّ ومَثَلنا[٢]

إنّما مَثَل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومثلنا من بعده في هذه الأمّة كمثل موسى النبي ـ على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ والعالم حيث لقيه واستنطقه وسأله الصحبة، فكان من أمرهما ما اقتصّه الله لنبيّه صلى الله عليه وآله في كتابه، وذلك أنَّ الله قال لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

ثم قال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وقد كان عند العالم علم لم يكتب لموسى في الألواح، وكان موسى صلّى الله عليه يظنّ أنَّ جميع الأشياء التي يحتاج إليها في نبوّته وجميع العلم قد كتب له في الألواح، كما يظنّ هؤلاء الذين يدّعون أنَّهم

---

(١) فرحة الغري ٧٥، ب ٦: أخبرني الفقيه المقتدى نجيب الدين يحيى بن سعيد، عن محمد بن أبي البركات بن إبراهيم الصنعاني، عن الحسين بن رطبة، عن أبي علي، عن الطوسي، عن المفيد، عن محمد بن أحمد بن داود، عن أبي الحسين أحمد بن محمد الرازي المجاور قال: حدّثنا أبو محمد بن المغيرة الكوفي قال: حدّثنا الحسين بن محمد بن مالك، عن أخيه جعفر، عن رجاله يرفعه قال:....

(٢) الاختصاص ٢٥٨ و٢٥٩: إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:....

علماء فقهاء، وأنَّهم قد أُوتوا جميع الفقه والعلم في الدين ممّا يحتاج هذه الأمّة إليه وصحّ ذلك لهم عن رسول الله ﷺ وعلموه وحفظوه، وليس كلّ علم رسول الله ﷺ علموه ولا صار إليهم عن رسول الله ﷺ ولا عرفوه، وذلك أنَّ الشيء من الحلال والحرام والأحكام قد يرد عليهم فيسألون عنه فلا يكون عندهم فيه أثر من رسول الله ﷺ ويستحيون أن ينسبهم الناس إلى الجهل ويكرهون أن يسألوا فلا يجيبون فيطلب الناس العلم من معدنه فلذلك استعملوا الرأي والقياس في دين الله، تركوا الآثار ودانوا الله بالبدع، وقد قال رسول الله ﷺ: كلّ بدعة ضلالة، فلو أنَّهم إذ سئلوا عن شيء من دين الله فلم يكن عندهم فيه أثر عن رسول الله ﷺ ردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم من آل محمد والذين يمنعهم من طلب العلم منّا العداوة لنا والحسد، ولا والله ما حسد موسى العالم ـ وموسى نبيّ الله يوحى إليه ـ حيث لقيه واستنطقه وعرفه بالعلم بل أقرّ له بعلمه ولم يحسده كما حَسَدَتنا هذه الأمّة بعد رسول الله ﷺ علمنا وما ورثنا عن رسول الله ﷺ، ولم يرغبوا إلينا في علمنا كما رغب موسى إلى العالم وسأله الصحبة فيتعلّم منه العلم ويرشده، فلمّا أن سأل العالم ذلك علم العالم أنَّ موسى لا يستطيع صحبته ولا يحتمل علمه ولا يصبر معه فعند ذلك قال له العالم: إنّك لن تستطيع معي صبراً.

فقال له موسى عليه السلام: ولِمَ لا أصبر؟

فقال له العالم: وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً.

فقال له موسى ـ وهو خاضع له يستعطفه على نفسه كي يقبله ـ: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً.

وقد كان العالم يعلم أنَّ موسى لا يصبر على علمه، فكذلك والله يا إسحاق حال قضاة هؤلاء وفقهائهم وجماعتهم اليوم لا يحتملون والله علمنا ولا يقبلونه ولا يطيقونه ولا يأخذون به ولا يصبرون عليه، كما لم يصبر موسى عليه السلام على علم العالم حين صحبه ورأى ما رأى من علمه، وكان ذلك عند موسى مكروهاً، وكان عند الله رضا وهو الحقّ، وكذلك علمنا عند الجهلة مكروه لا يؤخذ به وهو عند الله الحقّ.

آثار النبوّة عندنا(١)

إنّا أهل البيت عندنا معاقل العلم، وآثار النبوّة، وعلم الكتاب، وفصل ما بين ذلك.

نحن وشيعتنا(٢)

يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة آخذاً بحجزة ربّه، ونحن آخذون بحجزة نبيّنا، وشيعتنا آخذون بحجزتنا، فنحن وشيعتنا حزب الله، وحزب الله هم الغالبون، والله ما نزعم أنّها حجزة الإزار، ولكنّها أعظم من ذلك.

يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله آخذاً بدين الله، ونجيء نحن آخذين بدين نبيّنا، وتجيء شيعتنا آخذين بديننا.

---

(١) بصائر الدرجات ٣٦٣، الجزء ٧، ح ٤: حدّثنا محمد بن عيسى، عن النضر بن سويد، عن الحسن بن يحيى، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٢) التوحيد ١٦٦، ب ٢٣، ح ٣: حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمد بن عمران الدقّاق ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدّثني عليّ بن العبّاس، قال: حدّثنا الحسن بن يوسف، عن عبد السلام، عن عمّار بن أبي اليقظان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

النور والبرهان[١]

عن عبد الله بن سليمان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ قال:

البرهان محمد صلى الله عليه وآله والنور عليّ عليه السلام.

قال: قلت: قوله: ﴿صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾؟

قال: الصراط المستقيم عليّ عليه السلام.

الله والمؤمن[٢]

إنّ الله تعالى لم يجعل للمؤمن أجلاً في الموت، يبقيه ما أحبّ البقاء فإذا علم منه أنَّه سيأتي بما فيه بوار دينه قبضه إليه مكرماً.

خلق خلقاً لحبّنا[٣]

إنّ الله خلق خلقه، فخلق خلقاً لحبّنا لو أنَّ أحداً خرج من هذا الرأي لردّه الله، وإن رغم أنفه، وخلق قوماً لبغضنا فلا يحبّوننا أبداً.

---

(١) تفسير العياشي ١/٢٨٥، ح ٣٠٨:...

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ١/٣١١، المجلس ١١، ح ٥٧: (أخبرنا) الشيخ المفيد أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد الطوسي رضي الله عنه قال: حدّثنا الشيخ السعيد الوالد رحمه الله، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري، قال: أخبرنا أبو محمد هارون بن موسى، قال: حدّثنا محمد بن همام، قال: حدّثنا عليّ بن الحسين الهمداني، قال: حدّثنا محمد بن خالد البرقي، قال: حدّثنا محمد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) المحاسن ٢٨٠، ب ٤١، ح ٤٠٧: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن الوشّاء، عن مثنّى الحنّاط، عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

كونوا دعاة بأعمالكم[1]

كونوا دعاة الناس بأعمالكم، ولا تكونوا دعاة بألسنتكم، فإنّ الأمر ليس حيث يذهب إليه الناس أنَّه من أخذ ميثاقه أنّه منّا فليس بخارج منّا ولو ضربنا خيشومه بالسيف، ومن لم يكن منّا ثمّ حبونا له الدنيا لم يحبّنا.

اجعلوا أمركم لله[2]

اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس، فإنّه ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله، ولا تخاصموا الناس بدينكم، فإنّ الخصومة ممرضة للقلب، إنّ الله قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: يا محمد ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ قال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ذروا الناس فإنّ الناس أخذوا من الناس وإنّكم أخذتم من رسول الله وعليّ ولا سواء، إنّي سمعت أبي عليه السلام وهو يقول: إنّ الله إذا كتب إلى عبد أن يدخل في هذا الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكره.

المؤمن لا ينجس[3]

عن صالح بن سهل الهمداني، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك من أيّ شيء خلق الله طينة المؤمن؟ قال:

من طينة الأنبياء فلن ينجس أبداً.

---

(١) قرب الإسناد ٣٧ ـ ٣٨: عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:...

(٢) تفسير العياشي ٢/١٣٧، ح ٤٨: عن عليّ بن عقبة، عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٣) المحاسن ١٣٣، ب ٣، ح ٧: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه...

عرّف إيمانهم بولايتنا[١]

عن الحسين بن نعيم الصحّاف، قال: سألت الصادق عليه السلام عن قوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ فقال:

عرّف الله عزَّ وجلَّ إيمانهم بولايتنا، وكفرهم بتركها، يوم أخذ عليهم الميثاق وهم في عالم الذرّ، وفي صلب آدم عليه السلام.

علامة المؤمن[٢]

عن ابن أُذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنّا عنده فذكرنا رجلاً من أصحابنا فقلنا: فيه حدّة، فقال: من علامة المؤمن أن يكون فيه حدّة، قال: فقلنا له: إنّ عامّة أصحابنا فيهم حدّة، فقال:

إنّ الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم أمر أصحاب اليمين ـ وأنتم هم ـ أن يدخلوا النار فدخلوها فأصابهم وهج فالحدّة من ذلك الوهج، وأمر أصحاب الشمال ـ وهم مخالفوهم ـ أن يدخلوا النار فلم يفعلوا فمن ثمَّ لهم سمت ولهم وقار.

طينتنا وطينتكم واحدة[٣]

عن أبي بصير، قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام ومعي رجل من أصحابنا فقلت له: جُعلتُ فداك يابن رسول الله إنّي لأغتمّ وأحزن من غير

---

(١) تفسير عليّ بن إبراهيم ٢/٣٧١: حدّثنا علي بن الحسين، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن ابن محبوب...

(٢) علل الشرائع ١/٨٥، ب ٨٠، ح ١: أبي رحمه الله قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير...

(٣) علل الشرائع ١/٩٣ و٩٤، ب ٨٤، ح ٢: حدّثنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا محمد بن يحيى العطّار، قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن مالك، قال: حدّثنا أحمد بن مدين من ولد مالك بن الحارث الأشتر، عن محمد بن عمّار، عن أبيه...

أن أعرف لذلك سبباً، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

إنّ ذلك الحزن والفرح يصل إليكم منّا، لأنّا إذا دخل علينا حزن أو سرور كان ذلك داخلاً عليكم، لأنّا وإيّاكم من نور الله عزَّ وجلَّ، فجعلنا وطينتنا وطينتكم واحدة، ولو تركت طينتكم كما أخذت لكنّا وأنتم سواء، ولكن مزجت طينتكم بطينة أعدائكم، فلولا ذلك ما أذنبتم ذنباً أبداً.

قال: قلت: جُعلتُ فداك أفتعود طينتنا ونورنا كما بدا؟

فقال: أي والله يا عبد الله، أخبرني عن هذا الشعاع الزاهر من القرص إذا طلع، أهو متّصل به أو باين منه؟

فقلت له: جُعلتُ فداك بل هو باين منه؟

فقال: أفليس إذا غابت الشمس وسقط القرص عاد إليه فاتّصل به كما بدا منه؟

فقلت له: نعم.

فقال: كذلك والله شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون، والله إنّكم لملحقون بنا يوم القيامة، وإنّا لنشفع فنُشفَّع، ووالله إنّكم لتشفعون فتُشَفَّعون، وما من رجل منكم إلاّ وسترفع له نار عن شماله، وجنّة عن يمينه، فيدخل أحبّاءه الجنّة، وأعداءه النار.

الأبرار والفجّار[1]

إنّ الله تبارك وتعالى خلقنا من نور مبتدع من نور رسخ ذلك النور في طينة من أعلى علّيين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلق منه أبداننا، وخلق

---

(١) علل الشرائع ١/١١٧، ب ٩٦، ح ١٤: حدّثنا عليّ بن أحمد، قال: حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل رفعه إلى محمد بن سنان، عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

أبدانهم من طينة دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا، لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه، ثمّ قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ وإنّ الله تبارك وتعالى خلق قلوب أعدائنا من طينة من سجّين، وخلق أبدانهم من طينة من دون ذلك وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلق منه أبدانهم فقلوبهم تهوى إليهم، ثمّ قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

هؤلاء حملة ديني(١)

لمّا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه، ثمّ قال لهم: من ربّكم؟ فأوّل من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين، فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلم والدين.

ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي، وهم المسؤولون.

ثمّ قال لبني آدم: أقرّوا لله بالربوبيّة، ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية.

فقالوا: نعم ربّنا أقررنا.

فقال الله جلّ جلاله للملائكة: اشهدوا.

فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا غداً: إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو يقولوا: إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرّية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون، يا داود الأنبياء مؤكّدة عليهم في الميثاق.

---

(١) علل الشرائع ١/١١٨، ب ٩٧، ح ٢: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الرحمن بن كثير، عن داود الرقّي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

لن يبتلوا بأربعة(١)

ما ابتلى الله به شيعتنا فلن يبتليهم بأربع: بأن يكونوا لغير رشدة، أو أن يسألوا بأكفّهم، أو أن يؤتوا في أدبارهم، أو أن يكون فيهم أخضر أزرق.

أطفال شيعتنا(٢)

قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فإنه حدَّثني أبي، عن سليمان الديلمي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إنّ أطفال شيعتنا من المؤمنين تربّيهم فاطمة عليها السلام وقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: يهدون إلى آبائهم يوم القيامة.

أطفال المؤمنين(٣)

إنّ الله تبارك وتعالى كفّل إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين يغذوانهم بشجرة في الجنَّة لها أخلاف كأخلاف البقر في قصر من درّة فإذا كان يوم القيامة ألبسوا وطيّبوا واهدوا إلى آبائهم، فهم ملوك في الجنَّة مع آبائهم، وهو قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

إذا التقى المؤمنان(٤)

عن إسحاق بن عمّار، قال: قال لي إسحاق لمّا كثر مالي أجلستُ

---

(١) الخصال ١/٢٢٤، ح ٥٦: حدّثنا أبي رضي الله عنه عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله الرقي، عن عدّة من أصحابنا، عن عليّ بن أسباط، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:...

(٢) تفسير عليّ بن إبراهيم ٢/٣٣٢:...

(٣) من لا يحضره الفقيه ٣/٤٩٠، ح ٤٧٣٢: في رواية الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٤) قضاء حقوق المؤمنين ٢٧ و٢٨، ح ٣٦: حدّثنا إسماعيل بن مهران، عن محمد بن سليمان الديلمي،...

على بابي بوّاباً يردّ عنّي فقراء الشيعة، فخرجتُ إلى مكّة في تلك السنة فسلّمت على أبي عبد الله عليه السلام، فردَّ عليَّ بوجه قاطب مزور، فقلت له: جُعلت فداك ما الّذي غيَّر حالي عندك؟ قال: تغيّرك على المؤمنين، فقلت: جُعلت فداك والله إنّي لأعلم أنّهم على دين الله ولكن خشيت الشهرة على نفسي. فقال:

يا إسحاق أما علمت أنّ المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أنزل الله بين إبهاميهما مائة رحمة، تسعة وتسعين لأشدّهما حبّاً، فإذا اعتنقا غمرتهما الرحمة، فإذا التثما لا يريدان بذلك إلاّ وجه الله تعالى قيل لهما: غُفِر لكما، فإذا جلسا يتساءلان قالت الحفظة بعضها لبعض: اعتزلوا بنا عنهما فإنّ لهما سرّاً وقد ستره الله عليهما.

قلت: جُعلت فداك فلا تسمع الحفظة قولهما ولا تكتبه وقد قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾؟

فنكس رأسه طويلاً ثمّ رفعه وقد فاضت دموعه على لحيته، وقال:

إن كانت الحفظة لا تسمعه ولا تكتبه فقد سمعه عالم السرّ وأخفى، يا إسحاق خف الله كأنّك تراه، فإن كنت لا تراه فإنّه يراك، فإن شككتَ أنّه يراك فقد كفرتَ، وإن أيقنتَ أنّه يراك ثمّ بارزتَه بالمعصية فقد جعلتَه أهون الناظرين إليك.

المؤمن والحسنات[1]

إنّ المؤمن لَيَهُمُّ بالحسنة ولا يعمل بها فتكتب له حسنة، فإن هو

---

(١) أصول الكافي ٢/٤٢٨ ـ ٤٢٩، ح ٢: عدّة من أصحابنا عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

عملها كتبت له عشر حسنات، وإنّ المؤمن ليهمّ بالسيّئة أن يعملها فلا يعملها فلا تُكتب عليه.

العبادة في كلّ حال(١)

عن سدير الصيرفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلتُ عليه وعنده أبو بصير وميسر وعدّة من جلسائه، فلمّا أن أخذت مجلسي أقبل عليّ بوجهه، وقال:

يا سدير أما إنّ وليّنا ليعبد الله قائماً وقاعداً ونائماً وحيّاً وميّتاً.

قال: قلت: جُعلتُ فداك أمّا عبادته قائماً وقاعداً وحيّاً فقد عرفنا، فكيف يعبد الله نائماً وميّتاً؟

قال: إنّ وليّنا ليضع رأسه فيرقد فإذا كان وقت الصلاة وكل به ملكين خلقا في الأرض لم يصعدا إلى السماء ولم يريا ملكوتهما، فيصلّيان عنده حتّى ينتبه فيكتب الله ثواب صلاتهما له، والركعة من صلاتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميّين، وإنّ وليّنا ليقبضه الله إليه فيصعد ملكاه إلى السماء فيقولان: يا ربّنا عبدك فلان بن فلان انقطع واستوفى أجله، ولأنت أعلم منّا بذلك، فأذن لنا نعبدك في آفاق سمائك وأطراف أرضك.

قال: فيوحي الله إليهما أنَّ في سمائي لمن يعبدني وما لي في عبادته من حاجة بل هو أحوج إليها، وأنَّ في أرضي لمن يعبدني حقّ عبادتي، وما خلقتُ خلقاً أحوج منه إليّ منه فاهبطا إلى قبر وليّي.

فيقولان: يا ربّنا من هذا يسعد بحبّك إيّاه.

---

(١) بحار الأنوار ٥/٣٢٧ و٣٢٨، الباب ١٧، ح ٢٣: وروى الصدوق رحمه الله في كتاب فضائل الشيعة: عن أبيه، عن سعد، عن عبّاد بن سليمان...

قال: فيوحي الله إليهما ذلك من أخذ ميثاقه بمحمد عبدي ووصيّه وذرّيتهما بالولاية، اهبطا إلى قبر وليّي فلان بن فلان فصلّيا عنده إلى أن أبعثه في القيامة.

قال: فيهبط الملكان فيصلّيان عند القبر إلى أن يبعثه الله، فيكتب ثواب صلاتهما له، والركعة من صلاتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميّين.

قال سدير: جُعلتُ فداك يابن رسول الله فإذاً وليّكم نائماً وميّتاً أعبد منه حيّاً وقائماً؟

قال: فقال: هيهات يا سدير! إنّ وليّنا ليؤمن على الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة فيجيز أمانه.

الملائكة وأقلام الذهب(١)

إذا كان يوم الخميس عند العصر أهبط الله عزَّ وجلَّ ملائكة من السماء إلى الأرض، معها صحائف من فضّة، بأيديهم أقلام من ذهب تكتب الصلاة على محمد وآله إلى غروب الشمس.

نحن أولاد عليّ(٢)

إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد

---

(١) محاسبة النفس، للسيّد ابن طاوُس ٢٢، ب ٣: من كتاب التذيّل لمحمد بن النجّار، بإسناده إلى جعفر بن محمد عليهما السلام قال:...

(٢) أمالي الصدوق ٢٣٤، المجلس ٤٧، ح ١٨: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنا محمد بن يحيى العطّار، عن محمد بن أحمد الأشعري، عن سلمة ابن الخطّاب، عن الحسين بن سعيد الأزدي، عن إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الله بن صباح، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:...

فتغشاهم ظلمة شديدة فيضجّون إلى ربّهم ويقولون: يا ربّ اكشف عنّا هذه الظلمة.

قال: فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة فيقول أهل الجمع: هؤلاء أنبياء الله، فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بأنبياء، فيقول أهل الجمع: فهؤلاء ملائكة، فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بملائكة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء، فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بشهداء، فيقولون: من هم؟ فيجيئهم النداء: يا أهل الجمع سلوهم من أنتم.

فيقول أهل الجمع: من أنتم؟

فيقولون: نحن العلويّون، نحن ذريّة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، نحن أولاد عليّ وليّ الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنون.

فيجيئهم النداء من عند الله عزَّ وجلَّ: اشفعوا في محبّيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم، فيشفعون فيشفَّعون.

المتّقون والقيامة(١)

القيامة عرس المتَّقين.

الله وعبده المحتاج(٢)

إنّ الله ليتعذَّر إلى عبده المؤمن المحتاج ـ كان في الدنيا ـ كما يتعذّر

---

(١) الخصال ١/٣١، ح ٤٦: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل رضي الله عنه قال: حدّثنا محمد بن يحيى العطّار، عن محمد بن أحمد، عن علي بن محمد القاشاني، عمّن ذكره، عن عبد الله بن القاسم الجعفري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) التمحيص ٤٦، ح٦٥: عن عليّ بن عفّان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

الأخ إلى أخيه، فيقول: لا وعزّتي ما أفقرتك لهوان بك عليّ، فارفع هذا الغطاء فانظر ما عوّضتك من الدنيا، فيكشف الغطاء فينظر إلى ما عوّضه الله من الدنيا، فيقول: ما يضرّني ما منعتني عمّا عوَّضتني.

نحن عترة الرسول(١)

عن فيضة بن يزيد الجعفي، قال: دخلتُ على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، وعنده البوس بن أبي الدرس [الدوس ـ خ] وابن ظبيان والقاسم بن الصيرفي فسلّمت وجلست وقلت: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أتيتك مستفيداً. قال: سل وأوجز. قلت: أين كنتم قبل أن يخلق الله سماءً مبنيَّة وأرضاً مدحيّة وطوداً أو ظلمة ونوراً؟ قال:

يا فيضة لِمَ سألتنا عن هذا الحديث في مثل هذا الوقت؟ أما علمت أنَّ حبّنا قد اكتتم وبغضنا قد نشأ، وأنَّ لنا أعداء من الجنّ يخرجون حديثنا إلى أعدائنا من الإنس، وأنَّ الحيطان لها آذان كآذان الناس؟

قال: قلت: قد سُئلت عن ذلك.

قال: يا فيضة كنّا أشباح نور حول العرش نسبّح الله قبل أن يخلق آدم بخمسة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم فرغنا في صلبه فلم يزل ينقلنا من صلب طاهر إلى رحم مطهّر حتّى بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله فنحن عروة الله الوثقى، من استمسك بنا نجا، ومن تخلّف عنّا هوىٰ، لا نُدخله في باب ردى، ولا نُخرجه من باب هدىٰ، ونحن رعاة شمس الله، ونحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن القبّة الّتي طالت أطنابها واتّسع فناؤها، من ضوىٰ

(١) تفسير فرات بن إبراهيم ٢٠٧ ـ ٢٠٨: فرات قال: حدَّثني جعفر بن محمد الفزاري، معنعناً...

إلينا نجا إلى الجنّة ومن تخلّف عنّا هوىٰ إلى النار.

وقلت: لوجه ربّي الحمد، أسألك عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾؟[1].

قلت: وإنّما أسألك عن التفسير؟

قال: فينا نزل التنزيل.

قال: نعم يا فيضة إذا كان يوم القيامة جعل الله حساب شيعتنا علينا فما كان بينهم وبين الله استوهبه محمد صلى الله عليه وآله من الله، وما كان فيما بينهم وبين الناس من المظالم أدّاه محمد صلى الله عليه وآله عنهم، وما كان فيما بيننا وبينهم وهبناه لهم حتّى يدخلوا الجنّة بغير حساب.

شيعتنا في القيامة[2]

إنّ الله يبعث شيعتنا يوم القيامة على ما فيهم من ذنوب أو غيره مبيضّة وجوههم، مستورة عوراتهم، آمنة روعتهم، قد سهّلت لهم الموارد، وذهبت عنهم الشدائد، يركبون نوقاً من ياقوت، فلا يزالون يدورون خلال الجنّة، عليهم شراك من نور يتلألأ، توضع لهم الموائد فلا يزالون يطعمون والناس في الحساب، وهو قول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

---

(١) سورة الغاشية، الآيتان: ٢٥ و٢٦.

(٢) المحاسن ١٧٨ و١٧٩، ب ٤١، ح ١٦٦: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن حمزة بن عبد الله الجعفري، عن أبي الحسن الدهني، وعن جميل بن درّاج، عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

الأقربون عند الله[١]

يا حسين شيعتنا ما أقربهم من الله وأحسن صنع الله إليهم يوم القيامة! والله لولا أن يدخلهم وهن ويستعظم الناس ذلك لسلّمت عليهم الملائكة قُبُلاً.

شيعتنا يوم القيامة[٢]

إذا كان يوم القيامة يدعىٰ الناس جميعاً بأسمائهم وأسماء أمّهاتهم ستراً من الله عليهم إلاّ شيعة عليّ عليه السلام فإنّهم يدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم، وذلك أن ليس فيهم عُهّار.

المؤمن معفوّ[٣]

ثلاثة أشياء لا يحاسب العبد المؤمن عليهنّ: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه.

شهود القيامة[٤]

عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ:

---

(١) المحاسن ١٨٢، ب ٤٣، ح ١٧٨: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن سعدان بن مسلم، عن الحسين بن أبي العلاء، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) المحاسن ١٤١، ب ٩، ح ٣٤: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن القاسم بن يحيى، عن الحسن بن راشد، عن الحسين بن علوان، وحدّثني عن أحمد بن عبيد، عن الحسين بن علوان، عمَّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) المحاسن ٣٩٩، ب ٦، ح ٨٠: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن ابن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٤) أصول الكافي ١/ ١٩٠، ح ١: علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد القنديّ...

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾(١) قال:

نزلت في أُمّة محمد صلى الله عليه وآله خاصّة، في كلّ قرن منهم إمام منّا شاهد عليهم، ومحمد صلى الله عليه وآله شاهد علينا.

الله يحتجّ بكم(٢)

إنّ الرجل منكم ليكون في المحلّة فيحتجّ الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة على جيرانه [به] فيقال لهم: ألم يكن فلان بينكم؟ ألم تسمعوا كلامه؟ ألم تسمعوا بكاءه في اللّيل؟ فيكون حجّة الله عليهم.

صحيفة شيعتنا(٣)

عن سليمان بن خالد، قال: قرأت على أبي عبد الله عليه السلام هذه الآية: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾(٤) فقال:

هذه فيكم، إنّه يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتّى يوقف بين يديّ الله عزَّ وجلَّ، فيكون هو الّذي يلي حسابه فيوقفه على سيّئاته شيئاً شيئاً، فيقول: عملتَ كذا في يوم كذا في ساعة كذا.

فيقول: أعرف يا ربّ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٥.

(٢) روضة الكافي ٨٤، ح ٤٣: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن عيثم النخّاس، عن معاوية بن عمّار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٣) بحار الأنوار ٧/٢٨٨، ح ٥: عن المحاسن: ابن فضّال، عن علي بن عقبة، عن أبيه،...

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

قال: حتّى يوقفه على سيّئاته كلّها، كلّ ذلك يقول: أعرف.

فيقول: سترتها عليك في الدنيا، وأغفرها لك اليوم، أبدلوها لعبدي حسنات.

قال: فتُرفع صحيفته للناس فيقولون: سبحان الله! أما كانت لهذا العبد سيّئة واحدة؟! وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾.

الله وعبده المؤمن[1]

إنّ الله تبارك وتعالى ليمنّ على عبده يوم القيامة، فيأمره أن يدنو منه، فيدنو ثمّ يعرّفه ما أنعم به عليه، يقول له: ألم تدعني يوم كذا وكذا بكذا وكذا فأجبتُ دعوتَك؟ ألم تسألني يوم كذا وكذا فأعطيتُك مسألتَك؟ ألم تستغث بي يوم كذا وكذا فأغثتُك؟ ألم تسألني في ضرّ كذا وكذا فكشفتُ ضرّك ورحمتُ صوتك؟ ألم تسألني مالاً فملّكتُك؟ ألم تستخدمني فأخدمتُك؟ ألم تسألني أن أزوّجك فلانة ـ وهي منيعة عند أهلها ـ فزوّجناكها؟

قال: فيقول العبد: بلىٰ يا ربّ أعطيتني كلّ ما سألتك، وقد كنت أسألك الجنّة.

قال: فيقول الله: ألا فإنّي منجز لك ما سألتنيه، هذه الجنّة لك مباحة، أرضيتك؟ [أرضيت: خ ل].

---

(١) بحار الأنوار ٧/٢٨٩، ح ٨، عن تفسير القمي: أبي، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله ﷺ قال:...

فيقول المؤمن: نعم يا ربّ أرضيتَني وقد رضيتُ.

فيقول الله له: عبدي إنّي كنت أرضى أعمالك وأنا أرضى لك أحسن الجزاء، فإنّ أفضل جزائي عندي أن أسكنتك الجنّة.

المؤمن وكتابه[١]

إنّ المؤمن يُعطىٰ يوم القيامة كتاباً منشوراً مكتوب فيه: كتاب الله العزيز الحكيم أدخلوا فلاناً الجنَّة.

قسيم النار والجنّة[٢]

إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه الخلائق، يصعده رجل، يقوم ملك عن يمينه وملك عن شماله ينادي الّذي عن يمينه: يا معشر الخلائق هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام صاحب الجنَّة يدخلها من يشاء، وينادي الذي عن يساره: يا معشر الخلائق هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام صاحب النار يدخلها من يشاء.

المؤمن التائب[٣]

إذا تاب العبد المؤمن توبة نصوحاً أحبّه الله، فستر عليه في الدنيا والآخرة.

---

(١) الزهد ٩٢، ب ١٧، ح ٢٤٧: القاسم، عن عليّ، عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٢) بصائر الدرجات ٤١٥، الجزء ٨، ب ١٨، ح ٦: حدّثنا أحمد بن الحسين، عن أحمد بن إبراهيم، عن محمد بن جمهور، عن عبد الله، عن عبد الرحمن، عن سماعة بن مهران، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٣) ثواب الأعمال ٢٠٥، ب ٢٧٨، ح ١: أبي رحمه الله قال: حدّثني أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

قلت: وكيف يستر عليه؟

قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، وأوحى الله إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، وأوحى إلى بقاع الأرض: اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب.

المؤمن والمعصية[1]

ما من مؤمن يذنب ذنباً إلا أجّل سبع ساعات، فإن استغفر الله غفر له، وإنّه ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة فيستغفر الله فيغفر له، وإنّ الكافر لينسى ذنبه لئلاّ يستغفر الله.

لا تؤاخَذُون في القيامة[2]

اتّقوا الذنوب وحذّروها إخوانكم فوالله ما العقوبة إلى أحد أسرع منها إليكم، لأنّكم لا تؤاخذون بها يوم القيامة.

الله والمؤمن[3]

قال الله تبارك وتعالى: ليأذن بحرب منّي مستذلّ عبدي المؤمن، وما تردّدتُ عن شيء كتردّدي في موت المؤمن، إنّي لأحبّ لقاءه ويكره الموت فأصرفه عنه، وإنّه ليدعوني في الأمر فأستجيب له لما هو خير له، وأجعل له من إيمانه أنساً لا يستوحش فيه إلى أحد.

---

(١) كتاب الزهد ٧٤، ب ١٢، ح ١٩٧: بعض أصحابنا عن عليّ بن شجرة، عن عيسى بن راشد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:...

(٢) بحار الأنوار ٦/٥٧، ب ٢٢، ح ٨، عن دعوات الراوندي: قال الصادق عليه السلام:...

(٣) المحاسن ١٦٠، ح ١٠٠: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمد بن علي الحلبي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

المؤمن والموت[1]

عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلتُ فداك يستكره المؤمن على خروج نفسه؟ قال: فقال: لا والله، قال: قلت: وكيف ذاك؟ قال:

إنَّ المؤمن إذا حضرته الوفاة حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وجميع الأئمّة عليهم الصلاة والسلام ـ ولكن التوى [اكنوا] عن اسم فاطمة ـ ويحضره جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وملك الموت عليهم السلام.

قال: فيقول: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: يا رسول الله إنّه كان ممّن يحبّنا ويتولاّنا فأحبّه.

قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرئيل إنّه كان ممّن يحبّ عليّاً وذرّيته فأحبّه.

قال: فيقول جبرئيل لميكائيل وإسرافيل عليهما السلام مثل ذلك.

قال: ثمّ يقولون جميعاً لملك الموت: إنّه كان يحبّ محمداً وآله ويتولّى عليّاً وذرّيته فارفق به.

قال: فيقول ملك الموت: والّذي اختاركم وكرّمكم واصطفىٰ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوّة، وخصّه بالرسالة لأنا أرفق به من والد رفيق، وأشفق من أخ شفيق.

ثمَّ مال إليه ملك الموت فيقول له: يا عبد الله أخذتَ فكاك رقبتك؟ أخذتَ رهان أمانك؟

---

(١) تفسير فرات بن إبراهيم ٢٠٩: حدّثنا أبو القاسم العلوي معنعناً...

فيقول: نعم.

فيقول الملك: فبماذا؟

فيقول: بحبّي محمداً وآله، وموالاتي عليّ بن أبي طالب وذرّيته.

فيقول: أمّا ما كنتَ تحذر فقد آمنك الله منه، وأمّا ما ترجو فقد أتاك الله به، افتح عينيك فانظر إلى ما عندك.

قال: فيفتح عينيه فينظر إليهم واحداً واحداً، ويفتح له باب إلى الجنَّة فينظر إليها، فيقول له: هذا ما أَعدَّ الله لك، وهؤلاء رفقاؤك، أفتحبّ اللحاق بهم أو الرجوع إلى الدنيا؟

قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام:

أما رأيت شخصه ورفعة حاجبيه إلى فوق من قوله: لا حاجة لي إلى الدنيا ولا الرجوع إليها، ويُناديه مُناد من بطنان العرش يسمعه ويسمع من بحضرته: يا أيّتها النفس المطئنَّة إلى محمد ووصيّه والأئمّة من بعده اِرجعي إلى ربّك راضية بالولاية، مرضيّة بالثواب، فادخلي في عبادي مع محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته وادخلي جنَّتي غير مشوبة.

حزن أو سرور؟[1]

الميّت تدمع عينه عند الموت، فقال: ذلك عند معاينة رسول الله صلى الله عليه وآله يرى ما يسرّه.

قال: ثمّ قال: ترى الرجل يرى ما يسرّه فتدمع عينه ويضحك.

---

(١) علل الشرائع ١/٣٠٦ و٣٠٧، ب ٢٥٣، ح ١: أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه عليّ بن مهزيار، عن فضالة بن أيّوب، عن معاوية بن وهب، عن يحيى بن سابور، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

المؤمن وضغطة القبر(١)

من مات ما بين زوال الشمس يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاذه الله من ضغطة القبر.

ملاك الإيمان(٢)

من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المِعراج، والمساءلة في القبر، والشفاعة.

المؤمن وكرامته(٣)

عن يونس بن ظبيان، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين بعد موتهم؟ قلت: يقولون: في حواصل طيور خضر، فقال:

سبحان الله المؤمن أكرم على الله من ذلك، إذا كان ذلك أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم ملائكة الله

---

(١) أمالي الصدوق ٢٣١، المجلس ٤٧، ح ١١: حدّثنا محمد بن الحسن رحمه الله قال: حدّثني سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران والحسين بن سعيد، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز بن عبد الله السجستاني، عن أبان بن تغلب، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال:...

(٢) أمالي الصدوق ٢٤٢، المجلس ٤٩، ح ٥: حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان، قال: حدّثنا الحسن بن علي السكري، قال: حدّثنا محمد بن زكريّا الجوهري، قال: حدّثنا محمد بن عمّار، عن أبيه، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:...

(٣) أمالي الشيخ الطوسي ٢/٢٣، ب ١٤، ح ٨٩: المفيد، عن ابن قولويه، قال: أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرنا أبو القاسم جعفر بن محمد، عن محمد بن همام، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن الحسين بن أحمد،...

عزّ وجلّ المقرّبون، فإن أنطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد، وللنبيّ ﷺ بالنبوّة، والولاية لأهل البيت شهد على ذلك رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والملائكة المقرّبون معهم، وإن اعتُقل لسانه فإنّ نبيّه ﷺ يعلم ما في قلبه من ذلك فيشهد به، وشهد على شهادة النبيّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين على جماعتهم من الله أفضل الصلاة والسلام، ومن حضر معهم من الملائكة فإذا قبض الله روحه إليه صيَّر تلك الروح إلى الجنَّة في صورة كصورته في الدنيا فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة الّتي كانت في الدنيا.

المؤمن إذا نام[1]

إنّ المؤمنين إذا أخذوا مضاجعهم أصعد الله بأرواحهم إليه، فمن قضى له عليه الموت جعله في رياض الجنّة في كنوز رحمته، ونور عزّته، وإن لم يقدّر عليه الموت بعث بها مع أمنائه من الملائكة إلى الأبدان الّتي هي فيها.

أرواح المؤمنين[2]

عن إبراهيم بن إسحاق الجازي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أين أرواح المؤمنين؟ فقال:

---

(١) المحاسن ١٧٨، ب ٤٠، ح ١٦٣: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن حمزة بن عبد الله، عن جميل بن درّاج، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) المحاسن ١٧٨، ب ٤٠، ح ١٦٥: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن الحسن بن محبوب،...

أرواح المؤمنين في حجرات في الجنّة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها، ويقولون: **ربنا أقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا.**

قال: قلت: فأين أرواح الكفّار؟

فقال: في حجرات في النار، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها ويتزاورون فيها، ويقولون: **ربَّنا لا تُقم لنا الساعة لتُنجز لنا ما وعدتنا.**

موت أو شهادة(١)

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي:

يا أبا محمّد إنّ الميّت منكم على هذا الأمر شهيد.

قلت: وإن مات على فراشه؟

قال: إي والله، وإن مات على فراشه حيّ عند ربّه يُرزَق.

المؤمن يزور أهله(٢)

إنّ المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحبّ ويستر عنه ما يكره، وإنَّ الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحبّ.

قال: ومنهم من يزور كلّ جمعة ومنهم من يزور على قدر عمله.

---

(١) المحاسن ١٦٤، ب ٣٢، ح ١١٦: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى بن عمران الحلبي، عن ابن مسكان،...

(٢) فروع الكافي ١/ ٢٣٠، ح ١: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

المؤمن والنكيران[(١)]

إنّ المؤمن إذا أخرج من بيته شيّعته الملائكة إلى قبره يزدحمون عليه، حتّى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: مرحباً بك وأهلاً، أما والله لقد كنت أحبّ أن يمشي عليَّ مثلك، لترينَّ ما أصنع بك، فتوسّع له مدّ بصره.

ويدخل عليه في قبره ملكا القبر وهما قعيدا القبر: منكر ونكير فيلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقعدانه ويسألانه فيقولان له: من ربّك؟

فيقول: الله.

فيقولان: ما دينك؟

فيقول: الإسلام.

فيقولان: ومن نبيّك؟

فيقول: محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فيقولان: ومن إمامك؟

فيقول: فلان.

قال: فيُنادي مُناد من السماء: صدق عبدي، أُفرشوا له في قبره من الجنَّة، وافتحوا له في قبره باباً إلى الجنَّة، وألبسوه من ثياب الجنَّة حتّى يأتينا، وما عندنا خير له، ثمَّ يقال له: نم نومة العروس، نم نومة لا حلم فيها.

---

(١) فروع الكافي ١/ ٢٣٩ و٢٤٠، ح ١٢: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

قال: وإن كان كافراً خرجت الملائكة تشيّعه إلى قبره يلعنونه حتّى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً، أما والله لقد كنت أُبغض أن يمشي عليَّ مثلك، لا جرم لترينَّ ما أصنع بك اليوم، فتضيق عليه حتّى تلتقي جوانحه.

قال: ثمّ يدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر: منكر ونكير.

قال أبو بصير: جُعلت فداك يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة؟ فقال: لا.

قال: فيقعدانه ويلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقولان له: من ربّك؟

فيتلجلج ويقول: قد سمعت الناس يقولون.

فيقولان له: لا دريت، ويقولان له ما دينك؟ فيتلجلج، فيقولان له: لا دريت، ويقولان له: من نبيّك؟ فيقول: قد سمعتُ الناس يقولون.

فيقولان له: لا دريت ويُسأل عن إمام زمانه.

قال: فينادي مُناد من السماء: كذِب عبدي، أُفرشوا له في قبره من النار، وألبسوه من ثياب النار، وافتحوا له باباً إلى النار حتّى يأتينا، وما عندنا شرّ له، فيضربانه بمرزبة ثلاث ضربات ليس منها ضربة إلاّ يتطاير قبره ناراً، لو ضرب بتلك المرزبة جبال تهامة لكانت رميماً.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: ويسلّط الله عليه في قبره الحيّات تنهشه نهشاً، والشيطان يغمّه غمّاً. قال: ويسمع عذابه مَن خلَق الله إلاّ الجنّ والإنس.

قال: وإنّه ليسمع خفق نعالهم ونقض أيديهم، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي

﴿ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[١].

وادي السلام[٢]

عن أحمد بن عمر رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّ أخي ببغداد وأخاف أن يموت بها، فقال:

ما تبالي حيثما مات، أما أنّه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها إلاّ حشر الله روحه إلى وادي السلام.

قلت له: وأين وادي السلام؟

قال: ظهر الكوفة، أما إنّي كأنّي بهم حلق حلق قعود يتحدَّثون.

خليفة الله في الأرض[٣]

إذا كان يوم القيامة نادى مُنادٍ من بطنان العرش: أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم داود النبيّ عليه السلام، فيأتي النداء من عند الله عزَّ وجلَّ: لسنا إيّاك أردنا، وإن كنت لله خليفة، ثمّ ينادي مُنادٍ ثانياً: أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فيأتي النداء من قبل

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٦.

(٢) فروع الكافي ١/٢٤٣، ح ٢: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن عليّ،...

(٣) أمالي الشيخ الطوسي ١/٦١ و٦٢: حدّثنا الشيخ السعيد المفيد أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي ـ رضي الله عنه ـ بمشهد مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله قال: حدّثنا الشيخ السعيد الوالد أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله في شعبان سنة خمس وخمسين وأربعمائة قال: أخبرنا الشيخ السعيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله تعالى قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه قال: حدّثني أبي، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أيوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال:...

الله عزَّ وجلَّ: يا معشر الخلائق هذا عليّ بن أبي طالب -خليفة الله في أرضه، وحجّته على عباده، فمن تعلّق بحبله في دار الدنيا فليتعلّق بحبله في هذا اليوم يستضيء بنوره وليتبعه إلى الدرجات العُلى من الجنّات.

قال: فيقوم الناس الّذين قد تعلَّقوا بحبله في الدنيا فيتّبعونه إلى الجنَّة، ثم يأتي النداء من عند الله عزّ وجلّ: ألا من تعلّق بإمام في دار الدنيا فليتبعه إلى حيث يذهب، فحينئذٍ يتبرأ ﴿...ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1].

الكوثر يفرح بمحبّنا[2]

إنّ الموجع لنا قلبه ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتّى يرد علينا الحوض، وإنّ الكوثر ليفرح بمحبّنا إذا ورد عليه، حتّى أنّه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه.

يا مسمع من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، ولم يستقِ بعدها أبداً، وهو في برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل، أحلى من العسل، وألين من الزبد، وأصفى من الدمع، وأذكى من العنبر، يخرج من تسنيم، ويمرّ بأنهار الجنان، يجري على رضراض الدرّ والياقوت فيه

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٢) كامل الزيارات ١٠٢ و١٠٣: حدّثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حمّاد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصمّ، عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام:...

من القدحان أكثر من عدد نجوم السماء، يوجد ريحه من مسيرة ألف عام، قدحانه من الذهب والفضّة وألوان الجوهر، يفوح في وجه الشارب منه كلّ فائحة، حتّى يقول الشارب منه: يا ليتني تركت ههنا لا أبغي بهذا بدلاً ولا عنه تحويلاً.

أمّا إنّك يابن كردين ممّن تروىٰ منه، وما من عين بكت لنا إلاّ نعمت بالنظر إلى الكوثر، وسقيت منه من أحبّنا، وإنّ الشارب منه ليعطىٰ من اللذّة والطعم والشهوة له أكثر ممّا يعطاه من هو دونه في حبّنا، وإنّ على الكوثر أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده عصاء من عوسج، يحطّم بها أعداءنا.

فيقول الرجل منهم: إنّي أشهد الشهادتين.

فيقول: انطلق إلى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك.

فيقول: تبرّأ منّي إمامي الذي تذكره.

فيقول: اِرجع إلى ورائك فقل للّذي كنت تتولاّه وتقدّمه على الخلق فاسأله إذا كان خير الخلق عندك أن يشفع لك، فإنّ خير الخلق من يشفع حقيق أن لا يردّ إذا شفع. فيقول: إنّي أهلك عطشاً.

فيقول له: زادك الله ظمأ وزادك الله عطشاً.

قلت: جُعلتُ فداك وكيف يقدر على الدنوّ من الحوض ولم يقدر عليه غيره؟

قال: ورع عن أشياء قبيحة وكفّ عن شتمنا أهل البيت إذا ذُكرنا، وترك أشياء اجترىء عليها غيره، وليس ذلك لحبّنا ولا لهوى منه لنا ولكن ذلك لشدّة اجتهاده في عبادته وتديّنه ولما قد شغل نفسه به عن ذكر

الناس، فأمّا قلبه فمُنافق، ودينه النصب، واتّباعه أهل النصب وولاية الماضين، وتقدّمه لهما على كلّ أحد.

المؤمن منكم يشفع(١)

إنّ المؤمن منكم يوم القيامة ليمرّ به الرجل له المعرفة به في الدنيا وقد أمر به إلى النار والملك ينطلق به، قال: فيقول له: يا فلان أغثني فقد كنت أصنع إليك المعروف في الدنيا وأُسعفك في الحاجة تطلبها منّي، فهل عندك اليوم مكافأة؟ فيقول المؤمن للملك الموكّل به: خلّ سبيله، قال: فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك أن يُجيز قول المؤمن فيخلّي سبيله.

نشفع لشيعتنا(٢)

عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾(٣)؟ قال:

نحن والله المأذون لهم في ذلك اليوم والقائلون صواباً.

قلتُ: جُعلتُ فداك وما تقولون إذا كُلّمتم؟

قال: نمجّد ربّنا، ونصلّي على نبيّنا، ونشفع لشيعتنا، فلا يردّنا ربّنا.

---

(١) ثواب الأعمال ٢٠٦: أبي رحمه الله قال: حدّثني محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولّاد، عن ميسر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) المحاسن ١٨٣، ب ٤٤، ح ١٨٣: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن سعدان بن مسلم،...

(٣) سورة النبأ، الآية: ٣٨.

الشافع والصديق(١)

عن مفضّل أو غيره، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾(٢) قال:

الشافعون الأئمّة، والصديق من المؤمنين.

لنشفعنَّ لشيعتنا(٣)

والله لنشفعنَّ لشيعتنا، والله لنشفعنَّ لشيعتنا، والله لنشفعنَّ لشيعتنا حتّى يقول الناس: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.

وكّلنا بحساب شيعتنا(٤)

إذا كان يوم القيامة وكّلنا الله بحساب شيعتنا فما كان لله سألنا الله أن يهبه لنا فهو لهم، وما كان للآدميّين سألنا الله أن يعوّضهم بدله فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم، ثمّ قرأ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾(٥).

شجرة طوبى(٦)

طوبىٰ شجرة في الجنّة في دار أمير المؤمنين صلوات الله عليه وليس

---

(١) المحاسن ١٨٤، ب ٤٥، ح ١٨٧: عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن عمر بن عبد العزيز،...

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ١٠٠ ـ ١٠١.

(٣) مناقب ابن شهرآشوب ٢/ ١٦٤: حمران بن أعين، قال الصادق عليه السلام:...

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٧٦٢: محمد بن العباس رحمه الله عن أحمد بن هوذة، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٥) سورة الغاشية، الآيتان: ٢٥ ـ ٢٦.

(٦) تفسير عليّ بن إبراهيم القمي ١/ ٣٦٥: حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

أحد من شيعته إلاّ وفي داره غصن من أغصانها، وورقة من أوراقها يستظلّ تحتها أمّة من الأمم.

لنا في الجنّة[١]

إنّ في الجنّة نهراً يُقال له جعفر، على شاطئه الأيمن درّة بيضاء فيها ألف قصر، في كلّ قصر ألف قصر لمحمّد وآل محمد صلى الله عليه وآله، وعلى شاطئه الأيسر درّة صفراء فيها ألف قصر، في كلّ قصر ألف قصر لإبراهيم وآل إبراهيم عليهم السلام.

على أعتاب الجنّة[٢]

إذا كان المؤمن يحاسب تنتظره أزواجه على عتبات الأبواب كما ينتظرون أزواجهنَّ في الدنيا من الغيبة [عند العتبة]، قال: فيجيء الرسول فيبشّرهنّ، فيقول: قد والله انقلب فلان من الحساب، قال: فيقلن: بالله؟ فيقول: قد والله لقد رأيته انقلب من الحساب، قال: فإذا جاءهنَّ قلن: مرحباً وأهلاً، ما أهلك الّذين كنت عندهم في الدنيا بأحقّ بك منّا.

محبّكم يدخل الجنّة[٣]

إنّ الرجل ليحبّكم وما يدري ما تقولون فيدخله الله الجنّة، وإنّ الرجل ليبغضكم وما يدري ما تقولون فيدخله الله النار.

---

(١) روضة الكافي ١٥٢، ح ١٣٨: الحسين بن محمد الأشعري، عن المعلّى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن شاذان، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال لي أبي:...

(٢) الزهد ٩١، ب ١٧، ح ٢٤٤: القاسم، عن علي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) بحار الأنوار ٨/ ٣٦٠، ح ٢٧، عن كتاب فضائل الشيعة للصدوق رحمه الله وبإسناده عن الصباح بن سيّابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

زُر قبر الحسين عليه السلام[(١)]

من أحبّ أن يصافحه مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ فليزُر قبر أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليه السلام في النصف من شعبان، فإنّ أرواح النبيّين عليهم السلام يستأذنون الله في زيارته فيؤذن لهم، منهم خمسة أولو العزم من الرُّسل.

قلنا: من هم؟

قال: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين.

قلنا له: ما معنى أُولو العزم؟

قال: بُعثوا إلى شرق الأرض وغربها، جِنّها وإنسها.

خير الخلق[(٢)]

اجتمع ولد آدم في بيت فتشاجروا، فقال بعضهم: خير خلق الله أبونا آدم، وقال بعضهم: الملائكة المقرّبون، وقال بعضهم: حملة العرش، إذ دخل عليهم هبة الله فقال بعضهم: لقد جاءكم من يفرّج عنكم فسلّم ثمّ جلس فقال: في أيّ شيء كنتم؟ فقالوا: كنّا نفكّر في خير خلق الله فأخبروه.

---

(١) كامل الزيارات ١٧٩ و١٨٠، ب ٧٢، ح ٢: حدّثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن عليّ الزيتوني وغيره، عن أحمد بن هلال، عن محمد بن أبي عمير ـ رضي الله عنه ـ عن حمّاد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) قصص الأنبياء ٥٢ و٥٣، ب ١، فصل ٥، ح ٢٨: عن ابن بابويه، عن أبيه، عن محمد بن يحيى العطّار، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن محمد بن عمران القرشي، عن الحسن بن الحسين اللؤلؤي، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن الخيبري، عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

فقال: اصبروا لي قليلاً حتّى أرجع إليكم، فأتى أباه فقال: يا أبت إنّي دخلتُ على إخوتي وهم يتشاجرون في خير خلق الله فسألوني فلم يكن عندي ما أخبرهم، فقلت: اصبروا حتّى أرجع إليكم.

فقال آدم عليه السلام: يا بُنيّ وقفت بين يدي الله جلّ جلاله فنظرتُ إلى سطر على وجه العرش مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم محمد وآل محمد خير من برأ الله.

بحقّهم عليك(١)

قال آدم عليه السلام: يا ربّ بحقّ محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تُبتَ عليّ، فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم وما علمك بمحمد؟ فقال: حين خلقتني رفعت رأسي فرأيت في العرش مكتوباً: محمّد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين عليه السلام.

أحبّ زيارته(٢)

عن المفضّل بن عمر قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: إنّي أشتاق إلى الغريّ، قال: فما شوقك إليه؟ قلت له: إنّي أحبّ أمير المؤمنين عليه السلام وأحبّ أن أزوره، قال: فهل تعرف فضل زيارته؟ قلت: لا يابن رسول الله فعرّفني ذلك. قال: إذا أردت زيارة أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) بحار الأنوار ١١/١٨١، ح ٣٤، عن قصص الأنبياء، بالإسناد عن الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي الخزّاز، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) كامل الزيارات ٣٨ و٣٩، ح ٢: حدّثني محمد بن يعقوب، عن أبي علي الأشعري، عمّن ذكره، عن محمد بن سنان، وحدّثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب قال: حدّثني ابن سنان...

فاعلم أنّك زائر عظام آدم وبدن نوح وجسم عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
قلت: إنّ آدم هبط بسرنديب في مطلع الشمس وزعموا أنّ عظامه في بيت الله الحرام فكيف صارت عظامه بالكوفة؟ قال:

إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح عليه السلام وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً فطاف كما أوحى الله إليه، ثمّ نزل في الماء إلى ركبتيه فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم عليه السلام فحمل التابوت في جوف السفينة حتّى طاف بالبيت ما شاء الله تعالى أن يطوف.

ثمّ ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله للأرض: ﴿ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء من مسجدها وتفرّق الجمع الّذي كان مع نوح في السفينة فأخذ نوح التابوت فدفنه بالغريّ، وهو قطعة من الجبل الذي كلّم الله عليه موسى تكليماً، وقدّس عليه عيسى تقديساً، واتّخذ عليه إبراهيم خليلاً، واتّخذ عليه محمداً حبيباً، وجعله للنبيّين مسكناً، والله ما سكن فيه أحد بعد آبائه الطاهرين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين عليه السلام فإذا أردت جانب النجف فزر عظام آدم وبدن نوح وجسم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّك زائر الآباء الأوّلين ومحمد صلى الله عليه وآله خاتم النبيّين وعليّاً سيّد الوصيّين فإنّ زائره تفتح له أبواب السماء عند دعوته فلا تكن عن الخير نوّاماً.

الفائزون[1]

إذا كان يوم القيامة يدعىٰ محمد صلى الله عليه وآله فيكسىٰ حلّة ورديّة ثم يُقام على

---

(١) تفسير القمي ١/١٢٨: حدَّثني أبي، عن سليمان الديلمي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

يمين العرش، ثمّ يدعىٰ بإبراهيم عليه السلام فيكسىٰ حلّة بيضاء، فيقام عن يسار العرش، ثمّ يدعىٰ بعليّ أمير المؤمنين، فيكسىٰ حلّة ورديّة فيقام على يمين النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ يدعىٰ بإسماعيل فيكسىٰ حلّة بيضاء فيقام على يسار إبراهيم.

ثمّ يدعىٰ بالحسن عليه السلام فيكسىٰ حلّة ورديّة فيقام على يمين أمير المؤمنين عليه السلام. ثمّ يُدعىٰ بالحسين عليه السلام فيكسىٰ حلّة ورديّة فيُقام على يمين الحسن عليه السلام.

ثمّ يدعىٰ بالأئمّة فيكسون حللاً ورديّة فيقام كلّ واحد على يمين صاحبه.

ثمّ يدعىٰ بالشيعة فيقومون أمامهم، ثمّ يدعىٰ بفاطمة عليها السلام ونسائها من ذرّيتها وشيعتها فيدخلون الجنّة بغير حساب.

ثمّ ينادي مُناد من بطنان العرش من قِبل ربّ العزّة والأُفق الأعلى: نِعم الأب أبوك يا محمد وهو إبراهيم، ونِعم الأخ أخوك وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ونِعم السبطان سبطاك وهما الحسن والحسين، ونِعم الجنين جنينك وهو مُحسن، ونِعم الأئمّة الراشدون من ذرّيتك وهم فلان وفلان، ونِعم الشيعة شيعتك.

ألا إنّ محمداً ووصيّه وسبطيه والأئمّة من ذرّيته هم الفائزون، ثمّ يؤمر بهم إلى الجنَّة، وذلك قوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

الروح معنا[١]

إنّ الروح خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ يسدّده ويرشده، وهو مع الأوصياء من بعده.

إبراهيم والكلمات[٢]

عن المفضّل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾[٣] ما هذه الكلمات؟ قال:

هي الكلمات الّتي تلقّاها آدم عليه السلام من ربّه فتاب عليه، وهو أنّه قال: «**يا ربّ أسألك بحقّ محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبتَ عليّ**» فتاب الله عليه إنّه هو التوّاب الرحيم.

فقلت له: يابن رسول الله فما يعني عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؟

قال: يعني فأتمّهنَّ إلى القائم عليه السلام اثني عشر إماماً، تسعة من ولد الحسين عليه السلام.

قال المفضّل: فقلت له: يابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾[٤].

---

(١) بصائر الدرجات ٤٥٦، الجزء ٩، ب ١٦، ح ٥: حدّثنا محمد بن الحسين، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن سماعة بن مهران قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٢) الخصال ١/ ٣٠٤ ـ ٣١٠، ح ٨٤: حدّثنا عليّ بن أحمد بن موسى رضي الله عنه قال: حدّثنا حمزة بن القاسم العلوي العبّاسي قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن مالك الكوفيّ الفزاري، قال: حدّثنا محمد بن الحسين بن زيد الزيّات، قال: حدّثنا محمد بن زياد الأزديّ،...

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٢٨.

قال: يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة.

قال: فقلت له: يابن رسول الله فكيف صارت الإمامة في وُلد الحسين دون وُلد الحسن عليه السلام وهما جميعاً ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطاه وسيّدا شباب أهل الجنّة؟

فقال عليه السلام: إنّ موسى وهارون كانا نبيّين مرسلين أخوين، فجعل الله النبوّة في صلب هارون دون صلب موسى، ولم يكن لأحد أن يقول: لِمَ فعل الله ذلك؟ وإنّ الإمامة خلافة [من] الله عزَّ وجلَّ ليس لأحد أن يقول: لِمَ جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن؟ لأنّ الله هو الحكيم في أفعاله لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون.

ولقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ وجه آخر وما ذكرناه أصله والابتلاء على ضربين:

أحدهما يستحيل على الله تعالى ذكره والآخر جائز، فأمّا ما يستحيل فهو أن يختبره ليعلم ما تكشف الأيّام عنه وهذا ما لا يصحّ له، لأنّه عزَّ وجلَّ علاّم الغيوب.

والضرب الآخر من الابتلاء أن يبتليه حتّى يصبر فيما يبتليه به فيكون ما يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق، ولينظر إليه الناظر فيقتدي به فيعلم من حكمة الله عزَّ وجلَّ أنّه لم يكل أسباب الإمامة إلاّ إلى الكافي المستقلّ الذي كشفت الأيّام عنه بخيره.

فأمّا الكلمات فمنها ما ذكرناه، ومنها اليقين، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[١].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

ومنها: المعرفة بقدم بارئه وتوحيده وتنزيهه عن التشبيه حين نظر إلى الكوكب والقمر والشمس، فاستدلّ بأفول كلّ واحد منها على حدثه، وبحدثه على مُحدثه، ثمّ علمه عليه السلام بأنّ الحكم بالنجوم خطأ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[١] وإنّما قيّده الله سبحانه بالنظرة الواحدة لأنّ النظرة الواحدة لا تُوجب الخطأ إلاّ بعد النظرة الثانية بدلالة قول النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ أوّل النظرة لك، والثانية عليك لا لك.

ومنها: الشجاعة وقد كشفت الأيّام عنه بدلالة قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[٢] ومقاومة الرجل الواحد ألوفاً من أعداء الله عزَّ وجلَّ تمام الشجاعة، ثمّ الحلم مضمّن معناه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[٣] ثمّ السخاء وبيانه في حديث ضيف إبراهيم المكرّمين، ثمّ العزلة عن أهل البيت والعشيرة مضمّن معناه في قوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٤] الآية.

والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر بيان ذلك في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي

---

(١) سورة الصّافات، الآيتان: ٨٨ ـ ٨٩.
(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ٥٢ ـ ٥٨.
(٣) سورة هود، الآية: ٧٥.
(٤) سورة مريم، الآية: ٤٨.

مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾(١).

ودفع السيّئة بالحسنة وذلك لمّا قال له أبوه: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ فقال في جواب أبيه: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾(٢).

والتوكّل بيان ذلك في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾(٣).

ثمّ الحكم والانتماء إلى الصالحين في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٤) يعني بالصالحين الّذين لا يحكمون إلاّ بحكم الله عزَّ وجلَّ، ولا يحكمون بالآراء والمقاييس حتّى يشهد له من يكون بعده من الحجج بالصدق، بيان ذلك في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾(٥) أراد به هذه الأمّة الفاضلة، فأجابه الله وجعل له ولغيره من أنبيائه لسان صدق في الآخرين، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾(٦).

والمحنة في النفس حين جعل في المنجنيق وقذف به في النار، ثمّ

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٤٢ ـ ٤٥.
(٢) سورة مريم، الآيتان: ٤٦ ـ ٤٧.
(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٧٨ ـ ٨٢.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ٨٣.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ٨٤.
(٦) سورة مريم، الآية: ٥٠.

المحنة في الولد حين أُمر بذبح ابنه إسماعيل، ثمّ المحنة بالأهل حين خلّص الله عزَّ وجلَّ حرمته من عزازة القبطيّ المذكور في هذه القصّة[١].

ثمّ الصبر على سوء خلق سارة، ثم استقصار النفس في الطاعة في قوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[٢] ثم النزاهة في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٣] ثمّ الجمع لأشراط الكلمات في قوله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٤] فقد جمع في قوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ جميع أشراط الطاعات كلها حتّى لا تعزب عنها عازبة، ولا تغيب عن معانيها غائبة، ثمّ استجابة الله عزَّ وجلَّ دعوته حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾[٥] وهذه آية متشابهة معناها أنّه سأل عن الكيفيّة، والكيفيّة من فعل الله عزَّ وجلَّ، متى لم يعلمها العالم لم يلحقه عيب ولا عرض في توحيده نقص، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ هذا شرط عامّة من آمن به متىٰ سُئل واحد منهم أَوَلم تؤمن؟ وجب أن يقول: بلىٰ كما قال إبراهيم عليه السلام ولمّا قال الله عزَّ وجلَّ لجميع أرواح بني آدم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ﴾[٦] قال: أوّل من قال بلىٰ محمد صلى الله عليه وآله فصار بسبقه إلى بلىٰ سيّد الأوّلين والآخرين وأفضل النبيّين والمُرسلين، فمن لم يجب عن هذه المسألة بجواب إبراهيم فقد رغب عن ملّته، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن

---

(١) والقصّة مذكورة في روضة الكافي ح ٥٦٠.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ ثمّ اصطفاء الله إيّاه في الدنيا ثمّ شهادته في العاقبة أنّه من الصالحين في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١].

والصالحون هم: النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين، الآخذون عن الله أمره ونهيه، والملتمسون للصلاح من عنده، والمجتنبون للرأي والقياس في دينه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢].

ثمّ اقتداء من بعده من الأنبياء عليهم السلام به في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[٣].

وفي قوله عزَّ وجلَّ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[٤].

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾[٥].

وأشراط كلمات الإمام مأخوذة ممّا تحتاج إليه الأمّة من جهته من مصالح الدنيا والآخرة، وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ (من) حرف تبعيض ليعلم أنَّ من الذرّية من يستحقّ الإمامة، ومنهم من لا يستحقّ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣١.
(٣) سورة البقرة الآية: ١٣٢.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٣.
(٥) سورة الحج، الآية: ٧٨.

الإمامة هذا من جملة المسلمين وذلك أنّه يستحيل أن يدعو إبراهيم عليه السلام بالإمامة للكافر أو للمسلم الّذي ليس بمعصوم، فصحَّ أنَّ باب التبعيض وقع على خواصّ المؤمنين، والخواصّ إنّما صاروا خواصّاً بالبُعد عن الكفر، ثمّ من اجتنب الكبائر صار من جملة الخواصّ أخصّ، ثمّ المعصوم هو الخاصّ الأخصّ، ولو كان للتخصيص صورة أدنى عليه لجعل ذلك من أوصاف الإمام.

وقد سمّى الله عزَّ وجلَّ عيسى من ذرّية إبراهيم وكان ابن ابنته من بعده، ولمّا صحّ أنّ ابن البنت ذرّية ودعا إبراهيم لذرّيته بالإمامة وجب على محمد صلى الله عليه وآله الاقتداء به في وضع الإمامة في المعصومين من ذرّيته حذو النعل بالنعل بعدما أوحى الله عزَّ وجلَّ إليه وحكم عليه بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية، ولو خالف ذلك لكان داخلاً في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[1] جلّ نبيّ الله عن ذلك. . .

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[2] وأمير المؤمنين عليه السلام أبو ذرّية النبيّ صلى الله عليه وآله، ووضع الإمامة فيه وضعها في ذرّيته المعصومين.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] عنى به أنَّ الإمامة لا تصلح لمن قد عبد صنماً أو وثناً أو أشرك بالله طرفة عين وإن أسلم بعد ذلك، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وأعظم الظلم الشرك، قال

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١] وكذلك لا تصلح الإمامة لمن قد ارتكب من المحارم شيئاً صغيراً كان أو كبيراً وإن تاب منه بعد ذلك، وكذلك لا يقيم الحدّ من في جنبه حدّ، فإذاً لا يكون الإمام إلاّ معصوماً، ولا تعلم عصمته إلاّ بنصّ الله عزَّ وجلَّ عليه على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله لأنَّ العصمة ليست في ظاهر الخلقة فتُرى كالسواد والبياض وما أشبه ذلك، وهي مُغيّبة لا تُعرف إلاّ بتعريف علاّم الغيوب عزَّ وجلَّ.

الحبّ والبغض[٢]

استأذنت زليخا على يوسف فقيل لها: إنّا نكره أن نقدم بك عليه لما كان منك إليه.

قالت: إنّي لا أخاف مَن يخاف الله، فلمّا دخلت قال لها: يا زليخا ما لي أراك قد تغيَّر لونك؟

قالت: الحمد لله الّذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً.

قال لها: يا زليخا ما الّذي دعاكِ إلى ما كان منكِ؟

قالت: حُسن وجهك يا يوسف.

فقال: كيف لو رأيت نبيّاً يُقال له محمّد يكون في آخر الزمان أحسن منّي وجهاً، وأحسن منّي خلقاً، وأسمح منّي كفّاً؟

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٢) علل الشرائع ١/٥٥، ب ٤٨، ح ١: أبي رحمه الله قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم، عن عبد الله بن المغيرة، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

قالت: صدقت.

قال: وكيف علمتِ أنّي صدقتُ؟

قالت: لأنَّك حين ذكرتَه وقع حبّه في قلبي.

فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى يوسف: أنَّها قد صدقت، وإنّي قد أحببتها لحبّها محمداً ﷺ، فأمره الله تبارك وتعالى أن يتزوَّجها.

وُلد فاطمة عليها السلام[1]

ليس رجل من وُلد فاطمة يموت ولا يخرج من الدنيا حتّى يقرّ للإمام بإمامته، كما أقرَّ وُلد يعقوب ليوسف حين قالوا: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾[2].

كربلاء أو الكعبة؟[3]

إنّ بقاع الأرض تفاخرت، ففخرت الكعبة على البقعة بكربلاء، فأوحى الله إليها: أُسكتي ولا تفخري عليها فإنَّها البقعة المباركة الّتي نودي موسى منها من الشجرة.

كربلاء في القرآن[4]

شاطىء وادي الأيمن الّذي ذكره الله تعالى في كتابه هو الفرات،

---

(١) تفسير العياشي ٢/١٩٣، ح ٦٩: عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩١.

(٣) بحار الأنوار ١٣/٢٥، ح ١، عن منتخب البصائر: بإسناده إلى المفضّل بن عمر، عن الصادق عليه السلام قال:...

(٤) كامل الزيارات ٤٨ و٤٩، ب ١٣، ح ١٠: حدّثني محمد بن الحسن بن علي بن مهزيار، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن علي بن الحكم، عن عرفة، عن ربعي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

والبقعة المُباركة هي كربلاء، والشجرة هي محمد صلى الله عليه وآله.

الكروبيّين من شيعتنا(١)

إنّ الكرّوبيّين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل جعلهم الله خلف العرش، لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثمّ قال: إنّ موسى عليه السلام لمّا أن سأل ربّه ما سأل أمر واحداً من الكرّوبيّين فتجلّى للجبل فجعله دكّاً.

المؤمن وذرّيته(٢)

إنّ الله ليحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة، وإنّ الغلامين كان بينهما وبين أبويهما سبعمائة سنة.

لكرامة المؤمن(٣)

إنّ الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده ويحفظه في دويرته ودويرات حوله، فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله.

ثمّ ذكر الغلامين فقال: وكان أبوهما صالحاً، ألم تر أنَّ الله شكر صلاح أبويهما لهما.

---

(١) بحار الأنوار ١٣/ ٢٢٤، ح ١٨، عن بصائر الدرجات: أحمد بن محمّد السيّاري، عن عبيد بن أبي عبد الله الفارسيّ وغيره، رفعوه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) تفسير العياشي ٢/٣٣٦، ح ٥٨: عن محمد بن عمر، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) تفسير العياشي ٢/٣٣٧، ح ٦٣: عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

الوصاية والإمامة[1]

أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون وأوصى يوشع بن نون إلى ولد هارون، ولم يوص إلى ولده ولا إلى ولد موسى، أنّ الله عزَّ وجلَّ له الخيرة، يختار من يشاء ممّن يشاء، وبشّر موسى ويوشع بالمسيح.

لي بالحسين عليه السلام أُسوة[2]

إنّ إسماعيل الذي قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[3] لم يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبيّاً من الأنبياء بعثه الله عزَّ وجلَّ إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه.

فأتاه ملك فقال: إنّ الله جلّ جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت.

فقال: لي أُسوة بما يُصنع بالحسين عليه السلام.

لمّا توفّي أبو طالب[4]

لمّا توفّي أبو طالب [رضي الله عنه] نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) أصول الكافي ١/٢٩٣، ح ٣: محمّد بن الحسين وغيره عن سهل، عن محمّد بن عيسى، ومحمّد بن يحيى، ومحدد بن الحسين جميعاً، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر وعبد الكريم بن عمرو، عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) علل الشرائع ١/٧٧، ب ٦٧، ح ٢: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفّار، عن يعقوب بن يزيد، عن محمّد بن أبي عمير ومحمّد بن سنان، عمّن ذكراه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٤.

(٤) أصول الكافي ١/٤٤٩، ح ٣١: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي نصر، عن إبراهيم بن محمد الأشعري، عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

فقال: يا محمّد أُخرج من مكّة، فليس لك فيها ناصر، وثارت قريش بالنبي صلى الله عليه وآله، فخرج هارباً حتّى جاء إلى جبل بمكّة يقال له: الحجون فصار إليه.

إذا قام المهدي عليه السلام[1]

إذا قام قائم آل محمّد عليه وعليهم السلام حكم بين الناس بحكم داود عليه السلام لا يحتاج إلى بيّنة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه.

أفضل الأوصياء[2]

يا أبان كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين عليه السلام لمّا قال: «لو شئت لرفعت رجلي هذه فضربت بها صدر ابن أبي سفيان بالشام فنكسته عن سريره» ولا ينكرون تناول آصف وصيّ سليمان عرش بلقيس وإتيانه سليمان به قبل أن يرتدَّ إليه طرفه؟ أليس نبيّنا صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء ووصيّه عليه السلام أفضل الأوصياء؟ أفلا جعلوه كوصيّ سليمان عليه السلام؟ حكم الله بيننا وبين من جحد حقّنا وأنكر فضلنا.

السماء تبكي[3]

عن محمد بن عليّ الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى:

---

(١) إرشاد المفيد ٣٦٥، ب ٦٧، ح ١١: روى عبد الله بن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) الاختصاص ٢١٢ ـ ٢١٣: حدّثنا محمّد بن عليّ، عن أبيه، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان الأحمر قال: قال الصادق عليه السلام:...

(٣) قصص الأنبياء ٢٢٠ ـ ٢٢١، ب ١٤، فصل ٣، ح ٢٩٣: أخبرنا جماعة منهم الأخوان الشيخ محمد وعلي ابنا علي بن عبد الصمد، عن أبيهما، عن السيّد أبي البركات علي بن الحسين الحسيني، عن الشيخ أبي جعفر بن بابويه، عن أبيه قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة،...

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾(١) قال: . . .

لم تبك السماء على أحد قبل قتل يحيى بن زكريّا عليه السلام، وبعده حتّى قُتل الحسين عليه السلام فبكت عليه.

سيّدة نساء العالمين(٢)

إنّما سمّيت فاطمة عليها السلام محدَّثة لأنَّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تُنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة إنَّ الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدّثهم ويحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضَّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنَّ مريم كانت سيّدة نساء عالمها، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلكِ سيّدة نساء عالمكِ وعالمها وسيّدة نساء الأوّلين والآخرين.

خاصمهم بكتاب الله(٣)

عن عبد الله بن الوليد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

ما يقول أصحابك في أمير المؤمنين وعيسى وموسى عليهم السلام أيّهم أعلم؟

قال: قلت: ما يقدّمون على أُولي العزم أحداً.

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٢٩.

(٢) علل الشرائع ١/١٨٢، ب ١٤٦، ح ١: حدّثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدّثنا الحسن بن علي السكري، عن محمد بن زكريا الجوهري قال: حدّثنا شعيب بن واقد قال: حدّثني إسحاق بن جعفر بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٣) بحار الأنوار ١٤/٢٤٥، ح ٢٣، عن بصائر الدرجات: أحمد بن محمد، عن البرقي، عن رجل من الكوفيّين، عن محمد بن عمر،...

قال: أما إنّك لو خاصمتهم بكتاب الله لحججتهم.

قال: قلت: وأين هذا في كتاب الله؟

قال: إنّ الله قال في موسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ ولم يقل: كلّ شيء، وقال في عيسى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ ولم يقل: كلّ شيء، وقال في صاحبكم: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

شيعتنا حواريّونا(١)

إنّ حواريَّ عيسى عليه السلام كانوا شيعته، وإنّ شيعتنا حواريّونا، وما كان حواريّ عيسى عليه السلام بأطوع له من حواريّنا لنا، وإنّما قال عيسى عليه السلام للحواريّين: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ فلا والله ما نصروه من اليهود ولا قاتلوهم دونه، وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله عزّ ذكره رسوله صلى الله عليه وآله ينصرونا ويقاتلون دوننا، ويُحرقون ويُعذّبون ويُشرّدون في البلدان، جزاهم الله عنّا خيراً.

بنو آدم والميثاق(٢)

قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾.

كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبيّة، ولرسوله بالنبوّة، ولأمير المؤمنين والأئمّة بالإمامة.

---

(١) روضة الكافي ٢٦٨، ح ٣٩٦: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، وعدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعاً، عن ابن محبوب، عن أبي يحيى كوكب الدّم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) تفسير عليّ بن إبراهيم ١/٢٤٧:...

فقال: ألست بربّكم، ومحمّد نبيّكم، وعليّ إمامكم، والأئمّة الهادون أئمّتكم؟

فقالوا: بلىٰ شهدنا.

فقال الله تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي لئلاّ تقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ فأوّل ما أخذ الله عزَّ وجلَّ الميثاق على الأنبياء له بالربوبيّة وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ فذكر جملة الأنبياء ثمّ أبرز أفضلهم بالأسامي، فقال: ﴿وَمِنكَ﴾ يا محمّد، فقدم رسول الله ﷺ لأنّه أفضلهم ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ورسول الله ﷺ أفضلهم.

ثمّ أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله ﷺ على الأنبياء بالإيمان به، وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين عليه السلام. فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾[1] يعني رسول الله ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام، وأخبروا أممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمّة عليهم السلام.

الأنوار قبل الخلق[2]

إنّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا.

فقيل له: يابن رسول الله ومن الأربعة عشر؟

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٢) كمال الدين ٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦، ب ٣٣، ح ٧: حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رضي الله عنه قال: حدّثنا أبي، عن محمّد بن الحسين بن يزيد الزيّات، عن الحسين بن موسى الخشّاب، عن علي بن سماعة، عن عليّ بن الحسن بن رباط، عن أبيه، عن المفضّل بن عمر قال: قال الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام:...

فقال: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من وُلد الحسين، آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجّال، ويطهّر الأرض من كلّ جور وظُلم.

كنّا عند ربّنا[1]

عن المفضّل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلّة؟ فقال:

يا مفضّل كنّا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا في ظلّة خضراء، نسبّحه ونقدّسه ونهلّله ونمجّده، وما من ملك مقرّب ولا ذي روح غيرنا حتّى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ثمّ أنهى علم ذلك إلينا.

المُبعدون عن النار[2]

نزل جبرائيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ الله جلّ جلاله يقرئك السلام ويقول: إنّي قد حرّمت النار على صُلب أنزلك، وبطن حملك، وحِجر كفلك.

فقال: يا جبرائيل بيّن لي ذلك.

فقال: أمّا الصلب الذي أنزلك فعبد الله بن عبد المطّلب، وأمّا البطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأمّا الحِجر الذي كفلك فأبو طالب بن عبد المطّلب وفاطمة بنت أسد.

---

(١) أصول الكافي ١/٤٤١، ح ٧: علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن علي بن إبراهيم، عن عليّ بن حمّاد،...

(٢) أمالي الصدوق ٤٨٥، المجلس ٨٨، ح ١٢: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار، عن علي بن حسان الواسطي، عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمي قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول:...

أقول: هذا الخبر يدلّ على إيمان هؤلاء، فإنّ الله تعالى أوجب النار على جميع المشركين والكفّار كما دلّت عليه الآيات والأخبار.

عبد المطّلب في القيامة[1]

يحشر عبد المطّلب يوم القيامة أُمّة واحدة عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك.

عبد المطّلب وأبرهة[2]

لمّا أن وجَّه صاحب الحبشة بالخيل ومعهم الفيل ليهدم البيت مرّوا بإبل لعبد المطّلب فساقوها، فبلغ ذلك عبد المطّلب فأتى صاحب الحبشة فدخل الآذن فقال: هذا عبد المطّلب بن هاشم.

قال: وما يشاء؟

قال الترجمان: جاء في إبل له ساقوها يسألك ردّها.

فقال ملك الحبشة لأصحابه: هذا رئيس قوم وزعيمهم، جئت إلى بيته الذي يعبده لأهدمه وهو يسألني إطلاق إبله، أمّا لو سألني الإمساك عن هدمه لفعلت، ردّوا عليه إبله.

فقال عبد المطّلب لترجمانه: ما قال لك الملك؟ فأخبره.

فقال عبد المطّلب: أنا ربّ الإبل، ولهذا البيت ربّ يمنعه، فرُدّت إليه إبله، وانصرف عبد المطّلب نحو منزله فمرّ بالفيل في منصرفه فقال للفيل: يا محمود، فحرّك الفيل رأسه.

---

(١) أصول الكافي ١/٤٤٦ ـ ٤٤٧، ح ٢٢: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن زرارة بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:...

(٢) أصول الكافي ١/٤٤٧ ـ ٤٤٨، ح ٢٥: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن حمران، عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

فقال له: أتدري لم جاؤوا بك؟ فقال الفيل برأسه: لا.

فقال عبد المطّلب: جاؤوا بك لتهدم بيت ربّك، أفتراك فاعل ذلك؟

فقال برأسه: لا، فانصرف عبد المطّلب إلى منزله، فلمّا أصبحوا غدوا به لدخول الحرم فأبى وامتنع عليهم.

فقال عبد المطّلب لبعض مواليه عند ذلك: اعل الجبل فانظر ترى شيئاً؟

فقال: أرى سواداً من قبل البحر.

فقال له: يصيبه بصرك أجمع.

فقال له: لا، ولأوشك أن يصيب، فلمّا أن قرب قال: هو طير كثير ولا أعرفه يحمل كلّ طير في منقاره حصاة مثل حصاة الخذف أو دون حصاة الخذف.

فقال عبد المطّلب: وربّ عبد المطّلب ما تريد إلاّ القوم، حتّى لمّا صاروا فوق رؤوسهم أجمع، ألقت الحصاة فوقعت كلّ حصاة على هامّة رجل فخرجت من دبره فقتلته، فما انفلت منهم إلاّ رجل واحد يخبر الناس، فلمّا أن أخبرهم ألقت عليه حصاة فقتلته.

عبد المطّلب مع حفيده[١]

كان عبد المطّلب يُفرَش له بفناء الكعبة لا يُفرَش لأحد غيره، وكان له ولد يقومون على رأسه فيمنعون من دنا منه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وهو طفل يدرج حتى جلس على فخذيه، فأهوى بعضهم إليه لينحّيه عنه.

---

(١) أصول الكافي ١/٤٤٨، ح ٢٦، عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن رفاعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

فقال عبد المطّلب: دع ابني فإنّ المُلك قد أتاه.

قريش والحنيفيّة(١)

إنّ العرب لم يزالوا على شيء من الحنيفيّة يصلون الرحم، ويقرون الضيف، ويحجّون البيت، ويقولون: اتَّقوا مال اليتيم فإنَّ مال اليتيم عقال، ويكفّون عن أشياء من المحارم مخافة العقوبة، وكانوا لا يُملى لهم إذا انتهكوا المحارم، وكانوا يأخذون من لحاء شجر الحرم فيعلّقونه في أعناق الإبل فلا يجترىء أحد أن يأخذ من تلك الإبل حيث ما ذهبت، ولا يجترىء أحد أن يعلّق من غير لحاء شجر الحرم، أيّهم فعل ذلك عُوقب، وأمّا اليوم فأملي لهم، ولقد جاء أهل الشام فنصبوا المنجنيق على أبي قبيس فبعث الله عليهم سحابة كجناح الطير فأمطرت عليهم صاعقة فأحرقت سبعين رجلاً حول المنجنيق.

اصبري لي سبتاً(٢)

إنّ فاطمة بنت أسد رحمها الله جاءت إلى أبي طالب رحمه الله تبشّره بمولد النبي صلى الله عليه وآله فقال لها أبو طالب: اصبري لي سبتاً آتيكِ بمثله إلاّ النبوّة، وقال: السبت: ثلاثون سنة، وكان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة.

---

(١) فروع الكافي ٢/ ٢١١ ـ ٢١٢، ح ١٩: أبو علي الأشعري عن محمّد بن عبد الجبّار، قال: أخبرني محمّد بن إسماعيل، عن عليّ بن النعمان، عن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام:...

(٢) معاني الأخبار ٤٠٣، ب ٤٢٩، ح ٦٨: حدّثنا علي بن أحمد بن موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: حدّثنا محمد بن يعقوب، عن الحسن بن محمّد، عن محمّد بن يحيى الفارسي، عن أبي حنيفة محمّد بن يحيى، عن الوليد بن أبان، عن محمّد بن عبد الله بن مسكان، عن أبيه، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

ستلدين وصيّه(١)

لـمّا وُلِد رسول الله صلى الله عليه وآله فتح لآمنة بياض فارسٍ وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة فأعلمته ما قالته آمنة.

فقال لها أبو طالب: وتتعجَّبين من هذا؟ إنّكِ تحبلين وتلدين بوصيّه ووزيره.

فاطمة تسعف آمنة(٢)

كان حيث طلقت آمنة بنت وهب وأخذها المَخاض بالنبي صلى الله عليه وآله حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب، فلم تزل معها حتى وضعت.

فقالت إحداهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟

فقالت: وما ترين؟

قالت: هذا النور الذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب، فبينما هما كذلك إذ دخل عليهما أبو طالب فقال لهما: ما لكما؟ من أيّ شيء تعجبان؟ فأخبرته فاطمة بالنور الذي قد رأت.

فقال لها أبو طالب: ألا أُبشرّكِ؟ فقالت: بلى.

فقال: أمّا إنّك ستلدينَ غلاماً يكون وصيّ هذا المولود.

---

(١) بحار الأنوار ١٥/٢٧٣، ح ١٨، عن مناقب ابن شهرآشوب: المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٢) روضة الكافي ٣٠٢، ح ٤٦٠: حميد بن زياد، عن محمد بن أيّوب، عن محمّد بن زياد، عن أسباط بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

أقرئ فاطمة السلام[1]

إنّ خديجة لمّا توفّيت، جعلت فاطمة تلوذ برسول الله ﷺ وتدور حوله، وتسأله: يا أبتاه أين أمّي؟ فجعل النبي ﷺ لا يجيبها، فجعلت تدور وتسأله: يا أبتاه أين أمّي؟ فجعل النبي ﷺ لا يجيبها، فجعلت تدور وتسأله يا أبتاه أين أمّي؟... ورسول الله لا يدري ما يقول، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: إنّ ربّك يأمرك أن تُقرئ على فاطمة السلام وتقول لها: إنّ أمّكِ في بيت من قصب كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية ـ امرأة فرعون ـ ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة عليها السلام: إنّ الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام.

مولد الزهراء عليها السلام[2]

عن المفضّل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟ قال:

نعم، إنّ خديجة رضوان الله عليها لمّا تزوّج بها رسول الله ﷺ هَجَرَتها نسوة مكّة، فكنَّ لا يدخلن عليها ولا يسلّمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة من ذلك، فلمّا حملت بفاطمة عليها السلام صارت تحدّثها في بطنها وتصبّرها، وكانت خديجة تكتم ذلك عن رسول الله ﷺ، فدخل يوماً وسمع خديجة تحدّث فاطمة.

فقال لها: يا خديجة من يحدّثكِ؟

قالت: الجنين الّذي في بطني يحدّثني ويؤنسني.

---

(١) الخرائج والجرائح ٢/٥٢٩، الحديث ٤: عن المفضّل بن عمر قال: إنّ أبا عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) العدد القوية ٢٢٢، ح ١٥:...

فقال لها: هذا جبرئيل يبشّرني أنَّها أُنثىٰ، وأنّها النسمة الطاهرة الميمونة، وأنّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمَّة في الأمّة، يجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه، فلم تزل خديجة رضي الله عنها على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجَّهت إلى نساء قريش ونساء بني هاشم يجئن ويلين منها ما تلي النساء من النساء.

فأرسلن إليها عصيتينا ولم تقبلي قولنا، وتزوَّجت محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمركِ شيئاً، فاغتمَّتْ خديجة لذلك، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة طوال كأنَّهنَّ من نساء بني هاشم، ففزعَت منهنَّ، فقالَت لها إحداهنَّ: لا تحزني يا خديجة، فإنّا رُسُل ربّكِ إليكِ، ونحن أخواتكِ: أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتكِ في الجنّة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه صفراء بنت شعيب، بعثنا الله تعالى إليكِ لنلي من أمركِ ما تلي النساء من النساء.

فجلسَتْ واحدة عن يمينها، والأخرى عن يسارها، والثالثة من بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعتْ خديجة فاطمة عليها السلام طاهرة مطهّرة، فلمّا سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتّى دخل بيوتات مكّة، ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلاّ أشرق فيه ذلك النور، فتناولتها المرأة الّتي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوتين أشدّ بياضاً من اللّبن، وأطيب رائحة من المسك والعنبر، فلفَّتها بواحدة، وقنعتها بالأخرى.

ثمّ استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بشهادة أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنَّ أبي رسول الله صلى الله عليه وآله سيّد الأنبياء، وأنَّ بعلي سيّد الأوصياء، وأن ولدي سيّد الأسباط، ثم سلّمت عليهنَّ، وسمَّت كلّ واحدة منهنَّ باسمها، وضحكن

إليها وتباشرن الحور العين، وبشّر أهل الجنَّة بعضهم بعضاً بولادة فاطمة عليها السلام وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك اليوم، فلذلك سمّيت الزهراء عليها السلام، وقالت خذيها يا خديجة طاهرة مطهّرة زكيّة ميمونة، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها خديجة عليها السلام فرحة مستبشرة، فألقمتها ثديها، فشربت فدرّ عليها، وكانت عليها السلام تنمى في كلّ يوم كما ينمى الصبيّ في شهر، وفي شهر كما ينمى الصبيّ في سنة، صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها.

علي عليه السلام في القرآن(١)

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ قال:

﴿ٱلشَّمۡسَ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله، أوضح الله به للناس دينهم.

قلت: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾؟

قال: ذلك أمير المؤمنين عليه السلام.

الأئمّة عليهم السلام في القرآن(٢)

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾(٣) قال:

النجم رسول الله صلى الله عليه وآله، والعلامات الأئمّة من بعده عليه وعليهم السلام.

---

(١) تفسير القمي ٢/ ٤٢٤: أخبرني أبي، عن سليمان الديلمي،...

(٢) بحار الأنوار ١٦/ ٩١، ح ٢٥، عن أمالي الشيخ الطوسي: المُفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن منصور بزرج...

(٣) سورة النحل، الآية: ١٦.

ليس هذا إلاّ للرسول صلى الله عليه وآله (١)

عن سليمان بن خالد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الناس لعليّ عليه السلام: إن كان له حقّ فما منعه أن يقوم به؟ قال: فقال:

إنّ الله لا يكلّف هذا الإنسان [إلّا ـ خ] واحداً إلاّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) فليس هذا إلاّ للرسول، وقال لغيره: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾(٣) فلم يكن يومئذٍ فئة يعينونه على أمره.

الشهادات الثلاث(٤)

لمّا خلق الله العرش خلق ملكين فاكتنفاه فقال: إشهدا أن لا إلٰه إلاّ أنا، فشهدا، ثمَّ قال: إشهدا أنَّ محمّداً رسول الله فشهدا، ثمَّ قال: إشهدا أنَّ عليّاً أمير المؤمنين فشهدا.

أوّل من أُشيد بذكرهم(٥)

إنّا أوّل أهل بيت نوّه الله بأسمائنا، إنّه لمّا خلق السماوات والأرض أمر منادياً فنادى: **أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله** ـ ثلاثاً ـ **أشهد أنّ محمداً رسول الله** ـ ثلاثاً ـ **أشهد أنَّ عليّاً أمير المؤمنين حقّاً** ـ ثلاثاً ـ.

---

(١) تفسير العيّاشي ١/٢٦١، ح ٢١١:...

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٦.

(٤) بحار الأنوار ١٦/٣٦٤، ح ٦٧، عن كشف اليقين: من كتاب الإمامة، عن بيدار بن عاصم، عمّن حدّثه، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٥) أصول الكافي ١/٤٤١، ح ٨: سهل بن زياد، عن محمد بن الوليد، قال: سمعت يونس بن يعقوب، عن سنان بن طريف، عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: قال:...

سلّمتم وجحد الناس(١)

إنّ الله عزَّ وجلَّ أدَّب نبيّه على محبّته فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٢) ثمّ فوَّض إليه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾(٣) وقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾(٤) قال:

ثمَّ قال: وإنّ نبيّ الله فوَّض إلى عليّ عليه السلام وائتمنه فسلّمتم وجحد الناس، فوالله لنحبّكم أن تقولوا إذا قلنا، وأن تصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله عزَّ وجلَّ، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا.

دار فيها محمد(٥)

عن أبي هارون مولى آل جعدة قال: كنتُ جليساً لأبي عبد الله عليه السلام بالمدينة ففقدني أيّاماً، ثم إنّي جئتُ إليه فقال لي: لم أرك منذ أيّام يا أبا هارون؟ فقلت: وُلِدَ لي غلام، فقال: بارك الله فيه فما سمّيته؟ قلت: سمَّيته محمّداً، قال: فأقبل بخدّه نحو الأرض وهو يقول: محمّد محمّد محمّد، حتّى كاد يلصق خدّه بالأرض، ثمّ قال:

بنفسي وبولدي وبأهلي وبأبويَّ وبأهل الأرض كلّهم جميعاً الفداء

---

(١) أصول الكافي ١/٢٦٥، ح ١: محمد بن يحيى، عن أحمد بن أبي زاهر، عن عليّ بن إسماعيل، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، عن أبي إسحاق النحوي قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فسمعته يقول:...

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٥) فروع الكافي ٤/٣٩، ح ٢: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان...

لرسول الله صلى الله عليه وآله، لا تسبّه ولا تضربه ولا تسئ إليه، واعلم أنَّه ليس في الأرض دار فيها اسم محمّد إلاّ وهي تقدَّس كلّ يوم.

ثمّ قال لي: عققتَ عنه؟ قال: فأمسكت، قال: وقد رآني حيث أمسكتُ ظنّ أنّي لم أفعل.

فقال: يا مصادف أدنُ منّي.

فوالله ما علمت ما قال له إلاّ أنّي ظننتُ أنَّه قد أمر لي بشيء فذهبتُ لأقوم، فقال لي:

كما أنت يا أبا هارون، فجاءني مصادف بثلاثة دنانير فوضعها في يدي فقال: يا أبا هارون إذهب فاشتر كبشين واستسمنهما واذبحهما وكل وأطعم.

عندنا التوراة[1]

عن ليث المرادي، أنّه حدّثه عن سدير بحديث فأتيته فقلت: إنّ ليث المرادي حدَّثني عنك بحديث، فقال: وما هو؟ قلت: جعلتُ فداك حديث اليماني. قال: نعم كنت عند أبي جعفر عليه السلام فمرّ بنا رجل من أهل اليمن فسأله أبو جعفر عليه السلام عن اليمن، فأقبل يحدّث، فقال له أبو جعفر عليه السلام: [هل تعرف دار كذا وكذا؟ قال: نعم ورأيتها. قال: فقال له أبو جعفر عليه السلام: هل تعرف صخرة [عندها] في موضع كذا وكذا؟ قال: نعم ورأيتها. فقال الرجل: ما رأيت رجلاً أعرف بالبلاد منك، فلمّا قام الرجل، قال لي أبو جعفر عليه السلام:

---

(١) بصائر الدرجات ١٣٧ الجزء ٣، ب ١٠، ح ٧: حدّثنا علي بن خالد، عن يعقوب بن يزيد، عن عبّاس الورّاق، عن عثمان بن عيسى، عن ابن مسكان...

يا أبا الفضل تلك الصخرة الّتي حيث غضب موسى فألقى الألواح، فما ذهب من التوراة التقمته الصخرة، فلمّا بعث الله رسوله أدَّته إليه وهي عندنا.

أورثنا علمهم(١)

إنّ الله خلق أولو العزم من الرسل وفضَّلهم بالعلم، وأورثنا علمهم وفضلهم، وفضَّلنا عليهم في علمهم، وعلَّم رسول الله ﷺ ما لم يعلموا، وعلّمنا علم الرسول وعلمهم.

نحن وليالي الجمعة(٢)

عن أبي يحيى الصنعاني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال:

يا أبا يحيى إنّ لنا في ليالي الجمعة لشأن من الشأن.

قال: فقلت له: جُعلتُ فداك وما ذلك الشأن؟

قال: يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى، وأرواح الأوصياء الموتى، وروح الوصيّ الّذي بين ظهرانيكم، يعرج بها إلى السماء حتّى توافي عرش ربّها، فتطوف بها أسبوعاً، وتصلّي عند كلّ قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثمّ تردّ إلى الأبدان الّتي كانت فيها فتصبح الأنبياء والأوصياء قد

---

(١) بصائر الدرجات ٢٢٨، الجزء ٥، ب ٥، ح ٢: حدّثنا عليّ بن محمد بن سعد، عن حمدان بن محمد بن سليمان النيسابوري، عن عبد الله بن محمد اليماني، عن مسلم بن الحجّاج، عن يوسف، عن الحسين بن علوان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) بصائر الدرجات ١٣١، الجزء ٣، ب ٨، ح ٤: حدّثنا الحسن بن عليّ بن معاوية، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن أبي أيّوب، عن شريك بن مليح، وحدَّثني الخضر بن عيسى، عن الكاهلي، عن عبد الله بن أبي أيّوب، عن شريك بن مليح،...

ملئوا وأعطوا سروراً، ويصبح الوصيّ الّذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جمّ الغفير.

ماتت أمي[(١)]

لمّا ماتت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين جاء عليّ عليه السلام عند النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن ما لك؟

قال: أمّي ماتت.

قال: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: وأمّي والله، ثمَّ بكىٰ، وقال: واأمّاه، ثمَّ قال لعليّ عليه السلام: هذا قميصي فكفّنها فيه، وهذا ردائي فكفّنها فيه، فإذا فرغتم فأذنوني، فلمّا أخرجَت صلّىٰ عليها النبي صلى الله عليه وآله صلاة لم يصلّ قبلها ولا بعدها على أحد مثلها، ثمّ نزل على قبرها فاضطجع فيه، ثمَّ قال لها: يا فاطمة، قالت: لبّيك يا رسول الله.

فقال: فهل وجدتِ ما وعد ربّكِ حقّاً؟

قالت: نعم، فجزاك الله خيراً، وطالَت مناجاته في القبر.

فلمّا خرج قيل: يا رسول الله لقد صنعتَ بها شيئاً في تكفينك [إيّاها] ثيابك ودخولك في قبرها وطول مُناجاتك وطول صلاتك ما رأيناك صنعته بأحد قبلها.

قال: أمّا تكفيني إيّاها فإنّي لمّا قلت لها: يعرض الناس يوم يحشرون من قبورهم عُراة فصاحت وقالت: واسوأتاه، فلبستها ثيابي وسألتُ الله

(١) بصائر الدرجات ٢٨٧، الجزء ٦، ب ٧، ح ٩: عن إبراهيم بن هاشم، عن عليّ بن أسباط، عن بكر بن جناح، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

في صلاتي عليها أن لا يُبلي أكفانها حتّى تدخل الجنّة، فأجابني إلى ذلك.

وأمّا دخولي في قبرها فإنّي قلت لها يوماً: إنّ الميّت إذا أُدخل قبره وانصرف الناس عنه دخل عليه ملكان: مُنكر ونكير فيسألانه، فقالت: واغوثاه بالله، فما زلت أسأل ربّي في قبرها حتّى فتح لها روضة من قبرها إلى الجنَّة، و[جعله] روضة من رياض الجنّة.

الوسطاء الوجهاء(١)

إنّ امرأة من الجنّ كان يقال لها: عفراء، وكانت تأتي النبيّ ﷺ فتسمع من كلامه فتأتي صالحي الجنّ فيسلّمون على يديها، وأنَّها فقدها النبيّ ﷺ فسأل عنها جبرئيل عليه السلام.

فقال: إنَّها زارت أُختاً لها تحبّها في الله.

فقال النبي ﷺ: طوبى للمتحابّين في الله، إنّ الله تبارك وتعالى خلق في الجنّة عموداً من ياقوتة حمراء، عليه سبعون ألف قصر، في كلّ قصر سبعون ألف غرفة، خلقها الله عزَّ وجلَّ للمتحابّين والمتزاورين في الله.

[ثمَّ قال]: يا عفراء أيّ شيء رأيتِ؟

قالت: رأيت عجائب كثيرة.

قال: فأعجب ما رأيت؟

قالت: رأيت إبليس في البحر الأخضر على صخرة بيضاء مادّاً يديه إلى السماء وهو يقول: إلٰهي إذا بررت قسمك وأدخلتني نار جهنَّم

---

(١) الخصال ٢/٦٣٩، ح ١٣: حدّثنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن محمد بن عبد الحميد العطّار، عن محمد بن راشد البرمكيّ، عن عمر بن سهل الأسدي، عن سهيل بن غزوان البصري، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

فأسألك بحقّ محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلاّ خلّصتني منها، وحشرتني معهم.

فقلت: يا حارث ما هذه الأسماء الّتي تدعو بها؟

قال لي: رأيتها على ساق العرش من قبل أن يخلق الله آدم بسبعة آلاف سنة، فعلمت أنّهم أكرم الخلق على الله عزَّ وجلَّ، فأنا أسأله بحقّهم.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: والله لو أقسم أهل الأرض بهذه الأسماء لأجابهم.

إسلام عليّ وخديجة عليهما السلام[1]

عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألت عن بدء الإسلام كيف أسلم عليّ؟ وكيف أسلمتْ خديجة؟ فقال: تأبى إلاّ أن تطلب أُصول العلم ومبتدأه، أما والله إنَّك لتسأل تفقّهاً، ثمّ قال: سألتُ أبي عليه السلام عن ذلك فقال لي:

لمّا دعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا عليّ ويا خديجة أسلمتما لله وسلّمتما له، وقال: إنّ جبرئيل عندي يدعوكما إلى بيعة الإسلام فأسلما تسلما، وأطيعا تهديا، فقالا: فعلنا وأطعنا يا رسول الله، فقال: إنَّ جبرئيل عندي يقول لكما: إنَّ للإسلام شروطاً وعهوداً ومواثيق، فابتدئاه بما شرط الله عليكما لنفسه ولرسوله أن تقولا: نشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له في ملكه، لم يتّخذ ولداً ولم يتّخذ صاحبة، إلٰهاً واحداً مخلصاً، وأنَّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافّة بين يدي

---

(١) بحار الأنوار ١٨/٢٣٢، ح ٧٥: عن كتاب الطرف للسيّد ابن طاوُس، نقلاً من كتاب الوصيّة لعيسى بن المستفاد:...

الساعة، ونشهد أنّ الله يُحيي ويُميت ويرفع ويضع ويُغني ويُفقر ويفعل ما يشاء ويبعث من في القبور.

قالا: شهدنا.

قال: وإسباغ الوضوء على المكاره، وغسل الوجه واليدين والذراعين ومسح الرأس والرجلين إلى الكعبين، وغسل الجنابة في الحرّ والبرد، وإقام الصلاة، وأخذ الزكاة من حلّها، ووضعها في أهلها، وحجّ البيت، وصوم شهر رمضان، والجهاد في سبيل الله، وبِرّ الوالدين، وصلة الرحم، والعدل في الرعيّة والقسم بالسويّة، والوقوف عند الشبهة ورفعها إلى الإمام، فإنّه لا شبهة عنده.

وطاعة وليّ الأمر بعدي، ومعرفته في حياتي وبعد موتي، والأئمّة من بعده واحد بعد واحد، وموالاة أولياء الله، ومُعاداة أعداء الله، والبراءة من الشيطان الرجيم، وحزبه وأشياعه، والبراءة من الأحزاب: تيم وعديّ وأُميّة وأشياعهم وأتباعهم، والحياة على ديني وسنَّتي ودين وصيّي، وسنّته إلى يوم القيامة، والموت على مثل ذلك، وترك شرب الخمر وملاحاة الناس.

يا خديجة فهمت ما شرط ربّكِ عليكِ؟

قالت: نعم وآمنتُ وصدَّقتُ ورضيتُ وسلّمتُ.

قال عليّ: وأنا علىٰ ذلك.

فقال: يا عليّ تبايعني على ما شرطت عليك؟

قال: نعم.

قال: فبسط رسول الله ﷺ كفّه ووضع كفّ عليّ عليه السلام في كفّه وقال: بايعني يا عليّ على ما شرطتُ عليك وأن تمنعني ممّا تمنع منه نفسك، فبكى عليّ عليه السلام وقال: بأبي وأمّي لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، فقال

رسول الله صلى الله عليه وآله: اهتديتَ وربّ الكعبة ورشدتَ ووفّقت، أرشدك الله يا خديجة ضعي يدك فوق يد عليّ فبايعي له، فبايعت على مثل ما بايع عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام على أنّه لا جهاد عليها.

ثمّ قال: يا خديجة هذا عليّ مولاك ومولى المؤمنين وإمامهم بعدي، قالت: صدقتَ يا رسول الله قد بايعتُه على ما قلت، أُشهد الله وأُشهدك وكفىٰ بالله شهيداً عليماً.

المُدافع الأوّل للرسول صلى الله عليه وآله[1]

بينا النبيّ صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد فألقى المشركون عليه سلىٰ ناقة فملؤوا ثيابه بها، فدخله من ذلك ما شاء الله، فذهب إلى أبي طالب فقال له: يا عمّ كيف ترى حسبي فيكم؟

فقال له: وما ذاك يابن أخي؟

فأخبره الخبر، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف وقال لحمزة: خذ السلى، ثمّ توجّه إلى القوم والنبيّ صلى الله عليه وآله معه فأتى قريشاً وهم حول الكعبة، فلمّا رأوه عرفوا الشرّ في وجهه، ثمّ قال لحمزة: أمرّ السلى على سبالهم، ففعل ذلك حتّى أتى على آخرهم، ثمّ التفت أبو طالب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يابن أخي هذا حسبك فينا.

الأئمّة والعلم[2]

عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

---

(١) أُصول الكافي ١/٤٤٩، ح ٣٠: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) بصائر الدرجات ٢٣٢، الجزء ٥، ب ٧، ح ٥: حدّثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم الجوهري،...

إنّا لنزاد في اللّيل والنهار ولو لم نزد لنفد ما عندنا.

قال أبو بصير: جُعلتُ فداك من يأتيكم به؟

قال: إنَّ منّا من يعاين، وإنَّ منّا لمن يُنقر في قلبه كيت وكيت، وإنَّ منّا لمن يسمع بإذنه وقعاً كوقع السلسلة في الطست.

قال: فقلت له: من الّذي يأتيكم بذلك؟

قال: خلق [لله] أعظم من جبرئيل وميكائيل.

النبيّ ﷺ وفاطمة عليها السلام(١)

كان رسول الله ﷺ يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام فأنكرت ذلك عائشة.

فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة إنّي لمّا أُسريَ بي إلى السماء دخلت الجنّة فأدناني جبرئيل من شجرة طوبىٰ، وناولني من ثمارها، فأكلت، فحوَّل الله ذلك ماءً في ظهري، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فما قبّلتها قطّ إلاّ وجدت رائحة شجرة طوبىٰ منها.

المسلمون في أُحُد(٢)

لما كان يوم أحد انهزم أصحاب رسول الله ﷺ حتّى لم يبق معه إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبو دجانة سماك بن خرشة.

فقال له النبي ﷺ: يا أبا دجانة أما ترى قومك.

---

(١) تفسير القمي ١/ ٣٦٥: حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رياب، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) علل الشرائع ١/ ٧، ب ٧، ح ٣: حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني ـ رضي الله عنه ـ عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، ومحمد بن أبي عمير جميعاً، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

قال: بلى.

قال: إلحق بقومك.

قال: ما على هذا بايعتُ الله ورسوله.

قال: أنت في حلّ.

قال: والله لا تتحدّث قريش بأني خذلتُك وفررتُ حتى أذوق ما تذوق، فجزاه النبي صلى الله عليه وآله خيراً.

وكان عليّ عليه السلام كلّما حملت طائفة على رسول الله صلى الله عليه وآله استقبلهم وردّهم حتى أكثر فيهم القتل والجراحات، حتى انكسر سيفه، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله إنَّ الرجل يقاتل بسلاحه وقد انكسر سيفي، فأعطاه سيفه ذا الفقار.

فما زال يدفع به عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أثر وانكسر فنزل عليه جبرئيل وقال: يا محمد إنَّ هذه لهي المواساة من عليّ عليه السلام لك.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنَّه منّي وأنا منه.

فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما، وسمعوا دويّاً من السماء، لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ.

لا فتى إلاّ عليّ(١)

انهزم الناس يوم أُحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فغضب غضباً شديداً.

قال: وكان إذا غضب انحدر عن جبينه مثل اللّؤلؤ من العرق.

قال: فنظر فإذا علي عليه السلام إلى جنبه.

---

(١) روضة الكافي ١١٠، ح ٩٠: حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد الكنديّ، عن أحمد بن الحسن الميثمي، عن أبان بن عثمان، عن نعمان الرازي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

فقال له: إلحق ببني أبيك مع من انهزم عن رسول الله.

فقال: يا رسول الله لي بك أُسوة.

قال: فاكفني هؤلاء، فحمل فضرب أوّل من لقي منهم.

فقال جبرئيل عليه السلام: وإنَّ هذه لهي المواساة يا محمد.

فقال: إنَّه منّي وأنا منه.

فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما يا محمد.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرئيل عليه السلام على كرسي من ذهب بين السماء والأرض وهو يقول: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتىٰ إلاّ علي.

ذو الفقار ودم العامري[1]

لمّا قَتَل عليّ عليه السلام عمرو بن عبد ودّ أعطى سيفه ذا الفقار الحسن عليه السلام وقال:

قل لأمّك: تغسل هذا الصقيل، فردّه وعليّ عليه السلام عند النبيّ صلى الله عليه وآله وفي وسطه نقطة لم تنق.

فقال: أليس قد غسلته الزهراء؟

قال: نعم.

قال: فما هذه النقطة؟

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ سل ذا الفقار يخبرك.

فهزّه وقال: أليس قد غسلتك الطاهرة من دم الرجس النجس؟

فأنطق الله السيف فقال: [بلى] ولكنّك ما قتلت بي أبغض إلى

(١) الخرائج والجرائح ١/٢١٥، ح ٥٩: روي عن الصادق عليه السلام، أنّه قال:

الملائكة من عمرو بن عبد ودّ، فأمرني ربّي فشربت هذه النقطة من دمه وهو حظّي منه، فلا تنتضيني يوماً إلاّ ورأته الملائكة فصلّت عليك.

القائد الفاتح[١]

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ قال: هذه السورة نزلت في أهل وادي اليابس. قال: قلت: وما كان حالهم وقصّتهم؟

قال:

إنَّ أهل وادي اليابس اجتمعوا اثني عشر ألف فارس وتعاقدوا وتعاهدوا وتواثقوا على أن لا يتخلّف رجل عن رجل، ولا يخذل أحد أحداً، ولا يفرّ رجل عن صاحبه حتّى يموتوا كلّهم على حلف واحد أو يقتلوا محمّداً صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فنزل جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله وأخبره بقصّتهم وما تعاقدوا عليه وتواثقوا وأمره أن يبعث فلاناً إليهم في أربعة آلاف فارس من المُهاجرين والأنصار.

فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «يا معشر المهاجرين والأنصار إنّ جبرئيل أخبرني أنّ أهل وادي اليابس اثني عشر ألف فارس، قد استعدّوا وتعاقدوا وتعاهدوا أن لا يغدر رجل بصاحبه ولا يفرّ عنه ولا يخذله حتّى يقتلوني وأخي عليّ بن أبي طالب، وقد أمرني أن أسيّر إليهم فلاناً في أربعة آلاف فارس فخذوا في أمركم

---

(١) تفسير القمي ٢/ ٤٣٤ ـ ٤٣٩: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ حدّثنا جعفر بن أحمد، عن عبد الله بن موسى قال: حدّثنا الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن أبيه،...

واستعدّوا لعدوّكم، وانهضوا إليهم على اسم الله وبركته يوم الاثنين إن شاء الله تعالى».

فأخذ المسلمون عدّتهم وتهيّأوا وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلاناً بأمره، وكان فيما أمره به: أنه إذا رآهم أن يعرض عليهم الإسلام فإن تابعوه وإلاّ واقعهم فيقتل مقاتليهم ويسبي ذراريهم ويستبيح أموالهم ويخرّب ضياعهم وديارهم.

فمضى فلان ومن معه من المهاجرين والأنصار في أحسن عدّة وأحسن هيئة، يسير بهم سيراً رفيقاً حتّى انتهوا إلى أهل وادي اليابس فلمّا بلغ القوم نزول القوم عليهم ونزل فلان وأصحابه قريباً منهم خرج إليهم من أهل وادي اليابس مائتا رجل مدجّجين بالسلاح، فلمّا صادفوهم قالوا لهم: من أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟ ليخرج إلينا صاحبكم حتّى نكلّمه.

فخرج إليهم فلان في نفر من أصحابه المسلمين، فقال لهم: أنا فلان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قالوا: ما أقدمك علينا؟

قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أعرض عليكم الإسلام فإن تدخلوا فيما دخل فيه المسلمون لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، وإلاّ فالحرب بيننا وبينكم.

قالوا له: أما واللّات والعزّى لو لا رحم بيننا وقرابة قريبة لقتلناك وجميع أصحابك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعدكم، فارجع أنت ومن معك واربحوا العافية، فإنّا إنّما نريد صاحبكم بعينه وأخاه عليّ بن أبي طالب.

فقال فلان لأصحابه: يا قوم القوم أكثر منكم أضعافاً وأعدّ منكم، وقد نأت داركم عن إخوانكم من المسلمين، فارجعوا نعلم رسول الله صلى الله عليه وآله بحال القوم.

فقالوا له جميعاً: خالفت يا فلان رسول الله صلى الله عليه وآله وما أمرك به فاتّق الله وواقع القوم، ولا تخالف [قول] رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: إنّي أعلم ما لا تعلمون، الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

فانصرف وانصرف الناس أجمعون، فأخبر رسول الله بمقالة القوم وما ردّ عليهم فلان.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فلان خالفتَ أمري ولم تفعل ما أمرتك، وكنتَ لي والله عاصياً فيما أمرتك.

فقام النبيّ صلى الله عليه وآله وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «يا معشر المسلمين إنّي أمرتُ فلاناً أن يسير إلى أهل وادي اليابس، وأن يعرض عليهم الإسلام، ويدعوهم إلى الله، فإن أجابوه وإلاّ واقعهم، وإنّه سار إليهم وخرج إليه منهم مائتا رجل، فإذا سمع كلامهم وما استقبلوه به انتفخ صدره ودخله الرعب منهم، وترك قولي ولم يطعْ أمري، وإنَّ جبرئيل عليه السلام أمرني عن الله أن أبعث إليهم فلاناً مكانه في أصحابه في أربعة آلاف فارس، فسر يا فلاناً على اسم الله ولا تعمل كما عمل أخوك، فإنّه قد عصى الله وعصاني» وأمره بما أمر به الأوّل.

فخرج وخرج معه المهاجرون والأنصار الّذين كانوا مع الأوّل يقتصد بهم في سيرهم حتّى شارف القوم، وكان قريباً منهم بحيث يراهم ويرونه، وخرج إليهم مائتا رجل فقالوا له ولأصحابه مثل مقالتهم للأوّل.

فانصرف وانصرف الناس معه، وكاد أن يطير قلبه ممّا رأى من عدّة القوم وجمعهم، ورجع يهرب منهم.

فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبر محمداً عليه السلام بما صنع هذا، وأنّه قد انصرف وانصرف المسلمون معه.

فصعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأخبر[هم] بما صنع هذا، وما كان منه، وأنّه قد انصرف وانصرف المسلمون معه مخالفاً لأمري، عاصياً لقولي، فقدم عليه فأخبره مثل ما أخبره به صاحبه.

فقال له: «يا فلان عصيتَ الله في عرشه، وعصيتَني وخالفتَ قولي وعملتَ برأيك، ألا قبّح الله رأيك، وإنّ جبرئيل عليه السلام قد أمرني أن أبعث عليّ بن أبي طالب في هؤلاء المسلمين، فأخبرني أنَّ الله يفتح عليه وعلى أصحابه».

فدعا عليّاً عليه السلام وأوصاه بما أوصى به الأول والثاني وأصحابه الأربعة آلاف فارس، وأخبره أنّ الله سيفتح عليه وعلى أصحابه.

فخرج عليّ عليه السلام ومعه المهاجرون والأنصار، فسار بهم سيراً غير سير فلان وفلان، وذلك أنّه أعنف بهم في السير حتّى خافوا أن ينقطعوا من التعب، وتحفى دوابّهم، فقال لهم: لا تخافوا فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمرني بأمر وأخبرني أنّ الله سيفتح عليَّ وعليكم، فأبشروا فإنّكم علىٰ خير وإلى خير.

فطابت نفوسهم وقلوبهم وساروا على ذلك السير والتعب، حتّى إذا كانوا قريباً منهم حيث يرونهم ويراهم، أمر أصحابه أن ينزلوا، وسمع أهل وادي اليابس بقدوم عليّ بن أبي طالب وأصحابه فخرجوا إليه منهم

مائتا رجل شاكين بالسلاح فلمّا رآهم عليّ عليه السلام خرج إليهم في نفر من أصحابه، فقالوا لهم: من أنتم؟ ومن أين أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟

قال: أنّا عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأخوه ورسوله إليكم، أدعوكم إلى شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، ولكم إن آمنتم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم من خير وشرّ.

فقالوا له: إيّاك أردنا، وأنت طلبتنا، قد سمعنا مقالتك، وما عرضت علينا هذا ما لا يوافقنا فخذ حذرك واستعدّ للحرب العوان، واعلم إنّا قاتلوك وقاتلو أصحابك، والموعد فيما بيننا وبينك غداً ضحوة، وقد أعذرنا فيما بيننا وبينكم.

فقال لهم عليّ عليه السلام: ويلكم تهدّدوني بكثرتكم وجمعكم، فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، فانظرفوا إلى مراكزهم وانصرف عليّ عليه السلام إلى مركزه.

فلمّا جنّه الليل أمر أصحابه أن يحسنوا إلى دوابّهم، ويقضموا ويسرجوا فلمّا انشقّ عمود الصبح صلّى بالناس بغلس، ثمّ أغار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتّى وطئتهم الخيل فيما أدرك آخر أصحابه حتّى قتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وخرّب ديارهم، وأقبل بالأسارى والأموال معه ونزل جبرئيل عليه السلام فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بما فتح الله بعليّ عليه السلام وجماعة المسلمين.

فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأخبر الناس بما فتح الله على المسلمين، وأعلمهم أنّه لم يصب منهم إلاّ رجلين، ونزل

فخرج يستقبل عليّاً في جميع أهل المدينة من المسلمين حتّى لقيه على ثلاثة أميال من المدينة.

فلمّا رآه عليّ عليه السلام مقبلاً نزل عن دابّته، ونزل النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى التزمه، وقبّل ما بين عينيه، فنزل جماعة المسلمين إلى عليّ عليه السلام حيث نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وأقبل بالغنيمة والأسارى وما رزقهم الله به من أهل وادي اليابس.

ثمّ قال جعفر بن محمد عليه السلام: ما غنم المسلمون مثلها قطّ إلاّ أن يكون من خيبر فإنّها مثل ذلك.

فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ يعني بالعاديات الخيل تعدو بالرجال، والضبح صيحتها في أعنّتها ولجمها ﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ فقد أخبرتك أنّها أغارت عليهم صبحاً.

قلت: قوله: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾.

قال: الخيل يأثرن بالوادي نقعاً ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾.

قلت: قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾؟ قال: لكفور، ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾؟

قال: يعنيهما جميعاً قد شهدا جميعاً وادي اليابس، وكانا لحبّ الحياة لحريصين.

قلت: قوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾؟

قال: نزلت الآيتان فيهما خاصّة كانا يضمران ضمير السوء ويعملان

به فأخبر الله خبرهما وفعالهما، فهذه قصّة أهل وادي اليابس وتفسير العاديات.

النبيّ صلى الله عليه وآله والمبلّغ عنه[1]

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر مع براءة إلى الموسم ليقرأها على الناس، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: لا يبلّغ عنك إلاّ عليّ عليه السلام.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً فأمره أن يركب ناقته العضباء، وأمره أن يلحق أبا بكر فيأخذ منه براءة ويقرأه [ويقرأها ـ خ] على الناس بمكّة.

فقال أبو بكر: أسخطة؟

فقال: لا، إلاّ أنّه أُنزل عليه لا يبلّغ إلاّ رجل منك.

فلمّا قدم عليّ عليه السلام مكة وكان يوم النحر بعد الظهر وهو يوم الحجّ الأكبر، قام ثم قال: إنّي رسول الله إليكم، فقرأها عليهم: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[2] عشرين من ذي الحجة ومحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل وعشراً من شهر ربيع الآخر.

وقال: لا يطوف بالبيت عريان ولا عريانة ولا مشرك إلاّ من كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وآله فمدّته إلى هذه الأربعة الأشهر.

بحثاً عن الإسلام[3]

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسير في بعض مسيره.

---

(١) تفسير العياشي ٢/٧٣ ـ ٧٤، ح ٤: عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ١ ـ ٢.

(٣) الخرائج والجرائح ١/٨٨، ح ١٤٥: روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

فقال لأصحابه: يطلع عليكم من بعض هذه الفجاج شخص ليس له عهد بأنيس منذ ثلاثة أيام، فما لبثوا أن أقبل أعرابي قد يبس جلده على عظمه وغارت عيناه في رأسه، واخضرّت شفتاه من أكل البقل.

فسأل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أول الرفاق حتى لقيه.

فقال له: أعرض عليّ الإسلام.

فقال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّي محمد رسول الله.

قال: أقررت.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: تصلّي [الصلوات] الخمس وتصوم شهر رمضان.

قال: أقررت.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: تحجّ البيت [الحرام]، وتؤدّي الزكاة وتغتسل من الجنابة.

قال: أقررت، فتخلّف بعير الأعرابي ووقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأل عنه فرجع الناس في طلبه فوجدوه في آخر العسكر قد سقط خفّ بعيره في حفرة من حفر الجرذان فسقط فاندقّ عنق الأعرابي وعنق البعير وهما ميّتان.

فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضربت خيمة فغسّل فيه [فيها ـ خ]، ثم دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكفّنه، فسمعوا للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حركة فخرج وجبينه يترشّح عرقاً، وقال: إنَّ هذا الأعرابي مات وهو جائع وهو ممّن آمن ولم يلبس إيمانه بظلم، فابتدرته الحور العين بثمار الجنّة يحشون بها شدقه هذه تقول: يا رسول الله اجعلني في أزواجه وهذه تقول: يا رسول الله اجعلني في أزواجه.

هؤلاء المهتدون[١]

عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾[٢] قال:

ذاك حمزة وجعفر وعبيدة وسلمان وأبو ذر والمقداد بن الأسود وعمّار هدوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

وقوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[٣]: الأوّل والثاني والثالث.

النبي صلى الله عليه وآله وحارثة الأنصاري[٤]

استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري، فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟

فقال: يا رسول الله مؤمن حقّاً.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لكلّ شيء حقيقة، فما حقيقة قولك؟

فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت هواجري وكأنّي انظر إلى عرش ربّي [و]قد وضع للحساب

---

(١) أصول الكافي ١/٤٢٦، ح ٧١: الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن محمّد بن أورمة، عن عليّ بن حسّان،...

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٤.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٧.

(٤) أصول الكافي ٢/٥٤، ح ٣: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن سنان، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون في الجنّة، وكأنّي أسمع عواء أهل النار في النار.

فقال له رسول الله ﷺ: عبد نوّر الله قلبه، أبصرت فاثبت.

فقال: يا رسول الله أدع الله لي أن يرزقني الشهادة معك.

فقال: اللّهمَّ ارزق حارثة الشهادة، فلم يلبث إلاَّ أيّاماً حتّى بعث رسول الله ﷺ سريّة، فبعثه فيها، فقاتل فقتل تسعة ـ أو ثمانية ـ ثم قُتل.

وفي رواية القاسم بن بريد، عن أبي بصير قال: استشهد مع جعفر بن أبي طالب عليه السلام بعد تسعة نفر وكان هو العاشر.

النبيّ ﷺ وذو النمرة(١)

كان على عهد رسول الله ﷺ رجل يقال له: ذو النمرة، وكان من أقبح الناس، وإنّما سمّي ذو النمرة من قبحه.

فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرني ما فرض الله عزَّ وجلَّ عليّ.

فقال له رسول الله ﷺ: فرض الله عليك سبع عشرة ركعة في اليوم واللّيلة، وصوم شهر رمضان إذا أدركته، والحجّ إذا استطعت إليه سبيلاً، والزكاة وفسّرها له.

فقال: والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما أزيد ربّي على ما فرض عليَّ شيئاً.

فقال له النبيّ ﷺ: ولِمَ يا ذا النمرة؟

---

(١) روضة الكافي ٣٣٦، ح ٥٣١: حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد الكندي، عن أحمد بن الحسن الميثمي، عن أبان بن عثمان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

فقال: كما خلقني قبيحاً.

قال: فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّ ربّك يأمرك أن تبلغ ذا النمرة عنه السلام وتقول له: يقول لك ربّك تبارك وتعالى: أما ترضى أن أحشرك على جمال جبرئيل عليه السلام يوم القيامة؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا ذا النمرة هذا جبرئيل يأمرني أن أبلّغك السلام، ويقول لك ربّك: أما ترضى أن أحشرك على جمال جبرئيل؟

فقال ذو النمرة: فإنّي قد رضيت يا ربّ، فوعزّتك لأزيدنّك حتّى ترضى.

ذو الشهادتين(١)

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اشترى فرساً من أعرابي فأعجبه فقام أقوام من المنافقين حسدوا رسول الله صلى الله عليه وآله على ما أخذ منه.

فقالوا للأعرابي: لو تبلغت به إلى السوق بعته بأضعاف هذا.

فدخل الأعرابي الشَّرَه فقال: ألا أرجع فأستقيله؟

فقالوا: لا ولكنّه رجل صالح فإذا جاءك بنقدك فقل: ما بعتك بهذا، فإنّه سيردّه عليك.

فلمّا جاء النبيّ صلى الله عليه وآله أخرج إليه النقد.

فقال: ما بعتك بهذا.

---

(١) الاختصاص ٦٤: حدّثنا محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن الحسن بن موسى الخشّاب، عن غياث بن كلوب، عن إسحاق بن عمّار، عن جعفر بن محمد عليه السلام:...

فقال النبيّ ﷺ: والّذي بعثني بالحقّ لقد بعتني بهذا.

فقام خزيمة بن ثابت فقال: يا أعرابي أشهد لقد بعتَ رسول الله ﷺ بهذا الثمن الّذي قال.

فقال الأعرابي: لقد بعته وما معنا من أحد.

فقال رسول الله ﷺ لخزيمة: كيف شهدتَ بهذا؟

فقال: يا رسول الله بأبي أنتَ وأمّي تخبرنا عن الله وأخبار السماوات فنصدّقك ولا نصدّقك في ثمن هذا، فجعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين فهو ذو الشهادتين.

النبيّ ﷺ والزيّات[1]

كان رجل يبيع الزيت، وكان يحبّ رسول الله ﷺ حبّاً شديداً، كان إذا أراد أن يذهب في حاجته لم يمض حتّى ينظر إلى رسول الله ﷺ وقد عرف ذلك منه.

فإذا جاء تطاول له حتّى ينظر إليه، حتّى إذا كان ذات يوم دخل عليه فتطاول له رسول الله ﷺ حتّى نظر إليه، ثمّ مضى في حاجته فلم يكن بأسرع من أن رجع.

فلمّا رآه رسول الله ﷺ قد فعل ذلك أشار إليه بيده اجلس، فجلس بين يديه.

فقال: ما لك فعلت اليوم شيئاً لم تكن تفعله قبل ذلك؟

---

(١) روضة الكافي ٧٧ ـ ٧٨، ح ٣١: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

فقال: يا رسول الله والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً لغشي قلبي شيء من ذكرك حتّى ما استطعت أن أمضي في حاجتي حتّى رجعت إليك، فدعا له وقال له خيراً.

ثمّ مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أياماً لا يراه، فلمّا قد سأل عنه، فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما رأيناه منذ أيّام.

فانتعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتعل معه أصحابه وانطلق حتّى أتوا سوق الزيت، فإذا دكّان الرجّل ليس فيه أحد، فسأل عنه جيرته؟

فقالوا: يا رسول الله مات، ولقد كان عندنا أميناً صدوقاً إلاّ أنّه قد كان فيه خصلة.

قال: وما هي؟

قالوا: كان يرهق ـ يعنون يتبع النّساء ـ.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحمه الله والله لقد كان يحبّني حبّاً لو كان نخّاساً لغفر الله له.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يشيّع سعداً[(١)]

إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج في جنازة سعد وقد شيَّعه سبعون ألف ملك، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسه إلى السماء ثمَّ قال: مثل سعد يضمّ؟

قال: قلت: جُعلتُ فداك إنّا نحدّث أنّه كان يستخفّ بالبول.

فقال: معاذ الله، إنّما كان من زعارّة في خُلقه على أهله.

---

(١) فروع الكافي ١/٢٣٦، ح ٦: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

قال: فقالت أمّ سعد: هنيئاً لك يا سعد.

قال: فقال لها رسول الله ﷺ: يا أمّ سعد لا تحتمي على الله.

مواصفات الأصحاب(١)

كان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً: ثمانية آلاف من المدينة، وألفان من [أهل] مكّة، وألفان من الطلقاء، لم ير فيهم قدريّ ولا مرجيّ ولا حروريّ ولا معتزليّ ولا صاحب رأي، كانوا يبكون اللّيل والنهار ويقولون:

إقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير.

الإيمان درجات(٢)

عن القاسم بن بريد، قال: حدّثنا أبو عمرو الزُّبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنَّ للإيمان درجات ومنازل، يتفاضل المؤمنون فيها عند الله؟ قال: نعم، قلت: صفه لي رحمك الله حتّى أفهمه، قال:

إنَّ الله سبّق بين المؤمنين كما يسبّق بين الخيل يوم الرهان، ثمّ فضّلهم على درجاتهم في السبق إليه، فجعل كلّ امرىء منهم على درجة سبقه لا ينقصه فيها من حقّه ولا يتقدّم مسبوق سابقاً، ولا مفضول فاضلاً، تفاضل بذلك أوائل هذه الأمّة أواخرها، ولو لم يكن للسابق إلى

---

(١) الخصال ٢/٦٣٩ ـ ٦٤٠، ح ١٥: حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) أصول الكافي ٢/٤٠ ـ ٤١، ح ١: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح،...

الإيمان فضل على المسبوق إذاً للحق آخر هذه الأمّة أوّلها، نعم ولتقدّموهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الإيمان الفضل على من أبطأ عنه، ولكن بدرجات الإيمان قدَّم الله السابقين، وبالإبطاء عن الإيمان أخّر الله المقصّرين، لأنّا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأوّلين وأكثرهم صلاةً وصوماً وحجّاً وزكاةً وجهاداً وإنفاقاً، ولو لم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون بعضهم بعضاً عند الله لكان الآخرون بكثرة العمل مقدّمين على الأوّلين، ولكن أبى الله عزَّ وجلَّ أن يدرك آخر درجات الإيمان أوّلها، ويقدّم فيها من أخّر الله، أو يؤخّر فيها من قدّم الله.

قلت: أخبرني عمّا ندب الله عزَّ وجلَّ المؤمنين إليه من الاستباق إلى الإيمان؟

فقال: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾[1].

وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾[2].

وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾[3] فبدأ بالمهاجرين الأوّلين على درجة سبقهم، ثمَّ ثنّى بالأنصار، ثمّ ثلّث بالتابعين لهم بإحسان، فوضع كلّ قوم على قدر درجاتهم ومنازلهم عنده، ثمّ ذكر ما فضّل الله عزَّ وجلَّ به أولياءه بعضهم على بعض.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.
(٢) سورة الواقعة، الآيتان: ١٠ ـ ١١.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

فقال عزَّ وجلَّ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ [فوق بعض] دَرَجَٰتٍ﴾[١] إلى آخر الآية، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[٢].

وقال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[٣].

وقال: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٤].

وقال: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[٥].

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾[٦].

وقال: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾[٧].

وقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾[٨].

وقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٩].

---

(١) الصحيح كما في المصحف الشريف ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ ولعلّ السهو من الراوي أو النسّاخ، راجع سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٣.

(٥) سورة هود، الآية: ٣.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٢٠.

(٧) سورة النساء، الآيتان: ٩٥ ـ ٩٦.

(٨) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(٩) سورة المجادلة، الآية: ١١.

وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾(٢).

وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(٣).

فهذا ذكر درجات الإيمان ومنازله عند الله جلّ وعزَّ.

لقمان هذه الأمّة(٤)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً لأصحابه: أيّكم يصوم الدهر؟

فقال سلمان رحمه الله: أنا يا رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فأيّكم يحيي الليل؟

فقال سلمان: أنا يا رسول الله.

قال: فأيّكم يختم القرآن في كلّ يوم؟

فقال سلمان: أنا يا رسول الله.

فغضب بعض أصحابه، فقال: يا رسول الله: إنَّ سلمان رجل من

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٠. وسورة المزّمل، الآية ٢٠.

(٣) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ ـ ٨.

(٤) أمالي الشيخ الصدوق ٣٧ ـ ٣٨، المجلس ٩، ح ٥: حدّثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطّار، قال: حدّثني أبي، عن أحمد بن عيسى، عن نوح بن شعيب النيسابوري، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان، عن عروة بن أخي شعيب العقرقوفي، عن شعيب، عن أبي بصير قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يحدّث عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال:...

الفُرس يريد أن يفتخر علينا معاشر قريش، قلتَ: أيّكم يصوم الدهر؟ فقال: أنا، وهو أكثر أيّامه يأكل، وقلتَ: أيّكم يُحيي اللّيل؟ فقال: أنا، وهو أكثر ليلته نائم، وقلتَ: أيّكم يختم القرآن في كلّ يوم؟ فقال: أنا، وهو أكثر نهاره صامت.

فقال النبيّ ﷺ: مه يا فلان، أنّىٰ لك بمثل لقمان الحكيم، سله فإنّه ينبّئك.

فقال الرجل لسلمان: يا أبا عبد الله أليس زعمتَ أنّك تصوم الدهر؟

فقال: نعم.

فقال: رأيتك في أكثر نهارك تأكل؟

فقال: ليس حيث تذهب، إنّي أصوم الثلاثة في الشهر، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1] وأصل شعبان بشهر رمضان، فذلك صوم الدهر.

فقال: أليس زعمتَ أنّك تُحيي اللّيل؟

فقال: نعم.

فقال: أنت أكثر ليلتك نائم؟

فقال: ليس حيث تذهب، ولكنّي سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: من بات على طهر فكأنّما أحيى اللّيل كلّه، فأنا أبيت على طُهر.

فقال: أليس زعمت أنّك تختم القرآن في كلّ يوم؟

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

قال: نعم.

قال: فأنت أكثر أيّامك صامت؟

فقال: ليس حيث تذهب، ولكنّي سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ عليه السلام: «يا أبا الحسن مثلك في أمّتي مثل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فمن قرأها مرّة قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرّتين فقد قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاثاً فقد ختم القرآن، فمن أحبّك بلسانه فقد كمل له ثلث الإيمان، ومن أحبّك بلسانه وقلبه فقد كمل له ثلثا الإيمان، ومن أحبّك بلسانه وقلبه ونصرك بيده فقد استكمل الإيمان، والذي بعثني بالحقّ يا عليّ لو أحبّك أهل الأرض كمحبّة أهل السماء لك لما عُذّب أحد بالنار» وأنا أقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في كلّ يوم ثلاث مرات، فقام وكأنّه قد أُلقم حجراً.

سلمان المحمّدي(١)

عن منصور بزرج قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما أكثر ما أسمع منك سيّدي ذكر سلمان الفارسي، فقال: لا تقل سلمان الفارسي، ولكن قُل: سلمان المحمّدي، أتدري ما كثرة ذكري له؟

قلت: لا، قال:

لثلاث خلال:

إحداها: إيثاره هوى أمير المؤمنين عليه السلام على هوى نفسه.

---

(١) بحار الأنوار ٢٢/٣٢٧، ح ٣٣، عن أمالي الشيخ الطوسي: المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن محمد بن يحيى وأحمد بن إدريس معاً عن علي بن محمد بن علي الأشعري عن محمد بن سالم بن أبي سلمة، عن أبيه، عن الحسن بن علي الوشّاء، عن محمد بن يوسف،...

والثانية: حبّه الفقراء واختياره إيّاهم على أهل الثروة والعدد.

والثالثة: حبّه للعلم والعلماء، إنَّ سلمان كان عبداً صالحاً حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين.

سلمان منّا[١]

عن المفضّل بن عيسى الهاشمي، قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام أنا وأبي عيسى، فقال له: أمن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: سلمان رجل منّا أهل البيت؟ فقال نعم، فقال: أي من ولد عبد المطّلب؟ فقال: منّا أهل البيت. فقال له: أي من ولد أبي طالب؟ فقال: منّا أهل البيت. فقال له: إنّي لا أعرفه. فقال:

فاعرفه يا عيسى، فإنّه منّا أهل البيت، ثم أومأ بيده إلى صدره ثم قال: ليس حيث تذهب إنَّ الله خلق طينتنا من علّيّين وخلق طينة شيعتنا من دون ذلك، فهم منّا، وخلق طينة عدوّنا من سجّين وخلق طينة شيعتهم من دون ذلك، وهم منهم، وسلمان خير من لقمان.

الإيمان ودرجاته[٢]

يا عبد العزيز إنَّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنَّ صاحب الواحد لصاحب الإثنين: لست على شيء

(١) بصائر الدرجات ١٧ ـ ١٨، الجزء ١، ب ٩، ح ١٣: حدّثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى، عن زياد العبدي،...

(٢) الخصال ٢/٤٤٧ ـ ٤٤٨، ح ٤٨: حدّثنا محمد بن الحسن رضي الله عنه، عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد، عن أبي عبد الله الرازي، عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان، عن محمد بن حمّاد الخزّاز، عن عبد العزيز القراطيسي، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام:...

حتّى ينتهي إلى العاشرة، ولا تسقط من هو دونك فيسقطك الّذي هو فوقك، فإذا رأيت من هو أسفل منك فارفعه إليك برفق ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنّه من كسر مؤمناً فعليه جبره.

وكان المقداد في الثامنة، وأبو ذر في التاسعة، وسلمان في العاشرة.

سلمان بحر لا ينزح(١)

أدرك سلمان العلم الأوّل والعلم الآخر، وهو بحر لا ينزح، وهو منّا أهل البيت، بلغ من علمه أنّه مرّ برجل في رهط، فقال له: يا عبد الله تب إلى الله عزَّ وجلَّ من الذي عملت به في بطن بيتك البارحة.

قال: ثمّ مضى.

فقال له القوم: لقد رماكَ سلمان بأمر فما دفعته عن نفسك.

قال: إنَّه أخبرني بأمر ما اطّلع عليه إلاّ الله وأنا.

وفي خبر آخر مثله وزاد في آخره: إنَّ الرجل كان أبا بكر بن أبي قحافة.

في سوق الحدّادين(٢)

مرّ سلمان رضي الله عنه على الحدّادين بالكوفة فرأى شاباً قد صعق والناس قد اجتمعوا حوله.

---

(١) رجال الكشي ١/٥٢، ح ٢٥: حمدويه بن نصير، عن أبي الحسين بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن ابن بكير، عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٢) أمالي الشيخ المفيد ٨٧، المجلس ١٦، ح ٤: قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد، عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

فقالوا [له]: يا أبا عبد الله هذا الشاب قد صرع فلو قرأتَ في أُذنه.

قال: فدنا منه سلمان فلمّا رآه الشاب أفاق وقال: يا أبا عبد الله ليس بي ما يقول هؤلاء القوم، ولكنّي مررت بهؤلاء الحدّادين وهم يضربون بالمرزبات[1] فذكرت قوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[2] فذهب عقلي خوفاً من عقاب الله تعالى، فاتّخذه سلمان أخاً، ودخل قلبه حلاوة محبّته في الله تعالى، فلم يزل معه حتّى مرض الشاب، فجاءه سلمان فجلس عند رأسه وهو يجود بنفسه فقال: يا ملك الموت اِرفق بأخي.

فقال ملك الموت: يا أبا عبد الله إنّي بكلّ مؤمن رفيق.

لا يقاس بنا أحد[3]

عن عباد بن صهيب قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: أخبرني عن أبي ذر أهو أفضل أم أنتم أهل البيت؟ فقال:

يابن صهيب كم شهور السنة؟

فقلت: اثنا عشر شهراً.

فقال: وكم الحُرم منها؟

قلت: أربعة أشهر.

قال: فشهر رمضان منها؟

---

(١) المرزبات جمع المرزبة: المطرقة الكبيرة التي تكون للحدّاد.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢١.

(٣) علل الشرائع ١/١٧٧، ب ١٤١، ح ٢: حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان، عن الحسن بن علي بن الحسين السكري، عن محمد بن زكريّا الجوهري الغلابي المصري، عن عثمان بن عمران،...

قلت: لا.

قال: فشهر رمضان أفضل أم أشهر الحُرم؟

فقلت: بل شهر رمضان.

قال: فكذلك نحن أهل البيت لا يُقاس بنا أحد، وإنّ أبا ذر كان في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فتذاكروا فضائل هذه الأمّة، فقال أبو ذر: أفضل هذه الأمّة عليّ بن أبي طالب، وهو قسيم الجنّة والنار، وهو صدّيق هذه الأمّة، وفاروقها، وحجّة الله عليها، فما بقي من القوم أحد إلاّ أعرض عنه بوجهه، وأنكر عليه قوله وكذّبه، فذهب أبو أمامة الباهلي من بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بقول أبي ذر وإعراضهم عنه، وتكذيبهم له.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء» يعني منكم يا أبا أمامة «من ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

إسلام أبي ذر[1]

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام لرجل من أصحابه: ألا أخبرك كيف كان سبب إسلام سلمان وأبي ذر رحمة الله عليهما؟ فقال الرجل: واحظاه أمّا إسلام سلمان فقد علمت، فأخبرني كيف كان سبب إسلام أبي ذرّ، فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

---

(١) أمالي الصدوق ٣٨٧ ـ ٣٨٩، المجلس ٧٣، ح ١: حدّثنا الشيخ الفقيه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي قال: حدّثنا أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد وجعفر بن محمد بن مسرور قالوا: حدّثنا الحسين بن محمد بن عامر، عن عمّه عبد الله بن عامر، عن محمد بن أبي عمير، عن مزارم بن حكيم،...

إنّ أبا ذر ـ رحمة الله عليه ـ كان في بطن مرّ يرعى غنماً له إذ جاء ذئب عن يمين غنمه فهشّ أبو ذرّ بعصاه عليه، فجاء الذئب عن يسار غنمه فهشّ أبو ذر بعصاه عليه، ثمّ قال له: والله ما رأيتُ ذئباً أخبث منك ولا شرّاً.

فقال الذئب: شرّ والله منّي أهل مكّة بعث الله إليهم نبيّاً فكذّبوه، وشتموه.

فوقع كلام الذئب في أُذن أبي ذر، فقال لأخته: هلمّي مزوّدي وإداوتي وعصاي ثمّ خرج يركض حتّى دخل مكّة فإذا هو بحلقة مجتمعين، فجلس إليهم فإذا هم يشتمون النبيّ ﷺ ويسبّونه كما قال الذئب.

فقال أبو ذر: هذا والله ما أخبرني به الذئب، فما زالت هذه حالتهم حتّى إذا كان آخر النهار وأقبل أبو طالب قال بعضهم لبعض: كفّوا فقد جاء عمّه، فلمّا دنا منهم أكرموه وعظّموه، فلم يزل أبو طالب متكلّمهم وخطيبهم إلى أن تفرّقوا، فلمّا قام أبو طالب تبعته فالتفتَ إليَّ فقال: ما حاجتك؟

فقلت: هذا النبيّ المبعوث فيكم؟

قال: وما حاجتك إليه؟

فقال له أبو ذر: أؤمن به وأصدّقه ولا يأمرني بشيء إلاّ أطعته.

فقال أبو طالب: تشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله؟

قال: فقلت: نعم أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله.

قال: فقال: إذا كان غداً في هذه الساعة فأتني.

قال: فلمّا كان من الغد جاء أبو ذر فإذا الحلقة مجتمعون وإذا هم يسبّون النبيّ صلى الله عليه وآله ويشتمونه كما قال [الذئب] فجلس معهم حتّى أقبل أبو طالب فقال بعضهم لبعض: كفّوا فقد جاء عمّه، فكفّوا فجاء أبو طالب فجلس، فما زال متكلّمهم وخطيبهم إلى أن قام، فلمّا قام تبعه أبو ذر.

فالتفت إليه أبو طالب، فقال: ما حاجتك؟

فقال: هذا النبيّ المبعوث فيكم؟

قال: وما حاجتك إليه؟

قال: فقال له: أؤمن به وأصدّقه، ولا يأمرني بشيء إلاّ أطعته.

فقال أبو طالب: تشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنَّ محمّداً رسول الله؟

فقال: نعم، أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنَّ محمّداً رسول الله.

قال: فرفعني إلى بيت فيه جعفر بن أبي طالب.

قال: فلمّا دخلت سلّمت فردّ عليّ السلام، ثمّ قال: ما حاجتك؟

قال: فقلت: هذا النبيّ المبعوث فيكم؟

قال: وما حاجتك إليه؟

قلت: أُؤمن به وأصدّقه، ولا يأمرني بشيء إلاّ أطعته.

قال: تشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنَّ محمّداً رسول الله؟

قال: قلت: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله.

فرفعني إلى بيت فيه حمزة بن عبد المطّلب، فلمّا دخلت سلّمت فردّ عليّ السلام، ثمّ قال: ما حاجتك؟

فقلت: هذا النبيّ المبعوث فيكم؟

قال: وما حاجتك إليه؟

قلت: أُؤمن به وأصدّقه، ولا يأمرني بشيء إلاّ أطعته.

قال: تشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنَّ محمّداً رسول الله؟

قال: قلت: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله.

قال: فرفعني إلى بيت فيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا دخلت سلّمت فردّ عليّ السلام، ثمّ قال: ما حاجتك؟

قلت: هذا النبيّ المبعوث فيكم؟

قال: وما حاجتك إليه؟

قلت: أُؤمن به وأصدّقه، ولا يأمرني بشيء إلا أطعته.

قال: تشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنَّ محمّداً رسول الله؟

قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله.

قال: فرفعني إلى بيت فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا هو نور في نور، فلمّا دخلت سلّمت، فردّ عليّ السلام ثمّ قال: ما حاجتك؟

قلت: هذا النبيّ المبعوث فيكم؟

قال: وما حاجتك إليه؟

فقلت: أؤمن به وأصدّقه، ولا يأمرني بشيء إلاّ أطعته.

قال: تشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمّداً رسول الله؟

قلت: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له وأنَّ محمّداً رسول الله.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أنا رسول الله يا أبا ذرّ، انطلق إلى بلادك فإنّك تجد ابن

عمّ لك قد مات فخذ ماله، وكُن بها حتّى يظهر أمري.

قال أبو ذر: فانطلقتُ إلى بلادي فإذا ابن عمّ لي قد مات، وخلف مالاً كثيراً في ذلك الوقت الّذي أخبرني فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فاحتويت على ماله وبقيتُ ببلادي حتّى ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فأتيته.

عبادة أبي ذر(١)

كان أكثر عبادة أبي ذر ـ رحمة الله عليه ـ خصلتان: التفكّر والاعتبار.

المقداد ومنزلته(٢)

إنّما منزلة المقداد بن الأسود في هذه الأمّة كمنزلة ألف في القرآن لا يلزق بها شيء.

من خصائص المعصومين عليهم السلام(٣)

لمّا قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله هبط جبرئيل ومعه الملائكة والروح الّذين كانوا يهبطون في ليلة القدر، قال: ففُتِح لأمير المؤمنين بصره فرآهم في منتهى السماوات إلى الأرض، يغسّلون النبيّ معه، ويصلّون معه عليه،

---

(١) الخصال ١/٤٢، ح ٣٣: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن إبراهيم بن هاشم، عن يحيى بن أبي عمران الهمداني، عن يونس بن عبد الرحمان، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) الاختصاص ١٠: حدّثنا أحمد بن محمد ومحمد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن أحمد بن يحيى، عن بعض أصحابنا، عن أبي القاسم الأياديّ، عن هشام بن سالم، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٣) بصائر الدرجات ٢٢٥، الجزء ٥، ب ٣، ح ١٧: حدّثنا أحمد بن محمد وأحمد بن إسحاق، عن القاسم بن يحيى، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

ويحفرون له، والله ما حفر له غيرهم حتّى إذا وضع في قبره، نزلوا مع من نزل، فوضعوه فتكلّم وفُتِح لأمير المؤمنين سمعه فسمعه يوصيهم به فبكى، وسمعهم يقولون: لا نألوه جهداً، وإنّما هو صاحبنا بعدك إلاّ أنّه ليس يعايننا ببصره بعد مرّتنا هذه، حتّى إذا مات أمير المؤمنين عليه السلام رأى الحسن والحسين مثل ذلك الّذي رأى، ورأيا النبيّ أيضاً يعين الملائكة مثل الّذي صنعوا بالنبيّ، حتّى إذا مات الحسن رأى منه الحسين مثل ذلك، ورأى النبيّ وعليّاً يعينان الملائكة، حتّى إذا مات الحسين رأى عليّ بن الحسين منه مثل ذلك، ورأى النبيّ وعليّاً والحسن يعينون الملائكة، حتّى إذا مات عليّ بن الحسين رأى محمد بن عليّ مثل ذلك، ورأى النبيّ وعليّاً والحسن والحسين يعينون الملائكة، حتّى إذا مات محمّد بن عليّ رأى جعفر مثل ذلك، ورأى النبيّ وعليّاً والحسن والحسين وعليّ بن الحسين يعينون الملائكة، حتّى إذا مات جعفر رأى موسى منه مثل ذلك، هكذا يجري إلى آخرنا.

النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ الأئمّة عليهم السلام[1]

عن سليمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: جعلتُ فداك سمعتك وأنت تقول غير مرّة: لولا أنّا نزاد لأنفدنا، قال:

أمّا الحلال والحرام فقد والله أنزله الله على نبيّه بكماله، ولا يزاد الإمام في حلال ولا حرام.

---

(١) بصائر الدرجات ٣٩٣، الجزء ٨، ب ٩، ح ٥: حدّثنا موسى بن جعفر قال: وجدت بخطّ أبي ـ يعني جعفر بن محمد بن عبد الله ـ يرويه عن محمد بن عيسى الأشعري، عن محمد بن سليمان الديلمي مولى أبي عبد الله،...

قال: فقلت: فما هذه الزيادة؟

قال: في سائر الأشياء سوى الحلال والحرام.

قال: قلت: فتزادون شيئاً يخفى على رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: لا، إنّما يخرج الأمر من عند الله فيأتي به الملك رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: يا محمد ربّك يأمرك بكذا وكذا، فيقول: انطلق به إلى عليّ، فيأتي عليّاً عليه السلام، فيقول: انطلق به إلى الحسن، فيقول: انطلق به إلى الحسين، فلم يزل هكذا ينطلق إلى واحد بعد واحد حتّى يخرج إلينا.

قلت: فتزادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال: ويحك كيف يجوز أن يعلم الإمام شيئاً لم يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله، والإمام من قبله؟

عالم الأمّة وإمامها(١)

كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام عالم هذه الأمّة، والعلم يتوارث، وليس يمضي منّا أحد حتّى يرى مِن وُلده من يعلم علمه، ولا تبقىٰ الأرض يوماً بغير إمام منّا تفزع إليه الأمّة.

قلت: يكون إمامان؟

قال: لا إلاّ وأحدهما صامت لا يتكلّم حتّى يمضي الأوّل.

---

(١) بصائر الدرجات ٥١١، الجزء ١٠، ب ١٨، ح ٢٠: حدّثنا محمد بن الحسين، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء، عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

سعادة الحياة بالإمام عليه السلام[(١)]

إنّ الأرض لا تصلح إلاّ بالإمام، ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة، وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هذه، ـ وأهوىٰ بيده إلى صدره ـ يقول: لقد كنت علىٰ أمر حسن.

من جحد الإمام عليه السلام[(٢)]

منّا الإمام المفروض طاعته، من جحده مات يهوديّاً أو نصرانيّاً، والله ما تُرِك [تُركَتْ] الأرض منذ قبض الله عزَّ وجلَّ آدم إلاّ وفيها إمام يُهتدىٰ به إلى الله، حجّة على العباد، من تركه هلك، ومن لزمه نجا حقّاً على الله.

الأئمّة عليهم السلام والناس[(٣)]

بليّة الناس عظيمة إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا.

السبب بين السماء والأرض[(٤)]

نحن السبب بينكم وبين الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) المحاسن ١٥٤، ب ٢٢، ح ٧٩: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن ابن فضّال، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي اليسع عيسى بن السريّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) ثواب الأعمال ٢٤٥: أبي رحمه الله، قال: حدّثني سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن إسماعيل بن مهران، عن رجل، عن أبي المغرا، عن ذريح، عن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) أمالي الصدوق ٤٨٨، المجلس ٨٩، ح ٤: حدّثنا جعفر بن محمد بن مسرور، قال: حدّثنا الحسين بن محمد بن عامر، عن عمّه عبد الله بن عامر قال: حدّثني أبو أحمد محمد بن زياد الأزدي، عن المفضّل بن عمر، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:...

(٤) بحار الأنوار ٢٣/١٠١، ح ٥، عن أمالي الشيخ الطوسي: المفيد، عن الجعابي، عن ابن عقدة، عن جعفر بن محمد بن عبيد، عن الحسن بن محمد، عن أبيه، عن محمد بن المثنّى الأزدي أنّه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

آية الذكر[١]

عن عبد الحميد بن أبي ديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢] قال:

كتاب الله الذكر، وأهله آل محمد الّذين أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهّال، وسمّى الله القرآن ذِكراً فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

ردّوه إلينا[٤]

عن حمزة بن محمّد الطيّار قال: عرضتُ على أبي عبد الله عليه السلام كلاماً لأبي، فقال:

أكتب: إنّه لا يسعكم فيما نزل بكم ممّا لا تعلمون إلاّ الكفّ عنه والتثبيت فيه، وردّوه إلى أئمّة الهدى حتّى يحملوكم فيه على القصد ويجلوا عنكم فيه العمى، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥].

كلّنا قائم[٦]

عن عليّ بن أسباط قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عزّ

---

(١) بصائر الدرجات ٤١، الجزء ١، ب ١٩، ح ١٩: حدّثنا عبد الله بن جعفر، عن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر وعبد الكريم،...

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٤) تفسير العياشي ٢/ ٢٦٠، ح ٣٠:...

(٥) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ٤٢٤: قال محمد بن العبّاس ـ رحمه الله ـ حدّثنا أحمد بن القاسم الهمداني، عن أحمد بن محمد السيّاري، عن محمد بن خالد البرقي،...

وجلّ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾(١) قال:

نحن هم.

فقال الرجل: جعلتُ فداك متى [حتّى خ ل] يقوم القائم عليه السلام؟

قال: كلّنا قائم بأمر الله عزَّ وجلَّ، واحد بعد واحد، حتّى يجيء صاحب السيف، فإذا جاء صاحب السيف جاء أمر غير هذا.

أُوتوا العلم في القرآن(٢)

عن عبد العزيز العبدي قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾(٣) قال:

هم الأئمّة من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، باقية دائمة في كلّ حين.

القرآن والراسخون في العلم(٤)

إنّ القرآن زاجر وآمر، يأمر بالجنّة ويزجر عن النار، وفيه محكم ومتشابه، فأمّا المحكم فيؤمن به ويعمل به [ويدين به] وأمّا المتشابه فيؤمن به ولا يعمل به وهو قول الله:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٤٢٤: قال محمّد بن العبّاس ـ رحمه الله ـ حدّثنا أحمد بن هوذة الباهلي، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حمّاد،...

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٤) تفسير القمي ٢/٤٥١: حدّثنا محمد بن أحمد بن ثابت، قال: حدّثنا الحسن بن محمد بن سماعة، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:...

يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾[١] وآل محمّد عليهم السلام الراسخون في العلم.

نحن المحسودون[٢]

يا أبا الصّباح نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال، ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الّذين قال الله:

﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾[٣].

الأئمّة عليهم السلام والإمامة[٤]

عن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قول الله تبارك وتعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ﴾[٦] قال:

الّذين أوتوا العلم: الأئمّة، والنبأ: الإمامة.

الآيات والنذر[٧]

عن داود بن كثير الرقي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) بصائر الدرجات ٢٠٢، الجزء ٤، ب ١٠، ح ١: حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:....

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٤) بصائر الدرجات ٢٠٧، الجزء ٤، نادر من ب ١١، ح ١: حدّثنا عباد بن سليمان، عن أبيه سليمان،...

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٦) سورة ص، الآيتان: ٦٧ ـ ٦٨.

(٧) تفسير القمي ١/ ٣٢٠: أخبرني الحسين بن محمد، عن المعلّى بن محمد قال: حدّثني أحمد بن محمد بن عبد الله، عن أحمد بن هلال، عن أميّة بن علي،...

﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[١] قال:

الآيات: الأئمّة، والنذر: الأنبياء عليهم السلام.

أمير المؤمنين عليه السلام في القرآن[٢]

وقد سأله سائل عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٣] قال:

هو أمير المؤمنين عليه السلام.

بين عليّ عليه السلام وزيد[٤]

لمّا صرع زيد بن صوحان يوم الجمل جاء أمير المؤمنين عليه السلام حتّى جلس عند رأسه فقال: رحمك الله يا زيد قد كنتَ خفيف المؤونة، عظيم المعونة.

فرفع زيد رأسه إليه فقال: وأنت جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين فوالله ما علمتُك إلاّ بالله عليماً، وفي أمّ الكتاب عليّاً حكيماً، وإنّ الله في صدرك عظيماً.

من أظهر مصاديق الموءودة[٥]

عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: قوله

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٥٣٧: الحسن بن أبي الحسن الديلميّ رحمه الله، بإسناده عن رجاله إلى حمّاد السندي، عن أبي عبد الله عليه السلام،...

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٤.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٥٣٨: محمد بن العبّاس قال: حدّثنا أحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن إبراهيم بن هاشم، عن علي بن معبد، عن واهل [واصل خ ل] ابن سليمان، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٧٤٢: قال محمد بن العبّاس: حدّثنا علي بن جمهور، عن محمد بن سنان،...

عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[(١)] قال:

يعني الحسين عليه السلام.

من مصاديق الموءودة[(٢)]

جعفر بن محمد الفزاري معنعناً، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾[(٣)] يعني مودّتنا ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[(٤)]؟ قال:

ذلك حقّنا الواجب على الناس، حبّنا الواجب على الخلق، قتلوا مودّتنا.

أولو الأرحام والولاية[(٥)]

عن عبد الرحيم بن روح القصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾[(٦)] قال:

نزلت في وُلد الحسين عليه السلام.

قال: قلت: جعلتُ فداك نزلت في الفرائض؟

قال: لا.

---

(١) سورة التكوير، الآيتان: ٨ ـ ٩.

(٢) تفسير فرات الكوفي ٢٠٤: فرات قال: حدّثني:...

(٣) سورة التكوير، الآية: ٨.

(٤) سورة التكوير، الآية: ٩.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٤٤٠: قال محمد بن العبّاس: حدّثنا الحسين بن عامر، عن محمد بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن حمّاد بن عثمان،...

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

قلت: ففي المواريث؟

قال: لا، [ثمّ] قال: نزلت في الإمرة.

أرحام الرسول ﷺ وصلتهم(١)

إنّ رحم الأئمة عليهم السلام من آل محمد ﷺ ليتعلّق بالعرش يوم القيامة وتتعلّق بها أرحام المؤمنين يقول: يا ربّ صِلْ مَن وصلنا، واقطع مَن قطعنا.

قال: فيقول الله تبارك وتعالى: أنا الرحمٰن وأنت الرحم، شققتُ اسمك من اسمي فمن وصلك وصلتُه ومن قطعك قطعتُه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: الرحم شجنة من الله عزَّ وجلَّ.

الرحم المفروض صلتها(٢)

الرحم معلّقة بالعرش تقول: اللَّهُمَّ صل من وصلني واقطع من قطعني وهي رحم آل محمد ورحم كلّ مؤمن، وهي قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾(٣).

الأمانة في القرآن(٤)

عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ:

---

(١) معاني الأخبار ٣٠٢: حدّثنا علي بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، قال: حدّثني أبي، عن جدّه أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه محمد بن خالد، عن يونس بن عبد الرحمان، عن عمرو بن جميع قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام مع نفر من أصحابه فسمعته وهو يقول:...

(٢) تفسير العياشي ٢/٢٠٨، ح ٢٧: عن العلا بن الفضيل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:...

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢١.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٤٦٠: محمد بن العبّاس ـ رحمه الله ـ عن الحسين بن عامر، عن محمد بن الحسين، عن الحكم بن مسكين،...

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(١) قال:

يعني بها ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

كيف يعرف الإمام عليه السلام(٢)

الإمام يعرف بثلاث خصال: إنَّه أولى الناس بالّذي كان قبله، وعنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، وعنده الوصيّة، وهو الّذي قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾(٣).

وقال: السلاح فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل يدور الملك حيث دار السلاح، كما كان يدور حيث دار التابوت.

أهل الكوفة والولاية(٤)

إنّ الله عزَّ وجلَّ عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلاّ أهل الكوفة.

هؤلاء أولو الأمر(٥)

عن حكيم قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: جعلتُ فداك أخبرني من أولي الأمر الّذين أمر الله بطاعتهم؟ فقال لي:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) بصائر الدرجات ١٨٠ ـ ١٨١، الجزء ٤، ب ٤، ح ٢٢: حدّثنا أحمد بن محمد، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمد بن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٤) بصائر الدرجات ٧٦، الجزء ٢، النوادر من ب ١٠، ح ١: أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي بن فضّال، عن المفضّل بن صالح، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٥) تفسير العياشي ١/٢٥٢، ح ١٧٤:...

أُولئك عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمد بن عليّ وجعفر أنا، فاحمدوا الله الّذي عرّفكم أئمّتكم وقادتكم حين جحدهم الناس.

الحبّ المتقابل[1]

إنّ الله أدّب نبيّه على محبّته فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

قال: ثمّ فوّض إليه الأمر فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3] وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[4].

وإنَّ رسول الله ﷺ فوّض إلى علي عليه السلام وائتمنه فسلّمتم وجحد الناس، فوالله لنحبّكم أن تقولوا إذا قلنا، وأن تصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله، والله ما جعل لأحد من خير في خلاف أمرنا [أمره خ ل].

ولاية الإمام العادل[5]

عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتوالونكم ويتوالون فلاناً وفلاناً لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتوالونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا

---

(١) تفسير العياشي ١/٢٥٩، ح ٢٠٣: عن أبي إسحاق النحوي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٥) غيبة النعماني ٨٣ ـ ٨٤: محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبدي،...

الصدق، قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً وأقبل عليّ كالمغضب ثمّ قال:

لا دين لمن دان بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله.

قلت: لا دين لأولئك، ولا عتب على هؤلاء؟

ثمّ قال: أما تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كلّ إمام عادل من الله.

ثمّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ فأيّ نور يكون للكافر فيخرج منه؟ إنّما عنى بهذا أنّهم كانوا على نور الإسلام، فلمّا توالوا كلّ إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إيّاهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار مع الكفّار، فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

الولاية: البيت الحصين[2]

عن محمّد بن عليّ الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾[3].

يعني الولاية، من دخل في الولاية دخل في بيت الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٢) أصول الكافي ١/٤٢٣، ح ٥٤: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضّال، عن المفضّل بن صالح،...

(٣) سورة نوح، الآية: ٢٨.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١]. يعني الأئمة عليهم السلام وولايتهم، من دخل فيها دخل في بيت النبي صلى الله عليه وآله.

الأمّة الوسطى[٢]

عن بريد العجليّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٣] قال عليه السلام:

نحن الأمّة الوسطىٰ، ونحن شهداء الله على خَلقه وحُججه في أرضه.

قلت: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾؟

قال: إيّانا عنىٰ خاصّة ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ في الكتب الّتي مضت ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ القرآن ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٤] فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله عزَّ وجلَّ، ونحن الشهداء على الناس، فمن صدّق صدّقناه يوم القيامة، ومن كذّب كذّبناه يوم القيامة.

المؤمن في القرآن[٥]

عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه عليهما السلام في قوله تعالى:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) أصول الكافي ١/ ١٩٠، ح ٢: الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن أحمد بن عائذ، عن عمر بن أُذينة،...

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٤) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٣١٢: قال محمد بن العبّاس: حدّثنا محمد بن همّام، عن محمد بن إسماعيل العلوي، عن عيسى بن داود،...

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[١] قال: مؤمن بمحبّة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومبغض لعدوّهم.

عليّ عليه السلام وشيعته في القرآن[٢]

عن صباح الأزرق قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٣].

هو أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته.

المثنى والفرادى في القرآن[٤]

عن يعقوب بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾[٥] قال: بالولاية، قلت: وكيف ذلك؟ قال:

إنَّه لمّا نصَّب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام للناس، فقال: **من كنتُ مولاه فعليّ مولاه**، اغتابه رجل قال: إنّ محمداً ليدعو كلّ يوم إلى أمر جديد، وقد بدأ بأهل بيته يملّكهم رقابنا.

فأنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك قرآناً فقال له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ فقد أدّيت إليكم ما افترض ربّكم عليكم.

قلت: فما معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾؟

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٧٥٩: محمد بن العبّاس، عن الحسين بن أحمد، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن مقاتل، عن عبد الله بن بكير،...

(٣) سورة البروج، الآية: ١١.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٤٦٦ ـ ٤٦٧: قال محمد بن العبّاس ـ رحمه الله ـ حدّثنا أحمد بن محمد النوفلي،...

(٥) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

فقال: أمّا ﴿مَثْنَىٰ﴾ يعني طاعة رسول الله ﷺ وطاعة أمير المؤمنين عليه السلام، وأمّا ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ يعني طاعة الإمام من ذرّيتهما من بعدهما، ولا والله يا يعقوب ما عنىٰ غير ذلك.

ولايتنا في القرآن(١)

فرات بن إبراهيم الكوفي معنعناً، عن جعفر بن محمّد عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾(٢) قال:

هي والله ولايتنا أهل البيت لا ينكره [لا ينكرها] أحد إلاّ ضالّ.

قال: ولا ينتقص علياً عليه السلام إلاّ ضالّ.

الاستقامة على الولاية(٣)

عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾(٤) قال:

استقاموا على ولاية الأئمّة عليهم السلام واحداً بعد واحد.

الصدّيق الأكبر(٥)

هبط على النبيّ ﷺ ملك له عشرون ألف رأس، فوثب النبيّ ﷺ ليقبّل يده.

---

(١) تفسير فرات الكوفي ٧٠: حدّثنا...

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٥٢٤: قال محمد بن العبّاس ـ رحمه الله ـ حدّثنا أحمد بن القاسم، عن أحمد بن محمّد السيّاري، عن محمد بن خالد، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب،...

(٤) سورة فصّلت، الآية: ٣٠.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٦٣٩: محمّد بن العبّاس، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن محمّد بن عمرو، عن عبد الله بن سليمان، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن عمرو بن الفضل البصريّ، عن عبّاد بن صهيب، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال:...

فقال له الملك: مهلاً مهلاً يا محمّد، فأنت والله أكرم على الله من أهل السماوات وأهل الأرضين أجمعين.

والملك يُقال له: محمود، فإذا بين منكبيه مكتوب: «**لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ الصدّيق الأكبر**».

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: حبيبي محمود، منذ كَم هذا مكتوب بين منكبيك؟

قال: من قبل أن يخلق الله آدم أباك باثني عشر ألف عام.

المؤمن شهيد[1]

عن منهال القصّاب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أُدع الله أن يرزقني الشهادة، فقال:

إنّ المؤمن شهيد.

ثمّ تلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ﴾[2].

الحسنة في القرآن[3]

عن عمّار بن موسى الساباطيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ أبا أميّة يوسف بن ثابت حدَّث عنك أنَّك قلت: لا يضرّ مع الإيمان عمل، ولا ينفع مع الكفر عمل، فقال:

إنَّه لم يسألني أبو أميّة عن تفسيرها، إنَّما عنيتُ بهذا أنّه من عرف الإمام من آل محمّد وتولاّه، ثمّ عمل لنفسه ما شاء من عمل الخير قبل منه

---

(١) مجمع البيان ٩/٣٥٩: روى العياشي بالإسناد...

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٩.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٤٠٤ ـ ٤٠٥: روى الشيخ الطوسي في أماليه عن رجاله،...

ذلك، وضوعف له أضعافاً كثيرة، وانتفع بأعمال الخير مع المعرفة، فهذا ما عنيتُ بذلك، وكذلك لا يقبل الله من العباد الأعمال الصالحة الّتي يعملونها إذا تولّوا الإمام الجائر الّذي ليس من الله تعالى.

فقال له عبد الله بن أبي يعفور: أليس الله تعالى قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ فكيف لا ينفع العمل الصالح ممّن يُوالي أئمّة الجور؟

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: هل تدري ما الحسنة الّتي عناها الله تعالى في هذه الآية؟

قال: لا، قال:

هي معرفة الإمام وطاعته، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١].

وإنّما أراد بالسيّئة إنكار الإمام الّذي هو من الله تعالى.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: من جاء يوم القيامة بولاية إمام جائر ليس من الله، وجاءه منكراً لحقّنا، جاحداً لولايتنا، أكبّه الله تعالى يوم القيامة في النار.

شرط تضاعف الحسنات[٢]

محمّد بن القاسم بن عبيد بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام أنّه قرأ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٣] فقال:

---

(١) سورة النمل، الآيتان: ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) بحار الأنوار ٢٤/٤٥ ـ ٤٦، ح ١٧، عن تفسير فرات الكوفي ٤٥:....

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

إذا جاء بها مع الولاية فله عشر أمثالها، وإذا جاء بالسيّئة فلا يُجزى إلاّ مثلها.

وأمّا قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾.

فالحسنة ولايتنا وحبّنا ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾(١) فهي بغضنا أهل البيت لا يقبل الله لهم عملاً ولا صرفاً ولا عدلاً، وهم في نار جهنّم لا يخرجون منها ولا يخفّف عنهم العذاب.

المتّقون في القرآن(٢)

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ﴾ الخمس ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ولاية الطواغيت ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ بالولاية ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ فلا يريد شيئاً من الخير إلاّ تيسّر له ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بالخمس ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ برأيه عن أولياء الله ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ بالولاية ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ فلا يريد شيئاً من الشرّ إلاّ تيسَّر له.

وأمّا قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله ومن اتّبعه و﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام، وهو قوله تعالى: ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾(٣).

وقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾(٤) فهو رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي ليس لأحد عنده نعمة تُجزىٰ، ونعمته جارية على جميع الخلق.

---

(١) سورة النمل، الآيتان: ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٧٨٢: روى أحمد بن القاسم، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أيمن بن محرز، عن سماعة،...

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٤) الآيات في سورة اللّيل.

النعيم في القرآن(١)

عن أبي حمزة قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة فدعا بطعام ما لنا عهد بمثله لذاذة وطيباً، حتّى تملّينا وأتينا بتمر ننظر فيه إلى وجوهنا من صفائه وحُسنه، فقال رجل: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾(٢) عن هذا النعيم الّذي نعّمتم عند ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

الله أكرم وأجلّ من أن يطعمكم طعاماً فيسوّغكموه، ثمّ يسألكم عنه، ولكنّه [يسألكم عمّا] أنعم عليكم بمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله.

عندما يذكر النبيّ صلى الله عليه وآله(٣)

عن أبي هارون قال: كان أبو عبد الله عليه السلام إذا ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

بأبي وأمّي ونفسي وقومي وعترتي، عجب للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها؟! والله يقوله في كتابه: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾(٤) فبرسول الله صلى الله عليه وآله والله أنقذوا.

أعظم نعمة الله(٥)

عن أبي يوسف البزّاز، قال: تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾(٦) قال:

أتدري ما آلاء الله؟

---

(١) المحاسن ٤٠٠، ب ٦، ح ٨٣: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن عثمان بن عيسى، عن أبي سعيد،...

(٢) سورة التكاثر، الآية: ٨.

(٣) تفسير العياشي ١/ ١٩٤ ـ ١٩٥، ح ١٢٦:...

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٥) أصول الكافي ١/ ٢١٧، ح ٣: الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن محمّد بن جمهور، عن عبد الله بن عبد الرحمان، عن الهيثم بن واقد،...

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٦٩.

قلت: لا.

قال: هي أعظم نِعم الله على خلقه، وهي ولايتنا.

الشمس والقمر في القرآن(١)

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾؟ قال:

الشمس رسول الله صلى الله عليه وآله، أوضح الله به للناس دينهم.

قلت: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾؟

قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام.

قلت: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾؟

قال: ذاك الإمام من ذريّة فاطمة عليها السلام، يسأل عن دين رسول الله صلى الله عليه وآله فيجلّي لمن يسأله، فحكى الله قوله: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾.

قلت: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾؟

قال: ذاك أئمّة الجور الّذين استبدّوا بالأمر دون آل رسول الله صلى الله عليه وآله وجلسوا مجلساً كان آل رسول الله صلى الله عليه وآله أولى به منهم، فغشوا دين رسول الله صلى الله عليه وآله بالظلم والجور، وهو قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾.

قال: يغشى ظلمهم ضوء النهار، وقوله: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾.

قال: خَلَقها وصوّرها.

وقوله: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ أي: عرّفها وألهمها ثمّ خيّرها فاختارت.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ يعني نفسه طهّرها.

---

(١) تفسير القمي ٢/٤٢: أخبرني أبي، عن سليمان الديلمي،...

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[١] أي أغواها.

النفس المطمئنّة في القرآن[٢]

إقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم، فإنّها سورة الحسين بن علي[عليه السلام] وارغبوا فيها رحمكم الله.

فقال له أبو أسامة ـ وكان حاضر المجلس ـ: كيف صارت هذه السورة للحسين عليه السلام خاصّة؟

فقال: ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[٣] إنّما يعني الحسين بن عليّ عليه السلام، فهو ذو النفس المطمئنّة الراضية المرضيّة، وأصحابه من آل محمّد صلوات الله عليهم الراضون عن الله يوم القيامة وهو راض عنهم، وهذه السورة في الحسين بن عليّ عليه السلام وشيعته، وشيعة آل محمّد خاصّة، فمن أدمن[٤] قراءة الفجر كان مع الحسين عليه السلام في درجته في الجنّة إنّ الله عزيز حكيم.

نحن شجرة النبوّة[٥]

يا شهاب نحن شجرة النبوّة ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة،

---

(١) سورة الشمس، الآيات: ١ ـ ١٠.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٧٦٩: روي عن الحسن بن محبوب بإسناده عن صندل، عن داود بن فرقد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: . . .

(٣) سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠.

(٤) أدمن الشيء: أدامه.

(٥) تفسير القمي ٢/٢٢٨: حدّثنا أحمد بن محمّد الشيباني، قال: حدّثنا محمّد بن أحمد بن بويه [أحمد بن معاوية خ ل] قال: حدّثنا محمّد بن سليمان قال: حدّثنا عبد الله بن محمّد التفليسي، عن الحسن بن محبوب، عن صالح بن رزين، عن شهاب بن عبد ربّه قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول:....

ونحن عهد الله وذمّته، ونحن ودائع الله وحجّته، كنّا أنواراً صفوفاً حول العرش، نسبّح فيسبّح أهل السماء بتسبيحنا، إلى أن هبطنا إلى الأرض فسبّحنا فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا، وإنّا لنحن الصافّون وإنّا لنحن المسبّحون، فمن وفىٰ بذمّتنا فقد وفى بعهد الله عزَّ وجلَّ وذمّته، ومن خفر[١] ذمّتنا فقد خفر ذمّة الله عزَّ وجلَّ وعهده.

المؤمن عند الموت[٢]

عن سدير الصيرفي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلتُ فداك يابن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال:

لا، إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع لذلك فيقول له ملك الموت: يا وليّ الله لا تجزع، فوالّذي بعث محمّداً بالحقّ لأنّا أبرّ بك وأشفق عليك من الوالد البرّ الرحيم بولده، افتح عينيك وانظر.

قال: فيتمثّل له رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام فيقول: هؤلاء رفقاؤك.

فيفتح عينيه وينظر إليهم ثمّ تنادى نفسه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ إلى محمّد وأهل بيته عليهم السلام ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ بالولاية ﴿مَّرۡضِيَّةً﴾ بالثواب فادخلي في عبادي﴾ يعني محمّداً وأهل بيته ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾[٣] فما من شيء أحبّ إليه من انسلال روحه واللّحوق بالمنادي.

(١) أي: ومن نقض ذمّتنا فقد نقض ذمّة الله وعهده.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٧٧٠: روى أبو جعفر محمّد بن بابويه ـ رحمه الله ـ عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن عبّاد بن سليمان،...
(٣) سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠.

بَحران من علم(١)

يحيى بن سعيد القطّان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ قال:

عليّ وفاطمة عليهما السلام بَحران من العلم، عميقان، لا يبغي أحدهما على صاحبه.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾(٢) الحسن والحسين عليهما السلام.

أولو النّهى في القرآن(٣)

عن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾؟(٤) قال: نحن والله أولو النهى. فقلت: جُعلتُ فداك وما معنى أولي النهى؟ قال:

ما أخبر الله به رسوله ممّا يكون بعده من ادّعاء أبي فلان الخلافة والقيام بها، والآخر من بعده، والثالث من بعدهما وبني أميّة، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام وكان ذلك كما أخبر الله به نبيّه، وكما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام، وكما انتهى إلينا من عليّ فيما يكون من بعده من الملك في بني أميّة وغيرهم، فهذه الآية الّتي ذكرها الله في الكتاب: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ فنحن أولو النهى الّذين انتهى إلينا علم

---

(١) الخصال ١/٦٥، ح ٩٦: حدّثنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن القاسم بن محمّد الأصبهاني، عن سليمان بن داود المنقري، قال: حدّثنا...

(٢) سورة الرحمن، الآيات: ١٩ ـ ٢٢.

(٣) بحار الأنوار ٢٤/١١٨، ح ١، عن تفسير القمي: أبي، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب،...

(٤) سورة طه، الآية: ١٢٨.

هذا كلّه، فصبرنا لأمر الله، فنحن قوّام الله على خلقه وخزّانه على دينه نخزنه ونستره، ونكتتم به من عدوّنا كما اكتتم رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أذن الله له في الهجرة، وجاهد المشركين فنحن على منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يأذن الله لنا في إظهار دينه بالسيف، وندعو الناس إليه فنضربهم عليه عوداً كما ضربهم رسول الله صلى الله عليه وآله بدواً.

المتوسّمون في القرآن[1]

عن عبد الكريم يعني ابن كثير قال: حججت مع أبي عبد الله عليه السلام فلمّا صرنا في بعض الطريق صعد على جبل فأشرف فنظر إلى الناس، فقال:

ما أكثر الضجيج وأقلّ الحجيج؟

فقال له داود الرقّي: يابن رسول الله هل يستجيب الله دعاء هذا الجمع الّذي أرى؟

قال: ويحك يا أبا سليمان إنّ الله لا يغفر أن يُشرك به، الجاحد لولاية عليّ عليه السلام كعابد وثن.

قال: قلت: جُعلت فداك هل تعرفون محبّكم ومبغضكم؟

قال: ويحك يا أبا سليمان إنّه ليس من عبد يُولد إلاّ كتب بين عينيه مؤمن أو كافر، [و]إنَّ الرجل ليدخل إلينا بولايتنا، وبالبراءة من أعدائنا فنرىٰ مكتوباً بين عينيه مؤمن أو كافر.

(١) بصائر الدرجات ٣٥٨، الجزء ٧، ب ١٧، ح ١٥: حدّثنا أحمد بن الحسين، عن أحمد بن إبراهيم، عن الحسن بن البراء، عن عليّ بن حسان،...

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[1] نعرف عدوّنا من وليّنا.

القرآن والإمامة[2]

عن علاء بن سيّابة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[3] قال:

يهدي إلى الإمام.

الشيعة في القيامة[4]

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[5] قال:

إذا كان يوم القيامة دُعي بالنبيّ صلى الله عليه وآله وبأمير المؤمنين وبالأئمّة من ولده عليهم السلام فيُنصَبون للناس فإذا رأتهم شيعتهم قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ يعني هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين والأئمّة من ولده عليهم السلام.

الهُدى في القرآن[6]

عليّ بن عبد الله قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام رجل عن قوله تعالى:

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٧٥.

(٢) بصائر الدرجات ٤٧٧، ج١٠، ب٤، ح١٢: حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن موسى النميريّ،...

(٣) سورة الإسراء، الآية ٩.

(٤) أصول الكافي ١/٤١٨، ح ٣٣: الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن أحمد بن محمّد، عن ابن هلال، عن أبيه، عن أبي السفاتج،...

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٦) مناقب ابن شهرآشوب ٤/٤٠٠:...

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾(١) قال:

من قال بالأئمّة عليهم السلام وتبع أمرهم ولم يجز [عن] طاعتهم.

السلم في القرآن(٢)

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾(٣).

قال: أتدري ما السلم؟

قال: قلت: أنت أعلم.

قال: ولاية عليّ والأئمّة الأوصياء من بعده [عليهم السلام].

قال: ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ والله ولاية فلان وفلان.

الموعود في القرآن(٤)

محمّد بن عليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾(٥) قال:

الموعود عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعده الله أن ينتقم له من أعدائه في الدنيا، ووعده الجنّة له ولأوليائه في الآخرة.

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢٣.

(٢) تفسير العياشي ١/١٠٢، ح ٢٩٤:...

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٤١٤: روى الحسن بن أبي الحسن الديلميّ ـ رحمه الله ـ بإسناده عن رجاله إلى...

(٥) سورة القصص، الآية: ٦١.

أنتم المستضعفون(١)

إنّ رسول الله ﷺ نظر إلى عليّ والحسن والحسين عليهم السلام فبكى وقال: أنتم المستضعفون بعدي.

قال المفضل: فقلت له: ما معنى ذلك يابن رسول الله؟

قال: معناه أنّكم الأئمّة بعدي، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾(٢) فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة.

الولاية شرط القبول(٣)

عن عمّار أبو يقظان الأسدي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾(٤) قال:

ولايتنا أهل البيت ـ وأهوىٰ بيده إلى صدره ـ فمن لم يتولّنا لم يرفع الله له عملاً.

الحرمات خمس(٥)

لله عزَّ وجلَّ في بلاده خمس حُرُم: حرمة رسول الله ﷺ وحرمة آل

---

(١) معاني الأخبار ٧٩: حدّثنا أحمد بن محمّد الهيثم العجلي ـ رضي الله عنه ـ قال: حدّثنا أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن زكريّا القطّان قال: حدّثنا بكر بن عبد الله بن حبيب قال: حدّثنا تميم بن بهلول، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٢) سورة القصص، الآية: ٥.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٤٦٩: روى الشيخ محمد بن يعقوب ـ رحمه الله ـ عن علي بن محمد وغيره، عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد القندي،...

(٤) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٥) روضة الكافي ١٠٧، ح ٨٢: علي بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن عليّ بن شجرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

رسول الله صلى الله عليهم، وحرمة كتاب الله عزَّ وجلَّ، وحرمة كعبة الله، وحرمة المؤمن.

العهد في القرآن(١)

عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه [عليه السلام] في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾(٢) قال:

العهد ما أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله على الناس في مودّتنا وطاعة أمير المؤمنين أن لا يخالفوه ولا يتقدّموه ولا يقطعوا رحمه وأعلمهم أنّهم مسؤولون عنه وعن كتاب الله جلّ وعزّ.

وأمّا القسطاس فهو الإمام، وهو العدل من الخلق أجمعين، وهو حكم الأئمّة.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(٣).

قال: هو أعرف بتأويل القرآن وما يحكم ويقضي.

لولا الأئمّة عليهم السلام(٤)

إنّ الله عزَّ وجلَّ خَلَقنا فأحسن خَلْقنا، وصوَّرنا فأحسن صُوَرنا

---

(١) اليقين في إمرة أمير المؤمنين عليه السلام ٨٨، ب ١٠٦: قال محمّد بن العبّاس بن مروان: حدّثنا محمّد بن هشام بن سهيل، عن محمّد بن إسماعيل العسكري قال: حدّثني عيسى بن داود النجّار،...

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٤) التوحيد ١٥١ ـ ١٥٢، ب ١٢، ح ٨: حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفي قال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل البرمكي قال: حدّثنا الحسين بن الحسن قال: حدّثنا بكر، عن الحسن بن سعيد، عن الهيثم بن عبد الله، عن مروان بن صباح قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

[صورتنا خ ل] وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة، ووجهه الّذي يؤتى منه، وبابه الّذي يدلّ عليه وخزائنه [خزّانه خ ل] في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، وبنا نزل غيث السماء، ونبت عشب الأرض، بعبادتنا عُبِدَ الله، لولا نحن ما عُبِدَ الله.

الاستثناء في القرآن(١)

عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لأبي بصير:

يا أبا محمّد والله ما استثنى الله عزَّ وجلَّ بأحد من أوصياء الأنبياء ولا أتباعهم ما خلا أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته، فقال في كتابه وقوله الحقّ: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾(٢) يعني بذلك عليّاً وشيعته.

الملائكة وشيعتنا(٣)

عن أبي بصير، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام:

يا أبا محمّد إنَّ لله ملائكة تسقط الذنوب عن ظهر شيعتنا، كما تسقط الريح الورق من الشجر أوان سقوطه، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾(٤) واستغفارهم والله لكم دون هذا الخلق، يا أبا محمد فهل سررتك؟

(١) روضة الكافي ٣٥، ضمن ح ٦: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سليمان، عن أبيه،...

(٢) سورة الدخان، الآيتان: ٤١ ـ ٤٢.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٥١٦: قال محمّد بن العبّاس: حدّثنا الحسين بن أحمد، عن محمّد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن،...

(٤) سورة المؤمن، الآية: ٧.

قال: فقلت: نعم.

التواصي بالحقّ[(١)]

عن محمّد بن عليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ قال:

استثنى الله سبحانه أهل صفوته من خلقه حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي أدّوا الفرائض ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي بالولاية ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[(٢)] أي وصّوا ذراريهم ومن خلّفوا من بعدهم بها، وبالصبر عليها.

النبيّ صلى الله عليه وآله مع أهل بيته[(٣)]

جمع رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأغلق عليه وعليهم الباب، وقال: يا أهلي وأهل الله إنّ الله عزَّ وجلَّ يقرأ عليكم السلام، وهذا جبرئيل معكم في البيت ويقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: إنّي قد جعلت عدوّكم لكم فتنة فما تقولون؟

قالوا: نصبر يا رسول الله لأمر الله، وما نزل من قضائه حتّى نقدم

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٨١٨: قال محمّد بن العبّاس ـ رحمه الله ـ: حدّثنا محمّد بن القاسم بن سلمة،عن جعفر بن عبد الله المحمّدي، عن أبي صالح الحسن بن إسماعيل، عن عمران بن عبد الله المشرقانيّ، عن عبد الله بن عبيد،...

(٢) سورة العصر، الآيتان: ٢ ـ ٣.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٣٦٨ ـ ٣٦٩: محمّد بن العبّاس ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنا محمّد بن همام عن محمّد بن إسماعيل العلويّ، عن عيسى بن داود النجّار قال: حدّثني مولاي أبو الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال:...

على الله عزّ وجلّ، ونستكمل جزيل ثوابه، فقد سمعناه يعد الصابرين الخير كلّه.

فبكى رسول الله ﷺ حتّى سمع نحيبه من خارج البيت، فنزلت هذه الآيـة: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[1] إنّهم سيصبرون، أي سيصبرون كما قالوا صلوات الله عليهم.

القائم عليه السلام في القرآن[2]

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[3]:

يا محمّد مِن تكذيبهم إيّاك، فإنّي منتقم منهم برجل منك، وهو قائمي الّذي سلّطته على دماء الظلمة.

المرابطة في القرآن[4]

عن أبي السفاتج، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾[5] قال:

اصبروا على الفرائض، وصابروا على المصائب، ورابطوا على الأئمّة عليهم السلام.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٤٩٢: قال محمّد بن العبّاس: حدّثنا أحمد بن القاسم، عن أحمد بن محمّد السيّاريّ، عن محمّد بن خالد البرقيّ، عن عليّ بن أسباط، عن عليّ بن أبي حمزة،...

(٣) سورة ص، الآية: ١٧.

(٤) أصول الكافي ٢/ ٨١، ح ٣: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن حمّاد بن عيسى،...

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

الأعراف بين الجنّة والنار[١]

روى الشيخ أبو جعفر الطوسي ـ رحمه الله ـ عن رجال عن أبي عبد الله عليه السلام وقد سُئل عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾[٢] فقال:

[قال رسول الله صلى الله عليه وآله]: سور بين الجنّة والنار قائم عليه محمّد وعليّ والحسن والحسين وفاطمة وخديجة عليهم السلام فينادون: أين محبّونا؟ وأين شيعتنا؟ فيقبلون إليهم، فيعرفونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وذلك قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ فيأخذون بأيديهم فيجوزون بهم على الصراط ويدخلونهم الجنّة.

تنافسوا في الدرجات[٣]

دخل سماعة بن مهران على الصادق عليه السلام فقال له:

يا سماعة مَن شرّ الناس [عند الناس]؟

قال: نحن يابن رسول الله.

قال: فغضب حتّى احمرّت وجنتاه، ثمّ استوى جالساً ـ وكان متّكئاً ـ فقال: يا سماعة مَن شرّ الناس عند الناس؟

فقلت: والله ما كذبتك يابن رسول الله، نحن شرّ الناس عند الناس، لأنّهم سمّونا كفّاراً ورافضة.

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١٨٢:...

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٦.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٤٩٦ ـ ٤٩٧: روى الشيخ الطوسي ـ رحمه الله ـ في أماليه، عن أبي محمّد الفحّام، عن المنصوري، عن عمّ أبيه قال:...

فنظر إليّ ثمّ قال: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنّة، وسيق بهم إلى النار فينظرون إليكم فيقولون: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾؟[1].

يا سماعة بن مهران إنّه من أساء منكم إساءة مشينا إلى الله تعالى يوم القيامة بأقدامنا فنشفع فيه فنشفّع، والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم خمسة رجال، والله لا يدخل النار منكم ثلاثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجل واحد، فتنافسوا في الدرجات واكمدوا أعداءكم بالورع.

الشفاعة في القيامة[2]

إنّ الله أباح لمحمّد الشفاعة في أمّته، وإنّ الشفاعة في شيعتنا وإنّ لشيعتنا الشفاعة في أهاليهم، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾.

قال: والله لنشفعنّ في شيعتنا حتّى يقول أعداؤنا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾.

ثمّ قال: ووالله لتشفعنّ شيعتنا في أهاليهم حتّى يقول شيعة أعدائنا: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[3].

القرض في القرآن[4]

عن معاوية بن عمّار، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله

---

(١) سورة ص، الآية: ٦٢.

(٢) مشارق أنوار اليقين ١٨٢ ـ ١٨٣: روى محمد بن سنان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:...

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ١٠٠ ـ ١٠١.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٦٣٣: قال محمّد بن العبّاس: حدّثنا أحمد بن هوذة الباهلي، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حمّاد الأنصاري،...

عزَّ وجلَّ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[١] قال:

ذاك في صلة الرحم، والرحم رحم آل محمّد عليهم السلام خاصّة.

العَقَبة في القرآن[٢]

عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جُعلتُ فداك قوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾[٣] قال:

من أكرمه الله بولايتنا فقد جاز العقبة، ونحن تلك العقبة الّتي من اقتحمها نجا.

قال: فسكت، فقال لي: فهلاّ أُفديك حرفاً خيراً لك من الدنيا وما فيها؟

قلت: بلى جعلتُ فداك.

قال: قوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾.

ثمّ قال: الناس كلّهم عبيد النار غيرك وأصحابك، فإنّ الله فكّ رقابكم من النار بولايتنا أهل البيت.

أصل الخير والشرّ[٤]

نحن أصل كلّ خير، ومن فروعنا كلّ برّ، ومن البرّ: التوحيد

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١١.

(٢) أصول الكافي ١/٤٣٠ ـ ٤٣١، ح ٨٨: عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سليمان الديلمي، عن أبيه،...

(٣) سورة البلد، الآية: ١١.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢٢: روى الشيخ بإسناده عن الفضل بن شاذان بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:...

والصلاة والصيام وكظم الغيظ والعفو عن المُسيء ورحمة الفقير وتعاهد الجار والإقرار بالفضل لأهله.

وعدوّنا أصل كلّ شرّ، ومن فروعهم كلّ قبيح وفاحشة، فمنهم الكذب والنميمة والبخل والقطيعة وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حقّه وتعدّي الحدود الّتي أمر الله عزَّ وجلَّ، وركوب الفواحش ما ظهر منها وما بطن من الزنى والسرقة وكلّ ما وافق ذلك من القبيح، وكذب من قال: إنَّه معنا وهو متعلّق بفرع غيرنا.

أوّل المؤمنين(١)

ما من آية في القرآن أوّلها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلاّ وعليّ بن أبي طالب عليه السلام أميرها وقائدها وشريفها وأوّلها، وما من آية تسوق إلى الجنّة إلاّ وهي في النبيّ والأئمّة عليهم السلام وأشياعهم وأتباعهم.

وما من آية تسوق إلى النار إلاّ وهي في أعدائهم والمخالفين لهم، وإن كانت الآيات في ذكر الأوّلين، فما كان منها من خير فهو جارٍ في أهل الخير، وما كان منها من شرّ فهو جارٍ في أهل الشرّ.

اختبار معجز(٢)

أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر وعمر وعليّاً عليه السلام أن يمضوا إلى الكهف والرقيم فيسبغ أبو بكر الوضوء ويصفّ قدميه ويصلّي ركعتين، وينادي

---

(١) بحار الأنوار ٢٤/٣١٦، عن اعتقاد الصدوق: قال الصادق عليه السلام:...

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٥٣٩: قال محمّد بن العبّاس: حدّثنا أحمد بن هوذة الباهلي، عن إبراهيم بن إسحاق النهاونديّ، عن عبد الله بن حمّاد، عن عمرو بن شمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

ثلاثاً، فإن أجابوه وإلاّ فليقل مثل ذلك عمر، فإن أجابوه وإلاّ فليقل مثل ذلك عليّ عليه السلام.

فمضوا وفعلوا ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يجيبوا أبا بكر ولا عمر.

فقام عليّ عليه السلام وفعل ذلك فأجابوه وقالوا: لبّيك لبّيك ثلاثاً.

فقال لهم: ما لكم لم تجيبوا الصوت الأوّل والثاني، وأجبتم الثالث؟

فقالوا: إنّا أُمرنا أن لا نجيب إلاّ نبيّاً أو وصيّاً.

ثمّ انصرفوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فسألهم ما فعلوا، فأخبروه فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله صحيفة حمراء فقال لهم: اكتبوا شهادتكم بخطوطكم فيها بما رأيتم وسمعتم.

فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[1] يوم القيامة.

الساعة في القرآن[2]

إنّ اللّيل والنهار اثنتا عشرة ساعة، وإنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أشرف ساعة من اثنتي عشرة ساعة وهو قول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾[3].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(٢) تفسير القمي ٢/١١٢: حدّثنا أحمد بن عليّ قال: حدّثني الحسين بن أحمد، عن أحمد بن هلال، عن عمر الكلبيّ، عن أبي الصامت قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٣) سورة الفرقان، الآية: ١١.

المنسك هو الإمام(١)

عن عيسى بن داود قال: حدّثنا الإمام موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال:

لمّا نزلت هذه الآية: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ جمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: يا معشر المهاجرين والأنصار إنّ الله تعالى يقول: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ والمنسك هو الإمام لكلّ أمّة بعد نبيّها حتّى يدركه نبيّ، ألا وإنَّ لزوم الإمام وطاعته هو الدين، وهو المنسك، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمامكم بعدي، فإنّي أدعوكم إلى هداه فإنّه على هدًى مستقيم.

فقام القوم يتعجَّبون من ذلك ويقولون: والله إذاً لننازعنّ[ه] الأمر ولا نرضى طاعته أبداً، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله المفتون به.

فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٢).

خافوا التقصير(٣)

عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٣٤٥: قال محمّد بن العبّاس: حدّثنا محمّد بن همّام، عن محمّد بن إسماعيل،...

(٢) سورة الحجّ، الآيات: ٦٧ ـ ٧٠.

(٣) أصول الكافي ٢/٤٥٧، ضمن ح ١٥: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه وعليّ بن محمّد القاساني جميعاً، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان المنقريّ،...

يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾[١] قال:

ما الّذي آتوا؟ آتوا والله مع الطاعة المحبّة والولاية وهم في ذلك خائفون، ليس خوفهم خوف شكّ ولكنّهم خافوا أن يكونوا مقصّرين في محبّتنا وطاعتنا.

نحن ومحبّونا[٢]

إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقنا من علّيين وخلق محبّينا من دون ما خلقنا منه، وخلق عدوّنا من سجّين، وخلق محبّيهم ممّا خلقهم منه، فلذلك يهوى كلّ إلى كلّ.

قبل الخلق[٣]

سأل المفضّل الصادق عليه السلام: ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين؟ قال عليه السلام:

كنّا أنواراً حول العرش نسبّح الله ونقدّسه حتّى خلق الله سبحانه الملائكة، فقال لهم: سبّحوا، فقالوا: يا ربّنا لا علم لنا، فقال لنا: سبّحوا، فسبّحنا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا، ألا إنّا خُلِقنا من نور الله، وخُلِق شيعتنا من دون ذلك النور، فإذا كان يوم القيامة التحقت السفلى بالعليا، ثمّ قرن عليه السلام بين إصبعيه السبّابة والوسطى وقال: كهاتين.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

(٢) بصائر الدرجات ١٦، الجزء ١، ب ٩، ح ٩: حدّثنا عمران بن موسى، عن إبراهيم بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن الحسن بن ميمون (شمئون خ ل)، عمّن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) بحار الأنوار ٢٥/٢١، ح ٣٤:...

ثمّ قال: يا مفضّل أتدري لم سمّيت الشيعة شيعة؟ يا مفضّل شيعتنا منّا، ونحن من شيعتنا، أما ترى هذه الشمس أين تبدو؟

قلت: من المشرق.

وقال: إلى أين تعود؟

قلت: إلى مغرب.

قال عليه السلام: هكذا شيعتنا، منّا بدأوا وإلينا يعودون.

هؤلاء مصدر العلم(١)

نحن شجرة النبوّة ومعدن الرسالة ونحن عهد الله ونحن ذمّة الله، لم نزل أنواراً حول العرش نسبّح فيسبّح أهل السماء لتسبيحنا، فلمّا نزلنا إلى الأرض سبّحنا فسبّح أهل الأرض، فكلّ علم خرج إلى أهل السماوات والأرض فمنّا وعنّا، وكان في قضاء الله السابق أن لا يدخل النار محبّ لنا، ولا يدخل الجنّة مبغض لنا، لأنّ الله يسأل العباد يوم القيامة عمّا عهد إليهم ولا يسألهم عمّا قضى عليهم.

بركات الإمام(٢)

إنّ في اللّيلة التي يُولد فيها الإمام لا يُولد فيها مولود إلاّ كان مؤمناً، وإن ولد في أرض الشرك نقله الله إلى الإيمان ببركة الإمام.

---

(١) مشارق أنوار اليقين ٤٥: وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:...

(٢) بحار الأنوار ٢٥/٣٦، ح ١: عن أمالي الشيخ الطوسي: المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن موسى بن طلحة، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

الإمام تعيينه وتسميته(١)

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾(٢) قال: فقال:

لو علم الله أنّ اسماً أفضل منه لسمّانا به.

الكوفة وأهلها(٣)

عن عبد الله بن الوليد قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فقال لنا: ممّن أنتم؟ فقلنا له: من أهل الكوفة. فقال لنا:

إنَّه ليس بلد من البلدان ولا مصر من الأمصار أكثر محبّاً لنا من أهل الكوفة، إنَّ الله هداكم لأمر جَهَلَهُ الناس، فأحببتمونا وأبغضنا الناس، وصدّقتمونا وكذّبنا الناس، واتّبعتمونا وخالفنا الناس، فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا، فأشهد على أبي أنّه كان يقول: ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما تقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه ههنا ـ وأومأ بيده إلى حلقه ـ وقد قال الله في كتابه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾(٤) فنحن ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله.

آل النبيّ صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام(٥)

عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: مَن آل محمد؟ قال:

---

(١) تفسير العياشي ١/٨٥، ح ٩٠:...

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٣) تفسير فرات الكوفي ٧٦ ـ ٧٧: فرات، قال: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم معنعناً...

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٨.

(٥) أمالي الصدوق ٢٠٠، المجلس ٤٢، ح ١٠: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن عليّ بن أبي حمزة،...

ذرّيته، فقلت: من أهل بيته؟ قال: الأئمّة الأوصياء، فقلت: مَن عترته؟ قال: أصحاب العباء، فقلت: من أمّته؟ قال:

المؤمنون الّذين صدَّقوا بما جاء من عند الله عزَّ وجلَّ، المتمسّكون بالثقلين الّذين أُمروا بالتمسّك بهما: كتاب الله وعترته أهل بيته الّذين أذهب الله عنهم الرِجس وطهّرهم تطهيراً، وهما الخليفتان على الأُمّة بعد رسول الله ﷺ.

الإمام بعد النبي ﷺ(١)

كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الّذي لا يؤتىٰ إلاّ منه، وسبيله الّذي من سلك بغيره هلك، وكذلك جرى للأئمّة الهُداة واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجّته البالغة على مَن فوق الأرض ومَن تحت الثرىٰ.

أيّهما أفضل؟(٢)

عن زيد الشحّام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّما أفضل الحسن أم الحسين؟ فقال:

إنّ فضل أوّلنا يلحق بفضل آخرنا، وفضل آخرنا يلحق بفضل أوّلنا وكلّ له فضل.

قال: قلت له: جُعلتُ فداك وسّع عليَّ في الجواب، فإنّي والله ما سألتك إلاّ مرتاداً.

---

(١) الاختصاص ٢١: محمّد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٢) بحار الأنوار ٢٥/٣٦٣، ح ٢٣: عن المحتضر...

فقال: نحن من شجرة طيّبة برّأنا الله من طينة واحدة، فضلنا من الله وعلمنا من عند الله، ونحن أُمناؤه على خلقه والدّعاة إلى دينه، والحجّاب فيما بينه وبين خلقه، أزيدك يا زيد؟

قلت: نعم.

فقال: خلقنا واحد وعلمنا واحد وفضلنا واحد وكلّنا واحد عند الله تعالى.

قلت: أخبرني بعدّتكم.

فقال: نحن اثنا عشر هكذا حول عرش ربّنا عزَّ وجلَّ في مبتدأ خلقنا، أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد.

فضل أمير المؤمنين عليه السلام(١)

عن يونس بن وهب القصريّ، قال: دخلتُ المدينة فأتيتُ أبا عبد الله عليه السلام فقلت: جُعلتُ فداك أتيتكَ ولم أزر أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

بئس ما صنعت، لولا أنّك من شيعتنا ما نظرتُ إليك، ألا تزور من يزوره الله مع الملائكة ويزوره المؤمنون؟

قلت: جُعلتُ فداك ما علمتُ ذلك.

قال: فاعلم أنَّ أمير المؤمنين أفضل عند الله من الأئمّة كلّهم، وله ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فضّلوا.

---

(١) بحار الأنوار ٢٥/٣٦١، ح ١٩: روى الحسن بن سليمان في كتاب المحتضر من كتاب المزار لمحمّد بن عليل الحائري، بإسناده عن محمد بن يحيى العطّار، عن أحمد بن سليمان، عن عبد الله بن محمد اليماني، عن منيع بن الحجّاج،...

مقياس الحديث[(١)]

ما جاءكم منّا ممّا يجوز أن يكون في المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردّوه إلينا، وما جاءكم عنّا ممّا لا يجوز أن يكون في المخلوقين فاجحدوه ولا تردّوه إلينا.

الإيمان والتسليم[(٢)]

من سرّه أن يستكمل الإيمان فليقل: القول منّي في جميع الأشياء قول آل محمّد عليهم السلام فيما أسرّوا وفيما أعلنوا وفيما بلغني وفيما لم يبلغني.

من طينة المعصومين عليهم السلام[(٣)]

يا أبا محمّد إنّ عندنا سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، والله ما كلّف الله أحداً ذلك الحمل غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا، وإنّ عندنا سرّاً من سرّ الله وعلماً من علم الله، أمرنا الله بتبليغه، فبلّغنا عن الله عزَّ وجلَّ ما أمرنا بتبليغه، ما نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمّالة يحملونه حتّى خلق الله لذلك أقواماً خُلِقوا من طِينة خُلِق منها محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وذرّيته، ومن نور خَلَق الله منه محمّداً وذرّيته وصنعهم بفضل صنع رحمته الّتي

---

(١) مختصر بصائر الدرجات ٩١ ـ ٩٢: أحمد بن محمد بن عيسى وعلي بن إسماعيل بن عيسى، عن المفضّل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) مختصر بصائر الدرجات ٩٣: أيّوب بن نوح، عن جميل بن درّاج والحسن بن عليّ بن عبد الله بن المغيرة الخزاز، عن العبّاس بن عامر القصباني، عن الربيع بن محمد المكّي، عن يحيى بن زكريّا الأنصاري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:...

(٣) بحار الأنوار ٢٥/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦، ح ٤٤: من كتاب السيّد حسن بن كبش بإسناده عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

صنع منها محمّداً صلى الله عليه وآله فبلّغناهم عن الله عزَّ وجلَّ ما أمرنا بتبليغه فقبلوه واحتملوا ذلك، وبلغهم ذلك عنّا فقبلوه واحتملوه، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرِفتنا وحديثنا، فلولا أنّهم خُلِقوا من هذا لما كانوا كذلك ولا والله ما احتملوه.

ثمّ قال: إنّ الله خلق قوماً لجهنّم والنار فأمرنا أن نبلّغهم كما بلّغناهم فاشمأزّوا من ذلك ونفرت قلوبهم وردّوه علينا ولم يحتملوه وكذّبوا به وقالوا: ساحر كذّاب، فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك ثمّ أطلق الله لسانهم ببعض الحقّ فهم ينطقون به وقلوبهم منكرة ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه وأهل طاعته، ولولا ذلك ما عبد الله في أرضه فأمرنا بالكفّ عنهم والكتمان منهم. فاكتموا ممّن أمر الله بالكفّ عنهم، واستروا عمّن أمر الله بالستر والكتمان منهم.

قال: ثمّ رفع يده وبكىٰ وقال: اللَّهُمَّ إنَّ هؤلاء لشرذمة قليلون فاجعل محياهم محيانا ومماتهم مماتنا ولا تسلّط عليهم عدوّاً لك فتفجعنا بهم، فإنّك إن فجعتنا بهم لم تُعبد أبداً في أرضك.

الأئمّة عليهم السلام والعلم[١]

من نوادر الحكمة يرفعه إلى أبي بصير، قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه المفضّل بن عمر فقال: مسألة يابن رسول الله، قال: سل يا مفضّل، قال: ما منتهى علم العالم؟ قال:

قد سألتَ جسيماً، ولقد سألتَ عظيماً ما السماء الدنيا في السماء الثانية إلاّ كحلقة درع ملقاة في أرض فلاة، وكذلك كلّ سماء عند سماء

(١) بحار الأنوار ٢٥/ ٣٨٥، ح ٤٣:...

أخرى، وكذا السماء السابعة عند الظلمة، ولا الظلمة عند النور، ولا ذلك كلّه في الهواء، ولا الأرضين بعضها في بعض، ولا مثل ذلك كلّه في علم العالم يعني الإمام مثل مدّ من خردل دقّقته دقّاً ثمَّ ضربته بالماء حتّى إذا اختلط ورغا أخذت منه لعقة بإصبعك، ولا علم العالم في علم الله تعالى إلاّ مثل مدّ من خردل دققته دقّاً ثمّ ضربته بالماء حتّى إذا اختلط ورغا انتهزت منه برأس إبرة نهزة ثمّ قال عليه السلام: يكفيك من هذه البيان بأقلّه وأنت بأخبار الأمور تصيب.

الأئمّة عليهم السلام ومنزلتهم عند الله(1)

لو أُذن لنا أن نعلم الناس حالنا عند الله ومنزلتنا منه لما احتملتم.

فقال له: في العلم؟

فقال: العلم أيسر من ذلك، إنّ الإمام وكر لإرادة الله عزَّ وجلَّ لا يشاء إلاّ من يشاء الله.

جزاك الله خيراً(2)

لمّا صرع زيد بن صوحان رحمة الله عليه يوم الجمل جاء أمير المؤمنين عليه السلام حتّى جلس عند رأسه فقال: رحمك الله يا زيد قد كنتَ خفيف المؤونة عظيم المعونة.

---

(١) بحار الأنوار ٢٥/ ٣٨٥، ح ٤١: من كتاب منهج التحقيق إلى سواء الطريق: يرفعه إلى ابن أبي عمير، عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) رجال الكشّي ١/ ٢٨٤، ح ١١٩: جبرئيل بن أحمد قال: حدّثني موسى بن معاوية بن وهب قال: وحدّثني علي بن سعد، عن عبد الله بن عبد الله الواسطي، عن واصل بن سليمان، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

قال: فرفع زيد رأسه إليه وقال: وأنت فجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين فوالله ما علمتك إلاّ بالله عليماً وفي أُمّ الكتاب عليّاً حكيماً وأنّ الله في صدرك لعظيم، والله ما قاتلتُ معك على جهالة، ولكنّي سمعت أمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنتُ مولاه فعليّ مولاه، اللّهُمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» فكرهتُ والله أن أخذلكَ فيخذلني الله.

الإمام عليه السلام ومصافحة الملائكة[1]

فينا والله من ينقر في أُذنه أو ينكث في قلبه وتصافحه الملائكة.

قلت: كان أو يكون أو اليوم؟

قال: بل اليوم.

قلت: كان أو اليوم؟

قال: بل اليوم والله يابن النجاشيّ ـ حتّى قالها ثلاثاً ـ.

عليّ عليه السلام أفضلنا[2]

عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[3] قال:

---

(١) بصائر الدرجات ٣١٧، الجزء ٧، ب ٣، ح ١٢.
والاختصاص ٢٨٦: حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن محمّد بن أبي عمير، عن محمّد بن حمران، عن سفيان بن السمط، عن عبد الله بن النجاشيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:...

(٢) بصائر الدرجات ٢١٤، الجزء ٥، ب ١، ح ٧: حدّثنا بعض أصحابنا، عن الحسن بن موسى،...

(٣) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

إيّانا عنىٰ، وعليّ عليه السلام أوّلنا وأفضلنا وخيرنا.

الإمام عليه السلام وملكوت السماوات[1]

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾[2] قال:

كشط لإبراهيم عليه السلام السماوات السبع حتّى نظر إلى ما فوق العرش، وكشط له الأرض حتّى رأى ما في الهواء، وفعل بمحمّد صلى الله عليه وآله مثل ذلك، وإنّي لأرى صاحبكم والأئمّة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك.

ورثة النبيّ صلى الله عليه وآله[3]

ألواح موسى عندنا، وعصا موسى عندنا، ونحن ورثنا النبيّ صلى الله عليه وآله.

فضائل عليّ عليه السلام[4]

وبإسناده عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إنّ الله تعالى جعل لأخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام فضائل لا تُحصى كثرة فمن قرأ فضيلة من فضائله مقرّاً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما

---

(١) بصائر الدرجات ١٠٧، الجزء ٢، ب ٢٠، ح ٢: حدّثنا أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن عبد الله بن مسكان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

(٣) بصائر الدرجات ١٨٣، الجزء ٤، ب ٤، ح ٣٢: حدّثنا أبو محمّد، عن عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر، عن عليّ بن أسباط، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:...

(٤) بحار الأنوار ٢٦/٢٢٩، ح ١٠:...

تأخّر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة يستغفرون له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالسمع، ومن نظر إلى كتابة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر.

ثمّ قال: النظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبادة، ولا يقبل الله إيمان عبد إلاّ بولايته والبراءة من أعدائه.

حبّ أهل البيت عليهم السلام (١)

ذكرنا أهل البيت شفاء من الوعك والأسقام ووسواس الريب، وحبّنا رضى الربّ تبارك وتعالى.

النظر إلى الإمام عليه السلام (٢)

النظر إلى آل محمّد عبادة.

إكرام الإمام عليه السلام (٣)

من وصلنا وصل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن وصل رسول الله صلى الله عليه وآله فقد وصل الله تبارك وتعالىٰ.

الصراط المستقيم (٤)

نحن جنب الله، ونحن صفوة الله، ونحن خيرة الله، ونحن مستودع

---

(١) المحاسن ٦٢، ب ٨٣، ح ١٠٧: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه عن ابن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:...

(٢) المحاسن ٦٢، ب ٨٤، ح ١٠٨: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن محمّد بن عليّ، عن الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) المحاسن ٦٢، ب ٨٥، ضمن ح ١٠٩: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٤) مشارق أنوار اليقين ٥٠: وروي عن محمّد بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:...

مواريث الأنبياء، ونحن أمناء الله، ونحن وجه الله، ونحن أئمّة الهدىٰ، ونحن العروة الوثقى، وبنا فتح الله وبنا ختم الله، ونحن الأوّلون ونحن الآخرون، ونحن أخيار الدهر ونواميس العصر، ونحن سادة العباد وساسة البلاد، ونحن النهج القويم والصراط المستقيم، ونحن عين الوجود وحجّة المعبود، ولا يقبل الله عمل عامل جهل حقّنا.

ونحن قناديل النبوّة ومصابيح الرسالة، ونحن نور الأنوار وكلمة الجبّار ونحن راية الحقّ التي من تبعها نجا ومن تأخّر عنها هوى، ونحن أئمّة الدين وقادة الغرّ المحجّلين، ونحن معدن النبوّة وموضع الرسالة، وإلينا تختلف الملائكة، ونحن السراج لمن استضاء والسبيل لمن اهتدى، ونحن القادة إلى الجنّة، ونحن الجسور والقناطر، ونحن السنام الأعظم.

وبنا ينزل الغيث، وبنا ينزل الرحمة، وبنا يدفع العذاب والنقمة، فمن سمع هذا الهدى فليتفقّد قلبه في حبّنا فإن وجد فيه البغض لنا والإنكار لفضلنا فقد ضلّ عن سواء السبيل، لأنّنا نحن عين الوجود وحجّة المعبود وترجمان وحيه وعيبة علمه وميزان قسطه.

ونحن فروع الزيتونة وربائب الكرام البررة، ونحن مصباح المشكاة التي فيها نور النور، ونحن صفوة الكلمة الباقية إلى يوم الحشر المأخوذ لها الميثاق والولاية من الذرّ.

خيرة الخلق(١)

نحن خيرة الله من خلقه، وشيعتنا خيرة الله من أمّة نبيّنا.

---

(١) بحار الأنوار ٢٦/٢٧٢، ح ١٣ عن أمالي الشيخ الطوسي: المفيد، عن الجعابيّ، عن جعفر بن محمّد بن سليمان، عن داود بن رشيد، عن محمّد بن إسحاق الثعلبيّ قال: سمعتُ جعفر بن محمّد عليه السلام يقول:...

خير من برأ الله[1]

اجتمع وُلد آدم في بيت فتشاجروا فقال بعضهم: خير خلق الله أبونا آدم، وقال بعضهم: الملائكة المقرّبون، وقال بعضهم: حملة العرش، إذ دخل عليهم هبة الله فقال بعضهم: لقد جاءكم من يفرّج عنكم.

فسلّم ثمّ جلس فقال: في أيّ شيء كنتم؟

فقالوا: كنّا نفكّر في خير خلق الله فأخبروه.

فقال: اصبروا لي قليلاً حتّى أرجع إليكم.

فأتىٰ أباه فقال: يا أبتِ إنّي دخلتُ على إخوتي وهم يتشاجرون في خير خلق الله فسألوني فلم يكن عندي ما أخبرهم فقلت: اصبروا حتّى أرجع إليكم.

فقال آدم صلوات الله عليه: يا بنيّ وقفتُ بين يدي الله جلّ جلاله فنظرتُ إلى سطر على وجه العرش مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، محمّد وآل محمّد خير من برأ الله.

من هو الأفضل؟[2]

أتى يهوديّ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقام بين يديه يحدّ النظر إليه.

---

(١) بحار الأنوار ٢٦/٢٨٢ ـ ٢٨٣، ح ٣٧: بالإسناد عن الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن الفزاريّ، عن محمّد بن عمران، عن اللؤلؤيّ، عن ابن بزيع، عن ابن ظبيان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) أ: جامع الأخبار ٨ ـ ٩، فصل ٤.

ب: أمالي الصدوق ١٨١، المجلس ٣٩، ح٤.

ج: الاحتجاج ١/٥٤ ـ ٥٥: حدّثنا محمد بن علي ماجيلويه(ره) قال: حدّثني عمّي محمد ابن أبي القاسم، عن أحمد بن هلال، عن الفضل بن دكين، عن معمر بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول:...

فقال: يا يهوديّ ما حاجتك؟

فقال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبيّ الذي كلّمه الله تعالى وأنزل عليه التوراة والعصا وفلق [له] البحر وأظلّه بالغمام؟

فقال له النبيّ ﷺ: إنّه يكره للعبد أن يزكّي نفسه، ولكنّي أقول: إنّ آدم عليه السلام لمّا أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللّهمَّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا غفرت لي، فغفر[ها] الله له.

وإنّ نوحاً لمّا ركب في السفينة وخاف الغرق قال: اللّهمَّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني من الغرق، فنجّاه الله عنه.

وإنّ إبراهيم لما أُلقي في النار قال: اللَّهمَّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني منها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً.

وإنّ موسى لمّا ألقى عصاه فأوجس في نفسه خيفة قال: اللّهمَّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا آمنتني منها، فقال الله جلّ جلاله: لا تخف إنّك أنت الأعلى.

يا يهوديّ إنّ موسى لو أدركني ثمّ لم يؤمن بي وبنبوّتي ما نفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته النبوّة.

يا يهوديّ ومن ذرّيتي المهديّ إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته فقدّمه وصلّىٰ خلفه.

الملائكة والولاية[1]

عن حماد بن عيسى قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال: الملائكة أكثر أو بنو آدم؟ فقال:

---

(١) بصائر الدرجات ٦٨ ـ ٦٩، الجزء ٢، ب ٦، ح ٩: حدّثنا عليّ بن محمّد، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود،...

والّذي نفسي بيده لملائكة الله في السماوات أكثر من عدد التراب [في الأرض] وما في السماء موضع قدم إلاّ وفيه ملك يقدّس له ويسبّح، ولا في الأرض شجرة ولا مثل غرزة [ولا مدر، خ ل] إلاّ وفيها ملك موكّل بها يأتي الله كلّ يوم بعملها، والله أعلم بها.

وما منهم أحد إلاّ ويتقرّب إلى الله في كلّ يوم بولايتنا أهل البيت ويستغفر لمحّبينا ويلعن أعداءنا ويسأل الله أن يرسل عليهم من العذاب إرسالاً.

فطرس والإمام الحسين عليه السلام[١]

إنّ الله عرض ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها الملائكة وأباها ملك يقال له: فطرس، فكسر الله جناحه.

فلمّا وُلِد الحسين بن عليّ عليه السلام بعث الله جبرئيل في سبعين ألف ملك إلى محمّد صلى الله عليه وآله يهنّئهم بولادته، فمرّ بفطرس، فقال له فطرس: يا جبرئيل إلى أين تذهب؟

قال: بعثني الله [إلى] محمّد صلى الله عليه وآله أهنّئهم بمولود وُلد في هذه الليلة.

فقال له فطرس: إحملني معك، وسل محمّداً يدعو لي.

فقال له جبرئيل: إركب جناحي، فركب جناحه فأتى محمّداً فدخل عليه وهنّأه، فقال له: يا رسول الله إنّ فطرس بيني وبينه أخوّة، وسألني أن أسألك أن تدعو الله له أن يردّ عليه جناحه.

---

(١) بصائر الدرجات ٦٨، الجزء ٢، ب ٦، ح ٧: حدّثنا أحمد بن موسى، عن محمّد بن أحمد المعروف بغزال مولى حرب بن زياد البجلي، عن محمّد أبي جعفر الحمّامي الكوفيّ، عن الأزهر البطّيخي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

فقال رسول الله ﷺ لفطرس: أتفعل؟

قال: نعم.

فعرض عليه رسول الله ﷺ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها.

فقال رسول الله ﷺ: شأنك بالمهد فتمسَّح به وتمرَّغ فيه.

قال: فمضى فطرس فمشى إلى مهد الحسين بن عليّ عليه السلام ورسول الله ﷺ يدعو له.

قال: قال رسول الله ﷺ: فنظرتُ إلى ريشه وأنّه ليطلع ويجري منه الدم ويطول حتّى لحق بجناحه الآخر، وعرج مع جبرئيل إلى السماء وصار إلى موضعه.

الشهادات الثلاث[1]

لمّا خلق الله العرش خلق ملكين فاكتنفاه فقال: اشهدا أنّ لا إلٰه إلاّ أنا، فشهدا.

ثمّ قال: اشهدا أنَّ محمّداً رسول الله ﷺ فشهدا.

ثمّ قال: اشهدا أنّ عليّاً أمير المؤمنين، فشهدا.

الأنوار المسبّحة[2]

وعن المفضّل قال: قلت لمولانا الصادق عليه السلام: ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرض؟ قال:

---

(١) اليقين ٥٥، ب ٧٢: من كتاب الإمامة عن بندار بن عاصم، عمّن حدّثه، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) بحار الأنوار ٢٦/ ٣٥٠، ح ٢٤، عن كتاب المحتضر:...

كنّا أنواراً نسبّح الله تعالى ونقدّسه حتّى خلق الله الملائكة فقال لهم الله عزَّ وجلَّ: سبّحوا.

فقالت: أيّ ربّنا لا علم لنا.

فقال لنا: سبّحوا فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا، إلاّ أنّا خُلقنا أنواراً وخلقت شيعتنا من شعاع ذلك النور فلذلك سمّيت شيعة، فإذا كان يوم القيامة التحقت السفلى بالعليا، ثمّ قرّب ما بين أصبعيه.

طعام الكرام(١)

عن مسمع كردين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي اعتللت فكنت إذا أكلت عند الرجل تأذّيت به، وإنّي أكلت من طعامك ولم أتأذّ به، قال:

إنّك لتأكل طعام قوم تصافحهم الملائكة على فرشهم.

قال: قلت: ويظهرون لكم؟

قال: هم ألطف بصبياننا منّا.

الملائكة تخدم أهل البيت عليهم السلام(٢)

إنّ الملائكة لتتنزّل علينا في رحالنا، وتتقلّب على فرشنا، وتحضر موائدنا وتأتينا في كلّ نبات في زمانه رطب ويابس، وتقلّب علينا أجنحتها وتقلّب أجنحتها على صبياننا، وتمنع الدوابّ أن تصل إلينا، وتأتينا في

---

(١) بصائر الدرجات ٩٠، الجزء ٢، ب ١٧، ح ١: حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن ابن سنان،...

(٢) بصائر الدرجات ٩٣ ـ ٩٤، الجزء ٢، ب ١٧، ح ١٧: حدّثنا أحمد، عن الحسين، عن الحسن بن برّة الأصمّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:...

وقت كلّ صلاة لتصلّيها معنا، وما من يوم يأتي علينا ولا ليل إلاّ وأخبار [أهل] الأرض عندنا وما يحدث فيها، وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غيره إلاّ وتأتينا بخبره، وكيف كان [كانت] سيرته في الدنيا.

كتيبة العرش(١)

مسطور بخطّ جليل حول العرش: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين.

الإمام عليه السلام والكائنات(٢)

ما من شيء ولا من آدميّ ولا إنسيّ ولا جنّي ولا ملك في السماوات إلاّ ونحن الحُجج عليهم، وما خلق الله خلقاً إلاّ وقد عرض ولايتنا عليه واحتجّ بنا عليه، فمؤمن بنا وكافر وجاحد، حتّى السماوات والأرض والجبال.

أوثق عرى الإيمان(٣)

أيّ عُرى(٤) الإيمان أوثق؟

---

(١) بحار الأنوار ٢٧/ ١١، ح ٢٧: عن المحتضر، من كتاب المعراج تأليف الشيخ الصالح أبي محمد الحسن بإسناده عن الصدوق، عن ماجيلويه، عن محمد العطّار، عن الأشعري، عن ابن يزيد، عن ابن فضّال، عن مروان بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) بحار الأنوار ٢٧/ ٤٦، ح٧: عن السرائر من جامع البزنطي، عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٣) المحاسن ١٦٥، ب ٣٣، ح ١٢١: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن حمزة بن عبد الله الجعفري، عن جميل بن درّاج، عن عمر بن مدرك أبي عليّ الطائي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٤) العُرى: جمع العروة.

قالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال: قولوا.

فقالوا: يابن رسول الله الصلاة.

فقال: إنّ للصلاة فضلاً، ولكن ليس بالصلاة.

قالوا: الزكاة.

قال: إنّ للزكاة فضلاً، وليس بالزكاة.

فقالوا: صوم شهر رمضان.

فقال: إنَّ لرمضان فضلاً وليس برمضان.

قالوا: فالحجّ والعمرة.

قال: إنَّ للحجّ والعمرة فضلاً وليس بالحجّ والعمرة.

قالوا: فالجهاد في سبيل الله.

قال: إنَّ للجهاد في سبيل الله فضلاً وليس بالجهاد.

قالوا: فالله ورسوله وابن رسوله أعلم.

فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أوثق عُرى الإيمان الحبّ في الله والبُغض في الله وتوالي وليّ الله وتعادي عدوّ الله.

حبّ أهل البيت عليهم السلام[1]

من أحبّنا لله نفعه الله بذلك ولو كان أسيراً في يد الديلم، ومن أحبّنا لغير الله فإنّ الله يفعل به ما يشاء، إنَّ حبّنا أهل البيت ليحطّ الذنوب عن العباد كما تحطّ الريح الشديدة الورق عن الشجر.

---

(١) قرب الإسناد ١٩: أحمد بن إسحاق بن مسعدة قال: حدّثنا بكر بن محمد الأزدي قال: أبو عبد الله عليه السلام:...

سجل الحسنات[١]

إنّ الرجل ليخرج من منزله إلى حاجة فيرجع وما ذكر الله عزَّ وجلَّ فتملأ صحيفته حسنات.

قال: فقلت: وكيف ذلك جعلتُ فداك؟

قال: يمرّ بالقوم ويذكرونا أهل البيت فيقولون: كفّوا فإنَّ هذا يحبّهم، فيقول الملك لصاحبه: اكتب هبة آل محمّد في فلان [اليوم].

التسمية النافعة[٢]

قيل لأبي عبد الله عليه السلام: جعلتُ فداك إنّا نسمّي بأسمائكم وأسماء آبائكم، فينفعنا ذلك؟ فقال:

إي والله، وهل الدين إلاّ الحبّ، قال الله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٣].

الولاية فرض[٤]

إنَّ الله فرض ولايتنا وأوجب مودّتنا، والله ما نقول بأهوائنا ولا نعمل بآرائنا، ولا نقول إلاّ ما قال ربّنا عزَّ وجلَّ.

---

(١) معاني الأخبار ١٨٣: حدّثني محمد بن علي ماجيلويه، عن عمّه محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي الكوفي، عن الحكم بن مسكين، عن ثعلبة بن ميمون، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال:...

(٢) تفسير العيّاشي ١/١٦٧ ـ ١٦٨، ح ٢٨: عن ربعي بن عبد الله قال:...

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) أمالي الشيخ المفيد ٤٥ ـ ٤٦، المجلس ٧، ح ٤.

قال: أخبرني أبو حفص عمر بن محمد الصيرفي قال: حدّثنا محمد بن همام الإسكافي، قال: حدّثنا أحمد بن إدريس، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، عن عليّ بن النعمان، عن فضيل بن عثمان، عن محمد بن شريح قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول:...

الشيعة في القرآن[(١)]

يا أبا محمّد تفرّق الناس شعباً ورجعتم ـ أنتم ـ إلى أهل بيت نبيّكم فأردتم ما أراد الله وأحببتم من أحبّ الله واخترتم من اختاره الله فابشروا واستبشروا فأنتم والله المرحومون، المتقبّل منكم حسناتكم، المتجاوز عن سيّئاتكم فهل سررتك؟

فقلت: نعم.

فقال: يا أبا محمّد، إنّ الذنوب تساقط عن ظهور شيعتنا كما يسقط الريح الورق من الشجر، وذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[(٢)]. والله ـ يا أبا محمّد ـ ما أراد الله بهذا غيركم، فهل سررتك؟

قلت: نعم، زدني.

فقال: قد ذكركم الله في كتابه عزّ من قائل: ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾[(٣)]. يريد أنّكم وفيتم بما أخذ عليكم ميثاقه من ولايتنا، وإنّكم لم تستبدلوا بنا غيرنا، وقال: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[(٤)]. والله ما عنىٰ بهذا غيركم فهل سررتك يا أبا محمّد؟

فقلت: زدني.

قال: لقد ذكركم الله في كتابه حيث يقول: ﴿إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ والله ما أراد الله بهذا غيركم. هل سررتك؟!

---

(١) أعلام الدين ٤٥٢ ـ ٤٥٤: ومن كتاب فرج الكرب، عن أبي بصير، قال: قال الصادق عليه السلام:...

(٢) سورة غافر، الآية: ٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

فقلت: نعم، زدني.

قال: وقد ذكركم الله تعالى بقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾[1]. فرسول الله ﷺ في هذا الموضع النبيّون، ونحن الصدّيقون والشهداء، وأنتم الصالحون، وأنتم والله شيعتنا، فهل سررتك؟!

فقلت: نعم، زدني.

فقال: لقد استثناكم الله تعالى على الشيطان فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[2] والله ما عنىٰ بهذا غيركم، فهل سررتك؟!

فقلت: نعم، زدني.

فقال: قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾[3]. والله ما عنىٰ بهذا غيركم، هل سررتك يا أبا محمّد؟!

قلت: زدني.

فقال: يا أبا محمّد ما استثنى الله تعالى لأحد من الأنبياء ولا أتباعهم ما خلا شيعتنا، فقال عزَّ من قائل: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾[4]، وهم شيعتنا، يا أبا محمّد هل سررتك؟!

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٧.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٢، وسورة الإسراء، الآية: ٦٥.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٤) سورة الدخان، الآيتان: ٤١ ـ ٤٢.

قلت: زدني يابن رسول الله.

قال: لقد ذكركم الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾(١). فنحن الّذين نعلم وأعداؤنا الّذين لا يعلمون وشيعتنا هم أولو الألباب.

قلت: زدني يابن رسول الله.

قال: يا أبا محمد ما يحصي تضاعف ثوابكم ـ يا أبا محمد ـ ما من آية تقود إلى الجنَّة وتذكر أهلها بخير إلاّ وهي فينا وفيكم، وما من آية تسوق إلى النار إلاّ وهي في عدوّنا ومن خالفنا، والله ما على دين محمد وملّة إبراهيم عليه السلام غيرنا وغيركم، وإنَّ سائر الناس منكم براء، يا أبا محمد هل سررتك؟

قلت: نعم ـ يابن رسول الله ـ صلى الله عليك وجُعلتُ فداك، ثمّ انصرفت فرحاً.

تحابّوا في الله(٢)

عن عيسى بن أبي منصور قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام أنا وابن أبي يعفور وعبد الله بن طلحة، فقال عليه السلام ابتداءً منه:

يابن أبي يعفور ستّ خصال من كُنّ فيه كان بين يدي الله عزَّ وجلَّ وعن يمين الله.

قال ابن أبي يعفور: وما هي جُعلتُ فداك؟

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) بحار الأنوار ٢٧/١٣٢ ـ ١٣٣، ح ١٣٧، عن المحتضر،...

قال: يحبّ المرء المسلم لأخيه ما يحبّ لأعزّ أهله، ويكره المرء المسلم لأخيه ما يكره لأعزّ أهله عليه، ويناصحه الولاية، فبكىٰ ابن أبي يعفور، وقال: كيف يناصحه الولاية؟

قال: يابن أبي يعفور إذا كان منه بتلك المنزلة فهمّه همّه، وفرحه فرحه إن هو فرح، حزنه لحزنه إن هو حزن، فإن كان عنده ما يفرّج عنه وإلاّ دعا له.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: ثلاث لكم وثلاث لنا: أن تعرفوا فضلنا، وأن تطأوا أعقابنا، وتنتظروا عاقبتنا، فمن كان هكذا كان بين يدي الله عزَّ وجلَّ، وعن يمين الله، فأمّا الّذي بين يدي الله عزَّ وجلَّ فيستضيء بنورهم من هو أسفل منهم، وأمّا الّذي عن يمين الله فلو أنّهم يراهم من دونهم لم يهنه العيش ممّا يرى من فضلهم.

فقال ابن أبي يعفور: ما لهم لا يرونهم وهم عن يمين الله؟

قال: يابن أبي يعفور إنّهم محجوبون بنور الله، أما بلغك حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: إنّ لله خلقاً عن يمين الله وبين يدي الله، وجوههم أبيض من الثلج وأضوأ من الشمس الضاحية، فيسأل السائل من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء الّذين تحابّوا في الله.

عمل المؤمن(١)

إنّ الله عزَّ وجلَّ خلق طينة المؤمن من طينة الأنبياء فلا ينجس أبداً.

وقال: إنَّ عمل المؤمن يذهب فيمهّد له في الجنّة كما يرسل الرجل

---

(١) بحار الأنوار ٢٧/١٣٢، ح ١٢٥: من كتاب الشفاء والجلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

غلامه فيفرش له، ثمّ تلا: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾(١).

الولاء والشهادة(٢)

عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلتُ فداك أرأيت الرادّ على هذا الأمر فهو كالرادّ عليكم؟ فقال:

يا أبا محمد من ردّ عليك هذا الأمر فهو كالرادّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الله تبارك وتعالى.

يا أبا محمد إنَّ الميّت منكم على هذا الأمر شهيد.

قلت: وإن مات على فراشه؟

فقال: إي والله وإن مات على فراشه [فإنّه] حيّ يُرزَق.

علامات المؤمن(٣)

أربع خصال لا تكون في مؤمن: لا يكون مجنوناً، ولا يسأل على أبواب الناس، ولا يُولد من الزنى، ولا يُنكح في دُبُره.

عوائد الولاية(٤)

إنَّ حبّنا أهل البيت لينتفع به في سبع مواطن: عند الله، وعند

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٣.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٦٤٠ ـ ٦٤١: روى محمد بن يعقوب بإسناده عن يحيى الحلبي، عن عبد الله بن مسكان،...

(٣) الخصال ١/٢٢٩، ح ٦٨: حدّثنا محمد بن الحسن رضي الله عنه قال: حدّثنا محمد بن يحيى العطّار، عن أحمد بن محمد قال: حدّثني أبو عبد الله الرازي، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(٤) المحاسن ١٥٢ ـ ١٥٣، ب ٢٠، ح ٧٥: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن محمد بن علي وغيره، عن الحسن بن محمد بن الفضل الهاشمي، عن أبيه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام:...

الموت، وعند القبر، ويوم الحشر، وعند الحوض، وعند الميزان، وعند الصراط.

الطيّبون والطيّبات[(١)]

قد استحييت ممّا أكرّر هذا الكلام عليكم: إنَّما بين أحدكم وبين أن يغتبط أن تبلغ نفسه ههنا ـ وأهوى بيده إلى حنجرته ـ يأتيه رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام فيقولان له:

أمّا ما كنتَ تخاف فقد آمنك الله منه، وأمّا ما كنتَ ترجو فأمامك، فابشروا أنتم الطيّبون ونساؤكم الطيّبات، كلّ مؤمنة حوراء عيناء، وكلّ مؤمن صدّيق شهيد.

الولاية عند الحساب[(٢)]

إنَّ أوّل ما يُسأل عنه العبد إذا وقف بين يديّ الله جلّ جلاله عن الصلوات المفروضات وعن الزكاة المفروضة وعن الصيام المفروض وعن الحجّ المفروض وعن ولايتنا أهل البيت، فإن أقرَّ بولايتنا ثمّ مات عليها قُبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجّه، وإن لم يقرّ بولايتنا بين يدي الله جلّ جلاله لم يقبل الله عزَّ وجلَّ منه شيئاً من أعماله.

الإمام عليه السلام أفضل[(٣)]

إنَّ سليمان بن داود قال: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[(٤)].

---

(١) أعلام الدين ٤٥٦: عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

(٢) أمالي الصدوق ٢١٢، المجلس ٤٤، ضمن ح١٠: حدّثنا الحسين بن إبراهيم بن ناتانه قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن عمارة بن موسى الساباطي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:...

(٣) أ: بصائر الدرجات ٣٤٤، الجزء ٧، ب ١٤، ح ١٧.
ب: الإختصاص ٢٩٣: حدّثنا:...

(٤) سورة النحل، الآية: ١٦.

وقد والله عُلِّمنا منطق الطير وعلم كلّ شيء.

الإمام عليه السلام والإمامة[١]

عن عليّ بن أسباط، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: الإمام متى يعرف إمامته وينتهى الأمر إليه؟ قال:

في آخر دقيقة من حياة الأوّل.

قولوا للناس[٢]

ما يمنعكم إذا كلّمكم الناس أن تقولوا: ذهبنا من حيث ذهب الله واخترنا من حيث اختار الله، إنّ الله سبحانه اختار محمّداً واختار لنا آل محمد، فنحن متمسّكون بالخيرة من الله عزَّ وجلَّ.

الفرات يشهد لعليّ عليه السلام[٣]

لمّا فرغ عليّ عليه السلام من وقعة صفّين، وقف على شاطىء الفرات وقال: أيّها الوادي من أنا؟

فاضطرب وتشقّقت أمواجه وقد نظر الناس وقد سمعوا من الفرات صوتاً: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله و[أشهد] أنَّ محمداً رسول الله وأنَّ عليّاً أمير المؤمنين حجّة الله على خلقه.

---

(١) بصائر الدرجات ٤٧٨، الجزء ١٠، ب ٥، ح ٣: حدّثنا يعقوب بن يزيد،...

(٢) بحار الأنوار ٢٧/٣٢٦، ح ٥: عن أمالي الشيخ الطوسي: المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه ومحمد بن الحسن، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن كليب بن معاوية الصيداوي قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام:...

(٣) الخرائج والجرائح ١/٢٣١، ح ٧٥: روي عن أبي هاشم الجعفري، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال:...

رحمه الله وصلّى عليه[١]

عن حمزة بن محمد الطيّار قال: ذكرنا محمّد بن أبي بكر عند أبي عبد الله عليه السلام فقال أبو عبد الله عليه السلام:

رحمه الله وصلّى [الله] عليه، قال لأمير المؤمنين عليه السلام يوماً من الأيام: إبسط يدك أُبايعك.

فقال: أوما فعلت؟

قال: بلى، فبسط يده فقال: أشهد أنّك إمام مفترض طاعتك وأنّ أبي في النار.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: كان إنجابه من قبل أُمّه أسماء بنت عميس رحمة الله عليها لا من قِبَل أبيه.

هؤلاء شيعة عليّ عليه السلام[٢]

إذا كان يوم القيامة يقبل قوم على نجائب من نور ينادون بأعلى أصواتهم: الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا أرضه نتبوأ من الجنّة حيث نشاء.

قال: فتقول الخلائق: هذه زمرة الأنبياء، فإذا النداء من قبل الله عزَّ وجلَّ: هؤلاء شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام فهم صفوتي من عبادي وخيرتي من بريّتي.

---

(١) أ: رجال الكشي ١/٢٨١ ـ ٢٨٢، ح ١١٣.

ب: الاختصاص ٦٩ ـ ٧٠: محمد بن مسعود قال: حدّثني علي بن محمد القمي قال: حدّثني أحمد بن محمد بن عيسى، عن زحل عمر بن عبد العزيز، عن جميل بن درّاج،...

(٢) بحار الأنوار ٣٦/٦٩، ح ١٦: عن كنز الكراجكي بإسناده مرفوعاً إلى أبي عبد الله عليه السلام قال:

فتقول الخلائق: إلٰهنا وسيّدنا بما نالوا هذه الدرجة؟

فإذا النداء من الله تعالى: بتختّمهم في اليمين، وصلاتهم إحدىٰ وخمسين، وإطعامهم المسكين، وتعفيرهم الجبين، وجهرهم ببسم الله الرحمن الرحيم.

جبرئيل ويوم الغدير(١)

لمّا نزلت الولاية لعليّ عليه السلام قام رجل من جانب الناس فقال: لقد عقد هذا الرسول لهذا الرجل عقدة لا يحلّها بعده إلاّ كافر.

فجاءه الثاني فقال له: يا عبد الله من أنت؟

قال: فسكت. فرجع الثاني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّي رأيتُ رجلاً في جانب الناس وهو يقول: لقد عقد هذا الرسول لهذا الرجل عقدة لا يحلّها إلاّ كافر.

فقال: يا فلان ذلك جبرئيل، فإيّاك أن تكون ممّن يحلّ العقدة فنكص.

جبرئيل يشتاق للنبيّ صلى الله عليه وآله(٢)

مكث جبرئيل أربعين يوماً لم ينزل على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رب قد اشتدّ شوقي إلى نبيّك صلى الله عليه وآله فائذن لي.

فأوحى الله تعالى إليه: يا جبرئيل اهبط إلى حبيبي ونبيّي فاقرئه منّي

---

(١) قرب الإسناد ٢٩ ـ ٣٠: السندي بن محمد، عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:...

(٢) تفسير فرات الكوفي ١٣٦: فرات قال: حدّثنا علي بن الحسين معنعناً، عن جعفر بن محمد عليه السلام: قال:...

السلام وأخبره أنّي خصصته بالنبوّة وفضّلته على جميع الأنبياء، وأقرئ وصيّه منّي السلام وأخبره أنّي خصّصته بالوصيّة وفضّلته على جميع الأوصياء.

قال: فهبط جبرئيل على النبي ﷺ، فكان إذا هبط وضعت له وسادة من أُدم حشوها ليف، فجلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد إنّ الله تعالى يقرئُك السلام ويخبرك أنّه خصّك بالنبوّة وفضّلك على جميع الأنبياء، ويُقرىء وصيّك السلام ويخبرك أنّه خصّه بالوصيّة، وفضّله على جميع الأوصياء.

قال: فبعث النبيّ ﷺ إليه عليه السلام فدعاه وأخبره بما قال جبرئيل.

قال: فبكى عليّ عليه السلام بكاءً شديداً، ثم قال: أسأل الله أن لا يسلبني ديني ولا ينزع منّي كرامته، وأن يعطيني ما وعدني.

النبيّ ﷺ يعود عليّاً عليه السلام(١)

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام اشتكى عينه، فعاده النبيّ ﷺ فإذا هو يصيح.

فقال [له] النبيّ ﷺ: أجزعاً أم وجعاً؟

فقال: يا رسول الله ما وجعت وجعاً قطّ أشدّ منه.

فقال: يا عليّ إنَّ ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر نزل معه سفّود(٢) من نار فينزع روحه به فتصيح جهنَّم.

فاستوى عليّ عليه السلام جالساً فقال: يا رسول الله أعد عليّ حديثك فلقد أنساني وجعي ما قلت، ثمّ قال: هل يصيب ذلك أحداً من أمّتك؟

---

(١) فروع الكافي ١/٢٥٣ ـ ٢٥٤، ح ١٠: علي بن إبراهيم عن أبيه، عن النوفلي عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) السفّود كالتنور بالتشديد: الحديدة التي يشوى بها اللحم.

قال: نعم حاكم جائر، وآكل مال اليتيم ظلماً، وشاهد زور.

المؤمن عند الموت(١)

لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتّى ترى رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّاً عليه السلام يدخلان جميعاً على المؤمن، فيجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عند رأسه وعليّ عليه السلام عند رجليه، فيكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: يا وليّ الله أبشر أنا رسول الله إنّي خير لك ممّا تركت من الدنيا، ثمّ ينهض رسول الله صلى الله عليه وآله فيقوم عليّ عليه السلام حتّى يكبّ عليه فيقول: يا وليّ الله أبشر أنا عليّ بن أبي طالب الذي كنت تحبّه، أما لأنفعنّك.

ثمّ قال: إنّ هذا في كتاب الله عزَّ وجلَّ.

قلت: أين، جعلني الله فداك هذا من كتاب الله؟

قال: في يونس قول الله عزَّ وجلَّ ههنا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٢).

الملائكة تشيّعه(٣)

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً في ملأ من أصحابه إذ قام فزعاً

---

(١) فروع الكافي ١/ ١٢٩، ضمن ح ١: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) سورة يونس، الآيتان: ٦٣ ـ ٦٤.

(٣) المحاسن ١٥٠ ـ ١٥١، ب ٢٠، ح ٧٠: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه رحمه الله، عن يونس بن عبد الرحمن أو غيره، عن رياح بن أبي نصر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

فاستقبل جنازة على أربعة رجال من الحبش، فقال: ضعوه، ثمّ كشف عن وجهه فقال: أيّكم يعرف هذا؟

فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أنا يا رسول الله هذا عبد بني رياح، ما استقبلني قطّ إلاّ قال: أنا والله أحبّك.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ كافر، وأنّه قد شيّعه سبعون ألف قبيل من الملائكة، كلّ قبيل على سبعين ألف قبيل.

قال: ثمّ أطلقه من جريدة وغسّله وكفّنه وصلّى عليه وقال: إنّ الملائكة تضايق به الطريق، وإنّما فعل به هذا لحبّه إيّاك يا عليّ.

أيّهما أحبّ؟(١)

ولايتي لعليّ بن أبي طالب عليه السلام أحبّ إليّ من ولادتي منه، لأنَّ ولايتي لعليّ بن أبي طالب فرض، وولادتي منه فضل.

لمّا وُلد الرسول صلى الله عليه وآله(٢)

لمّا وُلِد رسول الله صلى الله عليه وآله فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة، فأعلمته ما قالت آمنة، فقال لها أبو طالب: وتتعجَّبين من هذا؟ إنَّكِ تحبلين وتلدين بوصيّه ووزيره.

---

(١) بحار الأنوار ٣٩/٢٩٩، ح ١٠٥، عن كتاب الروضة قال الصادق عليه السلام:...

(٢) أصول الكافي ١/٤٥٤، ح ٣: بعض أصحابنا، عمّن ذكره، عن ابن محبوب، عن عمر بن أبان الكلبي، عن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

نور أبي طالب عليه السلام(١)

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم جالساً بالرحبة والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنّك بالمكان الّذي أنزلك الله به وأبوك يُعذَّب بالنار؟!

فقال له عليّ عليه السلام: مه! فضّ الله فاك، والّذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً لو شفع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله تعالى فيهم، أبي يعذَّب بالنار وابنه قسيم الجنّة والنار؟!

ثمّ قال: والّذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً، إنَّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفيء أنوار الخلق إلاّ خمسة أنوار: نور محمّد صلى الله عليه وآله ونوري ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين ونور تسعة من وُلْد الحسين، لأنَّ نوره من نورنا الّذي خلقه الله تعالى من قبل أن يخلق آدم بألفي عام.

ديوان أبي طالب عليه السلام(٢)

كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروي شعر أبي طالب وأن يُدَوَّن، وقال: تعلّموه وعلّموه أولادكم فإنّه كان على دين الله وفيه علم كثير.

---

(١) أ: أمالي الشيخ الطوسي ١/٣١١، الجزء ١١، ح ٥٨.
ب: ج ٢/٣١٢ ـ ٣١٣.
ج: وبشارة المصطفى ٢٠٢، الجزء ٦.
د: وكنز الفوائد ١/١٨٣.
هـ: والاحتجاج ١/٣٤٠ ـ ٣٤١: عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام:...

(٢) بحار الأنوار ٣٥/١١٥، ح ٥٤، عن فخار بن معد الموسوي في كتابه قال: أخبرني بالإسناد إلى أبي الفرج، عن هارون بن موسى، عن محمد بن علي، عن علي بن أحمد بن مسعدة، عن عمه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:...

رجل الدين والدنيا(١)

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أعتق ألف نسمة من كدّ يده جماعة لا يحصون كثرة، وقال له رجل ـ ورأى عنده وسق نوى ـ: ما هذا يا أبا الحسن؟

قال: مائة ألف نخل إن شاء الله، فغرسه فلم يغادر منه نواة واحدة فهو من أوقافه ووقف مالاً بخيبر وبوادي القرى، ووقف مال أبي نيرز والبغيبغة وأرباجاً وأرينة ورعداً ورزيناً ورباحاً على المؤمنين، وأمر بذلك أكثر وُلْد فاطمة من ذوي الأمانة والصلاح.

وأخرج مائة عين بينبع وجعلها للحجيج، وهو باق إلى يومنا هذا، وحفر آباراً في طريق مكّة والكوفة، وبنى مسجد الفتح في المدينة وعند مقابل قبر حمزة، وفي الميقات وفي الكوفة وجامع البصرة وفي عبّادان وغير ذلك.

وكان يصوم النهار ويصلّي بالليل ألف ركعة، وعمّر طريق مكّة وصام مع النبي صلى الله عليه وآله سبع سنين وبعده ثلاثين سنة وحجَّ مع النبي عشر حجج، وجاهد في أيّامه الكفّار وبعد وفاته البغاة، وبسط الفتاوى وأنشأ العلوم وأحيىٰ السنن وأمات البدع.

الشمس تطيع(٢)

صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله العصر، فجاء عليّ عليه السلام ولم يكن صلاّها، فأوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله عند ذلك فوضع رأسه في حجر علي عليه السلام، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله عن حجره حين قام وقد غربت الشمس.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ٢/١٢٢ ـ ١٢٣: عن الصادق عليه السلام:...

(٢) قرب الإسناد ٨٢: محمد بن عبد الحميد، عن أبي جميلة عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

فقال: يا علي ما صلّيتَ العصر؟

قال: لا يا رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللَّهمَّ إنَّ علياً عليه السلام كان في طاعتك فاردد عليه الشمس، فردَّت عليه الشمس عند ذلك.

ولادة فاطمة عليها السلام(١)

عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال:

نعم، إنَّ خديجة عليها السلام لمّا تزوَّج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكّة فكنَّ لا يدخلن عليها ولا يسلّمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمّها حذراً عليه صلى الله عليه وآله.

فلمّا حملت بفاطمة كانت فاطمة عليها السلام تحدّثها من بطنها وتصبّرها وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة عليها السلام، فقال لها: يا خديجة من تحدّثين؟

قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني.

قال: يا خديجة هذا جبرئيل يخبرني [يبشرني، خ ل] أنّها أُنثىٰ وأنها النسلة الطاهرة الميمونة، وأنّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها

---

(١) أ: أمالي الصدوق ٤٧٥ ـ ٤٧٦، المجلس ٨٧، ح ١.
ب: ودلائل الإمامة ٨ ـ ٩: حدّثنا الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه قال: حدّثنا أحمد بن محمد الخليلي، عن محمد بن أبي بكر الفقيه، عن أحمد بن محمد النوفلي، عن إسحاق بن يزيد، عن حماد بن عيسى، عن زرعة بن محمد،...

وسيجعل من نسلها أئمّة ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه.

فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرت ولادتها فوجّهت إلى نساء قريش وبني هاشم أن تعالين لتلين منّي ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها: أنتِ عصيتنا ولم تقبلي قولنا وتزوّجتِ محمّداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرِك شيئاً.

فاغتمَّتْ خديجة عليها السلام لذلك فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سُمر طوال كأنّهنَّ من نساء بني هاشم، ففزعت منهنَّ لمّا رأتهنَّ، فقالت إحداهنَّ: لا تحزني يا خديجة فإنّا رسل ربّك إليك ونحن أخواتك: أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنّة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلي منكِ ما تلي النساء، فجلست واحدة عن يمينها، وأخرىٰ عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهّرة.

فلمّا سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتّى دخل بيوتات مكّة ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلاّ أشرق فيه ذلك النور ودخل عشر من الحور العين كلّ واحدة منهنَّ معها طست من الجنّة وإبريق من الجنّة وفي الإبريق ماء من الكوثر فتناولتها المرأة الّتي كانت بين يديها فغسَّلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاوين أشدَّ بياضاً من اللَّبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر فلفَّتها بواحدة وقنَّعتها بالثانية، ثمَّ استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين وقالت: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأنَّ أبي رسول الله سيّد الأنبياء وأنَّ بعلي سيّد الأوصياء، وولديّ سادة الأسباط، ثمَّ سلَّمت عليهنَّ وسمَّت كلّ واحدة منهنَّ باسمها وأقبلن يضحكن إليها وتباشرت الحور العين وبشّر أهل السماء بعضهم بعضاً

بولادة فاطمة عليها السلام وحدث في السماء نور زاهر لم ترَه الملائكة قبل ذلك وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهّرة زكيّة ميمونة بورك فيها وفي نسلها.

فتناولتها فرحة مستبشرة وألقمتها ثديها فدرَّ عليها فكانت فاطمة عليها السلام تنمى في اليوم كما ينمى الصبيّ في الشهر، وتنمى في الشهر كما ينمى الصبيّ في السنة.

أسماء فاطمة عليها السلام(١)

لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عزَّ وجلَّ: فاطمة والصدّيقة والمباركة والطاهرة والزكيّة والراضية والمرضيّة والمحدّثة والزهراء.

ثمَّ قال: أتدري أيّ شيء تفسير فاطمة؟

قلت: أخبرني يا سيّدي.

قال: فُطِمَت من الشرّ.

قال: ثمَّ قال: لولا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوَّجها لما كان لها كفو إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه.

---

(١) أ: الخصال ٢/ ٤١٤، ح ٣.
ب: أمالي الصدوق ٤٧٤، المجلس ٨٦، ح ١٨.
ج: علل الشرائع ١/١٧٨، ب ١٤٢، ح ٣.
د: دلائل الإمامة ١٠: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل قال: حدّثنا علي بن الحسين السعدآبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن الحسن بن عبد الله بن يونس، عن يونس بن ظبيان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

فاطمة عليها السلام في المحراب(١)

عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة لِمَ سُمّيت زهراء؟ فقال:

لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض.

تفسير فاطمة عليها السلام(٢)

أتدري أيّ شيء تفسير فاطمة؟

قلت: أخبرني يا سيّدي.

قال: فُطمت من الشرّ.

ويقال: إنّها سمّيت فاطمة لأنها فطمت عن الطمث.

الملائكة ونور فاطمة عليها السلام(٣)

عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: لِمَ سُمِّيت فاطمة الزهراء زهراء؟ فقال:

لأنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقها من نور عظمته فلما أشرقت أضاءت

---

(١) أ: علل الشرائع ١/١٨١، ب ١٤٣، ح ٣.

ب: معاني الأخبار ٦٤، ح ١٥: حدّثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق ـ رضي الله عنه ـ قال: حدّثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي، قال: حدّثنا محمد بن زكريا الجوهري،...

(٢) مناقب ابن شهرآشوب ٣/٣٣٠: عن الصادق عليه السلام:...

(٣) علل الشرائع ١/١٨٠، ب ١٤٣، ح ١: أبي رحمه الله عن محمد بن معقل القرمسيني، عن محمد بن زيد الجزري، عن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي عن عبد الله بن حماد، عن عمرو بن شمر،...

السماوات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة وخرَّت الملائكة لله ساجدين وقالوا: إلٰهنا وسيّدنا ما هذا النور؟

فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري أسكنته في سمائي خلقته من عظمتي أخرجه من صلب نبيّ من أنبيائي أفضّله على جميع الأنبياء وأُخرج من ذلك النور أئمّة يقومون بأمري يهدون إلى حقّي وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي.

سيّدة نساء العالمين(١)

عن الحسن بن زياد العطّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، سيّدة نساء عالمها؟ قال:

تلك مريم، وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين.

فقلت: فقول رسول الله صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة؟

قال: هما والله سيّدا شباب أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين.

خير الأعمال(٢)

سُئل الصادق عليه السلام عن معنى «حيّ على خير العمل» فقال:

خير العمل برّ فاطمة وولدها.

---

(١) أمالي الصدوق ١٠٩، المجلس ٢٦، ح ٧: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن أبي إسحاق،...

(٢) مناقب ابن شهرآشوب ٣/٣٢٦:...

شخصيّة فاطمة عليها السلام[(١)]

لولا أنّ الله خلق أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة عليها السلام ما كان لها كفؤ على الأرض.

فاطمة عليها السلام في القيامة[(٢)]

إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد فينادي مناد: غُضّوا أبصاركم ونكّسوا رؤوسكم حتّى تجوز فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله الصراط.

قال: فتغضّ الخلائق أبصارهم فتأتي فاطمة عليها السلام على نجيب من نجب الجنَّة، يشيّعها سبعون ألف ملك، فتقف موقفاً شريفاً من مواقف القيامة.

ثم تنزل عن نجيبها فتأخذ قميص الحسين بن علي عليه السلام بيدها مضمخّاً بدمه وتقول: يا ربّ هذا قميص ولدي وقد علمت ما صُنع به، فيأتيها النداء من قبل الله عزَّ وجلَّ: يا فاطمة لك عندي الرّضا.

فتقول: يا ربّ انتصر لي من قاتله، فيأمر الله تعالى عنقاً من النار فتخرج من جهنّم فتلتقط قتلة الحسين بن علي عليه السلام كما يلتقط الطير الحبّ، ثمّ يعود العنق بهم إلى النار فيعذّبون فيها بأنواع العذاب.

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ١/٤٢، الجزء ٢، ح ١٥: حدّثني جماعة، عن أبي غالب الزراري، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمد، عن الوشاء، عن الخيبري، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:...

(٢) أمالي الشيخ المفيد ٨٤، المجلس ١٥، ح ٦: حدّثنا أبو جعفر محمد بن علي بن موسى، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال:...

ثم تركب فاطمة عليها السلام نجيبها حتّى تدخل الجنّة ومعها الملائكة المشيّعون لها وذرّيتها بين يديها وأولياؤهم من الناس عن يمينها وشمالها.

المؤمنون حقّاً[١]

رحم الله شيعتنا، شيعتنا والله هم المؤمنون، فقد والله شركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة.

عتيق الحسين عليه السلام[٢]

إنّ الحسين بن عليّ عليه السلام، لمّا ولد أمر الله عزَّ وجلَّ جبرئيل أن يهبط في ألف من الملائكة فيهنىء رسول الله صلى الله عليه وآله من الله عزَّ وجلَّ ومن جبرئيل.

قال: فهبط جبرئيل فمرّ على جزيرة في البحر فيها ملك يقال له: فطرس، كان من الحملة، بعثه الله عزَّ وجلَّ في شيء فأبطأ عليه فكسر جناحه وألقاه في تلك الجزيرة، فعبد الله تبارك وتعالى فيها سبعمائة عام حتى وُلِد الحسين بن علي عليهما السلام.

فقال الملك لجبرئيل: يا جبرئيل أين تريد؟

قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنعم على محمد بنعمة فبُعثت أُهنّئه من الله، ومنّي.

---

(١) ثواب الأعمال ٢٥٧ ضمن ح ٣: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) أ: أمالي الصدوق ١١٨ ـ ١١٩، المجلس ٢٨، ح ٨.

ب: كامل الزيارات ٦٦، ب ٢٠، ح ١: حدّثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطّار، قال: حدّثنا أبي، عن محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن موسى بن عمر، عن عبد الله بن صباح، عن إبراهيم بن شعيب الميثمي، قال: سمعت الصادق أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

فقال: يا جبرئيل احملني معك لعلّ محمّداً ﷺ يدعو لي. قال: فحمله.

قال: فلمّا دخل جبرئيل على النبيّ ﷺ هنّأه من الله عزَّ وجلَّ، ومنه، وأخبره بحال فطرس.

فقال النبيّ ﷺ: قل له: تمسَّح بهذا المولود وعد إلى مكانك.

قال: فتمسّح فطرس بالحسين بن علي عليه السلام وارتفع.

فقال: يا رسول الله أما إنَّ أمّتك ستقتله وله عليّ مكافأة ألاّ يزوره زائر إلاّ أبلغته عنه، ولا يسلّم عليه مسلّم إلاّ أبلغته سلامه، ولا يصلّي عليه مصلّ إلاّ أبلغته صلاته، ثم ارتفع.

الإمام في ذرّية الحسين عليه السلام(١)

عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلتُ فداك من أين جاء لولد الحسين الفضل على ولد الحسن وهما يجريان في شرع واحد؟ فقال: لا أراكم تأخذون به.

إنَّ جبرئيل عليه السلام نزل على محمد ﷺ وما ولد الحسين بعد، فقال له: يولد لك غلام تقتله أُمّتك من بعدك.

فقال: يا جبرئيل لا حاجة لي فيه، فخاطبه ثلاثاً ثم دعا عليّاً عليه السلام فقال له: إنَّ جبرئيل عليه السلام يخبرني عن الله عزَّ وجلَّ أنّه يولد لكَ غلام تقتله أُمّتك من بعدك.

فقال: لا حاجة لي فيه يا رسول الله، فخاطب عليّاً عليه السلام ثلاثاً..

---

(١) علل الشرائع ١/٢٠٥ ـ ٢٠٦، ب ١٥٦، ح ٣: حدّثنا أحمد بن الحسن قال: حدّثنا أحمد بن يحيى، قال: حدّثنا بكر بن عبد الله بن حبيب قال: حدّثنا تميم بن بهلول قال: حدّثنا علي بن حسان الواسطي،...

ثمّ قال: إنّه يكون فيه وفي ولده الإمامة والوراثة والخزانة.

فأرسل إلى فاطمة عليها السلام: أنَّ الله يبشّرك بغلام تقتله أُمّتي من بعدي.

فقالت فاطمة: ليس لي حاجة فيه يا أبتِ، فخاطبها ثلاثاً، ثم أرسل إليها: لا بدّ أن يكون فيه الإمامة والوراثة والخزانة. فقالت له: رضيت عن الله عزَّ وجلَّ.

فعلَّقت وحملت بالحسين عليه السلام فحملت ستّة أشهر، ثمّ وضعته ولم يعش مولود قطّ لستة أشهر غير الحسين بن علي وعيسى بن مريم عليهما السلام، فكفلته أُمّ سلمة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتيه في كلّ يوم فيضع لسانه في فم الحسين عليه السلام فيمصّه حتى يروى، فأنبت الله عزَّ وجلَّ لحمه من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يرضع من فاطمة عليها السلام ولا من غيرها لبناً قطّ.

مَرضع الحسين عليه السلام(١)

لم يرضع الحسين عليه السلام من فاطمة عليها السلام ولا من أُنثىٰ، كان يؤتىٰ به النبي صلى الله عليه وآله فيضع إبهامه في فيه فيمصّ منها ما يكفيه اليومين والثلاث [والثلاثة ـ خ]، فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله[صلى الله عليه وآله] ودمه، ولم يولد لستّة أشهر إلاّ عيسى بن مريم عليه السلام والحسين بن علي عليه السلام.

أبو الأئمّة عليهم السلام(٢)

لمّا ولدت فاطمة الحسين عليه السلام أخبرها أبوها صلى الله عليه وآله أنّ أُمّته ستقتله من بعده.

---

(١) أصول الكافي ١/ ٤٦٥، ضمن ح ٤: محمد بن يحيى، عن علي بن إسماعيل عن محمد بن عمرو الزيّات، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) كمال الدين ٢/ ٤١٥، ب ٤٠، ح ٦: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل رضي الله عنه، عن علي بن الحسين السعدآبادي، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن غير واحد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام:...

قالت: ولا حاجة لي فيه.

فقال: إنّ الله عزَّ وجلَّ قد أخبرني أن يجعل الأئمّة من ولده.

قالت: قد رضيت يا رسول الله.

جبرئيل عليه السلام وأرض كربلاء[1]

بينما الحسين بن علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد أتحبّه؟

فقال: نعم.

فقال: أما أنّ أُمّتك ستقتله.

فقال: فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك حزناً شديداً.

قال له جبرئيل: يا رسول الله أتريد أن أُريك التربة الّتي يُقتل فيها؟

فقال: نعم، فخسف [جبرئيل] ما بين مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله إلى كربلاء حتّى التقت القطعتان هكذا ـ وجمع بين السبّابتين ـ ثم تناول بجناحه من التربة وناولها رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم رجعت [الأرض] أسرع من طرفة عين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: طوبىٰ لكِ من تربة، وطوبىٰ لمن يُقتَل فيك.

---

(١) أ: كامل الزيارات ٦٠ ـ ٦١، ب ١٧، ح ٥.
ب: أمالي الطوسي ١/٣٢١، ح ٨٤: حدثني محمد بن جعفر القرشي الرزاز، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:...

التأسّي بالحسين عليه السلام (١)

إنَّ إسماعيل كان رسولاً نبيّاً سلّط عليه قومه، فقشروا جلدة وجهه وفروة رأسه، فأتاه رسول من ربّ العالمين فقال له: ربّك يقرئك السلام ويقول: قد رأيت ما صُنع بك وقد أمرني بطاعتك فمُرني بما شئت.

فقال: يكون لي بالحسين بن علي عليه السلام أُسوة.

بين الرسول صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام (٢)

كان الحسين عليه السلام مع أمّه تحمله فأخذه النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالبك، وأهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك.

قالت فاطمة [الزهراء]: يا أبت أيّ شيء تقول؟

قال: يا بنتاه ذكرتُ ما يصيبه بعدي وبعدكِ من الأذى والظلم [والغدر] والبغي، هو يومئذ في عصبة كأنّهم نجوم السماء، يتهادون إلى القتل، وكأنّي أنظر إلى معسكرهم، وإلى موضع رحالهم وتربتهم.

قالت: يا أبت وأين هذا الموضع الّذي تصف؟

قال: موضع يُقال له كربلاء وهي دار كربٍ وبلاء علينا وعلى الأمّة

---

(١) أ: علل الشرائع ١/٧٨، ب ٦٧، ح ٣.
ب: كامل الزيارات ٦٤ ـ ٦٥، ب ١٩، ح ٢: حدّثنا أبي رضي الله عنه، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن سماعة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام:...

(٢) تفسير فرات الكوفي ٥٥ ـ ٥٦: قال: حدّثني جعفر بن محمد الفزاري معنعناً، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

يخرج [عليهم] شرار أمّتي، لو أنَّ أحدهم يشفع له من في السماوات والأرضين ما شفّعوا فيه، وهم المخلّدون في النار.

قالت: يا أبت فيُقتَل؟

قال: نعم يا بنتاه، وما قُتِل قتلته أحد كان قبله، وتبكيه السماوات والأرضون، والملائكة [والوحش] والنباتات، والبحار، والجبال، ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفّس، ويأتيه قوم من محبّينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقّنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً أعرفهم إذا وردوا عليَّ بسيماهم، وكلّ أهل دين يطلبون أئمّتهم، وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا، وهم قوّام الأرض، وبهم ينزل الغيث.

فقالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبت إنّا لله، وبكت، فقال لها: يا بنتاه! إنَّ [أفضل] أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا، بذلوا أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقّاً، فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قتلة أهون من ميتة، ومن كتب عليه القتل، خرج إلى مضجعه، ومن لم يُقتل فسوف يموت.

يا فاطمة بنت محمّد أما تحبّين أن تأمرين غداً بأمر فتُطاعين في هذا الخلق عند الحساب؟

أما ترضينَ أن يكون ابنكِ من حمَلة العرش؟

أما ترضينَ أن يكون أبوكِ يأتونه يسألونه الشفاعة؟

أما ترضينَ أن يكون بعلكِ يذود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه؟

أما ترضينَ أن يكون بعلكِ قسيم الجنّة والنار، يأمر النار فتطيعه، يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء.

أما ترضينَ أن تنظري إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به، وينظرون إلى بعلكِ قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك [وقاتل بعلك] إذا أفلجت حجّته على الخلائق، وأمرت النار أن تطيعه؟

أما ترضينَ أن تكون الملائكة تبكي لابنكِ، وتأسف عليه كلّ شيء؟

أما ترضينَ أن يكون من أتاه زائراً في ضمان الله ويكون من أتاه بمنزلة من حجَّ إلى بيت الله الحرام واعتمر، ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيداً وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتّى يُفارق الدنيا.

قالت: يا أبت سلّمت، ورضيت وتوكّلت على الله، فمسح على قلبها ومسح على عينيها، وقال: إنّي وبعلكِ وأنتِ وابنيكِ في مكان تقرّ عيناك، ويفرح قلبكِ.

من سمات المؤمن(١)

عن أبي عمارة المنشد، قال: ما ذُكر الحسين عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام في يوم قط فرئي أبو عبد الله عليه السلام متبسماً في ذلك اليوم إلى الليل وكان أبو عبد الله عليه السلام يقول:

---

(١) كامل الزيارات ١٠٨، ب ٣٦، ح ٢: حدّثني جماعة مشايخي، عن محمد بن يحيى العطّار، عن الحسين بن عبد الله، عن ابن أبي عثمان، عن الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة،...

الحسين عليه السلام عبرة كلّ مؤمن.

يوم عاشوراء(١)

عن عبد الله بن الفضل، قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يابن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغمّ وجزع وبكاء دون اليوم الذي قُبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام؟ واليوم الذي قُتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام واليوم الذي قُتل فيه الحسن عليه السلام بالسم؟ فقال:

إنَّ يوم [قتل] الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أنَّ أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة، فلمّا مضى عنهم النبيّ صلى الله عليه وآله بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلمّا مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام للناس عزاء وسلوة.

فلمّا مضى منهم أمير المؤمنين عليه السلام كان للناس في الحسن والحسين عليهما السلام عزاء وسلوة، فلمّا مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة.

فلمّا قُتِل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم [الأيام] مصيبة.

قال عبدَ الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يابن رسول الله فلِمَ لم

---

(١) علل الشرائع ١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧، ب ١٦٢، ح ١: حدّثنا محمد بن علي بن بشار القزويني، عن المظفر بن أحمد، عن الأسدي، عن سهل بن زياد الآدمي، عن سليمان بن عبد الله،...

يكن للناس في عليّ بن الحسين عليهما السلام عزاء وسلوة مثل ما كان لهم في آبائه عليهم السلام؟

فقال: بلى، إنَّ عليَّ بن الحسين كان سيّد العابدين، وإماماً وحجّة على الخلق بعد آبائه الماضين، ولكنّه لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يسمع منه، وكان علمه وراثة عن أبيه عن جدّه عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد شاهدهم الناس مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أحوال تتوالى، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكّروا حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقول رسول الله صلى الله عليه وآله له وفيه، فلمّا مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عزَّ وجلَّ، ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلاّ في فقد الحسين عليه السلام لأنّه مضى في آخرهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيّام مصيبة.

قال عبد الله بن الفضل الهاشميّ: فقلت له: يابن رسول الله فكيف سمّت العامّة يوم عاشوراء يوم بركة؟

فبكى عليه السلام ثمَّ قال: لمّا قُتِل الحسين عليه السلام تقرَّب الناس بالشام إلى يزيد، فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليها الجوائز من الأموال، فكان ممّا وضعوا له أمر هذا اليوم، وأنّه يوم بركة، ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن، إلى الفرح والسرور والتبرّك والاستعداد فيه، حكَم الله بيننا وبينهم.

قال: ثمَّ قال عليه السلام: يابن عمّ وإنَّ ذلك لأقلّ ضرراً على الإسلام وأهله ممّا وضعه قوم انتحلوا مودَّتنا وزعموا أنّهم يدينون بموالاتنا ويقولون بإمامتنا، زعموا أنَّ الحسين عليه السلام لم يقتل وأنّه شبّه للناس أمره

كعيسى بن مريم فلا لائمة إذاً على بني أُميّة ولا عتب على زعمهم.

يابن عمّ من زعم أنَّ الحسين عليه السلام لم يُقتل فقد كذَّب رسول الله وعليّاً وكذّب من بعده من الأئمّة عليهم السلام في إخبارهم بقتله، ومن كذَّبهم فهو كافر بالله العظيم.

أُمنية الشهداء(١)

ما من شهيد إلاّ وهو يحب لو أنَّ الحسين بن علي عليه السلام حي ويحبّ أن يكون مع الحسين عليه السلام حتّى يدخلوا الجنّة معه.

في عزاء الحسين عليه السلام(٢)

عن عبد الله بن سنان قال: دخلتُ على سيّدي أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام في يوم عاشوراء فألفيته كاسف اللّون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه، كاللّؤلؤ المُتساقط، فقلت: يابن رسول الله ممَّ بكاؤك لا أبكى الله عينيك؟ فقال لي: أوَ في غفلة أنت؟ أما علمت أنَّ الحسين بن عليّ عليهما السلام أصيب في مثل هذا اليوم؟ قلت: يا سيّدي فما قولك في صومه؟ فقال لي:

صُمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كمَلا، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنّه في

---

(١) كامل الزيارات ١١١، ب ٣٧، ح ٧: حدّثني محمد بن جعفر، عن خاله محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمد بن إسماعيل، عمّن حدثه، عن علي بن أبي حمزة، عن الحسين بن أبي العلاء وأبي المغرا وعاصم بن حميد الحناط جميعاً، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) بحار الأنوار ٤٥/٦٣، عن مصباح المتهجّد: روى الشيخ في المصباح:...

مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله وانكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم، يعزّ على رسول الله مصرعهم، ولو كان في الدنيا يومئذ حيّاً لكان صلوات الله عليه وآله هو المعزّى بهم.

أفضل الخيارين(١)

روي عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال: سمعتُ أبي عليه السلام يقول:

لمّا التقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد لعنه الله وقامت الحرب، أنزل الله تعالى النصر حتى رفرف على رأس الحسين عليه السلام ثم خُيِّر بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله، فاختار لقاء الله.

مراسم العزاء والإطعام(٢)

لمّا قُتل الحسين عليه السلام أقامت امرأته الكلبيّة عليه مأتماً وبكت وبكين النساء والخدم حتّى جفّت دموعهنَّ وذهبت، فبينا هي كذلك إذا رأت جارية من جواريها تبكي ودموعها تسيل، فدعتها فقالت لها: مالكِ أنتِ من بيننا تسيل دموعكِ؟ قالت: إنّي لمّا أصابني الجهد شربت شربة سويق قال: فأمرت بالطعام والأسوقة فأكلت وشربت وأطعمت وسقت وقالت: إنّما نريد بذلك أن نتقوّى على البكاء على الحسين عليه السلام.

قال: وأُهدي إلى الكلبيّة جوناً لتستعين بها على مأتم الحسين عليه السلام فلمّا رأت الجون قالت: ما هذه؟ قالوا: هديّة أهداها فلان لتستعيني بها

---

(١) اللّهوف ٤٤:...

(٢) أصول الكافي ١/٤٦٦، ح ٩: علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن أحمد، عن الحسن بن علي، عن يونس، عن مصقلة الطحان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

على مأتم الحسين عليه السلام، فقالت: لسنا في عرس، فما نصنع بها؟ ثمّ أمرت بهنّ فأخرجن من الدار فلمّا أُخرجن من الدار لم يُحسّ لها حسّ كأنّما طرن بين السماء والأرض ولم يُر لهنَّ بها بعد خروجهنَّ من الدار أثر.

إذا ذكرت الحسين عليه السلام (١)

عن الحسين بن أبي فاختة، قال: كنت أنا وأبو سلمة السراج ويونس بن يعقوب والفضيل بن يسار عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: جُعلت فداك إني أحضر مجالس هؤلاء القوم فأذكركم في نفسي فأي شيء أقول؟ فقال:

يا حسين إذا حضرت مجالس هؤلاء فقل: «اللَّهمَّ أرنا الرخاء والسرور، فإنك تأتي على ما تريد».

قال: فقلت: جُعلتُ فداك إني أذكر الحسين بن علي عليهما السلام فأيّ شيء أقول إذا ذكرته؟

فقال: قل «صلّى الله عليك يا أبا عبد الله» تكرّرها ثلاثاً.

ثم أقبل علينا وقال: إنّ أبا عبد الله الحسين عليه السلام لمّا قُتل بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع، وما فيهنَّ وما بينهنَّ ومن يتقلّب في الجنّة والنار، وما يُرىٰ وما لا يُرىٰ إلاّ ثلاثة أشياء، فإنها لم تبك عليه.

فقلت: جُعلتُ فداك، وما هذه الثلاثة الأشياء التي لم تبكِ عليه؟

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ١/٥٣ ـ ٥٤، الجزء ٢، ح ٤٢: ابن الشيخ الطوسي، عن والده، عن محمد بن محمد، عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن أبي عمير،...

فقال: البصرة، ودمشق، وآل الحكم بن أبي العاص.

الزهراء عليها السلام تبكي حسيناً عليه السلام[١]

عن أبي بصير قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام أُحدّثه فدخل عليه ابنه فقال له: مرحباً وضمّه وقبّله وقال:

حقّر الله من حقّركم، وانتقم ممّن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليّاً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء، وملائكة السماء.

ثمّ بكى وقال: يا أبا بصير إذا نظرتُ إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أُتي إلى أبيهم وإليهم.

يا أبا بصير إنّ فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق، فتزفر جهنّم زفرة لولا أنّ الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها، فيحرق أهل الأرض فيحفظونها [فيكبحونها، خ ل] ما دامت باكية، ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض فلا تسكن حتّى يسكن صوت فاطمة الزهراء، وإنّ البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلاّ بها ملك موكّل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض، مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها ويدعون الله ويتضرَّعون إليه ويتضرّع أهل العرش ومن حوله،

---

(١) كامل الزيارات ٨٢ ـ ٨٣، ب ٢٦، ح ٧: حدّثني محمد بن عبد الله، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن عبد الله بن مسكان،...

وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أنَّ صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض وتقطّعت الجبال، وزلزلت الأرض بأهلها. قلت: جُعلت فداك إنّ هذا الأمر عظيم.

قال: غيره أعظم منه ما لم تسمعه.

ثمّ قال: يا أبا بصير أما تحب أن تكون في من يسعد فاطمة عليها السلام؟

فبكيت حين قالها، فما قدرت على المنطق وما قدر على كلامي من البكاء ثم قام إلى المصلّى يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم وأصبحت صائماً وجلاً حتى أتيته فلمّا رأيته قد سكن سكنت وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة.

الحزن على الحسين عليه السلام[(١)]

عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته في طريق المدينة ونحن نريد مكّة، فقلت: يابن رسول الله ما لي أراك كئيباً حزيناً مُنكسراً؟ فقال: لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مسألتي. فقلت: فما الذي تسمع؟ قال:

ابتهال الملائكة إلى الله عزَّ وجلَّ على قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين عليهما السلام ونوح الجن وبكاء الملائكة الذين حوله وشدّة جزعهم، فمن يتهنّأ مع هذا بطعام أو بشراب أو نوم؟ وذكر الحديث.

---

(١) كامل الزيارات ٩٢، ب ٢٨، ح ١٨: حدّثني أبي وأخي معاً، عن أحمد بن إدريس، ومحمد بن يحيى معاً، عن العمركي، قال: حدّثنا يحيى، وكان في خدمة أبي جعفر الثاني عليه السلام، عن علي،...

شُعث غُبر[(١)]

وكّل الله تعالى بالحسين عليه السلام سبعين ألف ملك يصلّون عليه كلّ يوم شعثاً غبراً منذ يوم قُتل إلى ما شاء الله، يعني بذلك قيام القائم عليه السلام.

أمّ سلمة تبكي[(٢)]

أصبحت يوماً أمّ سلمة رضي الله عنها تبكي، فقيل لها:ممّ بكاؤك؟

فقالت: لقد قتل ابني الحسين الليلة، وذلك أنني ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله منذ مضى إلاّ الليلة فرأيته شاحباً كئيباً.

فقالت: قلت: ما لي أراك يا رسول الله شاحباً كئيباً؟

قال: ما زلت الليلة أحفر القبور للحسين وأصحابه عليه وعليهم السلام.

العليّان عليهما السلام[(٣)]

عن سعيد بن كلثوم قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام،

---

(١) كامل الزيارات ٨٤، ب ٢٧، ح ٥: حدّثني أبي، وعلي بن الحسين معاً، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) أ: أمالي الشيخ الطوسي ١/٨٩، الجزء ٣، ح ٤٩.
ب: أمالي المفيد ١٩٧، ب ٣٨، ح ٦.
ج: أمالي الصدوق ١٢٠، المجلس ٢٩، ح ١: ابن الشيخ الطوسي عن والده عن محمد بن محمد بن النعمان، عن محمد بن عمران، عن أحمد بن محمد الجوهري، عن الحسن بن عليل العنزي، عن عبد الكريم بن محمد، عن حمزة بن القاسم العلوي، عن عبد العظيم بن عبد الله العلويّ، عن الحسن بن محمد بن الحسين العرني، عن غياث بن إبراهيم، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال:...

(٣) الإرشاد ٢٥٥ ـ ٢٥٦: أخبرني أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى، عن جدّه، عن أبي محمد الأنصاري، عن محمد بن ميمون البزاز عن الحسين بن علوان، عن أبي علي زياد بن رستم،...

فذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأطراه ومدحه بما هو أهله، ثمّ قال:

والله ما أكل علي بن أبي طالب عليه السلام من الدنيا حراماً قطّ، حتى مضى لسبيله، وما عرض له أمران قطّ هما لله رضا إلاّ أخذ بأشدّهما عليه في دينه، وما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله نازلة قطّ إلاّ دعاه ثقة به، وما (أطاق) قدر عمل رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأمّة غيره، وإن كان ليعمل عمل رجل كأن وجهه بين الجنّة والنار يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه، ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار، ممّا كدّ بيديه ورشح منه جبينه، وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخلّ والعجوة، وما كان لباسه إلاّ الكرابيس إذا فضل شيء عن يده من كمّه دعا بالمقراض فقصّه، وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام، ولقد دخل أبو جعفر ابنه عليه السلام عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فرآه قد اصفرّ لونه من السهر ورمصت عيناه من البكاء ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود..

وقد ورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة.

فقال أبو جعفر عليه السلام: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء، فبكيت رحمة له، فإذا هو يفكّر، فالتفت إليّ بعد هنيئة من دخولي وقال: يا بني: أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام.

فأعطيته، فقرأ فيها شيئاً يسيراً، ثمّ تركها من يده تضجّراً وقال: من يقوى على عبادة علي [بن أبي طالب] عليه السلام.

مضى شهيداً(١)

عن الفضيل بن يسار قال: انتهيت إلى زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام صبيحة يوم خرج بالكوفة فسمعته يقول: من يعينني منكم على قتال أنباط أهل الشام فوالذي بعث محمداً بالحقّ بشيراً ونذيراً لا يعينني منكم على قتالهم أحد إلاّ أخذت بيده يوم القيامة فأدخلته الجنّة بإذن الله عزَّ وجلَّ. فلمّا قُتل اكتريت راحلة وتوجّهت نحو المدينة، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت في نفسي: والله لا أخبرته بقتل زيد بن علي فيجزع عليه، فلمّا دخلت قال لي:

يا فضيل ما فعل عمّي زيد؟

فخنقتني العبرة، فقال: قتلوه؟

قلت: إي والله قتلوه.

قال: فصلبوه؟

قلت: إي والله صلبوه.

فأقبل يبكي ودموعه تنحدر عن جانبي خدّه كأنّها الجمان، ثمّ قال: يا فضيل شهدت مع عمّي زيد قتال أهل الشام؟

قلت: نعم.

قال: فكم قتلت منهم؟

---

(١) أ: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٢٥٢ ـ ٢٥٣، ب ٢٥، ح٧.
ب: أمالي الصدوق ٢٨٦، المجلس ٥٦، ح ١: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن محمد بن الحسن بن شمّون، عن عبد الله بن سنان،...

قلت: ستّة.

قال: فلعلّك شاكّ في دمائهم؟

قلت: لو كنت شاكّاً ما قتلتهم.

قال: فسمعته وهو يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضى والله زيد عمّي وأصحابه شهداء، مثل ما مضى عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه.

كان لدنيانا وآخرتنا(١)

عن عبد الله بن سيابة قال: خرجنا ونحن سبعة نفر فأتينا المدينة، فدخلنا على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال لنا:

أعندكم خبر عمّي زيد؟

فقلنا: قد خرج أو هو خارج.

قال: فإن أتاكم خبر فأخبروني.

فمكثنا أيّاماً فأتى رسول بسّام الصيرفي بكتاب فيه:

أمّا بعد: فإنّ زيد بن علي عليه السلام قد خرج يوم الأربعاء غرّة صفر، فمكث الأربعاء والخميس، وقُتل يوم الجمعة، وقُتل معه فلان وفلان.

فدخلنا على الصادق عليه السلام ودفعنا إليه الكتاب، فقرأه وبكى، ثمّ قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، عند الله تعالى أحتسب عمّي إنّه كان نعم العمّ،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٢٥٢، ب ٢٥، ح ٦: حدّثنا أحمد بن الحسين القطّان قال: حدّثنا الحسن بن عليّ السكري، عن محمد بن زكريّا الجوهري، عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن عمرو بن خالد،...

إنّ عمّي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضىٰ والله عمّي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليّ والحسن والحسين صلوات الله عليهم.

عرض الأعمال[1]

عن داود بن كثير الرقي قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ قال لي مبتدئاً من قبل نفسه:

يا داود لقد عُرِضَت عليّ أعمالكم يوم الخميس فرأيت فيما عُرِض عليّ من عملك صلتك لابن عمّك فلان، فسرّني ذلك أني علمت أنّ صلتك له أسرع لفناء عمره وقطع أجله.

قال داود: وكان لي ابن عمّ معانداً ناصباً خبيثاً بلغني عنه وعن عياله سوء حال، فصككت له نفقة قبل خروجي إلى مكّة، فلمّا صرت بالمدينة أخبرني أبو عبد الله عليه السلام بذلك.

وفاء المعلّى[2]

أبو بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وقد جرى ذكر المعلّى ابن خنيس فقال:

يا أبا محمد أكتم عليّ ما أقول لك في المعلّى.

قلت: أفعل.

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ٢/٢٧ ـ ٨، الجزء ١٤، ح ٧٦: ابن الشيخ الطوسي، عن والده، عن الشيخ المفيد، عن علي بن بلال المهلّبي، عن علي بن سليمان، عن أحمد بن القاسم الهمداني، عن أحمد بن محمد السياري، عن محمد بن خالد البرقي، عن سعيد بن مسلم،...

(٢) مناقب ابن شهرآشوب ٤/٢٢٥:...

فقال: أما إنّه ما كان ينال درجتنا إلاّ بما كان ينال منه داود بن عليّ.

شفاعة حسنة[1]

التمس محمد بن سعيد من الصادق عليه السلام رقعة إلى محمد بن الثمالي في تأخير خراجه فقال عليه السلام: قل له: سمعت جعفر بن محمد يقول:

من أكرم لنا موالياً فبكرامة الله تعالى بدا، ومن أهانه فلسخط الله تعرّض، ومن أحسن إلى شيعتنا فقد أحسن إلى أمير المؤمنين، ومن أحسن إلى أمير المؤمنين فقد أحسن إلى رسول الله، ومن أحسن إلى رسول الله فقد أحسن إلى الله، ومن أحسن إلى الله كان والله معنا في الرفيع الأعلى.

قال: فأتيته وذكرته.

فقال: بالله سمعت هذا الحديث من الصادق عليه السلام؟

فقلت: نعم.

فقال: اجلس، ثمّ قال: يا غلام ما على محمد بن سعيد من الخراج؟

قال: ستّون ألف درهم.

قال: اِمح اسمه من الديوان، وأعطاني بدرة وجارية وبغلة بسرجها ولجامها.

قال: فأتيت أبا عبد الله عليه السلام، فلمّا نظر إليّ تبسّم فقال: يا أبا محمد تحدثني أو أحدثك؟

(١) مناقب ابن شهرآشوب ٤/ ٢٣٥ - ٢٣٦:...

فقلت: يابن رسول الله منك أحسن، فحدّثني والله الحديث كأنّه حضر معي.

قلت: وما الذي يصيبه من داود؟

قال: يدعو به فيأمر به، فيضرب عنقه، ويصلبه، وذلك من قابل.

فلمّا كان قابل ولّى داود المدينة، فدعا المعلّى وسأله عن شيعة أبي عبد الله عليه السلام فكتمه.

فقال: أتكتمني؟ أما أنّك إن كتمتني قتلتك.

فقال المعلّى: بالقتل تهدّدني؟! والله لو كانوا تحت قدمي، ما رفعت قدمي عنهم، وإن أنت قتلتني لتسعدني ولتشقينّ.

فلمّا أراد قتله قال المعلّى: أخرجني إلى الناس، فإنّ لي أشياء كثيرة، حتى أشهد بذلك.

فأخرجه إلى السوق، فلمّا اجتمع الناس قال: أيّها الناس اشهدوا أنّ ما تركت من مال عين أو دين أو أمة أو عبد أو دار أو قليل أو كثير فهو لجعفر بن محمد عليه السلام فقُتل.

النار تفقد طبيعتها(١)

وجّه المنصور إلى حسن بن زيد وهو واليه على الحرمين أن أحرق على جعفر بن محمد داره، فألقى النار في دار أبي عبد الله عليه السلام فأخذت النار في الباب والدهليز، فخرج أبو عبد الله عليه السلام يتخطّى النار ويمشي فيها ويقول:

أنا ابن أعراق الثرىٰ، أنا ابن إبراهيم خليل الله.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ٤/٢٣٦: المفضل بن عمر قال:...

الضمان بالجنّة[١]

قال أبو بصير: كان لي جار يتبع السلطان، فأصاب مالاً فاتّخذ قياناً، وكان يجمع الجموع ويشرب المسكر ويؤذيني، فشكوته إلى نفسه غير مرّة، فلم ينته، فلمّا ألححت عليه قال: يا هذا أنا رجل مبتلى، وأنت رجل معافى، فلو عرّفتني لصاحبك رجوت أن يستنقذني الله بك، فوقع ذلك في قلبي، فلما صرت إلى أبي عبد الله عليه السلام ذكرت له حاله، فقال لي:

إذا رجعت إلى الكوفة، فإنّه سيأتيك فقل له: يقول لك جعفر بن محمد: دع ما أنت عليه، وأضمن لك على الله الجنّة.

قال: فلمّا رجعت إلى الكوفة، أتاني فيمن أتى فاحتبسته حتى خلا منزلي، فقلت: يا هذا إنّي ذكرتك لأبي عبد الله عليه السلام فقال: أقرئه السلام وقل له: يترك ما هو عليه، وأضمن له على الله الجنّة، فبكىٰ ثمّ قال: الله، أقال لك جعفر عليه السلام هذا؟

قال: فحلفت له أنّه قال لي ما قلت لك.

فقال لي: حسبك ومضى.

فلمّا كان بعد أيّام بعث إليّ ودعاني، فإذا هو خلف باب داره عريان، فقال لي: يا أبا بصير ما بقي في منزلي شيء إلاّ وقد أخرجته وأنا كما ترى، فمشيت إلى إخواننا فجمعت له ما كسوته به، ثمّ لم يأت عليه إلاّ أيّام يسيرة، حتّى بعث إليّ أنّي عليل فأتني، فجعلت أختلف إليه وأعالجه حتّى نزل به الموت.

---

(١) كشف الغمّة ٢/٤٢٦ ـ ٤٢٧:...

فكنت عنده جالساً وهو يجود بنفسه، ثمّ غشي عليه غشية ثمّ أفاق فقال: يا أبا بصير قد وفىٰ صاحبك لنا، ثمّ مات، فحججت فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فاستأذنت عليه.

فلمّا دخلت قال لي ابتداءً من داخل البيت وإحدى رجلي في الصحن والأخرى في دهليز داره: يا أبا بصير قد وفينا لصاحبك.

الحقّ مع موسى[١]

زرارة بن أعين قال: ـ لمّا مات إسماعيل ـ دعا الصادق عليه السلام داود بن كثير الرقي وحمران بن أعين وأبا بصير ودخل عليه المفضّل بن عمر وأتى بجماعة حتّى صاروا ثلاثين رجلاً فقال:

يا داود اكشف عن وجه إسماعيل، فكشف عن وجهه، فقال: تأمّله يا داود فانظره أحيّ هو أم ميّت؟

فقال: بل هو ميّت، فجعل يعرضه على رجل رجل حتّى أتى على آخرهم.

فقال عليه السلام: اللّهمّ اشهد، ثمّ أمر بغسله وتجهيزه.

ثمّ قال: يا مفضّل إحسر عن وجهه، فحسر عن وجهه.

فقال: أحيّ هو أم ميت؟ أُنظروه أجمعكم!

فقال: بل هو يا سيّدنا ميّت.

فقال: شهدتم بذلك وتحققتموه؟

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ١/٢٦٦ ـ ٢٦٧:...

قالوا: نعم، وقد تعجّبوا من فعله.

فقال: اللّهمَّ اشهد عليهم، ثمّ حمل إلى قبره، فلمّا وضع في لحده قال: يا مفضل اكشف عن وجهه، فكشف فقال للجماعة: انظروا أحيّ هو أم ميّت؟

فقالوا: بل ميّت يا وليّ الله.

فقال: اللّهمَّ اشهد فإنّه سيرتاب المبطلون يريدون ليطفئوا نور الله، ثمّ أومأ إلى موسى عليه السلام وقال: والله متمّ نوره ولو كره الكافرون، ثمّ حثوا عليه التراب.

ثمّ أعاد علينا القول، فقال: الميت المكفّن المحنّط المدفون في هذا اللحد من هو؟

قلنا: إسماعيل ولدك.

فقال: اللّهمَّ اشهد، ثمّ أخذ بيد موسىٰ فقال: هو حقّ والحق معه ومنه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

مع كبير القمّيين(١)

عن أبان بن عثمان قال: أقبل عمران بن عبد الله القمّي على أبي عبد الله عليه السلام فقرّبه أبو عبد الله عليه السلام فقال:

كيف أنت؟ وكيف ولدك؟ وكيف أهلك؟ وكيف بنو عمّك؟ وكيف

---

(١) أ: الاختصاص ٦٩.

ب: رجال الكِشّي ٢/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥، ح ٦٠٩: حدّثنا جعفر بن محمد بن قولويه، عن جعفر بن محمد بن مسعود عن أبيه قال: حدثني علي بن محمد، عن الحسين بن عبد الله، عن عبد الله بن علي، عن أحمد بن حمزة، عن المزربان بن عمران،...

أهل بيتك؟ ثمّ حدّثه مليّاً، فلمّا خرج قيل لأبي عبد الله عليه السلام: من هذا؟

قال: نجيب من قوم نجباء، ما نُصب لهم جبّار إلاّ قصمه الله.

هؤلاء الأربعة(١)

أربعة أحبّ الناس إليّ أحياءً وأمواتاً: بريد العجلي، وزرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، والأحول(٢) أحبّ الناس إليّ أحياءً وأمواتاً.

مع شيعة أهل البيت(٣)

عن بدر بن الوليد الخثعمي قال: دخل يحيى بن سابور على أبي عبد الله عليه السلام ليودّعه فقال أبو عبد الله عليه السلام:

أما والله إنّكم لعلىٰ الحقّ، وإنّ من خالفكم لعلىٰ غير الحقّ، والله ما أشكّ أنّكم في الجنّة، فإنّي لأرجو أن يقرّ الله أعينكم إلى قريب.

لولا هؤلاء(٤)

ما أجد أحداً أحيى ذكرنا وأحاديث أبي عليه السلام إلاّ زرارة وأبو بصير

---

(١) كمال الدين ١/٧٦: حدّثنا أبي ومحمد بن الحسن [بن الوليد] معاً، عن أحمد بن إدريس، ومحمد بن يحيى العطّار معاً، عن محمد بن أحمد، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن الفضل بن عبد الملك، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:...

(٢) الأحول: يعني محمد بن النعمان البجلي مؤمن الطاق.

(٣) المحاسن، ص١٤٦، ب ١٥، ح ٥٢: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن عبد الله بن مسكان،...

(٤) أ: الاختصاص ص٦٦.

ب: رجال الكشي ١/٣٤٨، ح ٢١٩: حدّثنا محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد الأقطع قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

المرادي، ومحمد بن مسلم، وبريد بن معاوية، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هدى، هؤلاء حفّاظ الدين وأُمناء أبي عليه السلام على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا وفي الآخرة.

مع المفضّل[1]

عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام إذ دخل المفضّل بن عمر، فلمّا بصر به ضحك إليه ثمّ قال:

إليّ يا مفضّل! فوربّي إنّي لأحبّك وأُحبّ من يحبك، يا مفضّل لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان.

فقال له المفضّل: يابن رسول الله لقد حسبت أن أكون قد أُنزلت فوق منزلتي.

فقال عليه السلام: بل أُنزلت المنزلة التي أنزلك الله بها.

فقال: يابن رسول الله فما منزلة جابر بن يزيد منكم؟

قال: منزلة سلمان من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فما منزلة داود بن كثير الرقي منكم؟

قال: منزلة المقداد من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: ثمّ أقبل عليّ فقال: يا عبد الله بن الفضل إنّ الله تبارك وتعالى خلقنا من نور عظمته، وصنعنا برحمته، وخلق أرواحكم منّا، فنحن نحنّ إليكم وأنتم تحنون إلينا، والله لو جهد أهل المشرق والمغرب أن يزيدوا

---

(١) الاختصاص ٢١٦ ـ ٢١٧: محمد بن علي قال: حدّثني محمد بن موسى بن المتوكّل، عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن أبي الأحمد الأزدي،...

في شيعتنا رجلاً أو ينقصوا منهم رجلاً ما قدروا على ذلك، وأنّهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم وأنسابهم، يا عبد الله بن الفضل ولو شئت لأريتك اسمك في صحيفتنا.

قال: ثمّ دعا بصحيفة فنشرها فوجدتها بيضاء ليس فيها أثر الكتابة.

فقلت: يابن رسول الله ما أرىٰ فيها أثر الكتابة؟

قال: فمسح يده عليها فوجدتها مكتوبة ووجدت في أسفلها اسمي فسجدت لله شكراً.

أمّ الإمام الكاظم عليه السلام[١]

حميدة مصفّاة من الأدناس، كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتّى أديّت كرامة من الله لي والحجّة من بعدي.

حرم أهل البيت[٢]

إنّ لله حرماً وهو مكّة، ولرسوله حرماً وهو المدينة، ولأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة، ولنا حرماً وهو قم، وستدفن فيه امرأة من ولدي تسمّى فاطمة من زارها وجبت له الجنّة.

الحجّة الغائب[٣]

عن يحيى بن أبي القاسم قال: سألت الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام

---

(١) أصول الكافي ١/٤٧٧، ح ٢: محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن عبد الله بن أحمد، عن علي بن الحسين، عن ابن سنان، عن سابق بن الوليد، عن المعلّى بن خنيس أنّ أبا عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) بحار الأنوار ٤٨/٣١٧: عن تاريخ قم للحسن بن محمد القمي، عن الصادق عليه السلام:...

(٣) كمال الدين ١/١٧ ـ ١٨ في مقدمة المصنّف حدّثنا علي بن أحمد بن موسى ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفيّ قال: حدّثنا موسى بن عمران النخعي عن عمّه الحسين بن يزيد عن عليّ بن أبي حمزة،...

عن قول الله عزَّ وجلَّ ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[1] فقال:

المتّقون شيعة عليّ عليه السلام وأمّا الغيب فهو الحجّة الغائب وشاهد ذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾[2].

إذا وُلِد الإمام[3]

إذا ولد وليّ الله صرخ إبليس صرخة يفزع لها شياطينه قال: فقالت له: يا سيدهم ما لك صرخت هذه الصرخة؟

قال: فقال: ولد وليّ الله.

فقالوا: وما عليك من ذلك؟

قال: إنّه إن عاش حتى يبلغ مبلغ الرجال، هدى الله به قوماً كثيراً.

قال: فقالوا له: أولا تأذن لنا فنقتله؟

قال: لا.

فيقولون له: ولم وأنت تكرهه؟

قال: لأنّ بقاءنا بأولياء الله فإذا لم يكن لله في الأرض وليّ قامت القيامة فصرنا إلى النار، فما بالنا نتعجّل إلى النار.

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١ ـ ٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٠.

(٣) علل الشرائع ٢/٥٧٧، ب ٣٨٥، ح ١: أبي قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميري عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

نور المؤمن[١]

عن عمار بن موسى عن أبي عبد الله عليه السلام: أنه سُئل عن أهل السماء هل يرون أهل الأرض؟ قال عليه السلام:

لا يرون إلاّ المؤمنين، لأن المؤمن من نور كنور الكواكب.

قيل: فهم يرون أهل الأرض؟

قال عليه السلام: لا، يرون نوره حيث ما توجّه، ثمّ قال عليه السلام لكلّ مؤمن خمس ساعات يوم القيامة يشفع فيها.

قدر المؤمن[٢]

لا تقدر الخلائق على كنه صفة الله عزَّ وجلَّ، فكما لا تقدر على كنه صفة الله عزَّ وجلَّ، فكذلك لا تقدر على كنه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكما لا تقدر على كنه صفة الرسول صلى الله عليه وآله كذلك لا تقدر على كنه صفة الإمام عليه السلام وكما لا تقدر على كنه صفة الإمام عليه السلام كذلك لا يقدرون على كنه صفة المؤمن.

المؤمن إذا مات غريباً[٣]

ما من مؤمن يموت في غربة من الأرض فيغيب عنه بواكيه، إلاّ بكته

---

(١) صفات الشيعة ٣٦، ح ٥٧: أبي قال: حدّثنا سعد بن عبد الله قال: حدّثنا أحمد بن الحسن بن علي بن فضال...

(٢) المؤمن ٣١، ب ٢، ح ٥٩: عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) المؤمن ٣٦ب ٢، ح ٨١، والمحاسن ٢٧٠، ب ٣٢، ح ١٢٤.
ومن لا يحضره الفقيه ٢/٢٩٩، ح ٢٥١٠.
وثواب الأعمال ٢٠٢: عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

بقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها، وبكته أثوابه، وبكته أبواب السماء التي كان يصعد بها عمله، وبكاه الملكان الموكّلان به.

حرمة المؤمن(١)

المؤمن أعظم حرمة من الكعبة.

المؤمن عزيز(٢)

إنّ الله فوّض إلى المؤمن أمره كلّه ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً، أما تسمع الله عزَّ وجلَّ يقول:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣) فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً.

وقال: إنّ المؤمن أعزّ من الجبل، يستقلّ منه بالمعاول، والمؤمن لا يستقلّ من دينه.

منزلة المؤمن(٤)

إنّ الله تبارك وتعالى خلق المؤمن من نور عظمته، وجلال كبريائه، فمن طعن على المؤمن أو ردّ عليه فقد ردّ على الله في عرشه، وليس هو من الله في ولاية وإنما هو شرك شيطان.

---

(١) بحار الأنوار ٦٧/٧١، ح ٤٢ عن مشكاة الأنوار: عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) بحار الأنوار ٦٧/٧٢، ح ٤٢ عن مشكاة الأنوار: عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٤) المحاسن ١٣١ ـ ١٣٢، ب ١، ح ٣: أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

المؤمن وضمان الله(١)

إنّ الله تعالى ضمن للمؤمن ضماناً.

قال: قلت: وما هو؟

قال: ضمن له ـ إن هو أقرّ له بالربوبية ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة، ولعليّ عليه السلام بالإمامة، وأدّى ما افترض [الله] عليه ـ أن يسكنه في جواره.

قال: فقلت: هذه والله هي الكرامة التي لا تشبهها كرامة الآدميين.

قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: اِعملوا قليلاً تنعّموا كثيراً.

أعظم النعم في القرآن(٢)

تلا أبو عبد الله عليه السلام علينا هذه الآية ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾(٣) قال: أتدري ما آلاء الله؟

قلت: لا.

قال: هي أعظم نِعم الله على خلقه، وهي ولايتنا.

---

(١) أ: ثواب الأعمال ٣٠، ح ١.

ب: أمالي الشيخ الطوسي ١/ ١٥٩، الجزء ٦، ح ١٨: حدّثني محمّد بن موسى بن المتوكّل عن محمّد بن جعفر الأسدي، عن موسى بن عمران، عن الحسين بن يزيد، عن محمّد بن سنان عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) بصائر الدرجات ٨١، الجزء ٢، ب ١٢، ح ٣: حدّثنا الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد ومحمّد بن جمهور، عن عبد الله بن عبد الرحمان، عن الهيثم بن واقد، عن أبي يوسف البزاز عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٦.

هؤلاء المهتدون[1]

عن فضيل بن يسار قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في مرضة مرضها، لم يبق منه إلاّ رأسه. فقال:

يا فضيل إنني كثيراً ما أقول: ما على رجل عرفّه الله هذا الأمر لو كان في رأس جبل حتّى يأتيه الموت، يا فضيل بن يسار إنّ الناس أخذوا يميناً وشمالاً، وإنّا وشيعتنا هدينا الصراط المستقيم.

يا فضيل بن يسار إنّ المؤمن لو أصبح له ما بين المشرق والمغرب كان ذلك خيراً له ولو أصبح مقطّعاً أعضاؤه كان ذلك خيراً له.

يا فضيل بن يسار، إنّ الله لا يفعل بالمؤمن إلاّ ما هو خير له.

يا فضيل بن يسار، لو عدلت الدنيا عند الله عزَّ وجلَّ جناح بعوضة ما سقى عدوّه منها شربة ماء.

يا فضيل بن يسار، إنه من كان همّه همّاً واحداً، كفاه الله همّه، ومن كان همّه في كلّ واد، لم يبال الله بأيّ واد هلك.

المؤمن والمؤمنة[2]

المؤمنة أعزّ من المؤمن، والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟

---

(١) أ: أصول الكافي ٢/٢٤٦، ح ٥.

ب: التمحيص ٥٦، ب ٧، ح ١١٢: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن فضالة بن أيّوب، عن عمر بن أبان وسيف بن عميرة...

(٢) أصول الكافي ٢/٢٤٢، ح ١: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن قتيبة الأعشى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

المؤمن علوي[1]

المؤمن علويّ، لأنه علا في المعرفة، والمؤمن هاشميّ لأنه هشم الضلالة والمؤمن قرشي، لأنه أقرّ بالشيء المأخوذ عنّا، والمؤمن عجمي، لأنه استعجم عليه أبواب الشرّ.

والمؤمن عربي، لأن نبيّهصلى الله عليه وآله وسلم عربيّ، وكتابه المُنزل بلسان عربي مبين، والمؤمن نبطيّ، لأنه استنبط العلم، والمؤمن مُهاجريّ لأنه هجر السيئات، والمؤمن أنصاريّ، لأنه نصر الله ورسوله وأهل بيت رسول الله، والمؤمن مجاهد، لأنه يُجاهد أعداء الله تعالى في دولة الباطل بالتقية، وفي دوله الحقّ بالسيف.

قريش والعرب[2]

نحن قريش، وشيعتنا العرب، وعدوّنا العجم.

المؤمن صنفان[3]

المؤمن مؤمنان: مؤمن وفى لله بشروطه التي شرطها عليه، فذلك مع

---

(١) علل الشرائع ٢/٤٦٧، ب ٢٢٢، ح ٢٢: حدّثنا أحمد بن الحسن القطان، عن الحسن بن علي السكوني، عن محمّد بن زكريا الجوهري، عن جعفر بن محمّد بن محمّد بن عمارة، عن أبيه قال: سمعت الصادق جعفر بن محمّدعليه السلام يقول:...

(٢) معاني الأخبار ٤٠٣ ـ ٤٠٤، ح ٧١: أبي ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن سلمة بن الخطّاب، عن الحسن بن يوسف، عن عثمان بن جبلة، عن ضريس بن عبد الملك، قال: سمعت أبا عبد اللهعليه السلام يقول:...

(٣) أصول الكافي ٢/٢٤٨، ح ٢: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عبد الله، عن خالد العمي [القمي خ ل] عن خضر بن عمرو، عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: سمعته يقول:...

النبيين والصدّيقين، والشهداء، والصالحين، وحسُن أولئك رفيقاً، وذلك ممّن يشفع، ولا يُشفع له، وذلك ممّن لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، ومؤمن زلّت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفئته الريح انكفأ، وذلك ممّن تصيبه أهوال الدنيا و[أهوال] الآخرة، ويشفع له وهو على خير.

البلاء للأولياء[1]

إنّ أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الأمثل فالأمثل.

البلاء للولاء[2]

إنّ عظيم الأجر لمع عظيم البلاء، وما أحبّ الله قوماً إلاّ ابتلاهم.

المؤمن وتحف السماء[3]

إنّ لله عزَّ وجلَّ عباداً في الأرض من خالص عباده ما ينزل من السماء تحفة إلى الأرض إلاّ صرفها عنهم إلى غيرهم، ولا بليّة إلاّ صرفها إليهم.

البلاء على قدر الولاء[4]

إنما المؤمن بمنزلة كفّة الميزان، كلّما زيد في إيمانه زيد في بلائه.

---

(١) أصول الكافي ٢/٢٥٢، ح ١: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) أصول الكافي ٢/٢٥٢، ح ٣: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) أصول الكافي ٢/٢٥٣، ح ٥: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٤) أصول الكافي ٢/٢٥٣ ـ ٢٥٤، ح ١٠: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن بعض أصحابه، عن محمّد بن المثنّى الحضرمي، عن محمّد بن بهلول بن مسلم العبدي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

المؤمن وما يحزنه[١]

المؤمن لا يمضي عليه أربعون ليلة إلاّ عرض له أمر يحزنه يذكرّ به.

المؤمن والمرض[٢]

إنّ في الجنّة منزلة لا يبلغها عبد إلاّ بالابتلاء في جسده.

المؤمن والمصائب[٣]

عن عبد الله بن أبي يعفور قال: شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام ما ألقى من الأوجاع وكان مسقاماً (وكان أي: ابن أبي يعفور، مسقاماً أي كثير المرض) فقال لي:

يا عبد الله لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب، لتمنىٰ أنه قرض بالمقاريض.

المؤمن والبلايا[٤]

إنّه ليكون للعبد منزلة عند الله، فما ينالها إلاّ بإحدى خصلتين: إمّا بذهاب ماله، أو ببليّة في جسده.

---

(١) أصول الكافي ٢/٢٥٤، ح ١١: علي بن إبراهيم، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيوب، عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٢) أصول الكافي ٢/٢٥٥، ح ١٤: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن فضيل بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) أصول الكافي ٢/٢٥٥، ح ١٥، والتمحيص ٣٢، ب ١، ح ١٣: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن إبراهيم بن محمد الأشعري، عن أبي يحيى الحنّاط...

(٤) أصول الكافي ٢/٢٥٧، ح ٢٣: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن فضّال، عن علي بن عقبة، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

المؤمن والعاهات(١)

عن ابن بكير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام أيُبتلى المؤمن بالجذام والبرص وأشباه هذا؟ قال: فقال:

وهل كتب البلاء إلاّ على المؤمن.

المؤمن المحبوب(٢)

إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً فأذنب ذنباً تبعه بنقمة ويذكّره الاستغفار، وإذا أراد الله تعالى بعبد شرّاً فأذنب ذنباً، تبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى به، وهو قول الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣) بالنعم عند المعاصي.

المؤمن والتمحيص(٤)

إنّ العبد إذا كثرت ذنوبه، ولم يجد ما يكفّرها به، ابتلاه الله عزَّ وجلَّ بالحزن في الدنيا ليكفرها به، فإن فعل ذلك به، وإلاّ فعذّبه في قبره، ليلقاه الله عزَّ وجلَّ يوم يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من ذنوبه.

---

(١) أصول الكافي ٢/٢٥٨، ح ٢٧: أبو علي الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبار، عن ابن فضال...

(٢) علل الشرائع ٢/٥٦١، ب ٣٥٤: حدّثنا محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عليّ بن الحكم، عن عبد الله بن جندب، عن سفيان بن سمط قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٢. وسورة القلم، الآية: ٤٤.

(٤) بحار الأنوار ٦٧/٢٣٥، ح ٥٣: عن روضة الواعظين: قال الصادق عليه السلام:...

المؤمن مُبتلى[1]

يا أبا حمزة ما كان ولن يكون مؤمن إلاّ وله بلايا أربع: إما أن يكون له جار يؤذيه، أو مُنافق يقفو أثره، أو مخالف يرى قتاله جهاداً، أو من [مؤمن خ ل] يحسده.

ثمّ قال: أما إنه أشدّ الأربعة عليه، لأنّه يقول فيصدّق عليه، ويُقال هذا رجل من إخوانه، فما بقاء المؤمن بعد هذه.

المؤمن مُكفّر[2]

إنّ المؤمن مُكفّر، وذلك أنّ معروفه يصعد إلى الله تعالى، فلا ينتشر في الناس، والكافر مشهور، وذلك أنّ معروفه للناس ينتشر في الناس ولا يصعد إلى السماء.

مقياس أهل الحق[3]

يعرف من يصف الحقّ بثلاث خصال:

ينظر إلى أصحابه من هم؟ وإلى صلاته كيف هي؟ وفي أيّ وقت يصلّيها؟ فإن كان ذا مال نظر أين يضع ماله.

---

(١) التمحيص ٣٢، ب ١، ح ١٠: عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) علل الشرائع ٢/ ٥٦٠، ب ٣٥٣، ح ١: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل قال: حدّثنا عليّ بن الحسين السعدآبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي بإسناده يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:...

(٣) المحاسن ٢٥٤، ب ٣٠، ح ٢٨١: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبي القاسم عبد الرحمان بن حماد الكوفي، عن ميسر بن سعيد القصير الجوهري، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

بشرى سارّة[(١)]

يابن يزيد أنت والله منّا أهل البيت، قلت: جُعلت فداك من آل محمد؟

قال: إي والله من أنفسهم.

قلت: من أنفسهم جُعلتُ فداك؟

قال: إي والله من أنفسهم يا عمر أما تقرأ كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)] وما تقرأ قول الله عزّ اسمه: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

أهل الخيرتين[(٣)]

نحن خيرة الله من خلقه وشيعتنا خيرة الله من أمّة نبيّه.

ممثلو أهل البيت عليهم السلام[(٤)]

شيعتنا جزء منّا، خُلِقوا من فضل طينتنا، يسوؤهم ما يسوؤنا ويسرّهم ما يسرّنا، فإذا أرادنا أحد فليقصدهم فإنهم الذين يوصل منه إلينا.

---

(١) أمالي الطوسي ١/ ٤٤، ب ٢، ح ٢٢: ابن الشيخ الطوسي قال: حدّثني والدي قال: أخبرني محمد بن محمد بن النعمان، عن الحسين بن أحمد بن المغيرة، عن حيدر بن محمّد السمرقندي، عن محمد بن عمر الكشي، عن محمد بن مسعود العياشي، عن جعفر بن المعروف، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن عذافر، عن عمر بن يزيد قال:...

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

(٣) أ: أمالي الشيخ المفيد ١٨٩ ـ ١٩٠، المجلس ٣٦، ح ٦.

ب: أمالي الشيخ الطوسي ١/ ٧٥ ـ ٧٦، الجزء ٣، ح ٢٢: حدّثنا محمد بن عمر الجعابي، عن جعفر بن محمد بن سليمان أبو الفضل، عن داود بن رشيد، عن محمد بن إسحٰق البعلي [الثعلبي خ ل] الموصلي قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول:...

(٤) أمالي الطوسي ١/ ٣٠٥، ب ١١، ح ٣٤: ابن الشيخ الطوسي، عن والده، عن أبي محمد الفحّام، عن عمّه، عن إبراهيم بن عبد الله الكنيخي، عن أبي عاصم، عن الصادق عليه السلام قال:...

الأئمة الأوفياء(١)

حقوق شيعتنا علينا أوجب من حقوقنا عليهم.

قيل له: وكيف ذلك يابن رسول الله؟

فقال: لأنهم يصابون فينا ولا نُصاب فيهم.

الجنة لشيعتنا ومحبّيهم(٢)

إنّ الرجل ليحبّكم وما يدري ما تقولون فيدخله الله الجنّة وإن الرجل ليبغضكم وما يدري ما تقولون فيدخله الله النار، وإنّ الرجل منكم ليملأ صحيفته من غير عمل.

قلت: وكيف يكون ذاك؟

قال: يمرّ بالقوم ينالون منّا فإذا رأوه قال بعضهم لبعض: إنّ هذا الرجل من شيعتهم، ويمرّ بهم الرجل من شيعتنا فينهرونه ويقولون فيه فيكتب الله عزَّ وجلَّ بذلك حسنات حتّى تُملأ صحيفته من غير عمل.

أشرف ولد آدم(٣)

إنّ لكل شيء جواهراً وجوهر ولد آدم محمّد صلى الله عليه وآله ونحن وشيعتنا.

---

(١) أمالي الطوسي ١/٣١٠، ب ١١، ح ٥٥: ابن الشيخ الطوسي، عن والده، عن الحسين بن عبيد الله الغضائري، عن هارون بن موسى، عن محمد بن همام، عن عليّ بن الحسين الهمداني، عن محمد بن خالد البرقي، عن أبي قتادة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:...

(٢) معاني الأخبار ٣٩٢ ـ ٣٩٣، ح ٤٠: حدّثنا جعفر بن محمد بن مسرور قال: حدّثنا الحسين بن محمد بن عامر، عن عمه عبد الله بن عامر، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن ثعلبة، عن عمر بن أبان الرفاعي، عن الصباح بن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) المحاسن ١٤٣، ب ١١، ح ٣٩: أحمد بن محمد بن خالد البرقي، عن أبيه، عن سعدان بن مسلم، عن الحسين بن أبي العلاء قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

بين الإمام وشيعته[١]

والله إنّي لأحب ريحكم وأرواحكم ورؤيتكم وزيارتكم وإني لعلى دين الله، ودين ملائكته فأعينوا على ذلك بورع، أنا في المدينة بمنزلة الشعرة أتقلقل حتّى أرى الرجل منكم فأستريح إليه.

أهل بيت الرحمة[٢]

نحن أهل بيت الرحمة، وبيت النعمة، وبيت البركة، ونحن في الأرض بنيان وشيعتنا عرى[٣] الإسلام، وما كانت دعوة إبراهيم إلاّ لنا ولشيعتنا ولقد استثنى الله إلى يوم القيامة إلى إبليس فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾[٤].

مع مالك الجهني[٥]

يا مالك أما ترضون أن تُقيموا الصلاة، وتُؤدّوا الزكاة، وتكفّوا أيديكم وتدخلوا الجنّة؟

ثمّ قال: يا مالك إنّه ليس من قوم ائتمّوا بإمام في دار الدنيا إلاّ جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلاّ أنتم، ومن كان بمثل حالكم.

---

(١) المحاسن ١٦٣، ب ٣١، ح ١١٣: أحمد بن محمد بن خالد البرقي، عن أبيه، عن حمزة بن عبد الله، عن إسحاق بن عمار، عن عليّ بن عبد العزيز قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٢) تفسير العياشي ٢/٢٤٣، ح ١٨: عن أبي بصير قال: سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام وهو يقول:...

(٣) العرى: جمع العروة: مستمسك الشيء.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٥) فضائل الشيعة ٣٨، ح ٣٧: حدّثني محمد بن موسى بن المتوكّل عن مالك بن محمد الجهني عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

ثمّ قال: يا مالك إنّ الميت منكم على هذا الأمر شهيد بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله.

الناظرون بنظر الله(١)

نظرتم والله حيث نظر الله، واخترتم من اختار الله، وأخذ الناس يميناً وشمالاً، وقصدتم قصد محمّد صلى الله عليه وآله، أما والله إنّكم لعلى المحجّة البيضاء.

الشيعة: الترابية(٢)

يا سعيد إنّ طائفة سمّيت المرجئة وطائفة سمّيت الخوارج وسمّيتم الترابية.

الآخذون بالحق(٣)

ما أحد أحبّ إليّ منكم، إنّ الناس سلكوا سبلاً شتّى، منهم من أخذ بهواه ومنهم من أخذ برأيه، وإنكم أخذتم بأمر له أصل.

---

(١) المحاسن ١٤٨، ب ١٨، ح ٥٩: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أبي المغرا، عن يزيد بن خليفة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لنا ونحن عنده:...

(٢) المحاسن ١٥٦، ب ٢٣، ح ٨٦: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن حمزة بن عبد الله، عن جميل بن درّاج، عن سعيد بن يسار قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو على سرير فقال:...

(٣) المحاسن ١٥٦، ب ٢٣، ح ٨٧: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن حبيب الخثعمي والنضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن حبيب قال: قال لنا أبو عبد الله عليه السلام:...

المُحب وشدائد الدنيا(١)

والله لا يصف عبد هذا الأمر فتطعمه النار.

قلت: إنّ فيهم من يفعل ويفعل؟

فقال: إنّه إذا كان ذلك ابتلى الله تبارك وتعالى أحدهم في جسده فإن كان ذلك كفارة لذنوبه، وإلاّ ضيّق الله عليه في رزقه، فإن كان [ذلك] كفارة لذنوبه وإلاّ شدّد الله عليه [عند] موته حتّى يأتي الله ولا ذنب له ثمّ يدخله الجنّة.

بشارة جبرائيل(٢)

بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر إذ نزل فسجد خمس سجدات، فلما ركب قال له بعض أصحابه: رأيناك يا رسول الله صنعتَ ما لم تكن تصنعه؟

قال: نعم. أتاني جبرائيل عليه السلام فبشّرني أنّ علياً في الجنّة، فسجدتُ شكراً لله تعالى.

فلما رفعت رأسي قال: وفاطمة في الجنة، فسجدتُ شكراً لله تعالى، فلما رفعت رأسي قال: والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، فسجدتُ شكراً لله تعالى، فلما رفعت رأسي قال:

---

(١) المحاسن ١٧٢، ب ٣٧، ح ١٤١: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عمّن حدثه، عن أبي سلام النخاس، عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) أمالي المفيد ٢٠، المجلس ٣، ح ٢: أخبرني جعفر بن محمد بن قولويه، عن الحسن بن محمد بن عامر، عن أحمد بن علوية، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن توبة بن الخليل، عن عثمان بن عيسى، عن أبي عبد الرحمان، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال:...

ومن يحبّهم في الجنّة، فسجدتُ لله تعالى شكراً فلما رفعتُ رأسي قال: ومن يحب من يحبّهم في الجنّة، فسجدتُ شكراً لله تعالى.

كونوا لنا زيناً[1]

معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول، وقبح القول.

اعرف الشيعة[2]

الشيعة ثلاث: محبّ وادّ فهو منّا، ومتزيّن بنا ونحن زين لمن تزيّن بنا، ومستأكل بنا الناس، ومن استأكل بنا افتقر.

علائم شيعتنا[3]

ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه، واتّبع آثارنا وعمل بأعمالنا، أولئك شيعتنا.

---

(١) بحار الأنوار ٦٨/ ١٥١ ـ ١٥٢، ح ٦: عن أمالي الطوسي: عن الغضائري، عن الصدوق، عن المكتب، عن ابن زكريا، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن جعفر بن عثمان الأحول، عن سليمان بن مهران قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام وعنده نفر من الشيعة وهو يقول:...

(٢) الخصال ١/ ١٠٣، ح ٦١: حدّثنا حمزة بن محمد بن أحمد العلوي قال: أخبرني علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن خالد البرقي، عن خلف بن حماد، عن معاوية بن وهب، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٣) بحار الأنوار ٦٨/ ١٦٤، ح ١٣ عن السرائر: من كتاب أبي القاسم بن قولويه، عن محمد بن عمر بن حنظلة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

أصحاب جعفر عليه السلام[1]

إنّ أصحابي أولو النهى والتقى، فمن لم يكن من أهل النهى والتقى فليس من أصحابي.

الجعفرية[2]

عن أبي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّا نعيَّر بالكوفة فيقال لنا جعفرية.

قال: فغضب أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: إنّ أصحاب جعفر منكم لقليل، إنّما أصحاب جعفر من اشتدّ ورعه، وعمل لخالقه.

شيعتنا هؤلاء[3]

شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة أصحاب إحدىٰ وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكّون أموالهم، ويحجّون البيت، ويجتنبون كل محرّم.

مواصفات شيعتنا[4]

شيعتنا من قدم ما استحسن، وأمسك ما استقبح، وأظهر الجميل،

---

(١) بحار الأنوار ٦٨/١٦٦، ح ١٧: عن رجال الكشي: عن حمدويه بن نصير، عن أيّوب بن نوح عن صفوان بن يحيى، عن داود بن فرقد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٢) بحار الأنوار ٦٨/١٦٦، ح ١٨: عن رجال الكشي: عن ابن مسعود، عن عبد الله بن محمد الطيالسي، عن الوشاء، عن محمد بن حمران...

(٣) صفات الشيعة ٢، ح ١: حدّثني محمد بن موسى بن المتوكّل، عن محمد بن يحيى العطّار الكوفي، عن أبيه، عن موسى بن عمران النخعي، عن عمّه الحسين بن زيد النوفلي، عن علي بن سالم، عن أبيه، عن أبي بصير قال: قال الصادق عليه السلام:...

(٤) صفات الشيعة ١٧، ح ٣٢: حدّثنا محمد بن علي ماجيلويه، عن عمّه، محمد بن أبي قاسم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة قال: سُئل أبو عبد الله عليه السلام عن شيعتهم فقال:...

وسارع بالأمر الجليل، رغبة إلى رحمة الجليل، فذاك منّا وإلينا ومعنا حيثما كنّا.

أصحاب علي عليه السلام(١)

إنّ أصحاب علي عليه السلام كانوا المنظور إليهم في القبائل، وكانوا أصحاب الودائع مرضيين عند الناس، سهّار الليل، مصابيح النهار.

من سمات الشيعة(٢)

شيعتنا أهل الهدىٰ، وأهل التُّقىٰ، وأهل الخير، وأهل الإيمان، وأهل الفتح والظفر.

شيعة جعفر عليه السلام(٣)

إيّاك والسفلة، فإنّما شيعة علي عليه السلام من عفّ بطنه وفرجه واشتدّ جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر.

أصحاب الصادق عليه السلام(٤)

إذا أردت أن تعرف أصحابي فانظر إلى من اشتدّ ورعُه، وخاف

---

(١) مشكاة الأنوار ٦٣، ب ٢، الفصل ٢: عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) أصول الكافي ٢/٢٣٣، ح ٨: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) أصول الكافي ٢/٢٣٣، ح ٩، ومشكاة الأنوار ٥٨، ب ٢، الفصل ١: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل، عن منصور بزرخ، عن مفضل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٤) أصول الكافي ٢/٢٣٦، ح ٢٣: علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير عن المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

خالقَه، ورجا ثوابَه، فإذا رأيت هؤلاء فهؤلاء أصحابي.

الإيمان لمن أحب(١)

إنّ الله يعطي المال البِرّ والفاجر، ولا يُعطي الإيمان إلاّ من أحب.

سجن المؤمن(٢)

الدنيا سجن المؤمن فأيّ سجن جاء منه خير.

محض الإيمان(٣)

لا يمحض رجل الإيمان بالله حتى يكون الله أحب إليه من نفسه وأبيه وأمه وولده وأهله وماله ومن الناس كلّهم.

شيعتنا بُصراء(٤)

إنما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عين في الرأس، وعين في القلب، ألا والخلائق كلّهم كذلك، ألا وإن الله فتح أبصاركم، وأعمى أبصارهم.

---

(١) المحاسن ٢١٧، ب ٩، ح ١١٢: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) أصول الكافي ٢/ ٢٥٠، ح ٧: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي، عن محمد بن علي، عن إبراهيم الحذّاء، عن محمد بن صغير، عن جدّه شعيب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٣) فلاح السائل ١٠٠ ـ ١٠١، الفصل ١٧: روى الحسين بن سيف صاحب الصادق عليه السلام في كتاب أصله الذي أسنده إليه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٤) بحار الأنوار ٥٨/٧٠، ح ٣٥ عن تفسير العياشي، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

الإيمان أُنس وسكن[١]

ما من مؤمن إلاّ وقد جعل الله له من إيمانه أُنساً يسكن إليه حتّى لو كان على قلّة جبل لم يستوحش.

أشدّ من الحديد[٢]

إنّ المؤمن أشدّ من زبر الحديد، إنّ الحديد إذا دخل النار لان، وإنّ المؤمن لو قتل ونشر ثمّ قتل ونشر لم يتغيّر قلبه.

المؤمن في نظر أهل البيت عليهم السلام[٣]

إنّا لا نعدّ الرجل مؤمناً حتّى يكون لجميع أمرنا متّبعاً ومُريداً، ألا وإنّ من اتباع أمرنا وإرادته الورع، فتزيّنوا به يرحمكم الله، وكبّدوا أعداءنا به ينعشكم الله.

الشيعي عند أهل البيت عليهم السلام[٤]

ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدّرات بورعه في خدورهنّ، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم من خلق الله أورع منه.

---

(١) عدّة الدّاعي ٢١٨، ب ٤: روى عبيد بن زرارة، عن الصادق عليه السلام [قال]:...

(٢) المحاسن ٢٥١، ب ٢٩، ح ٢٦٦: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن محمد بن إسماعيل بن بزيغ، عن أبي إسماعيل السراج، عن خضر بن عمرو قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٣) أصول الكافي ٢/٧٨، ح ١٣: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٤) أصول الكافي ٢/٧٩، ح ١٥: الحسين بن محمد، عن عليّ بن محمد بن سعيد بن محمد بن مسلم، عن محمد بن حمزة العلوي قال: أخبرني عبيد الله بن علي، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول:...

المؤمنون على درجات(١)

المؤمنون على سبع درجات: صاحب درجة منهم في مزيد من الله عزَّ وجلَّ لا يخرجه ذلك المزيد من درجته إلى درجة غيره، ومنهم شهداء الله على خلقه، ومنهم النُجباء، ومنهم الممتحنة، ومنهم النُجداء، ومنهم أهل الصبر، ومنهم أهل التّقوى، ومنهم أهل المغفرة.

الإيمان الفطري درجات(٢)

إنّ الله جبل النبيين على نبوّتهم فلا يرتدّون أبداً، وجبل الأوصياء على وصاياهم فلا يرتدّون أبداً، وجبل بعض المؤمنين على الإيمان فلا يرتدّون أبداً، ومنهم من أُعير الإيمان عارية فإذا هو دعا وألحّ في الدعاء مات على الإيمان.

وفاء ومواساة(٣)

بينا أمير المؤمنين عليه السلام في الرحبة في نفر من أصحابه إذ أُهدي له طست خوان فالوذج.

فقال لأصحابه: مدّوا أيديكم فمدّوا أيديهم ثمّ قبضها.

فقالوا: يا أمير المؤمنين أمرتنا أن نمدّ أيدينا فمددناها، ومددت يدك ثمّ قبضتها.

---

(١) الخصال ٢/٣٥٢، ح ٣١: حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن محمد بن أحمد عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) أصول الكافي ٢/٤١٩، ح ٥: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن حبيب، عن إسحاق بن عمار بن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٣) المحاسن ٤١٠، ب ١٥، ح ١٣٥: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن محمّد بن علي، عن سفيان، عن الصباح الحذاء، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

فقال: إنّي ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يأكله فكرهت أكله.

شيعتنا أبصر(١)

إنّا صُبّر(٢) وشيعتنا أصبر منّا.

قلت: جُعلتُ فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟

قال: لأنّا نصبر على ما نعلم، وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون.

الولاء وبركاته(٣)

قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام حديث يروي أنّ رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إنّي أحبّك، فقال له: أعدّ للفقر جلباباً. فقال: ليس هكذا قال، إنما قال له: أعددت لفاقتك جلباباً، يعني يوم القيامة.

الشيعة والشفاعة(٤)

يا فضيل لا تزهدوا في فقراء شيعتنا، فإن الفقير منهم ليشفع يوم القيامة في مثل ربيعة ومضر.

---

(١) أصول الكافي ٢/٩٣، ح ٢٥: أبو علي الأشعري، عن معلّى بن محمّد، عن الوشاء، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) صُبّر: بضم الصاد وتشديد الباء المفتوحة: جمع الصابر.

(٣) معاني الأخبار ١٨٢: حدّثنا أبي، عن محمّد بن إدريس ومحمّد بن يحيى العطّار، عن محمد بن أحمد، عن محمّد بن الحسين، عن منصور، عن أحمد بن خالد، عن أحمد بن المبارك قال:...

(٤) أمالي الطوسي ١/٤٦، ب ٢، ح ٢٦: ابن الشيخ الطوسي، عن شيخه، عن محمّد بن محمّد، عن جعفر بن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن أحمد بن أبي بكر عبد الله البرقي، عن شريف بن سابق، عن الفضل بن عبد الملك، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام قال:...

أغبط أوليائي عندي[١]

إنّ من أغبط أوليائي عندي عبداً مؤمناً ذا حظّ من صلاح، أحسن عبادة ربّه وعبد الله في السريرة وكان غامضاً في الناس، فلم يشر إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً فصبر عليه، تعجّلت به المنيّة، فقلّ تراثه وقلّت بواكيه ثلاثاً.

الأئمّة حجج الله[٢]

إنّ الله تبارك وتعالى جعلنا حججه على خلقه، وأمناءه على علمه فمن جحدنا كان بمنزلة إبليس في تعنّته على الله، حين أمره بالسجود لآدم، ومن عرفنا واتّبعنا كان بمنزلة الملائكة الذين أمرهم الله بالسجود لآدم فأطاعوه.

فضائل لا تُوصف[٣]

عن مالك بن أعين الجهني، قال: أقبل إليّ أبو عبد الله عليه السلام فقال:

يا مالك أنتم والله شيعتنا حقّاً، يا مالك تراك قد أفرطت في القول في فضلنا؟ إنه ليس يقدر أحد على صفة الله وكنه قدرته وعظمته، فكما لا يقدر أحد على كنه صفة الله وكنه قدرته وعظمته (ولله المثل الأعلىٰ) فكذلك لا يقدر أحد على صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وفضلنا وما أعطانا الله، وما أوجب من حقوقنا وكما لا يقدر أحد أن يصف فضلنا وما أعطانا الله وما أوجب الله من حقوقنا فكذلك لا يقدر أحد أن يصف حقّ المؤمن

---

(١) قرب الإسناد ٢٠: حدّثنا أحمد بن إسحاق بن مسعدة، قال: حدّثنا بكر بن محمّد الأزدي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) الاختصاص ٣٣٤ ـ ٣٣٥: قال الصادق عليه السلام:...

(٣) المحاسن ١٤٣، ب ١١، ح ٤١: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام،...

ويقوم به ممّا أوجب الله على أخيه المؤمن، والله يا مالك إن المؤمنين ليلتقيان فيصافح كلّ واحد منهما صاحبه، فما يزال الله تبارك وتعالى ناظراً إليهما بالمحبّة والمغفرة، وإن الذنوب لتحات عن وجوههما وجوارحهما حتى يفترقا، فمن يقدر على صفة الله وصفة من هكذا عند الله؟.

لو كانوا كذلك(١)

يا مفضل كيف حال الشيعة عندكم؟

قلت: جُعلت فداك ما أحسن حالهم وأوصل بعضهم بعضاً وأبرّ بعضهم ببعض.

قال: أيجيء الرجل منكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه ويأخذ منه حاجته لا يجبهه ولا يجد في نفسه ألماً؟

قال: قلت: لا والله ما هم كذا.

قال: والله لو كانوا كذا ثمّ اجتمعت شيعة جعفر بن محمّد على فخذ شاة لأصدرهم.

أداء حق المؤمن(٢)

ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن.

---

(١) قضاء حقوق المؤمنين ٢٦، ح ٣٣: عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ...

(٢) أ: قضاء حقوق المؤمنين ٢٩، ح ٣٨.
ب: أصول الكافي ٢/ ١٧٠، ح ٤.
ج: المؤمن ٤٣، ب ٤، ح ٩٧.
د: أعلام الدين ٤٤١: أبي عبد الله عليه السلام قال:...

زينة المؤمن(١)

ثلاثة هنّ فخر المؤمن وزينته في الدنيا والآخرة: الصلاة في آخر الليل، ويأسه ممّا في أيدي الناس، وولاية الإمام من آل محمّد عليهم السلام.

ولاء وعمل(٢)

عن عبد الكريم بن عمرو وإبراهيم بن رواحة جميعاً قالا: حدّثنا ميسرة قال: قال لي أبو عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام ما تقول فيمن لا يعصي الله في أمره ونهيه، إلاّ أنّه يبرأ منك ومن أصحابك على هذا الأمر؟

قال: قلت: وما عسيت أن أقول، وأنا بحضرتك؟

قال: قل: فإنّي أنا الذي آمرك أن تقول.

قال: قلت: هو في النار.

قال: يا ميسرة! ما تقول فيمن يدين الله بما تدينه به، وفيه من الذنوب ما في الناس، إلاّ أنّه مجتنب الكبائر؟

قال: قلت: وما عسيت أن أقول وأنا بحضرتك؟

قال: فإني آمرك أن تقول.

---

(١) أمالي الصدوق ٤٣٧، المجلس ٨١، ح ٨: حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول:...

(٢) أمالي المفيد ٩٨ ـ ٩٩، المجلس ١٩، ح ٤: قال: أخبرني جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان...

قال: قلت: في الجنّة.

قال: فلعلّك تتحرّج أن تقول هو في الجنّة.

قال: قلت: لا.

قال: لا تحرج فإنّه في الجنّة، إنّ الله يقول: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾[1].

مع شعر العبدي[2]

يا معشر الشيعة! علّموا أولادكم شعر العبديّ، فإنّه علىٰ دين الله.

الرجل الأول بعد الرسول صلى الله عليه وآله[3]

قيل لجعفر بن محمد عليه السلام: إنّ قوماً هٰهنا ينتقصون عليّاً عليه السلام. فقال: بم ينتقصونه لا أباً لهم؟! وهل فيه موضع نقيصة؟ والله ما عرض لعلي عليه السلام أمران قطّ كلاهما لله طاعة إلاّ عمل بأشدّهما وأشقّهما عليه!

ولقد كان يعمل العمل كأنه قائم بين الجنّة والنار، ينظر إلى ثواب هؤلاء فيعمل له، وينظر إلى عقاب هؤلاء فينتهي له، وإن كان ليقوم إلى الصلاة فإذا قال: «وجّهت وجهي» تغيّر لونه حتى [كان] يعرف ذلك في لونه.

ولقد أعتق ألف عبد من كدّ يده، يعرق فيه جبينه ويحفي فيه كفّه، ولقد بشّر بعين نبعت في ماله مثل عنق الجزور فقال: بشّر الوارث، ثم

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٢) رجال الكشي ٢/ ٧٠٤، ح ٧٤٨: نصر بن صباح، عن إسحاق بن محمّد البصري، عن محمّد بن جمهور، عن أبي داود المسترق، عن علي بن النعمان، عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٣) بحار الأنوار ٣٤/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦ عن شرح النهج لابن أبي الحديد: روى زرارة وقال:...

جعلها صدقة على الفقراء والمساكين وابن السبيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ليصرف الله النار عن وجهه.

حرم علي عليه السلام(١)

مكّة حرم إبراهيم، والمدينة حرم محمد صلى الله عليه وآله، والكوفة حرم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إنّ علياً حرّم من الكوفة ما حرّم إبراهيم من مكّة وما حرّم محمد صلى الله عليه وآله من المدينة.

المؤمن والغموم(٢)

يصبح المؤمن حزيناً، ويمسي حزيناً، ولا يصلحه إلاّ ذاك، وساعات الغموم كفّارات الذنوب.

المؤمن عند الموت(٣)

ما من مؤمن يحضره الموت إلاّ رأى محمّداً وعليّاً عليهما السلام حيث تقرّ عينه، ولا مشرك يموت إلاّ رآهما حيث يسوؤه.

المؤمن إذا مات(٤)

إذا مات المؤمن صعد ملكاه فقالا: يا ربّنا أمتّ فلاناً، فيقول إنزلا

---

(١) أمالي الطوسي ٢/ ٢٨٤، ب ٣٦، ح ٢٣: أخبرنا أحمد بن عبدون، عن علي بن محمّد بن الزبير، عن علي بن الحسن بن فضال، عن العباس بن عامر، عن أحمد بن رزق الغمشاني، عن عاصم بن عبد الواحد المدائني قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٢) دعوات الراوندي ٢٨٧، ح ١٨: قال الصادق عليه السلام:...

(٣) بحار الأنوار ٨٢/ ١٧٤، ح ٨: عن جعفر بن محمد بن شريح، عن حميد بن شعيب، عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٤) عدّة الدّاعي ١١٦، ب ٢: عن الصادق عليه السلام قال:...

فصلّيا عليه عند قبره، وهلّلاني وكبّراني واكتبا ما تعملان له.

قطب القرآن[١]

إنّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب عليها يستدير محكم القرآن وبها نوّهت [يوهب خ ل] الكتب، ويستبين الإيمان وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يُقتدى بالقرآن وآل محمد، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: إنّي تارك فيكم الثّقلين: الثقل الأكبر والثقل الأصغر فأما الأكبر فكتاب ربّي وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي فاحفظوني فيهما، فلن تضلّوا ما تمسّكتم بهما.

مصادر علم الإمام[٢]

إني لأعلم ما في السماوات، وما في الأرضين، وأعلم ما في الجنّة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون، ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه فقال له: علمتُ ذلك من كتاب الله، إنّ الله يقول: «فيه تبيان كل شيء».

الإمام والقرآن[٣]

والله إني لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره، كأنّه في كفّي، فيه خبر

---

(١) تفسير العياشي ١/٥، ح ٩: عن مسعدة بن صدقة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:...

(٢) بصائر الدرجات ١٢٨، الجزء ٣، ب ٦، ح ٦: حدّثنا عبد الله بن عامر، عن محمد بن سنان، عن يونس بن يعقوب، عن الحارث بن المغيرة وعبيدة وعبد الله بن بشر الخثعمي سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٣) بصائر الدرجات ١٩٤، الجزء ٤، ب ٦، ح ٧: حدّثنا محمد بن عيسى، عن أبي عبد الله المؤمن، عن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

السماء، وخبر الأرض، وخبر ما يكون، وخبر ما هو كائن، قال الله: «**فيه تبيان كل شيء**»[١].

لمن كرائم القرآن؟[٢]

إنّ الله فرض طاعتنا في كتابه، فلا يسع الناس جهلاً، لنا صفو المال، ولنا الأنفال، ولنا كرائم القرآن ـ ولا أقول لكم إنّا أصحاب الغيب ـ ونعلم كتاب الله، وكتاب الله يحتمل كل شيء، إنّ الله أعلمنا علماً لا يعلمه أحد غيره، وعلماً قد أعلمه ملائكته ورسله، فما علمته ملائكته ورسله فنحن نعلمه.

أثر جبرئيل[٣]

قال أبو عبد الله عليه السلام لرجل من أهل الكوفة وقد سأله عن شيء:

لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل في دورنا ونزوله على جدّي بالوحي والقرآن والعلم، أفيستقي الناس العلم من عندنا فيهدونهم وظللنا نحن؟ هذا محال.

الحديث بلا واسطة[٤]

لما توفّي أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام قلت لأصحابي:

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٢) تفسير العياشي ١/١٦، ح ٧: عن بشير الدهّان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:...

(٣) تفسير العياشي ١/١٦، ح ٩: عن الحكم بن عيينة قال:...

(٤) أمالي الطوسي ١/١٢٥، ب ٥، ح ٨: ابن الشيخ الطوسي، عن والده، عن محمد بن محمد عن المظفر بن أحمد، عن محمد بن همام، عن أحمد بن مابنداذ منصور بن العباس العصياني، حدّثهم عن الحسن بن علي الخزاز، عن علي بن عقبة، عن سالم بن أبي حفصة قال:...

انتظروني حتى أدخل على أبي عبد الله جعفر بن محمد فأعزّيه به، فدخلت عليه فعزّيته ثم قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ذهب والله من كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يسأل عمّن بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله لا والله لا يرى مثله أبداً. قال: فسكت أبو عبد الله عليه السلام ساعة ثم قال:

قال الله تبارك وتعالى: إنّ من عبادي من يتصدّق بشقّ تمرة فأربيها له كما يربي أحدكم فلوه، حتى أجعلها له مثل جبل أحد.

فخرجت إلى أصحابي فقلت: ما رأيت أعجب من هذا، كُنا نستعظم قول أبي جعفر عليه السلام (قال رسول الله صلى الله عليه وآله) بلا واسطة، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: (قال الله تعالى) بلا واسطة.

شيعتنا والسؤال[1]

شيعتنا من لا يسأل الناس شيئاً ولو مات جوعاً.

الأئمّة عليهم السلام وتفويض المقادير[2]

إنّ ليلة القدر يكتب ما يكون منها في السنة إلى مثلها من خير أو شرّ أو موت أو حياة أو مطر، ويكتب فيها وفد الحاج ثم يفضى ذلك إلى أهل الأرض.

فقلت: إلى مَن مِن أهل الأرض؟

فقال: إلى من ترى.

---

(١) عدّة الداعي ٨٩، ب ٢: قال الصادق عليه السلام:...

(٢) بصائر الدرجات ٢٢٠، جزء ٥، ب ٣، ح ١: حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن الحسين بن بكير، عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

أعظم أعياد المسلمين[1]

عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم للمسلمين من عيد؟ فقال:

أربعة أعياد.

قال: قلت: قد عرفت العيدين والجمعة.

فقال لي: أعظمها وأشرفها يوم الثامن عشر من ذي الحجّة، وهو اليوم الذي أقام فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام ونصّبه للناس علماً.

قال: قلت: ما يجب علينا في ذلك اليوم؟

قال: يجب عليكم صيامه شكراً لله، وحمداً له، مع أنه أهل أن يشكر كل ساعة، وكذلك أمرت الأنبياء أوصياءها أن يصوموا اليوم الذي يُقام فيه الوصي، يتّخذونه عيداً، ومن صامه كان أفضل من عمل ستّين سنة.

احتفال السماء بعيد الغدير[2]

إنّ يوم الغدير في السماء أشهر منه في الأرض إنّ لله في الفردوس الأعلى قصراً لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، فيه مائة ألف قبّة من ياقوتة

---

(١) الخصال ١/ ٢٦٤، ح ١٤٥: حدّثنا علي بن أحمد بن موسى، عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن الحسين بن عبيد الله الأشعري، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد...

(٢) فرحة الغري ١٠٦ ـ ١٠٧، ب ٨، والإقبال ٤٦٨: أخبرني يحيى بن سعيد، عن محمد بن أبي البركات بن إبراهيم، عن الحسين بن رطبة، عن الحسن بن محمد، عن الشيخ محمد بن الحسن، عن المفيد محمد بن النعمان، عن محمد بن أحمد، عن أحمد بن عمار، عن أبيه، عن الحسن بن علي بن فضال، عن محمد بن عبد الله، عن زرارة، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: كنّا عند الرضا عليه السلام والمجلس غاصّ بأهله، فتذاكروا يوم الغدير فأنكره بعض الناس فقال الرضا عليه السلام حدّثني أبي، عن أبيه قال:...

حمراء، ومائة ألف خيمة من ياقوت أخضر، ترابه المَسك والعنبر، فيه أربعة أنهار: نهر من خمر، ونهر من ماء، ونهر من لبن، ونهر من عسل، حواليه أشجار جميع الفواكه، عليها طيور أبدانها من لؤلؤ، وأجنحتها من ياقوت، تصوّت بألوان الأصوات.

إذا كان يوم الغدير ورد إلى ذلك القصر أهل السماوات يسبّحون الله ويقدّسونه ويهلّلونه فتتطاير تلك الطيور، فتقع في ذلك الماء وتمرّغ على ذلك المسك والعنبر فإذا اجتمعت الملائكة طارت فتنفض ذلك عليهم، وإنهم في ذلك اليوم ليتهادون نثار فاطمة عليها السلام فإذا كان آخر اليوم نُودوا اِنصرفوا إلى مراتبكم فقد أمنتم الخطأ والزلل إلى قابل مثل هذا اليوم، تكرمة لمحمد وعلي عليهما السلام.

المجاورون لكربلاء[1]

سألت الصادق عليه السلام ونحن في طريق المدينة نريد مكّة فقلت: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله مالي أراك كئيباً حزيناً منكسراً؟ فقال:

لو تسمع كما أسمع لاشتغلت عن مسألتي.

قلت: وما الذي تسمع؟

قال: ابتهال الملائكة على قتلة أمير المؤمنين عليه السلام وقتلة الحسين عليه السلام، ونوح الجنّ عليهما، وشدّة حزنهم، فمن يتهنأ مع هذا بطعام أو شراب أو نوم.

فقلت: ففي كم يسيغ الناس ترك زيارة الحسين عليه السلام؟

(١) بحار الأنوار ٩٧/ ١٣٤ ـ ١٣٥ عن الدروع، عن صفوان قال:...

فقال عليه السلام: أما القريب فلا أقل من شهر، وأما البعيد ففي كل ثلاث سنين، فما جاز الثلاث سنين فقد عقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقطع رحمه، إلاّ من علّة، ولو علم زائر الحسين عليه السلام ما يدخل على النبي صلى الله عليه وآله من الفرح وإلى أمير المؤمنين عليه السلام وإلى فاطمة وإلى الأئمة الشهداء وما ينقلب به من دعائهم له، وما له في ذلك من الثواب في العاجل والآجل والمذخور له عند الله لأحب أن يكون طول عمره عند الحسين عليه السلام، وإن أراد الخروج لم تقع قدمه على شيء إلاّ دعا له، فإذا وقعت الشمس عليه أكلت ذنوبه كما تأكل النار الحطب، وما يبقى [تبقي ـ خ] الشمس عليه من ذنوبه من شيء ويرفع له من الدرجات ما لا ينالها إلاّ المتشحّط بدمه في سبيل الله، ويوكَّل به ملك يقوم مقامه ليستغفر له.

من صفات شيعتنا[1]

شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً.

كيف تصلي على الأنبياء؟[2]

عن معاوية بن عمار قال: ذكرت عند أبي عبد الله الصّادق عليه السلام بعض الأنبياء فصلّيت عليه.

فقال: إذا ذكر أحد من الأنبياء فابدأ بالصلاة على محمد ثمّ عليه،

---

(١) عدة الدّاعي ٢٣٤، ب ٥، وأصول الكافي ٢/٤٩٩، ح ٢: روى أبو بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...

(٢) أمالي الصدوق ٣١٠، المجلس ٦٠، ح ٩، وأمالي الطوسي ٢/٣٨، ب ٥: وروضة الواعظين ٢/٣٢٢: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن محمّد بن عيسى بن عبيد، عن سليمان بن رشيد، عن أبيه،...

صلّى الله على محمد وآله وعلى جميع الأنبياء.

الإمام والمحبّة(١)

قيل له عليه السلام: ما بلغ بك من حبك إبنك موسى؟ قال:

وددتُ أن ليس لي ولد غيره حتى لا يشركه في حبّي له أحد.

من مختصّات علي عليه السلام(٢)

سُئِل عليه السلام عن فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام لم يشركه فيها غيره؟ قال: فضل الأقربين بالسبق، وسبق الأبعدين بالقرابة.

الولاية سبب القبول(٣)

إن قدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا، وما عليك إن لم يثن الناس عليك وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله تبارك وتعالى، إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول:

لا خير في الدنيا إلاّ لأحد رجلين: رجل يزداد فيها كل يوم إحساناً، ورجل يتدارك منيّته (سيئته) بالتوبة، وأنّىٰ له بالتوبة فوالله إن لو سجد حتى ينقطع عنقه، ما قبل الله عزَّ وجلَّ منه عملاً إلاّ بولايتنا أهل البيت، ألا ومن عرف حقّنا أو رجا الثواب بنا، ورضي بقوته نصف مدّ كل يوم، وما يستر به عورته، وما أكنّ به رأسه، وهم مع ذلك والله خائفون وجلون

---

(١) كشف الغمّة ٢/٤٤٦...

(٢) كشف الغمّة ٢/٤٣٩:...

(٣) روضة الكافي ١٢٨، ح ٩٨: علي بن إبراهيم، عن أبيه عن القاسم بن محمد [وعلي بن محمد عن القاسم بن محمد] عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:...

ودّوا أنه حظهم من الدنيا[١] وكذلك وصفهم الله عزَّ وجلَّ حيث يقول:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[٢] ما الذي أتوا به، أتوا والله بالطاعة مع المحبّة والولاية وهم في ذلك خائفون أن لا يقبل منهم، وليس والله خوفهم خوف شكّ فيما هم فيه من إصابة الدين، ولكنهم خافوا أن يكونوا مقصّرين في محبّتنا وطاعتنا.

ثم قال: إن قدرت على أن لا تخرج من بيتك فافعل فإن عليك في خروجك أن لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسد ولا ترائي ولا تتصنّع ولا تداهن.

ثم قال: نعم صومعة المسلم بيته، يكفّ فيه بصره ولسانه ونفسه وفرجه إنّ من عرف نعمة الله بقلبه استوجب المزيد من الله عزَّ وجلَّ قبل أن يظهر شكرها على لسانه ومن ذهب يرى أن له على الآخر فضلاً فهو من المستكبرين.

فقلت له: إنما يرى أن له عليه فضلاً بالعافية إذا رآه مرتكباً للمعاصي؟

فقال: هيهات هيهات، فلعله أن يكون قد غفر له ما أتى وأنت موقوف محاسب أما تلوت قصة سحرة موسى عليه السلام؟

ثم قال: كم من مغرور بما قد أنعم الله عليه، وكم من مستدرج بستر الله عليه، وكم من مفتون بثناء الناس عليه.

ثم قال: إني لأرجو النجاة لمن عرف حقّنا من هذه الأمّة إلاّ لأحد

---

(١) أي هم راضون بما قدّر لهم من البُقية في الدنيا ولا يريدون أكثر من ذلك حذراً من أن يصير سبباً لطغيانهم.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

ثلاثة: صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى، والفاسق المُعلن.

ثم تلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[١].

ثم قال: يا حفص الحب أفضل من الخوف.

ثم قال: والله ما أحب الله من أحب الدنيا، ووالىٰ غيرنا، ومن عرف حقّنا وأحبّنا فقد أحبّ الله تبارك وتعالى.

دنيا المؤمن[٢]

الدنيا سجن المؤمن، والصبر حصنه، والجنّة مأواه، والدنيا جنّة الكافر، والقبر سجنه، والنار مأواه.

الحياة الدائمة[٣]

قال له يونس: لَوَلائي لكم وما عرّفني الله من حقّكم أحبّ إليّ من الدنيا بحذافيرها. قال يونس: فتبيّنت الغضب فيه. ثم قال عليه السلام:

يا يونس قستنا بغير قياس، ما الدنيا وما فيها هل هي إلاّ سدّ فورة، أو ستر عورة، وأنت لك بمحبتنا الحياة الدائمة.

بيت علي وفاطمة عليهما السلام[٤]

عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل قال

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) تحف العقول ٣٦٣: قال عليه السلام:...

(٣) تحف العقول ٣٧٩ ـ ٣٨٠:...

(٤) فروع الكافي ٢/ ٥٥٥، ح ٨، والتهذيب ٦/ ٨، ح ٨: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم...

رسول الله ﷺ ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنّة؟ فقال:

نعم، وقال: بيت علي وفاطمة ﷺ ما بين البيت الذي فيه النبي ﷺ إلى الباب الذي يُحاذي الزقاق إلى البقيع.

قال: فلو دخلت من ذلك الباب والحائط كأنه أصاب منكبك الأيسر.

الزهراء ﷺ بعد أبيها ﷺ(١)

عاشت فاطمة ﷺ بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً لم تر كاشرة(٢) ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين الاثنين والخميس فتقول: هٰهنا كان رسول الله ﷺ وهٰهنا كان المشركون.

الزيارة عن معرفة(٣)

كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﷺ فدخل عليه رجل من أهل طوس فقال له: يابن رسول الله ما لمن زار قبر أبي عبد الله الحسين بن علي ﷺ؟ فقال له:

يا طوسي من زار قبر أبي عبد الله الحسين بن علي ﷺ وهو يعلم أنه إمام من الله مُفترض الطاعة على العباد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما

---

(١) فروع الكافي ٢/٥٦١، ح ٤: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله ﷺ قال: سمعته يقول:...

(٢) كاشرة: متبسمة.

(٣) أمالي الصدوق ٤٧٠ ـ ٤٧١، المجلس ٨٦، ح ١١: حدّثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، عن أحمد بن محمد الهمداني، عن المنذر بن محمد، عن جعفر بن سليمان، عن عبد الله بن الفضل قال:...

تأخّر، وقبل شفاعته في سبعين مذنباً، ولم يسأل الله عزَّ وجلَّ عند قبره حاجة إلاّ قضاها له.

قال: فدخل موسى بن جعفر عليه السلام فأجلسه على فخذه وأقبل يقبّل ما بين عينيه، ثم التفت إليه فقال له: يا طوسي إنّه الإمام والخليفة والحجّة بعدي، وإنه سيخرج من صلبه رجل يكون رضاً لله عزَّ وجلَّ في سمائه ولعباده في أرضه، يُقتل في أرضكم بالسمّ ظلماً وعدواناً ويدفن بها غريباً، ألا فمن زاره في غربته وهو يعلم أنه إمام بعد أبيه مفترض الطاعة من الله عزَّ وجلَّ كان كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله.

الفهرس

إلهيات

إلهيات ـ رسائل

نبويات

ولائيات